بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمد **لله،** نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [آل عمران: ١02]،

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [النساء: ١ ]،

ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله, وخـير الهـدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم, وشر الأمـور محـدثاتها, فإن كل محدثة بدعـة, وكل بدعة ضـلالة, وكل ضـلالة في النار.

وبعـد: فـإن أصـل الـدين وأساسـه هـو توحيـد اللـه سبحانه وإفراده بالعبادة وحده لا شـريك لـه، والكفـر بمـا يعبد من دونه، وهو حقه الذي خلق الخلق لأجلـه, وأرسـل الرسـل للـدعوة إليـه وتوضـيحه, وأنـزل الكتب لتقريـره وبيانـه. وهـو محـور رسـالات الرسـل إلى أقـوامهم, وهـو أعظم مـا قـرره القـرآن, ودل عليـه بـأنواع من الـدلائل, وبـرْهَن لـه بكثـير من الـبراهين القاطعـة, ليعرفـه العبـاد ويحققوا ما أوجدوا من أجله.

ومن رحمة الله تعـالى بعبادتـه جعـل للتوحيـد الأدلـة الكثيرة، والبراهين الواضحة، لأنه كلمـا كـانت الحاجـة إلى الشيء أشد, كانت الدلائل والوسـائل الموصـلة إليـه أكـثر وأوضح وأيسر. لذلك أكثرَ الله من دلائـل توحيـد الألوهيـة, ليسهل على العباد معرفتـه وتحقيقـه, وليقيم الحجـة على المنحرفين عن فطرته التي فطر الناس عليها المشـركين به في عبادته.

قال ابن سعدي رحمه الله: "لما كان توحيـد البـاري أعظم المسائل وأكبرها وأفرضـها وأفضـلها، وحاجـة الخلـق إليـه

وضرورتهم فوق كل ضرورة تقدر، فإن صــلاحهم وفلاحهم وسعادتهم متوقفة على التوحيد، نوّع الله الأدلة والـبراهين على ذلك، وكانت أدلته واضحات، وبراهينه ساطعات"[1].

لذلك كان معرفة دلائل توحيد الألوهية من أهم أبواب العلم, لأنه بمعرفـة الـدليل يتوصَـل إلى معرفـة المـدلول, وكلما كان الدليل صحيحا مستقيما تكون النتيجـة صـحيحة نافعة. ولكن - مـع الأسف- كـان كثـير من المنتسـبين إلى الإسلام اليوم يجهلون حقيقة هـذا التوحيـد الـذي هـو علـة ايجادهم, وذلك لعدم معرفتهم للـدلائل الـتي توصـلهم إلى معرفة حقيقته, فحصل الشـرك باللـه تعـالى في الألوهيـة في الأمة الإسلامية. فكانت الحاجة إلى معرفة دلائـل هـذا التوحيد من أشد حاجة، وبيانها من أهم أبواب العلم.

وقد حرص بعض أهل العلم على إفراد كتاب مستقل في أدلة التوحيــــد، منهم العلامة ابن القيم – رحمه الله – حيث قــال وهو يتكلم عن برهــانين من بــراهين التوحيــد؛ دليل الآيــات الكونيــة، ودليل التمــانع الــدال على توحيد الألوهية: "ولولا خشية الإطالة لـذكرنا تقـديرهما وبيـان ما تضـمناه من السر العجيب والبرهـان البـاهر، وسـنفرد إن شاء الله كتابا مستقلا لأدلة التوحيد"[2].

وكذلك الشيخ محمد الأمين الشـنقيطي –رحمه الله– قد حـرص في استقصـاء أدلة توحيد الألوهية كما ذكر ذلك عند كلامه على الآية الأولى في سورة هود، حيث قــرر أن الحكمة العظمى الـتي أنـزل القـرآن من أجلهـا، وأحكمت آياته وفصـلت هي توحيد الله بالعبـادة، فـذكر بعض الأدلة على ذلك فقال: "والآيات الدالة على أن إرسـال الرسـل، وإنـــزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحـــده كثـــيرة جـــدا، كقوله:ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﭼ النحل: ٣٦، وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الأنبياء: ٢٥، وقوله: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الزخـرف: ٤٥، إلى غير ذلك من الآيات. وقد

---

[1] فتح الـرحيم الملك العلام (ضـمن مجمـوع مؤلفـات الشـيخ السعدي) 3/ 725.

[2] مفتاح دار السعادة 2/ 588.

أشــرنا إلى هــذا البحث في ســورة الفاتحة وسنستقصي الكلام عليه -إن شاء الله تعالى- في سورة النـاس لتكـون خاتمة هذا الكتاب المبارك حسنى"[1].

فحـــرص رحمه الله أن يختم كتـــاب تفســـيره المبـــارك باستقصاء أدلة توحيد الألوهية، لتكـون خاتمته حسـنى كما كانت فاتحته كذلك، لأنه تناول هذا البحث في أول الكتـاب في تفسير سورة الفاتحة كما ذكر ذلك.

وقد كان جهـود العلمـاء مسـتمر في ذلـك, ومن هـذا البـاب أردت أن أكـون ممن يـدلي بـدلوه لنصـرة التوحيد والنصيحة للأمة وبيـان الحق ورد الباطـل, وكشف الشـبه, فقررت جمع هذه الدلائل ودراستها لعل الله ينفع بها.

**أسباب اختيار الموضوع:**

وقد دعـــاني إلى اختيـــار هـــذا الموضـــوع للبحث فيه أسباب كثيرة، ومن أهمها:

1. أهمية الموضـــوع, فإنه موضـــوع يتعلق بالغاية والحكمة من خلق الخلـق, الـتي هي إفـراد الله تعـالى بالألوهية والعبودية, ولأهميته بينه الله تعالى بـأنواع من الـبراهين والـــدلائل, ليســـهل على العبـــاد الوصـــول إليه بأوضح الطرق. فلا شك أن للدلائل على هـذه الحكمة العظيمة أهمية كبـيرة, لأن معرفة المـدلول متوقف على معرفة الدليل.
2. طلبا لفائـــــدة البــــاحث - بالدرجة الأولى - من دراسة النصوص في هذا الموضـوع، والوقـوف على تفسـيرات العلماء وشروحاتهم، ثم يُفيد غيرَه بها.
3. أن هـذه الـدلائل وما يتعلق بها مفرقة في بطـون كتب أهل العلم, فمن المهم جمع ذلك في مكـــــان واحد مما يسهِّل على طالب العلم الوصول إليها بأيسر الطرق.
4. عــــدم وجــــود رســــالة علمية – حسب علمي - وافية وجامعة لدلائل توحيد الألوهيـة, فلعل هـذا البحث يكـون مواصـلة لجهـود البـاحثين الـذين تطرقـوا لهـا, وإضـافة نافعة في المكتبة الإسلامية.

---

[1] أضواء البيان 3/ 11.

5. شدة حاجة المسلمين اليوم إلى معرفة حقيقة التوحيد, لجهل كثير منهم بحقيقة التوحيد, وعدم تمييزهم بين ما هو حق الله تعالى, وبين ما هو حق غيره من المخلـوق, فنتج عن ذلك وقوع الشرك في هذه الأمة, وقد تضــمن القــرآن دلائل التوحيد وبراهينــه، ونــوّع الله فيه هــذه الــدلائل وبيّنهــا، مع أن كثــيرا منهم يحفظــون القــرآن الكـريم ويقرؤونه آنـاء الليل وأطـراف النـار, إلا أنهم لا يعرفون شيئا مما تضـمنه من إثبـات الألوهية لله تعـالى وحده لا شريك له.
6. أن جميع الكتب المنزلة في تقرير التوحيد وبيان حقوقه وجزائه, وذم من خالفه, وذكر عقوبته.
7. في بحث هذا الموضوع إيضـاح للجـزء الأول من الـركن الأول من أركان الإسلام الذي هو (شـهادة أن لا إلــه إلا الله وأنّ محمدًا رسـول الله ﷺ)، من حيث معرفـةُ دلائله وبراهينه.
8. دراسة هــذه الــدلائل وجمعها وإبرازها مما يــبيّن خطأ المتكلمين في ظنهم أن التوحيد المطلـــــــوب توحيد الربوبيـة, فجعلـوا يقررونه في كتبهم وغفلـوا عن توحيد الألوهية الذي هو الغاية, مما جعل ذلك من أسباب جهل النـــــاس بحقيقة التوحيد فانتشر الشـــــرك في الأمة الإسلامية.
9. وجـــود كثـــير من الـــدعاة إلى القبورية في العـــالم الإسلامية, ولعل هـذا الموضـوع يسـاعد في رد بـاطلهم وتقليل جهودهم الضارة.

ولهذه الأسباب وغيرها اخترت هذا الموضوع, ليكــون أطروحـتي لرسـالة العالمية (الماجسـتير), وعنـونت له بــ **(دلائل توحيد الألوهية)**.

**الدراسات السابقة حول الموضوع:**

بعد البحث والتحري لم أقف على رسالة علمية وافية في الموضوع، وقد أفادني مركز الملك فيصل بعدم دراسة وافية للموضوع، وكذلك مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث قد أفادني بعدم دراسة الموضوع من قبل, حسب ما تحصّل لديهم في قواعد المعلومات من عناوين الدراسات السابقة، إلا أنه وقع تحت يدي بعض المؤلفات والرسائل التي لها تعلق بموضوع بحثي في بعض الجوانب, وهي:

**أولا: (الأربعون في دلائل التوحيد)،** لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (المتوفى: 481هـ)، والكتاب مطبوع بتحقيق الشيخ د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، وطبع الطبعة الأولى، 1404. وهذا الكتاب لا يتفق مع موضوع بحثي، لأنه كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث في إثبات الأسماء والصفات لله تعالى، فهو في دلائل توحيد الأسماء والصفات، لا في دلائل توحيد الألوهية.

**ثانيا: (دلائل التوحيد)** للشيخ جمال الدين القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، وهذا الكتاب في دلائل توحيد الربوبية لا في توحيد الألوهية، لأن مؤلفه ذكر في مقدمة الكتاب أنه في دلائل وجود المعبود، والرد على الماديين، وبيان دلائل النبوة[1]، ومعلوم أن إثبات وجود المعبود هو إثبات وجود الله، وهذا مبحث من مباحث توحيد الربوبية. فالكتاب كله في دلائل إثبات وجود الله وتقرير ربوبيته، والرد على الملحدين والماديين.

**ثالثا: رسالة بعنوان:( منهج القرآن والعلم في إثبات الألوهية).** لعبد الله عثمان الكوكي، وهي رسالة ماجستير في جامعة أم القرى.

فهذه لا تتفق مع موضوع بحثي لا في الأهداف, ولا في الأبواب, ولا في النتائج المتوقع الوصول إليها.

وتفصيل ذلك؛ أنَّ الباحث ضمَّن رسالته خمسة أبواب:

الباب الأول: في وجود الله بين الفطرة والدليل.

---

[1] انظر دلائل التوحيد للقاسمي ص: 172 – 173.

والبــاب الثــاني: في خصــائص القــرآن الذاتية في إثبــات الألوهية.
والباب الثالث: منهج القرآن في إثبات الألوهية.
والرابع: مشكلة الإلحاد بين القرآن والعلم.
والخامس: العلم يثبت وجود الله ووحدانيته.

وفي البــاب الثــالث من الرســالة, ذكر بعض الأمــور التي لها تعلق بدلائل التوحيد, وهي في فصلين:

الفصل الأول: الأصــول الــتي اعتمــدها القــرآن في دعوته للألوهية:

وذكر فيه هذه الأمور:

1- إيقاظ الفطر.
2- نبذ الطواغيت.
3- تعداد النعم.
4- الخلق من العدم.
5- الانفراد بالخلق.

والفصل الثاني: أسلوب القرآن في الإقناع بالألوهية:

وذكر فيه هذه الأمور:

1- وحدة الدين.
2- الجدال بالتي هي أحسن.
3- الحض على التفكير.

وتحته ذكر هذه الأمور:

- روعة الكون.
- في الآفاق.
- في الأنفس.

ومن خلال هذا العرض, يتبين التالي:

1- أن البــاحث لم يتنــاول دلائل توحيد الألوهية بدراسة تفصيلية, وإنما تحــدث عن أصــول دعــوة التوحيد في القرآن فقط, والأســاليب الــتي ذكرها الله في كتابــه. وأما موضوع بحثي يتحدث عن أنــواع الأدلة من حيث هي, وأنه دراسة تفصــيلية مركــزة على دلائل توحيد الألوهية.
2- أن موضوع الرسالة المــذكورة في منهج القــرآن في إثبــات الألوهيــة. اقتصر على المنهج, وأما موضــوع

بحـــثي ســـيركز على دلائل توحيد الألوهيـــة. ويباشر الدلائل ذاتها, لا منهج القرآن في الاستدلال.

3- أن موضـــوع الرســـالة مقيـــدة بمصـــدر واحـــد, وهو القرآن, وموضوع بحثي يتناول جميع مصادر التلقي.

**رابعا: رسالة بعنوان:( عقيدة التوحيد في القرآن الكـــريم)** للـــدكتور محمد أحمد محمد عبد القـــادر خليل ملكـــاوي, رســـالة ماجســـتير في جامعة الإمـــام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد تضمّنت الرسالة أربعة أبوابٍ، هي:

الباب الأول: العقيدة ومكانتها.

الباب الثاني: حقيقة التوحيد.

الباب الثالث: المنهج القرآني في تقرير عقيدة التوحيد.

البـــاب الرابـــع: ممـــيزات طريقة القـــرآن عن طريقة المتكلمين والفلاسفة في تقرير عقيدة التوحيد.

وقد تضمن الثالث منها خمسة فصول, وهي:

1- تقرير القرآن للتوحيد بالأدلة الكونية.
2- تقرير القرآن للتوحيد بضرب الأمثال.
3- تقرير القرآن للتوحيد بالقصص القرآني.
4- تقرير القرآن للتوحيد بالتذكير بنعم الله.
5- تقرير القرآن للتوحيد بالأدلة العقلية.

ومن خلال هذا العرض, يتبين التالي:

1- أن كل هـــــذه الفصـــــول لم تتنـــــاول دلائل التوحيد بالدراسة التفصيلية من حيث هي, وإنما تناولت منهج القرآن في تقرير التوحيد, والأساليب التي ذكرها الله في كتابه. وأما موضوع بحـثي فهو يركز على تأصـيل دلائل توحيد الألوهية وتقريرهـــــــا, ويتناولها بدراسة تفصيلية.
2- أن ما ذكره البـاحث من الأدلة الكونية والعقليـة. فهو جزء يسير يتعلق بدلائل التوحيد العقلية. وأما موضوع بحـــثي فهو دراسة تفصـــيلية عن جميع دلائل توحيد الألوهية؛ الفطرية, والشرعية, والعقلية.

3- وأن موضوع الرسالة اقتصر على القرآن فقــط, وأما موضوع بحثي سيتناول استخراج الـدلائل من مصـادر التلقي كلها.
4- وتختلف طريقة بحث موضـوع الرسـالة مع موضـوع بحـــثي, حيث أتنـــاول دلائل توحيد الألوهية بدراسة تأصيلية مفصلة, ومركزة على الدلائل فقط.

**خامسـا: رسـالة بعنـوان: (الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد)** للباحث سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي, رسالة ماجستير في جامعة أم القرى.

تناول الباحث الموضوع في بابين:

البـــاب الأول: الاســـتدلال العقلي النقلي على أصـــول الاعتقاد.

البـاب الثـاني: الأدلة العقلية النقلية على أصـول الاعتقـاد. وجعل هــذا البــاب ســتة فصــول, وذكر منها فصلا يتعلق بموضوع بحثي وهو الفصل الرابـع, حيث عنـون له بقولـه: أدلة توحيد العبادة. وتناوله من وجهين فقط:

أحدهما: دلالة الربوبية على الألوهية.

وثانيهما: إبطال الشرك في العبادة.

وبالنظر إلى ذلك نجد الفرق البين بين ما سـأكتبه وبين ما ذكره الباحث, ويتجلى في الأمور التالية:

1- أن مـا تناولـه البـاحث من دلالـة الربوبيـة, وإبطـال الشـرك على توحيـد الألوهيـة, شـيء يسـير يتعلـق بدلائل التوحيد, ولم يتناولـه بالدراسـة المفصـلة, بـل اقتصر على الدراسة المجملة, والموضوع يحتـاج إلى دراسة تأصيلية مفصلة. وهذا هو موضوع بحثي, حيث يتناول دلائل توحيد الألوهية بدراسة تفصيلية.
2- أن موضوع هذه الرسالة خاص بالأدلة العقلية فقــط, وأما موضـــوع بحـــثي عـــام لجميع أنـــواع الـــدلائل؛ الفطرية, والشـرعية, والعقليـة. كمـا هـو موضّـح في الخطة.
3- وأنه تناول أصول الاعتقاد كلهـا. وأمـا موضـوع بحـثي فهـو خـاص بـدلائل توحيـد الألوهيـة فقـط, ومركـزة عليها.

4- أن موضوع بحثي سيتناول دلائل توحيد الألوهية بدراسة تأصيلية تفصيلية.

**سادسا: رسالة بعنوان: (الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية)** للباحث عبد الكريم نوفان عبيدات. وهي رسالة دكتوراه في جامعة أم درمان الإسلامية, بالسودان.

وتضمنت هذه الرسالة بابين:

الباب الأول: مكانة العقل والطريق إلى المعرفة في القرآن.

والباب الثاني: الدلالة العقلية في القرن على مسائل العقيدة الإسلامية.

وفي الباب الثاني ذكر فيه أربعة فصول. والفصل الأول منها هو: دلالة العقل في القرآن على وحدانية الله. وذكر فيه مبحثين:

المبحث الأول: القرآن وفطرية الإيمان بوجود الله.

المبحث الثاني: الأدلة القرآنية على توحيد الألوهية.

ففي المبحث الثاني ذكر ثلاثة أدلة عقلية لتوحيد الألوهية في ثلاثة مطالب, وهي:

المطلب الأول: دلائل الأفاق والأنفس.

المطلب الثاني: دليل انتظام الكون.

المطلب الثالث: تقرير القرآن توحيد الألوهية بإبطال الشرك.

وبهذا العرض نجد الفرق البين بين ما ذكره الباحث وبين ما سأكتبه, ويتجلى ذلك الأمور التالية:

1- إن ما تناوله الباحث في أدلة توحيد الألوهية شيء يسير ولم يتناوله بالدراسة المفصلة, بل اقتصر على الدراسة المجملة, وأما موضوع بحثي سيتناول دلائل توحيد الألوهية بدراسة تأصيلية مفصلة.

2- إن هذه الرسالة مقتصرة على الدلالة العقلية القرآنية, وأما موضوع بحثي يركز على دلائل توحيد الألوهية بأنواع الدلالة الثلاثة؛ الفطرية, والشرعية, والعقلية.

3- وكذلك كان موضوع الرسالة مقتصرا على مصدر واحد فقط, وأما موضوع بحثي شـامل لجميـع مصـادر التلقي التي هي الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

وبهـذا العـرض يتـبين أن الدراسـات السـابقة لا تفي بالغرض, وأنها لا تتفق مع موضـوع بحـثي لا في الأهـداف, ولا في الأبــواب, ولا في النتــائج المتوقع الوصــول إليها. والله اعلم.

خطة البحث:

**قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس علمية:**

**المقدمة:** فيها بيان أهمية الموضوع, وأسباب اختياره، والدراسات السابقة حول الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

**التمهيد: تعريف مفردات العنوان, ويشتمل على مبحثين:**

**المبحث الأول: تعريف الدلائل وأنواع الدلالات, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: تعريف الدلائل.

**المطلب الثاني**: أهمية معرفة الدلائل.

**المطلب الثالث:** أنواع الدلائل وأقسامها.

**المبحث الثاني: التعريف بتوحيد الألوهية, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعا.

**المطلب الثاني**: أهمية توحيد الألوهية, وبيان فضله.

## الباب الأول: الدلائل الفطرية على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة فصول:

### الفصل الأول: دلالة الفطرة على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: بيان أن توحيد الألوهية قد فطر الله العباد عليه.** وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: معنى الفطرة الإسلام.

**المطلب الثاني:** تفسير السلف للفطرة بأنها دين الإسلام.

**المطلب الثالث**: تهويد المولود وتنصيره وتمجيسه تغيير للفطرة.

**المبحث الثاني: بيان أن توحيد الألوهية جزء من العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: إقرار الله لعباده بإثبات الربوبية.

**المطلب الثـاني**: الاحتجـاج بشـرك الآبـاء دليل على أن الميثاق هو توحيد الألوهية.

**الفصل الثاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: الإقـــرار بتفـــرد الله بالربوبية يقتضي إفراده بالألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: الإقــرار بتفــرد الله بــالخلق والملك والتدبير يقتضي إفراده بأنواع العبادة.

**المطلب الثاني**: الإقـرار بتفـرد الله بالإنعـام والإحسـان يقتضي إفراده بالعبادة.

**المطلب الثالث**: الإقرار بتفـرد الله بجلب المنـافع ودفع المضار يقتضي إفراده بالرجاء والخوف والرغبة والرهبة.

**المبحث الثاني: الإقـرار بتوحيد الربوبية يسـتلزم توحيد الألوهية, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: الإقــرار بتوحيد الربوبية لا ينفع صــاحبه بدون توحيد الألوهية.

**المطلب الثـاني**: احتجـاج الله تعـالى على المشــركين وتقريرهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

**الفصل الثالث: دلالة توحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: تفرد الله تعـالى بصـفات الكمـال يدل على استحقاقه للألوهية والعبادة.وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: الألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا.

**المطلب الثـاني**: تفــرد الله تعــالى بصــفات الكمــال يقتضي محبته وإفراده بالعبادة.

**المطلب الثـــالث**: أمر الله بتوحيد الألوهية ودعوته إليه بذكر تفرده بالكمال.

**المبحث الثــاني: تــنزه الله تعــالى عن كل عيب ونقص يــدل على اسـتحقاقه للألوهية والعبـادة. وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: تــنزه الله تعــالى عن كل عيب ونقص يقتضي نفي الألوهية عن غيره.

**المطلب الثاني**: الإقرار بتـنزه الله تعـالى عن كل عيب ونقص يقتضي تنزيهه عن كل ند وشريك في ألوهيته.

# الباب الثاني: الدلائل الشرعية على توحيد الألوهية, وفيه أربعة فصول:

## الفصل الأول: دلالة بعثة الرسل على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:

### المبحث الأول: الحكمة من بعثة الرسل الـــدعوة إلى توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: أول دعــوة الرسل الــدعوة إلى توحيد الألوهية.

**المطلب الثــاني**: الخصـــومة بين الرسل وأممهم على توحيد الألوهية.

**المطلب الثـالث**: منــاظرات الأنبيــاء مع أممهم حــول توحيد الألوهية.

### المبحث الثـــاني: العـــواقب الحميـــدة للرسل وأتباعهم, والعـواقب الوخيمة للمشـركين, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: إكـــرام الله للرسل واتبـــاعهم الـــذين قاموا بالتوحيد.

**المطلب الثاني**: إهلاك الله المشركين المستكبرين عن عبادته وتوحيده.

## الفصل الثاني: دلالة الكتب المنزلة على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:

### المبحث الأول: توحيد الألوهية أعظم ما قررته الكتب المنزلة واتفقت عليه, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: اتفــاق جميع الكتب المنزلة على تقرير توحيد الألوهية.

**المطلب الثـــــاني**: تقرير توحيد الألوهية أعظم ما في الكتب المنزلة.

### المبحث الثــاني: تقرير القــرآن الكــريم لتوحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** بيـان أن القـرآن أُنـزل لتفصـيل توحيـد الألوهية.

**المطلب الثـاني**: تنـوع الأدلة النقلية في القـرآن على توحيد الألوهية:
الدليل الأول: الأمر بالتوحيد.
الدليل الثاني: بيان حقوق التوحيد.
الدليل الثالث: ذكر محاسن التوحيد وجزائه ومدح أهله.
الدليل الرابع: النهي عن الشرك.
الـدليل الخـامس: ذكر مسـاوئ الشـرك وعقوبته وذم أهله.
**المطلب الثــالث**: تنــوع الأدلة العقلية الشــرعية في القرآن على توحيد الألوهية:
الدليل الأول: الاعتراف بربوبية الله.
الدليل الثاني: انفراده بالنعم ودفع النقم.
الــدليل الثــالث: ما أخــبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة.
الدليل الرابـع: ما أخـبر به تعـالى عن المعبـودات الـتي عبـدت من دونــه، من الصـفات الدالة على نقصـها غاية النقص.
الـدليل الخـامس: ما شـاهده العبـاد من الإكـرام لأهل التوحيد، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك.

## الفصل الثالث: دلالة شهادة الله تعالى على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:

### المبحث الأول: معنى شهادة الله, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** معنى الشهادة في اللغة والشرع.
**المطلب الثاني**: معنى شهادة الله.

### المبحث الثــاني: دلالة شــهادة الله على توحيد الألوهية, وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول**: شهادة الله لنفسه بتوحيد الألوهية.
**المطلب الثـاني**: العمل بـالأمر المشـهود به وهو توحيد الله في الألوهية.
**المطلب الثــالث**: قيامه تعــالى بالقسط في هــذه الشهادة.
**المطلب الرابع**: اقـتران شـهادة خيـار الخلق بشـهادته تعالى على توحيد الألوهية.

**الفصل الرابع: دلالة الحكمة من خلق الجن والإنس على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** بيـــان الحكمة من خلق العبـــاد وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: بيان أن الله لم يخلق شيئا عبثا.

**المطلب الثـــاني**: بيـــان أن الله خلق العبـــاد لعبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته وطاعته.

**المبحث الثاني:** كمال غنى الله تعالى عن جميع خلقــه, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: اتصاف الله تعالى بالغنى المطلق.

**المطلب الثـاني**: افتقـار الخلق إلى الله يلـزمهم الإنابة إليه.

## الباب الثالث: الدلائل العقلية على توحيد الألوهية, وفيه أربعة فصولٍ:

### الفصل الأول: دلالة الآيات المخلوقة على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: دلالة آيـــــات الأنفس على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: دلالة ما في نفس العبد من العـــــــبر والحكمة.

**المطلب الثاني**: دلالة خلق الإنسان أطوارا بعد أطوار.

**المطلب الثالث**: دلالة نعم الله على العبد.

**المبحث الثــاني: دلالة آيــات الآفــاق على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: دلالة آيات الآفـاق في العظمة والسـعة وانتظام الحركة على عظمة خالقها.

**المطلب الثاني**: دلالة آيات الآفاق في الإحكام والإتقان على حكمة الله، وسعة علمه.

**المطلب الثالث**: دلالة آيات الآفاق وما فيها من المنـافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله.

### الفصل الثاني: دلالة الأمثال المضروبة على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: معــنى الأمثــال وفائــدتها, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: معنى الأمثال لغة واصطلاحا.

**المطلب الثاني**: الفائدة من ضرب الأمثـال في الكتـاب والسنة.

**المبحث الثاني: ضرب المثل في تقرير التوحيــد, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: ضرب المثل لكلمة التوحيد.

**المطلب الثاني:** ضرب المثل للمؤمن الموحد.

**المبحث الثالث: ضرب المثل في إبطال الشــرك, وفيه ثلاثة مطالب:**
**المطلب الأول**: ضرب المثل للشرك.
**المطلب الثاني**: ضرب المثل بضعف الآلهة.
**المطلب الثالث**: ضرب المثل للمشركين وأعمالهم.
**الفصل الثالث: دلالة دليل التمانع على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:**
**المبحث الأول: معنى دليل التمانع وبيـان صـحته, وفيه مطلبان:**
**المطلب الأول**: المراد بدليل التمانع.
**المطلب الثاني**: صحة دليل التمانع.
**المبحث الثــاني: دلالة دليل التمــانع على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**
**المطلب الأول**: ما اســتدل به المتكلمــون على دليل التمانع حقيقته إبطال الشرك في الألوهية.
**المطلب الثاني**: يمتنع أن يكون للخلق إلهان, كما يمتنع أن يكون له ربان.
**المطلب الثالث**: لا يصـلح الكـون إلا بإله واحـد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد.
**الفصل الرابع: دلالة أوصاف الآلهة الباطلة على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان:**
**المبحث الأول: الآلهة من دون الله مجــــردة عن معاني الألوهية, وفيه أربعة مطالب:**
**المطلب الأول**: تجــــــرد الآلهة من دون الله عن جميع معاني الربوبية.
**المطلب الثاني**: تجــرد الآلهة من دون الله عن صــفات العظمة والكبرياء.
**المطلب الثـالث**: تجــرد الآلهة من دون الله عن الغـنى المطلق.
**المطلب الرابع**: تجــرد الآلهة من دون الله عن صــفات الرحمة والبر والإنعام.

## المبحث الثـــاني: الآلهة من دون الله موصـــوفة بصـــفات النقص المنافية للألوهيـــة, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: كـــون الآلهة من دون الله مخلوقة لله ومربوبة له.
**المطلب الثـــاني**: كـــون الآلهة من دون الله متصـــفة بصفات العجز.
**المطلب الثـــالث**: كـــون الآلهة من دون الله متصـــفة بالعيوب.

**الخاتمـة: وفيها أهم النتـائج الـتي توصـلت إليها خلال البحث.**

**الفهارس:**

1. فهرس الأحاديث.
2. فهرس الآثار.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

**المنهج في البحث:**

1- سرتُ في هـذا البحث على المنهج الاسـتدلالي, حيث أذكر دلائل توحيد الألوهية من النصـــــوص, وأقررها بالأدلة الشـــــرعية, مع ذكر وجه دلالتها على توحيد الألوهية.
2- رجعتُ إلى مظــان المــادة العلمية للبحث, من كتب العقيـدة, والتفسـير، وشـروح الأحـاديث وغيرها مما يخـــدمني في البحث. ونقلت أقـــوال أهل العلم في تقرير هذه الدلائل وتوضيحها, من مصـادرها الأصـلية, ما استطعت إليه سبيلا, وإلا فأنقلها بواسطة.
3- عزَوتُ الآيات إلى مواضعها من القرآن الكـريم بـذكر اسم الســـــورة ورقم الآيـــــة، مع كتابتها بالرسم العثماني.
4- خــرّجتُ الأحــاديث والآثــار الــواردة في البحث إلى مصادرها، وذلك بعـزو ما في الصـحيحين إليهمـا, وما لم يكن فيهما أو أحـــدهما, فـــإني أعـــزوه إلى مَن خرّجه, مع ذكر حكم العلماء عليه.
5- فسرتُ معاني الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية الواردة في البحث.

6- تــرجمتُ ترجمة مــوجزة للأعلام الــوارد ذكــرهم في البحث، ما عدا المشهورين منهم.
7- الــتزمتُ بقواعد البحث العلمي, وعلامــات الــترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
8- ذيلتُ البحث بفهـارس علمية تسـهِّل الاسـتفادة منـه, على النحو المبين في الخطة.

والحمد لله الـذي بنعمته تتم الصـالحات, وصـلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الشكر والتقدير:**

الحمد لله في الأولى والآخرة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على نِعَمه عليّ التي لا تعد ولا تحصى، وأعظمها نعمة الهداية إلى الدين القيّم، والسير على سنة نبيه ﷺ، وانتهاج مذهب السلف؛ مذهب أهل السنة والجماعة. وأحمده تعالى أن سلك بي مسلك طلب العلم الشرعي، والانتساب إلى هذا الصرح العلمي. وأصلي وأسلّم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لِحكومة المملكة العربية السعودية على ما أتاحَتْ لي مِن فُرَصة الدراسة في هذه الجامعة المباركة، مُمثلةً في خادم الحرمَين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله، ومتعه بالصحة والعافية -، وأسأل الله تعالى أنْ يؤيده بتوفيقه، ويُديم على هذا البلد نعمة الأمن، جزاءَ ما قدّموا ويُقدّمونه للإسلام والمسلمين.

ويتصل شُكرِي وتقديري والدعاء بالخير لِهَذه الجامعة، الجامعة الإسلاميّة المباركة، مُمثلة في مديرها فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد الله السند –حفظه الله تعالى- على ما سهلت لي من جميع الوسائل المتاحة من يوم قبولي للدراسة فيها إلى يومي هذا، ومن حسن الرعاية والتربية.

وأتقدم بالشكر لكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله -، كما لا يفوتُنِي أن أتقدم بالشكر والعرفان والدعاء بالخير لقسم العقيدة، ممثلة في رئيسه فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ سليمان بن سالم السحيمي –حفظه الله تعالى – جزاه الله خيرا على اهتمامه البالغ بما يعود على الطلاب بالخير والنفع.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان والدعاء بالخير لشيخي وأستاذي فضيلة الدكتور أحمد بن عبد الله بن محمد الغنيمان – حفظه الله تعالى – المشرف على هذه الرسالة، على ما أولاني من رعاية كريمة، وتعامل راق،

وخلـق فاضـل، وكـرم جم، وإرشـاد نـافع، فقـد أهـدى لي توجيهـات مسـددة، وإرشـادات موفقـة كي تخـرج هـذه الرسالة بصورة مرضية، فجزاه الله خيرا على ما قـام بـه من العناية بهذا البحث في تقويم صياغته، فجزاه الله خير مـا جـازى بـه شـيخا عن تلميذه، كمـا أسـألُه تعـالى بمنـه وكرمـه، وجـوده وإحسـانه أنْ يُبـارك فيكم، وفي أولادكم، وبقيـة الأهـل، ويُقـرَّ عيـنيَكم بِهم، ويسـتعملكم كُلَّهم في طاعاته، ويجعـل الجنـة الفـردوس مثـواكم، ويُنعم عليكم بأعلى نعيم الجنة.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير لصاحبي الفضـيلة: الشـيخ الدكتور/ حسن بن علي عـواجي، والشـيخ الـدكتور/ سعود بن عبد العزيز الدعجان، لتقبلهما مناقشـة هـذه الرسـالة، مع ضيق الوقت، وكثرة المهام، فجزاكم الله عني كلّ خير على هذا التفضل والتكرم، ولقد استفيد كثيرًا بِملاحظاتكم القيمة، وتصويباتكم السديدة، ذات القيمة العلمية، لتقويم اعوجـاج الرسـالة، فأسـأل اللـه تعـالى أنْ يُـثيبكم الجـزاء الأوفى، ويُقِرَّ عيـونَكم بـالنظر إلى وجهـه الكـريم، ويبـارك فيكم وفي أهليكم وأمـوالكم، ويُثْقِـل مـوازينكم جـزاء مـا بذلتم من الجهد والتتبع لتقويم الرسالة.

ثم أتوجه بالشكر إلى كل من أعانني على إعداد هذه الرسـالة، من مشـايخي، وأقربـائي، وأصـدقائي، وزملائي، فجــزاهم اللــه خــير الجــزاء، ويَجعــل ذلــك في مــوازين حسناتِهم.

وأخيرا هذا غاية ما في المبـذول، وهـو عمـل بشـري يعتريه الصواب والخطأ، فإن وُفقت للصـواب فهـو بفضـل اللــه ومنّــه وتوفيقــه، وإن كــانت الأخــرى فمــني ومن الشيطان، وأسأل الله أن يغفر لي الخطأ والزلل، وأسـأله أن يتقبل مني، ويجعله خالصا لوجهه الكـريم، وأن ينفعـني به وجميع المسلمين، إنه قـريب مجيب الـدعوات. وصـلى اللـه وسـلم وبـارك على نبينـا محمـد وعلى آلـه وصـحبه أجمعين.

# التمهيد

# تعريف مفردات العنوان

ويشتمل على مبحثين:

## المبحث الأول: تعريف الدلائل وأنواع الدلالات,

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدلائل

المطلب الثاني: أهمية معرفة الدلائل

المطلب الثالث: أنواع الدلائل وأقسامها

## المبحث الثاني: التعريف بتوحيد الألوهية,

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعا**

**المطلب الثاني: أهمية توحيد الألوهية, وبيان فضله**

## المبحث الأول: تعريف الدلائل وأنواع الدلالات, وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: تعريف الدلائل:

**أولا: تعريف الدلائل في اللغة:**

الدلائل جمع دلالة, والدلالة مصدر قولهم: دله يدله دَلالة ودِلالة ودلولة, كرسالة ورسائل[1]. ويأتي جمعَ دليل لكنه نادر؛ كـ "سلائل" جمع "سليل".

قال الزبيدي[2]: "والدلائل: جمع دليلة، أو دَلالة، ويجمع الدلالة على دلالات، وأنشد أبو عبيد:

إني امرؤ بالطرق ذو دلالات".[3]

وقال الكفوي[4]: "ويجمع الدليل على أدلة لا على دلائل إلا نادرا, كـ "سليل" على "سلائل", على ما حكاه أبو حيان, إذا لم يأت فعائل جمعا لاسم جنس على فعيل[5], صرح به ابن مالك[6]. وقال بعضهم: شرط اطراد

---

[1] انظر الصحاح للجوهري 4/ 1698, كتاب العين 8/ 8، الكليات للكفوي, ص: 365.

[2] محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الزبيدي، الملقب بمرتضى. علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، ولد 1145، وتوفي 1205 هـ. (الأعلام للزركلي 7/ 70).

[3] تاج العروس من جواهر القاموس, للزبيدي, 28/ 502، وانظر المعجم الوسيط ص: 294.

[4] أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الكفوي، كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. توفي 1094 هـ = 1683 م. (انظر الأعلام للزركلي 2/ 38).

[5] وما أشار إليه عن ابن مالك هو قوله في شرح الكافية: "وأما "فعائل" جمع "فعيل" من هذا القبيل فلم يأت في اسم جنس - فيما أعلم"، (شرح الكافية الشافية لابن مالك, 4/ 1866 – 1867).

[6] محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين الطائي، أبو عبد الله الأندلسي، الجياني، نحوي، لغوي، مقرئ مشارك في الفقه والأصول والحديث وغيرها ولد بجيان بالأندلس 600 هـ، ورحل إلى المشرق فأقام بحلب مدة، ثم بدمشق، وتوفي بها 672 هـ. (انظر غاية النهاية في طبقات القراء 2/ 159 - 160).

جمع فعيل على فعائل أن يكــون مؤنثا كـــ "ســعيد" علما لامرأة. ويجوز أن يكون جمع دلالة كـ "رسائل" و "رسالة" وإن كان المشهور أن جمع دليل أدلة"[1].

فعلى هــذا يكــون الــدلائل جمــع دليــل, إذا لم يكن اســم جنس.

فتبين أن الدلائل جمع دلالــة، ويجمــع الــدليل على الــدلائل نادرا، لأن المشهور في جمع الدليل هــو الأدلــة, فيقولــون؛ دلائل النبوة, يقصدون به أدلة النبوة. وهو المــراد في هــذا البحث، حيث يُقصد بـــدلائل التوحيـــد، أي أدلتـــه، على أن الدلائل جمع دليل.

وتطلق مادة الكلمة في اللغة على معان كثــيرة، غــير أنها ترجع إلى أصــلين؛ أحــدهما إبانة الشــيء بأمــارة تتعلمهــا، والآخر اضطراب في الشيء.

قــال ابن فــارس[2]: "الــدال واللام أصــلان: أحــدهما إبانة الشــيء بأمــارة تتعلمهــا، والآخر اضــطراب في الشــيء. فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق. والــدليل: الأمــارة في الشـــيء. وهو بين الدلالة والدلالة"[3]. وأما المعـــنى الثاني فليس مقصودًا هنا.

فمعنى الدلالة يدور حول الهدايــة والإرشــاد والتســديد إلى المطلوب، وهي معان متقاربة.

وقال الزمخشري[4]: "وأدللت الطريق: اهتديت إليه"[5].

وذكر في اللســان: "الــدلّ والهــدي قــريب بعضه من بعض وهما من الســكينة وحسن المنظــر, وفي الحــديث: "إن

---

[1] الكليات للكفوي, ص: 365.

[2] أحمد بن فـــارس بن زكريا بن محمد بن حـــبيب القزويـــني المعروف بــالرازي، أبو الحسـين المــالكي، الإمــام العلامة اللغــوي المحدث، نزيل همذان، تــوفي 395. (انظــر ســير أعلام النبلاء 17/ 103 – 105).

[3] مقاييس اللغة 2/ 259.

[4] محمــــــود بن عمر بن محمد الزمخشـــــري أبو القاسم الخــوارزمي، النحــوي المعــتزلي ولد 467 هـ، وتــوفي 538 هـــ. (انظر سير أعلام النبلاء 20/ 151 – 155).

[5] أساس البلاغة للزمخشري 1/ 295.

أصحاب ابن مسعود كانوا يرحلـون إلى عمـر بن الخطـاب فينظرون إلى سمته وهديه ودله فيتشبهون به[1]"[2].

وأقرب هذه المعاني لمصطلحات المناطقة والأصـوليين[3] هو الإرشاد, ويرجع إلى إبانة الشيء بعلاماتـه الـتي ترشـد إليه.

وأما الـدليل لغة فهو المرشـد، والهـادي, وهو الـذي يدل على المطلوب, أو ما يستدل به[4].

قـال الجرجـاني[5]: "الـدليل في اللغة هو المرشد وما به الإرشاد"[6].

قال الفيومي[7]: "دللت على الشـيء وإليه من بـاب قتـل، وأدللت بـالألف لغـة، والمصـدر دلولـة، والاسم الدلالة - بكسر الدال وفتحها - وهو ما يقتضـيه اللفظ عند إطلاقـه، واسم الفاعل دال ودليل وهو المرشد والكاشف"[8].

وقد نص جمع من الأصوليين على أن الـدليل في اللغة هو المرشد[9].

---

(?)1 أخرجه أبو عبيد معلَّقا في غـريب الحـديث 4/ـ 274، وانظر الفتح لابن حجر 13/ـ 672، ولم أقف عليه مسـندا، ولا على من حكم عليه.

(?)2 لسـان العـرب لابن منظـور 2/ـ 1414، وانظر القـاموس المحيط للفيروزآبادي, ص: 1000، المعجم الوسيط ص: 294.

(?)3 مباحث الدلالات من أهم المباحث عند المناطقة والأصوليين، واشتهرت عندهم.

(?)4 انظر الصـحاح للجـوهري 4/ـ 1698، البحر المحيط 1/ـ 34، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ص: 793.

(?)5 علي بن محمد بن علي، المعـــروف بالشـــريف الجرجـــاني. فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) 740 هـ، ودرس في شـــيراز. تـــوفي 816 هـــ. (انظر الأعلام للزركلي 5/ 7).

(?)6 التعريفات ص: 109، وانظر الكليات ص: 365.

(?)7 أحمد بن محمد بن علي الفيـــومي ثم الحمـــوي، أبو العبـــاس اللغوي، ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة، وتـوفي 770 هـ. (انظر الأعلام للزركلي 1/ 224).

(?)8 المصباح المنير ص: 76.

ويسمى الدليل دَلالة من باب تسمية الشيء بمصدره[10].

فتبين مما سبق أن معنى الدلالة، وما اشتق منها يرجع إلى الإرشاد والهداية إلى المطلوب. كما هو ظاهر من كلام أهل اللغة, وكما ورد في نصوص الشرع.

---

[9] انظر مختصر منتهى السول والأمل 1/ 203، رفع الحاجب 1/ 252، الواضح في أصول الفقه 132، الردود والنقود 1/ـ 114، البحر المحيط 1/ 34، التحبير شرح التحرير للمرداوي 1/ 194.

[10] انظر المفردات في غريب القرآن ص: 171، الكليات ص: 365.

**ثانيا: الدلالة في الاصطلاح:**

تنوعت عبارات العلماء في تعريف الدلالة, وكلها تدل على أن الدلالـة بمعـنى المصـدر, وهـو الإرشـاد إلى العلم بالشـيء, وأن الـدليل بمعـنى الفاعـل, وهـو المرشـد إلى العلم بالشيء.

قـــال الـــراغب[1]: "الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء"[2].

قال الجرجاني: "الدلالة هي كـون الشـيء بحالة يلـزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"[3].

وقال المرداوي[4]: "ومعـنى الدلالة: الإرشـاد إلى الشـيء، وتقـدم معنـاه في الـدليل[5]، فإنه من المـادة. وهي هنا: كـون الشـيء بحيث يلـزم من فهمه فهم شـيء آخـر، فالشـيء الأول هو الـدال، والثـاني هو المـدلول. وقـال بعضـهم: هي كـون الشـيء بحالة يلـزم من العلم به العلم بشيء آخر، وسـواء كـان ذلك بلفظ أو غـيره؛ لأن الدلالة تارة تكون لفظية، وتارة تكون غير لفظية"[6].

وأما الدليل فهو كل ما يرشد إلى المطلوب، ويوصـل إلى المقصود، ويكون العلم به مستلزما للعلم بشيء آخر.

---

1(?) الحسـين بن محمد بن المفضـل، أبو القاسم الأصـفهاني (أو الأصبهاني) المعـروف بـالراغب، أديب من الحكمـاء العلمـاء. من أهل (أصـبهان) سـكن بغـداد، واشـتهر، حـتى كـان يقـرن بالإمـام الغزالي. توفي 502 هـ. (الأعلام للزركلي 2/ 255).

2(?) المفردات في غريب القرآن ص: 171.

3(?) التعريفات للجرجاني ص: 109.

4(?) علي بن ســليمان بن أحمد بن محمد العلاء المــرداوي ثم الدمشقي، علاء الدين أبو الحسن الصالحي، فقيه حنبلي، ويعرف بالمرداوي شيخ المذهب. ولد في مـردا (قـرب نـابلس) 817 هـ، وانتقل في كبره إلى دمشق فتـوفي فيها 885 هــ. (انظر الضـوء اللامع للسخاوي 5/ 225، الأعلام للزركلي 4/ 292).

5(?) التحبير شرح التحرير للمرداوي 1/ 194.

6(?) المصدر نفسه 1/ـ 317، وانظر كشـاف اصـطلاحات الفنـون والعلوم ص: 787.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "والدليل هو الموصل إلى المطلوب، والمرشد إلى المقصود"[1].
وقال الجرجاني: "هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[2].
فكل ما أوصل إلى العلم بالشيء، وأرشد إلى المطلوب فهو دليل، سواء كان المدلول ظنيا أو قطعيا.
وعرّفه المتكلمون[3] بأنه: هو ما يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، أو العلم به[4]، وذلك كي يفرقوا بين ما يستلزم العلم فهو الدليل، وما يستلزم الظن فهو الأمارة. والصحيح أنه هو كل ما يوصل إلى المقصود المطلوب والمرشد إليه, وكان العلم به مستلزما للعلم بشيء آخر، سواء كان المدلول ظنيا أو قطعيا[5].
فكل ما كان العلم به مستلزما للعلم بالشيء الآخر هو الدليل في الاصطلاح. وأشار إلى مسالة تكلم فيها الأصوليون, حيث فرق بعض المتكلمين بين الدليل والأمارة, فقالوا: الدليل هو ما استلزم العلم, وأما ما

---

[1] الفتاوى لابن تيمية 2/ـ 59، 9/ـ 179، وانظر التمهيد في أصول الفقه 1/ 61.
[2] التعريفات للجرجاني ص: 109.
[3] نسبة إلى علم الكلام المذموم عند السلف، المعتمد على مناهج فلسفية ومنطقية في الاستدلال على المسائل العقدية، ونبذ الكتاب والسنة. والمتكلمون هم الذين فضلوا هذا المنهج واختاروه في استدلالاتهم وجدالهم، وتركوا منهج السلف. وهم طوائف، منهم؛ الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشعرية والماتريدية.
[4] انظر المعتمد 1/ 9 – 10، المحصول 1/ 88، الإحكام للآمدي 1/ 23، رفع الحاجب 1/ 252 – 253، الضياع اللامع 1/ 258، المسودة 2/ـ 909، الردود والنقود 1/ـ 116، البحر المحيط 1/ 35، الكليات للكفوي, ص: 365.
[5] انظر اللمع ص: 32، قواطع الأدلة 1/ـ 42، الفقيه والمتفقه 2/ـ 44، العدة في أصول الفقه 1/ـ 131،ـ الفتاوى لابن تيمية 9/ 156- 157. والرد على المنطقيين: ص 208 – 209.

استلزم الظن فهو الأمارة[1]. وهذا غـير صـحيح, والصـحيح كلاهما دليل, كما عليه الجمهور, لأن أهل اللغة لم يفرقــوا فيما بينهما[2]. وذكر أيضا الضابط في الـدليل, وهـو التلازم بينه وبين المدلول, فمتى وجـد الـدليل يسـتلزم المـدلول، أن التلازم بين الدليل والمدلول هو خاصة الدليل [3].

وقـد جـاءت ألفـاظ مرادفـة لمعـنى الـدليل في اسـتعمال الشرع وهي:

1. الآية: ﭧ ﭨ ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ النازعات: ٢٠، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ الأنعام: ٤٦
2. والبينة: ﭧ ﭨ ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ البينة: ٤، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ غافر: ٦٦
3. والبرهان: ﭧ ﭨ ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ المؤمنون: ١١٧.

قال الطبري: "لا حجة له بما يقـول، ويعمل من ذلك ولا بينة"، ثم ذكر آثارا في ذلك[4].

و ﭧ ﭨ ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ القصص: ٣٢.

وعن عبــادة بن الصــامت  قــال: دعانا رســول الله  فبايعنــاه فكــان فيما أخذ علينا أن بايعنا على الســمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسـرنا ويسـرنا وأثـرة علينا وأن لا ننـازع الأمر أهله قـال «**إلا أن تـروا كفـرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**»[5].

4. والحجة: ﭧ ﭨ ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ البقرة: ١٥٠.

---

[1] ينظر المحصول للرازي 1/ 88، البحر المحيط 1/ 35.

[2] ينظر العــدة في أصــول الفقه للقاضي أبي يعلى الفــراء 1/ 131، وانظر التمهيد في أصول الفقه 1/ 61، اللمع ص: 33.

[3] انظر الرد على المنطقـيين ابن تيميـة ص 294، النبـوات 2/ 296، المسودة 2/ 1001.

[4] جامع البيان 17/ 134.

[5] متفق عليـه, صـحيح البخـاري 4/ـ 313، (ح: 7056)، صـحيح مسلم ص: 796، (ح: 4771).

5. والسلطان: ٹ ٹ چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڳ ڳ ڳ ڳ ں
چ الأعراف: ٧١، وٹ ٹ چ ھ ۓ ۓ ۓۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ
ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ چ
يونس: ٦٨.

فكل هذه الألفاظ الواردة في هذه النصوص هي بمعنى الدليل, فهي ألفاظ مترادفة, أي أنها بمعـنى المرشـد إلى المطلوب, المبين له، الموصل إلى العلم بـه. فتفيـد علمـا بالشيء المطلوب المقصود.

فعلى هذا فإن الدلالة هي الإرشاد إلى العلم بالشيء المطلوب المقصود, وأن الدليل هو ما يرشـد ويوصـل إلى العلم بالشيء المطلوب المقصود. فكل ما اسـتلزم علمـا بشيء آخر فهو دليله.

*******

## المطلب الثاني: أهمية معرفة الدلائل:

إن الله تعالى لما خلق الخلق لعبادته، لم يتركهم بلا بينة، بل دل خلقه إلى معرفته وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له بأنواع كثيرة من الدلائل، فأنزل آيات بينات، وحجج بالغات، وبراهين قاطعات ودلائل تدل عباده إليه تعالى، كي يعرفوه ويعبدوه وحده لا شريك له. فنوّع الدلائل والآيات، منها الآيات المتلوة، والآيات الكونية، والآيات الخبرية السمعية والآيات العقلية لأنها توصل إلى علم اليقين، وتزيل كل شك. فالدلائل والآيات هي الطريق التي نهج الله لعباده، الموصلة إلى معرفته والإقرار بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومحبته والخضوع له وعبادته وحده لا شريك له. فلا شك أن لمعرفة هذه الآيات والدلائل أهمية كبيرة بالغة، لأنها تدل على معرفة الله ومعرفة صفاته وعبادته ومعرفة شرعه وأحكامه. ﭧ ﭨ ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ غافر: ١٣، بين تعالى أنه يري عباده الآيات والدلائل التي توصل إلى معرفته وتوحيده بالعبادة.

قال ابن سعدي رحمه الله: "يذكر تعالى نعمه العظيمة على عباده، بتبيين الحق من الباطل، بما يري عباده من آياته النفسية والآفاقية والقرآنية، الدالة على كل مطلوب مقصود، الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها والمتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق، وهذا من أكبر نعمه على عباده، حيث لم يبق الحق مشتبها ولا الصواب ملتبسا، بل نوع الدلالات ووضح الآيات، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. وكلما كانت المسائل أجل وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر، فانظر إلى التوحيد؛ لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية والنقلية وتنوعت، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال"[1].

فبين رحمه الله أن الآيات التي بينها الله لعباده، والدلائل التي أقامها لتوصل إلى الحق من أعظم نعم الله تعالى

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 734.

على عباده. وهذا مما يبين أهمية معرفة الدلائل التي تـدل على أجلّ المطالب.

وتظهر أهمية معرفة الــدلائل الــتي توصل إلى المطــالب الدنية في وجوه كثيرة، منها:

1- أن الله تعالى أمر بتدبر الآيـات السـمعية الدالة على معرفته وتوحيـده ومعرفة أحكـام دينه وجزائـه، ودعا العقلاء وأولي الألباب إلى تدبرها وتعقلها، ﮋ ﮌ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼالنساء: ٨٢، وﮋ ﮌ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ ص: ٢٩.

2- وبيّن أن هذه الدلائل توصل إلى علم اليقين، ﮋ ﮌ ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼالبقرة: ١١٨.

قال ابن سعدي رحمه الله: "فكل مـوقن، فقد عـرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب"[1].

وقال رحمه الله: "ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ المائـدة: ٧٥ الموضحة للحق، الكاشفة لليقين"[2].

3- أن الدلائل تدل العقول على العلم بالمطالب الدينيــة العالية، قال تعالى: ﭽ        ﮜ ﮝ ﭼالحديد: ١٧.

قال ابن سعدي رحمه الله: "فإن الآيات تدل العقــول على العلم بالمطالب الإلهيـة، والـذي أحيا الأرض بعد موتها قــادر على أن يحــيي الأمــوات بعد مــوتهم، فيجــازيهم بأعمــالهم، والــذي أحيا الأرض بعد موتها بمـاء المطر قـادر على أن يحـيي القلـوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيــات الله ولم ينقد لشـــرائع الله"[3].

4- أن اللــه تعــالى بين هــذه الــدلائل ليعرفهــا العبــاد، لتوصلهم إلى الحق المبين، ﮋ ﮌ ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ النمل: ٩٣.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص: 64.
[2] المصدر نفسه، ص: 239.
[3] المصدر نفسه، ص: 840.

قال الإمام البغوي رحمه الله: " ﭼ ﮕﮔﮖ ﭽ يعني: تعرفون الآيات والدلالات"[1].

وقال ابن سعدي رحمه الله: ﭼ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﭽ معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يـريكم من آياته ما تستنيرون به في الظلمات، ﭼﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﭽ الأنفال: ٤٢"[2].

ﮋﭦ ﭨ ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ البقرة: ٢٤٢ قال ابن سعدي رحمه الله: " ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ أي: حدوده، وحلاله وحرامه والأحكـام النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فـإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها"[3].

فبين تعالى أنه سيري عباده آياته السـمعية والكونيـة كي يعرفوهـا، مـا يـدل على أهميـة معرفـة الآيـات والدلائل التي تدل على المطالب العالية، التي توصل العبـاد إلى معرفــة اللــه تعــالى بأســمائه وصــفاته، ومحبته والخضوع له، وإفراده بالعبادة.

5- أن الله تعـالى يـري عبـاده آياته الكونية ليتـبين لهم الحق من الباطل، ويعرفوا أن القرآن حق، ﭧ ﭨ ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ فصلت: ٥٣، في هذه الآية دليل على أن الآيات هي التي تدل على الحق، وتبينـه، فـدلت على أهمية معرفة هذه الآيات لتدل على الحق الـذي يجب معرفته واتباعه والعمل به.

قـال ابن سـعدي رحمــه الله: "ويــنزل الكتب الإلهية على رسـله ويـبين ما يحتـاج إليه العبـاد من الشـرائع والأوامر والنــواهي، ويفصــلها غاية التفصــيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، ﭽ ﭾ ﭼ بسـبب ما أخـرج لكم من الآيات الأفقية والآيات القرآنية، ﭽﭿﮀﮁﭼ الرعد: ٢، فإن كـثرة الأدلة وبيانها ووضـوحها، من أسـباب حصـول

---

[1] معالم التنزيل 6/ 185.

[2] تيسير الكريم الرحمن، ص: 611.

[3] المصدر نفسه، ص106.

اليقين في جميع الأمـور الإلهيـة، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

وقال: " ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [آل عمران: ١٠٣] أي: يوضـحها ويفسـرها، ويـبين لكم الحق من الباطـل، والهدى من الضـلال ﭽ ﮗ ﮘ ﭼ بمعرفة الحق والعمل به"[1].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "ﭽﮕﮖﮗﮘﭼ الإسراء: ١٢ أي: بينا الآيات وصرفناه لتتميز الأشياء ويستبين الحق من الباطل كما قال تعالى: ﭽﭼﭽﭾﭿﮀﭼ الأنعام: ٣٨"[2].

6- أن مما يدل على أهمية معرفة الدلائل كونها من عند الله تعالى، قال تعالى: ﭽ    ﯦﯧﯨﭼ النساء: ١٧٤.

قال ابن سعدي رحمـه الله: "يمتن تعـالى على سـائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجـة، فقال: ﭽ    ﯦﯧﯨﭼ النساء: ١٧٤أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهـذا يشـمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية ﭽ          ﭼ فصلت: ٥٣. وفي قوله: ﭽ ﯧ ﯨ ﭼ ما يدل على شـرف هـذا البرهـان وعظمتـه، حيث كـان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم الـتي يحمد عليها ويشـكر، أن أوصل إليكم البينـات، ليهـديكم بها إلى الصـراط المسـتقيم، والوصـول إلى جنات النعيم"[3].

7- أن الـدلائل هي طريق الحصـول على العلم النـافع، قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "والمقصـود هنا: أن المطلـوب هو العلم، والطريق إليه هو الـدليل؛ فمن عــرف دليل مطلوبه عــرف مطلوبــه؛ ســواء نظمه بقياســــهم أم لا، ومن لم يعــــرف دليله لم ينفعه قياسـهم، ولا يقـال إن قياسـهم يعـرف صـحيح الأدلة من فاسـدها؛ فـإن هـذا إنما يقوله جاهل لا يعــرف

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص: 141.
[2] المصدر نفسه، ص: 611.
[3] المصدر نفسه، ص: 217.

حقيقة قياسهم، فإن حقيقة قياسهم ليس فيه إلا شكل الدليل وصورته"[1].

ﮋﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [آل عمران: ١١٨].

قال ابن سعدي رحمه الله: "ﭽ ﭼ الحديد: ١٧ أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية ﭽ ﭼ الحديد: ١٧ فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو"[2].

وقال: "ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ البقرة: ٢١٩ ، أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان"[3].

8- أن الدلائل هي الفرقان التي توصل إلى التفريق بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، قال ابن سعدي رحمه الله: "قال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ الأنفال: ٢٩ فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية"[4].

بهذه النقاط تظهر أهمية معرفة الدلائل والبراهين التي تدل على المطالب العالية، من معرفة الله تعالى وتوحيده، ومعرفة أحكامه الشرعية والجزائية.

******

---

(?)1 الفتاوى 9/ 211.

(?)2 تيسير الكريم الرحمن، ص: 144.

(?)3 المصدر نفسه، ص: 98.

(?)4 المصدر نفسه، ص: 141.

**المطلب الثالث: أنواع الدلائل وأقسامها:**

قسم العلماء الدلالة إلى تقسيمات عـدة، باعتبـارات مختلفة، منها؛ تقسيم الدلالة باعتبــار حقيقتها إلى اللفظية وغير اللفظية، ومنها تقسيم الدلائل باعتبار مصــدر ورودها إلى فطرية وسمعية وعقلية، ومنها تقسـيم الدلالة باعتبـار قـــوة الدلالة وضــــعفها إلى قطعية وظنيــــة، وغيرها من الأقسام والأنواع للدلالة، باعتبارات عدة.

**النوع الأول:** تقسيم الدلالة باعتبار حقيقتها إلى اللفظية وغير اللفظية:

قسم الأصوليون والمناطقة الدلالة إلى قسمين:

الأول: الدلالة اللفظية.

والثاني: الدلالة غير اللفظية.

وكل واحد من هـذين القسـمين ينقسم إلى ثلاثة أقسـام، وهي:

1. دلالة وضعية.
2. دلالة طبيعية.
3. دلالة عقلية.

أولا: الدلالة غـير اللفظيـة: هي كل دلالة لا يكـون الانتقـال فيها إلى المعنى ناشـئا عن طريق اللفـظ، بل عن طريق أخرى سواه، فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(1) الدلالة الوضعية غير اللفظية, وهي ما كان الدال فيها أمـرا وضـعيا، كدلالة الأقـدار على مقـدوراتها، ومنه: دلالة السـبب على المسـبب، كـدلوك الشـمس على وجـــوب الصـــلاة، وكدلالة المشـــروط على وجـــود الشرط، كالصلاة على الطهارة.

(2) الدلالة الطبيعية غير اللفظية, وهي ما كان الدال فيها أمـــرا طبيعيـــا، تابعا لطبيعة الشـــيء، كدلالة حمـــرة الوجه على الخجـــل، ودلالة ارتفـــاع الحـــرارة على المرض.

(3) الدلالة العقلية غـير اللفظيـة, وهي ما كـان الانتقـال فيها إلى المعـــنى ناشـــئا عن طريق العقـــل, كدلالة الأثر على المـؤثر، ومنه: دلالة العـالم على موجـده،

وهو الله سبحانه وتعالى. ودلالة الحركة بالإرادة على الحياة.

وأما الدلالة اللفظيــة، هي كل دلالة كــان الانتقــال فيها إلى المعنى ناشئا عن اللفظ أو الصـوت. وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. الدلالة اللفظية الطبيعية: وهي ما كان الانتقال فيها إلى المعــنى بواســطة وضع اقتضــاء الطبــع، أي: أن منشأ الفهم هو العــادة الطبيعيــة، كدلالة: أَحْ، أَحْ... على وجع الصدر.
2. والدلالة اللفظية العقلية: وهي ما كان الانتقال فيها من اللفظ إلى المعـــنى ناشـــئا بواســـطة العقـــل، كدلالة الصوت على حياة صاحبه.
3. والدلالة اللفظية الوضــعية: وهي ما كــانت دلالة اللفظ على معناه بواسطة وضع اللفظ بإزاء المعنى المدلول، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- 1- دلالة المطابقــة، وهي دلالة اللفظ على تمــام معــنى الذي وضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان النــاطق، ودلالة الرجل على الــذكر الكبــير من بــني الإنســان، والمرأة على الأنثى الكبيرة من بني الإنسان.
- 2- دلالة التضــمن أو الدلالة التضــمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء معنــاه في ضــمن المعــنى، كدلالة الإنســان على حيوان فقط، سميت بــذلك: لأن اللفظ دل على ما في ضمن المسمى.
- 3- دلالة الالــتزام أو الدلالة الالتزاميــة: وهي دلالة اللفظ على شيء خارج معنــاه, ملازم له في الــذهن، كدلالة السمع والبصر على الحياة[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمعنى المدلول عليه باللفظ لا بد أن يكــون مطابقا للفــظ، فتكــون دلالة اللفظ عليه بالمطابقـــة، ودلالة اللفظ على بعض ذلك المعـــنى

---

[1] ينظر شــرح الكــوكب المنــير, لابن النجــار, 1/ـ 125 – 127، طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، ص: 57 – 61.

بالتضـــمن، ودلالته على لازم ذلك المعـــنى بـــالالتزام. وليست دلالة المطابقة دلالة اللفظ على ما وضع له كما يظنه بعض الناس، ولا دلالة التضـمن اسـتعمال اللفظ في جـزء معنـاه، ولا دلالة الالـتزام اسـتعمال اللفظ في لازم معنـــاه، بل يجب الفـــرق بين ما وضع له اللفظ وبين ما عنـــاه المتكلم باللفـــظ، وبين ما يحمل المســـتمع عليه اللفـظ. فـالمتكلم إذا اسـتعمل اللفظ في معـنى، فـذلك المعنى هو الذي عناه باللفظ، وسـمي معـنى لأنه عـني به أي: قصد وأريد بذلك فهو مراد المتكلم ومقصوده بلفظـه. ثم قد يكـون اللفظ مسـتعملا فيما وضع له وهو الحقيقـة، وقد يكون مستعملا في غـير ما وضع له وهو المجـاز، وقد يكون المجـاز من بـاب اسـتعمال لفظ الجميع في البعض، ومن باب استعمال الملزوم في اللازم وقد يكون في غـير ذلـك. وذلك كله دلالة اللفظ على مجمـوع المعـنى، وهي دلالة المطابقة سواء كـانت الدلالة حقيقـة، أو مجازيـة، أو غير ذلك. ثم ذلك المعنى المدلول عليه اللفظ إذا كــان له جــزء فدلالة اللفظ عليه تضــمن، لأن اللفظ تضــمن ذلك الجزء. ودلالته على لازم ذلك المعـنى هي دلالة الملـزوم. وكل لفظ اسـتعمل في معـنى فدلالته عليه مطابقــة، لأن اللفظ طـابق المعـنى، بـأي لغة كـان سـواء سـمي ذلك حقيقة أو مجـــازا. فالماهية الـــتي يعنيها المتكلم بلفظه دلالة لفظه عليها دلالة مطابقــة، ودلالته على ما دخل فيها دلالة تضـمن، ودلالته على ما يلزمها وهو خـارج عنها دلالة الالتزام"[1].

فــبين شــيخ الإســلام أن دلالة اللفظ على المعــنى المدلول يكون بالمطابقة إذا كـان اللفظ مطابقا للمعـنى، وبالتضــمن إذا دل على بعض المعــنى، وبــالالتزام إذا دل على لازم ذلك المعــــــــــنى. وبين أن ذلك مرتبط بقصد المتكلم ومراده، فـإن اللفظ الـذي اسـتعمله المتكلم إنما يدل على مراده هو وقصده، سـواء اسـتعمله في المعـنى الموضوع للفظ حقيقة أو استعمله في معنى آخر مجازا.

---

[1] منهاج السنة لابن تيمية 5/ 452 – 453، وانظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 10/ 12 - 13.

**النوع الثاني: تقسيم الدلائل باعتبار مصدر ورودها إلى الدلائل الفطرية والسمعية والعقلية:**

تتنوع الأدلة الشرعية إلى نوعين؛ الأدلة النقلية, وهي التي جاءت عن الله تعالى وأخبرت بها الرسل, وتسمى الأدلة السمعية لأن طريق معرفتها هي السمع فقط. وتسمى أيضا الخبرية. والنوع الثاني هي الأدلة العقلية, وهي التي تدرك بمجرد تفكر العقل, ويعلم العقل صحتها، لو لم يرد بها السمع، لما هو مركوز في الفطر. وتسمى أدلة شرعية عقلية لأنه تعلم صحتها بالعقل، وأن الشرع دل عليها، وهي موافقة له ولا تخالفه، لأن الحق مركوز في عقول بني آدم، وأنهم فطروا عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ودلالة القرآن على الأمور نوعان: (أحدهما) خبر الله الصادق، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله به. (والثاني) دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب. فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها، وأرشد إليها. وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل. ولا يقال أنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر. وإذا أخبر الله بالشيء، ودل عليه بالدلالات العقلية صار مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليله العقلي الذي يعلم به، فيصير ثابتاً بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الدلالة الشرعية"[1].

ومن العلماء من يقسم هذا النوع من الدلائل إلى ثلاثة أقسام، فيذكرون مع القسمين السابقين القسم الثالث، وهو الدلائل الفطرية، وهي ما كانت دلالتها عن طريق الفطرة، أي: أن الله ركز معرفة الحق في الفطر، فهو مما يعلم بالضرورة، لا يحتاج إلى كثير تفكر أو كبير عناء. وممن نص على هذه القسمة الثلاثية لهذا النوع، من الأدلة الشرعية العلامة ابن القيم، حيث قال: "وكذلك

---

[1](?) مجموعة الرسائل والمسائل السيد محمد رشيد رضا 4/ 195 – 196، وانظر درء تعارض العقل والنقل 1/ 133، 8/ 37.

تعليقه سبحانه المعارف بالوسائط وهي الأدلة السمعية والعقلية والفطرية"[1].
فبين أن الله تعالى جعل هذه الأقسام الثلاثة من الأدلة هي طرق المعارف والعلوم. وفي كلامه عن نوعي التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأن الله تعالى أقام عليهما أنواع الأدلة الشرعية، قال: "والتوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب تعالى ومباينته لخلقه وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، والتوحيد العملي أساسه تجريد القصد بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والاستعانة والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده، فمدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين، وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما علما وعملا، ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق إلى الله وأقربهم إليه وسيلة: أولو العزم، وأقربهم الخليلان وخاتمهم سيد ولد آدم، وأكرمهم على الله لكمال توحيده وعبوديته لله، فهذان الأصلان هما قطب رحى القرآن، وعليهما مداره وبيانهما من أهم الأمور، والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة ونوّع سبحانه الطرق في إثباتهما أكمل التنويع بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لها بمنزلة رؤية الأعين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء، فذاك للبصيرة بمنزلة هذا للبصر"[2].
فعدد أنواع الأدلة العقلية الشرعية؛ الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة.
وقال ابن سعدي رحمه الله: "فجميع الأدلة: السمعية، والعقلية، والفطرية، قد قامت شاهدة بتوحيد الله، معترفة بانفراده بالخلق والتدبير، وأن من هذا شأنه، لا يستحق العبادة إلا هو، وجميع الرسل متفقون على هذا

---

[1] مدارج السالكين 5/ 3708.
[2] الصواعق المرسلة 2/ 402 – 403، وانظر حادي الأرواح، (2/ 776)، مجموع الفتاوى 11/ 362، 8/ 375.

الأصل العظيم، ولم ينكــره إلا معاند مكــابر، مماثل لهــذا الجبار العنيد، فهذا من أدلة التوحيد"[1].

بهـذا يتـبين لنا أن الـدلائل الشـرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام، الفطرية، والسمعية، والعقلية. والسمعية هي التي يعـبر عنها بعض العلمـاء بالـدلائل الشـرعية، أو الخبريـة. ويعبر عن الدلائل العقلية بالدلائل العقلية الشرعية.

قال شيخ الإسلام في الموازنة بين الفلاسـفة والمتكلمين، وحقيقة رد المتكلمين عليهم، فقال:

"ردوا بـــاطلا بباطـــل، وقـــابلوا بدعة ببدعـــة. لكن باطل الفلاسفة أكـثر، وهم أعظم مخالفة للحق المعلـوم بالأدلة الشـــرعية والعقلية في الأمـــور الإلهية والدينية من أولئك المبتدعين من أهل الكلام"[2].

فعبّر بالأدلة الشـــــرعية وأراد الأدلة الســـــمعية النقلية الخبرية، التي طريقها السمع والخبر عن طريق الرسل.

وقال شيخ الإسلام في رده على ابن رشد[3]: "ونحن نذكر كلامه في ذلـــك، وذلك أنه لما تكلم على الطريق العقلية الشرعية في إثبات الصانع، تكلم أيضا على إثبــات التوحيد والصفات الثبوتية والسلبية والأفعال"[4].

فأراد بالطريق العقلية الشـرعية الـدلائل العقلية الـتي دل عليها الشرع.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص955.

[2] الصفدية، (ج2/ص327).

[3] محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد الحفيد، أبو الوليد القرطبي المالكي، العلامة فيلسوف الوقت، مولـده قبل مـوت جـده بشـهر، سـنة520 هــ. بـرع في الفقه والطب، ثم أقبل على علـوم الأوائل وبلايـاهم؛ علم الفلسـفة، حـتى صـار يضـرب به المثل في ذلـك. ويلقب بابن رشد "الحفيد" تمييزا له عن جــده أبي الوليد محمد بن أحمد، وله من التصـانيف: (بداية المجتهـد) في الفقـه، و(الكليـات) في الطب، و(مختصر المستصفى) في الأصول، وله كتاب (تهـافت التهافت)، وكتاب (منـاهج الأدلـة)، وكتـاب (فصل المقـال، فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصـال). وتـوفي في صـفر بمـرّاكش 595 هـ. (أنظر سير أعلام 21/ 307 - 309، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب 6/ 522 - 523، والأعلام للزركلي 5/ 318).

[4] درء تعارض العقل والنقل، (ج9/ص336).

******

**المبحث الثاني: التعريف بتوحيد الألوهية, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعا:**

توحيد الألوهية لفظ مـــركب إضـــافي, مـــركب من كلمتين:

الكلمة الأولى: توحيد.

والكلمة الثانية: الألوهية.

فاحتاج الأمر إلى ثلاث تعريفات:

**الأول**: تعريف لفظ (التوحيد) مفردا.

**والثاني**: تعريف لفظ (الألوهية) مفردا.

**والثالث**: تعريف اللفظين مركبا.

**أولا: تعريف لفظ التوحيد مفردًا:**

التوحيد: مصدر وحّد يوحّد توحيدا, وهو تفعيل ومعنـاه الإفراد، وهو مأخوذ من الوحدة والانفراد[1].

قـال ابن فـارس: "الـواو والحـاء والـدال: أصل واحد يـدل على الانفراد"[2].

وقال الفيروز آبادي: "ووحّده توحيدا: جعله واحدا" [3].

فإذا قيـل: "وحّـدَ شـيئا" أي حكم عليه بـالانفراد والتفـرد. فالتوحيد إذًا هو الإفراد.

وأصل الكلمة من الوحـدة وهو الانفـراد إذا تفـرد بشـيء دون غيره.

قال الجوهري[4]: "الوحـدة: الانفـراد. تقـول: رأيته وحـده. وهو منصـــوب عند أهل الكوفة على الظـــرف، وعند أهل البصــرة على المصــدر في كل حــال؛ كأنك قلت: أوحدته برؤيــتي إيحــادا، أي لم أر غــيره، ثم وضـعت وحــده هــذا

---

[1] انظر: كتاب العين 3/ 280 – 281، والصحاح، (ج2/547)، ولسان العرب، مادة: وحد، (6/ 4779).

[2] مقاييس اللغة لابن فارس, 6/ 90 – 91.

[3] القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: 324, وتاج العـروس من جواهر القاموس للزبيدي, 9/ 266.

[4] إسماعيل بن حماد التركي الأتراري، أبو نصر الجوهري، إمــام اللغة. دخل بلاد ربيعة ومضر في تطلب لســـان العـــرب، ودار الشام والعراق، ثم عاد إلى خراسان. مات مترديا من سطح داره بنيسابور 393. (سير أعلام النبلاء 17/ 80 – 82).

الموضع. وقال أبو العبـاس: يحتمل أيضا وجها آخر وهو أن يكـــون الرجل في نفسه منفـــردا، كأنك قلت: رأيت رجلا منفردا انفرادا، ثم وضعت وحده موضعه"[1].

وقد صـــار لفظ التوحيد عند أهل اللغة منســـوبا إلى الله تعالى, لأنه المتفـرد بذاته والمسـتحق بـأن يفـرد بالعبـادة وحده لا شريك له. فالتوحيد هو الاعتقاد بتفـرد الله تعـالى في ذاته وصـــفاته وأفعاله وأفعـــال عبـــاده التعبديـــة, لأنه الواحد ذو الوحدانية.

قال الخليل[2]: "والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شــريك له والله الواحد الأحد ذو التوَحُّد والوحدانية"[3].

والتوحيد تفعيل للحكم والنسـبة لا للجعـل, لأن الله تعـالى واحد بذاته ليس بجعل أحد من خلقه, والوحدانية والأحدية صفتان لازمتان له تعالى.

وقـــال الســـفاريني: "والتوحيد تفعيل للنســـبة كالتصـــديق والتكـــذيب، لا للجعل فمعـــنى وحّـــدتُ الله نســـبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحدا، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل. قـــال في القـــاموس: التوحيد إيمـــان بالله وحـــده. انتهى. أي التصـــديق بما جـــاء به النـــبي ﷺ من الخبر الدال على أن الله تعالى واحد في ألوهيته لا شريك له"[4].

لـــذلك فالتوحيد هو الاعتقـــادُ بـــأن الله فـــرد أحد في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته، وإفرادُه بالعبادة.

---

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, للجوهري, 2/ 547 – 548. وتهذيب اللغة للأزهري, 5/ 193.

[2] الخليل بن أحمد بن عمـــــــرو بن تميم الفراهيـــــــدي الأزدي اليحمـدي، أبو عبد الـرحمن البصـري، الإمـام، صـاحب العربيـة، ومنشئ علم العروض، أحد الأعلام، وهو أسـتاذ سـيبويه النحـوي. ولد في البصرة 100، ومات بها 170 هـ، وعاش فقـيراً صـابرا. (انظر سير أعلام النبلاء 7/ 429، والأعلام 2/ 314).

[3] كتـاب العين للخليل بن أحمد الفراهيـدي, 3/ـ 281, والمحكم والمحيط الأعظم, لابن سـيده, 3/ـ 375 – 378, وتهـذيب اللغة للأزهري, 5/ 193. وينظر لسان العرب لابن منظور, 6/ 4779 – 4783.

[4] لوامع الأنوار البهية للسفاريني 1/ 54.

**ثانيا: تعريف لفظ الألوهية مفردا:**

الألوهية: في اللغة مصـــدر أله يأله إلهة وألوهيـــة. ومعناه التعبد والعبودية.

قـال ابن فـارس: "الهمـزة واللام والهـاء أصل واحـد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى، وسمي بـذلك لأنه معبـود. ويقـال تأله الرجل، إذا تعبد. قال رؤبة:

لله در الغانيات المده *** سبحن واسترجعن من تألهي[1]

والإلاهة: الشمس، سميت بذلك لأن قوما كـانوا يعبـدونها. قال الشاعر:

* فبادرنا والإلاهة أن تؤوبا *[2]

فأما قـــولهم في التحـــير أله يأله فليس من البـــاب، لأن الهمزة واو. وقد ذكر في بابه"[3].

فالألوهية هي العبوديـــة, والتأله التعبـــد, والإلهة العبـــادة, والتأليه التعبيد.

قـــال الخليل: "ويســـمون الأصـــنام الـــتي يعبـــدونها آلهـــة، ويسمون الواحد إلاها افتراء على الله ويقـرأ قوله تعـالى: ﭽﮚﮛﭼ الأعراف: ١٢٧: ويذرك وإلاهتك أي: عبادتك"[4].

وقـال الجـوهري: "أله بـالفتح إلاهـة، أي عبد عبـادة. ومنه قرأ ابن عبـاس رضي الله عنهما: (ويـذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة. قال. وعبادتك. وكان يقول: إن فرعـون كـان يعبد في الأرض. ومنه قولنا "الله" وأصـــله إلاه على فعـــال، بمعنى مفعول، لأنه مـألوه أي معبـود، كقولنا: إمـام فعـال بمعـنى مفعـول، لأنه مـؤتم بـه، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام...

والتأليه: التعبيد. والتأله: التنسك والتعبد. قال رؤبة:

---

[1] ديوان رؤبة بن العجاج، ص: 165.

[2] هذا البيت منسـوب لأمية بنت عتيبة بن الحـارث تـرثي أباها، انظر بلاغات النسـاء (ص: 189)، والأزمنة والأمكنة (ص: 495)، ونسب لآخر المســـمى "التميمي" كما في الأزمنة والأمكنة (ص: 290).

[3] مقاييس اللغة لابن فارس, 1/ 127.

[4] كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي, 4/ 91.

*سبحن واسترجعن من تألهي*"[1].

فالألوهية أخص من العبودية, ومن خصائص الألوهية المحبة والتعظيم, ولما كانت الألوهية من أخص صفات الله تعالى, فلا يحققها العبد إلا إذا كانت عبادته لله مقرونة بالمحبة والتعظيم. لأن العبد قد يطيع سيده كرها, وأما ألوهية الله تعالى فهي عبادته المقرونة بالمحبة والتعظيم والإجلال والإكرام[2].

فالألوهية صفة لله تعالى, فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. فهو إلههم ومعبودهم المستحق للعبادة وحده, لأنه خالقهم وربهم الذي لا رب لهم سواه. قال ابن القيم: "إضافة الإلهية –أي إلى الناس- فهو إلههم الحق ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه، ولا معبود لهم غيره. فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه"[3].

فالألوهية صفة لازمة وثابتة لله تعالى, وهي من خصائصه تعالى, فلا يشركه أحد فيها, لأنه هو الذي استحق العبودية لتفرد بصفات الكمال. ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ البقرة: ١٦٣.

قال ابن سعدي رحمه الله: "والألوهية التي هي وصفه، هي الوصف العظيم الذي استحق أن يكون به إلها، بل استحق أن لا يشاركه في هذا الوصف العظيم مشارك بوجه من الوجوه. وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والامتنان. فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يؤله ويعبد لأجلها، فيؤله لأن له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنه المتفرد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة

[1] الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية, للجوهري, 6/ 2223 – 2224.
[2] انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ, ص 6 – 7.
[3] بدائع الفوائد 2/ 779.

وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علما وحكما وحكمة وإحسانا ورحمة وقدرة وعزة وقهرا، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتأله له وحده. فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا"[1].

---

[1] فتح الرحيم الملك العلام (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي 3/ 671).

**ثالثا: تعريف توحيد الألوهية شرعا**:

قد تنوعت عبارات العلماء في تعريف هـذا النـوع من التوحيـد. مـع أن مـدلولها واحـد, وهـو اعتقـاد تفـرد اللـه بالألوهية وعبادته وحده لا شريك له, وترك عبادة ما سواه كائنا ما كان.

1- قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: "التوحيد الـذي في كتـاب الله: هو توحيـد الألوهيـة، وهو أن لا تجعل معه، ولا تدعو معه إلها غيره"[1].

2- وقــال في موضــع آخــر: "توحيد الألوهية وهو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسـوله، وفعل ما يحبه ويرضاه"[2].

في التعريف الأول جعل نفي الشــــريك عن الله في الألوهية هو التوحيد، وفي الثـاني جعل إفـراد الله بالعبـادة هو التوحيد، فتضمن التعريفـان النفي والإثبـات الـذين هما معنى كلمة التوحيد.

3- وقــال المقريــزي[3]: "والإلهية كــون العبــاد يتخذونه سـبحانه محبوبـاً مألوهـاً، ويفردونه بـالحب والخـوف والرجـاء والإخبـات والتوبة والنـذر والطاعة والطلب والتوكل، ونحو هذه الأشياء"[4].

فعـرّف رحمه الله توحيد الإلهية بـذكر أنـواع العبـادة، وإفــراد الله بهــا. والتوحيد أن يتخذ العبــاد ربهم معبــودا مألوها، ويفردونه بجميع أنواع العبادة التي لا يستحقها أحد غيره.

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية, 2/ 277.

[2] المصدر نفسه 10/ 669، وانظر درء تعارض العقل والنقل 8/ 246.

[3] أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسـيني تقي الـدين المقريزي، مؤرخ الـديار المصـرية. أصـله من بعلبـك، ونسـبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه). ولد في القاهرة سنة 766، ومن تآليفه كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، والمعـروف بخطط المقريـزي، و(تجريد التوحيد المفيـد)، وتــوفي سنة 845 هــ. (انظر الضـوء اللامـع 2/ـ 21، والأعلام للـزركلي 1/ 177).

[4] تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص: 50 - 51.

4- وقد عـــرف الشـــيخ محمد بن عبد الوهـــاب التوحيد بقوله: "إفـراد الله بالعبـادة"[1]. فعرفه بحقيقتـه. لأن توحيد الألوهية متعلق بفعل العبد, فيفـرد اللـهَ تعـالى بأفعاله.

5- وقال ابن سعدي رحمه الله: "توحيد الإلهية، ويقـال له توحيد العبـــادة: وهو العلم والاعـــتراف بـــأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفـراده وحـده بالعبـادة كلها وإخلاص الـدين لله وحـده"[2]. فـبين أن توحيد الألوهية يتضـمن الإيمـان والاعتقـاد بتفـرد الله بالألوهية, والقيام بعبادته وحده لا شـريك لـه, وإخلاص الدين له.

6- وقـال ابن عـثيمين: "وأما توحيد الألوهية فهو: إفـراد الله تعالى بالعبادة، بأن يعبد وحده ولا يعبد غـيره من ملك، أو رسول، أو نـبي، أو ولي، أو شـجر، أو حجـر، أو شمس، أو قمر، أو غير ذلك كائنا من كان"[3].

وهذا كتعريف الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب رحمـه الله، مع التفصيل في نفي الشريك.

ويسمى توحيد الألوهية بتوحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد الألوهيـة، وباعتبـار إضـافته إلى العبد هو توحيد العبادة [4].

وهـــذه هي عبـــارات بعض العلمـــاء في تعريف توحيد الألوهيـــة, حيث تـــبين لنا من خلالها أن توحيد الألوهيـــة: هو العلم والاعتقاد والاعتراف بأن الله هو المسـتحق للألوهيـة، المتفرد بجميع أنواع العبادة, وإفراده تعالى بالعبادة وحده لا

---

[1] الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب, ص: 8.

[2] القول السديد شرح كتاب التوحيد 6/ـ 645 -ـ 646، (ضـمن مجمـوع مؤلفـات الشـيخ عبد الـرحمن بن ناصر السـعدي المجلد السادس).

[3] تقريب التدمرية, ص: 123، وانظر شرح الأصول الثلاثة, ص: 39، شرح الواسطية 8/ 18 (ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين).

[4] انظر شرح الواسطية 8/ 18 (ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين).

شريك له, محبة وخوفا ورجاء ورغبة ورهبة, وترك عبادة ما سواه, لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا شــيخا ولا شمسا ولا قمرا ولا قبرا ولا حجـرا ولا أي شـيء آخـر, واعتقـاد بطلان عبــادة ما ســواه. لأنه تعــالى المتفــرد بــالخلق والملك والإحسان والتدبير, والمتفرد بجميع صفات الكمال والجمال والجلال.

**المطلب الثاني: أهمية توحيد الألوهية, وبيان فضله:**

**أولا**: **بيان أهمية توحيد الألوهية**:

إن توحيد الألوهية هو أصل الإسلام وأساس الملـة, وهو حقيقة دين الإسـلام الـذي أرسل الله به الرسل وأنـزل به الكتب, وهو الحكمة من خلق الخلق كلهم. وقد وردت نصوص الكتـاب والسـنة ببيـان أهميته وفضـله، لما له من الأهمية الكبيرة البالغة. ويتجلى ذلك في الأمور التالية:

1- **التوحيد هو الحكمة من الخلق**:

توحيد الألوهية هو حكمة إيجـــــاد الخلق كلهم, فمن أجله خلق الله الخلـــق, من الجن والإنس والســـموات والأرض وغيرها من المخلوقـــــات. وإنما خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويطيعوا أمره, ويتبعوا رسله, ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ الذاريات: ٥٦. فبين تعالى أن الحكمة من خلق بـــني الإنس والجن هي عبادته وتوحيـــده بالعبـــادة. فخلق الله تعــالى الجن والإنس وأراد منهم شــرعا عبادته وحده لا شريك له, لأنه الأمر الذي أُوجدوا من أجلــه. وكل المخلوقـــــات إنما خلقها الله من أجل هـــــذه الحكمة العظيمة. ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ الأنعام: ٧٣، و ﭵ ﭶ ﭷ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ يونس: ٥، و ﭵ ﭶ ﭷ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الحجر: ٨٥.

قال ابن سعدي رحمه الله: "يخبر تعـالى عن كمـال قدرته وتمـــام حكمتـــه، وأنه ما خلق الســـماوات والأرض لعبا ولا لهوا أو سدى من غير فائدة، وأنه ما خلقهما إلا بالحق أي: نفس خلقهما بـالحق، وخلقهما مشـتمل على الحــق، وأنه أوجدهما ليعبدوه وحده لا شريك له، وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم"[1].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ الحجر: ٨٥. ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ما خلق الســـــماوات والأرض وما بينهما إلا

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 774.

بالحق; أي: ليدل بذلك على أنه المستحق لأن يعبد وحده، وأنه يكلف الخلق ويجازيهم على أعمالهم"[1].

فبهـــــذا يتـــــبين أن الله خلق جميع الخلق لعبادته وتوحيده بالعبادة, وذلك حكمة خلق الخليقة.

قال العلامة ابن القيم: "وإنما خلق خلقه لعبادته المتضمنة لكمال محبته والخضوع له، ولهذا خلق الجنة والنار، ولهـذا أرسل الرسل، وأنزل الكتب. وهذا هو الحق الـذي خلق به السموات والأرض، وأنزل به الكتاب ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ الحجر: ٨٥، و ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ إلى قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ يونس: ٣ - ٥، وقوله: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ [آل عمـران: ١ – ٣]، فهـذا أمـره وتنزيله مصـدره الحـق، والأول خلقه وتكوينه مصـدره الحق أيضـا. فبـالحق كـان الخلق والأمر، وعنه صدر الخلق والأمر وقال: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ [الذاريات: ٥٦]، فأخبر سبحانه أن الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته التي أصلها كمال محبته"[2].

فتـــــبين أن الحكمة من خلق جميع الخلق هو توحيد الله بالعبادة, وما من شيء إلا وهو يعبده تعالى, لأن كل شيء تحت عبوديتـــــه, إما تحت عبوديته الخاصـــــة, وإما تحت عبوديته العامة.

---

[1] أضواء البيان للشنقيطي 3/ 232.

[2] طريق الهجرتين لابن القيم 2/ 521 – 522.

**2- أن التوحيد هو الحكمة من إرسال الرسل**:

إن الله تعالى أرسل رسـله إلى أقـوامهم يـدعوهم إلى عبادته وحـده لا شـريك لـه, لأنها الغاية من خلقهم, وذلك لما وقع الشرك في الناس, بعد أن كـانوا أمةً واحـدة على توحيد الله وعبادته وحده, فبعثت الرسل ليذكِّروهم بالغاية العظمى من خلقهم, وهي توحيده بالعبادة، قال تعـالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ البقـرة: ٢١٣، وما من أمة إلا وبعث الله فيها رسـولا, يـدعو قومه إلى عبادة الله وحده والكفر بـالمعبودات من دونـه، قال تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ٣٦، فأخبر تعالى أنه بعث رسولا في كل أمة ليدعوهم إلى عبادته وتوحيـده وحـده لا شـريك لـه, والكفر بما يعبد من دون الله.

قـال الحافظ ابن كثـير رحمه اللـه: "وبعث في كل أمة رسولا أي: في كل قرن من الناس وطائفة رسـولا، وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ، فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الـذين أُرسل إليهم نـوح، وكـان أول رسـول بعثه الله إلى أهل الأرض، إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الـذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشـارق والمغـارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الأنبياء: ٢٥، وﭧ ﭨ ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الزخرف: ٤٥، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ٣٦، فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ؟ فمشيئته تعالى الشرعية منتفية؛ لأنه نهـاهم عن ذلك على ألسـنة رسـله، وأما مشـيئته الكونيـة، وهي تمكينهم من ذلك قـدرا، فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشـياطين والكفـرة، وهو لا يرضى لعبـاده الكفـر، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة"[1].

---

[1] تفسير القرآن العظيم 4/ 570.

فالرسل كلهم جاؤوا بتوحيد الألوهيـة, الـذي هو إفـراد الله تعالى بالعبادة, وترك عبادة ما سواه.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله : "أما التوحيد الأول الــذي ذكــره فهو التوحيد الــذي جــاءت به الرســل، ونـــــزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخــــرين من الرسل, ﭧ ﭨ ﭽ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ﯿ ﭼ الزخرف: ٤٥، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ النحل: ٣٦ ، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ الأنبياء: ٢٥. وقد أخبر الله تعـالى عن كل من الرســل، مثل نــوح وهــود وصــالح وشعيب وغيرهم؛ أنهم قالوا لقومهم ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ . وهـذا أول دعـوة الرسل وآخرهـا، قـال النــبي ﷺ في الحديث الصحيح المشهور: "**أمرت أن أقاتل النـاس حـتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فـإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**"[1]. وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح أيضا: "**من مــات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنــة**"[2]، وقــال: "**من كــــــــان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**"[3]. والقرآن كله مملـوء من تحقيق هـذا التوحيد والـدعوة إليه"[4].

فتبين أن الرسل كلهم بعثوا بتوحيد الألوهية, وأن رسالتهم واحـدة, - وإن اختلفـوا في الشـرائع - اتفقـوا في الـدعوة إلى توحيد الألوهية. لكونه أصل دعوة كل رسول أرسل.

---

[1] متفق عليه؛ صحيح البخاري 2/ـ 345، (ح: 2946)، وصـحيح مسلم ص: 84، (ح: 126).

[2] صحيح مسلم ص: 86، (ح: 136).

[3] أخرجه أبو داود 3/ـ 318 (ح: 3116)، وصـححه الألبـاني في صحيح سنن أبي داود 2/ 279.

[4] منهاج السنة النبوية 5/ 346 – 347.

**3- أن التوحيد من أجله أُنزلت الكتب**:

وقد تقدم أن الله بعث في كل أمة رسولا, وأن الحكمة من إرسـال الرسل هو الـدعوة إلى توحيد الألوهيـة. وقد أنـزل الله معهم الكتب لبيـان ما أرسـلوا بـه, وهو توحيد الألوهية, وهو أصل رسالة كل رسول. فلـذلك كـان إنـزال الكتب على الرسل من أجل بيان توحيد الألوهية وحقوقـه. فـإن الله تعـالى أرسل رسـله يـدعوا النـاس إلى توحيد الألوهية, فأنزل معهم الكتب لبيان هذا الأمر العظيم الـذي أرسـلوا من أجلـه, فكـانت جميع كتب الله المنزلة على رسله متضـمنة لهـذا التوحيـد, وهو أعظم ما احتوته هـذه الكتب.

وقد جاءت نصـوص تـدل على أن الله أنـزل كتبه لبيـان حقه على خلقه الذي هو توحيده في عبادته، ﭧ ﭨ ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ النحل: ٢، وﭠ ﭡ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنبياء: ٢٥ ، فأخبر أنه يوحي إلى رسله بتوحيد الألوهية, والإنذار عن عبادة ما سواه, فدل على أن مضـمون الرسـالة هو توحيد الله تعـالى في عبادتـه, وأن مضمون الوحي المنزل على الرسل هو الأمر بتوحيده في عبادتـه, والإنـذار عن عبـادة ما سـواه. وﭠ ﭡ ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ هود: ١ - ٢، فأخبر تعالى أنه فصّل آيات القـرآن المنزل على النبي محمد ﷺ ببيـان أن لا يعبد إلا الله وحـده لا شريك له.

قال الإمام الطـبري رحمه اللـه: "يقـول تعـالى ذكـره: ثم فصلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وتخلعـوا الآلهة والأنـداد. ثم قـال تعـالى ذكـره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، للناس (إنني لكم )، من عند الله = (نذير) ينـذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام = (وبشـير)، يبشـركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والألوهية له"[1].

---

[1] جامع البيان 12/ 312.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ
أي: نزّل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحـده لا شريك له كقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الأنبياء: ٢٥، وقال ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ٣٦ "[1].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "وإنما أنزل الله كتابه لـ (أن لا تعبدوا إلا الله) أي: لأجل إخلاص الـدين كله للـه، وأن لا يشرك به أحد من خلقه"[2].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ هود: ٢، هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنـزل القـرآن من أجلها: هي أن يعبد الله جل وعلا وحـده، ولا يشـرك به في عبادته شـيء; لأن قوله جل وعلا: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ هود: ١ – ٢، صـريح في أن آيـات هـذا الكتـاب فصـلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يعبد الله وحده"[3].

والنصوص الواردة في بيان إنزال الكتاب بالحق كلها تـدل على أنها أنزلت لبيان حق الله الذي هو توحيـده وطاعتـه. ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ البقرة: ١٧٦، و ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ البقرة: ٢١٣. فبين أنه تعالى أنزل الكتب مع رسله بالحق الذي هو بيـان حقه الـذي هو توحيده بالعبـادة, واجتنـاب عبـادة ما سـواه, وحقـوق ذلك الذي هو شرعه.

**4- أن التوحيد هو حق الله على العباد**:

إن توحيد الألوهية هو حق الله على عبـاده, الـذي أوجبه عليهم, فهو حق واجب له عليهم, يسـألهم عنه يـوم القيامة, فمن استوفاه فقد استحق الثـواب, ومن لم يـأت بهذا الحق العظيم فله نار جهنم خالـدا فيها أبـدا. فقد بين النـبي أن حق الله على العبـاد هو توحيـده في ألوهيتـه, بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

---

[1] تفسير القرآن العظيم 4/ 303.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 376.

[3] أضواء البيان للشنقيطي 3/ 10.

فعن معاذ بن جبل قال: قال النبي : "**يا معـاذ، أتـدري ما حق الله على العباد؟**" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "**أن يعبدوه، ولا يشركوا به شـيئا. أتـدري ما حقهم عليـه؟**" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "**أن لا يعذبهم**"[1].

فبين , أن حق الله على عبـاده توحيـده وعبادته وحـده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والله سـبحانه له حقـوق لا يشـركه فيها غـيره، وللرسل حقـوق لا يشـركهم فيها غيرهم، وللمؤمـنين على المؤمـنين حقـوق مشـتركة. ففي الصـحيحين عن معـاذ بن جبل رضي الله عنه قـال: كنت رديف النـبي صـلى الله عليه و سـلم فقـال لي: "**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**" قلت: الله ورسوله أعلم. قـال: "**حقه عليهم أن يعبـدوه ولا يشـركوا به شيئا. يا معـاذ أتـدري ما حق العبـاد على الله إذا فعلـوا ذلك**؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "**حقهم عليه أن لا يعذبهم**". فالله تعالى مستحق أن يعبد لا يشرك به شيء، وهـذا هو أصل التوحيد الـذي بعث الله به الرسل وأنـزلت به الكتب"[2].

فـبين أن حق الله على عبـاده هو توحيد الألوهيـة, إذ هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه احد.

وقـال أبو العبـاس القرطـبي[3] رحمه الله في شـرح الحـديث: "وحق الله تعـالى على عبـاده، ما أوجبه عليهم بحكمـه، وألـزمهم إيـاه بخطابه. وحق العبـاد على الله

---

[1] متفق عليه؛ صحيح البخاري 4/ـ 378، (ح: 7373)، وصـحيح مسلم ص: 87، (ح: 143).

[2] اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية 2/ 834 – 835.

[3] أحمد بن عمر بن إبـراهيم الأنصـاري، أبو العبـاس القرطـبي، فقيه مالكي محدث، ومولـده بقرطبة 578 هـ، نزيل الإسـكندرية وتـوفي بها 656 هــ، كـان من كبـار الأئمـة. من كتبه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) وكتاب (اختصار صحيح البخـاري) و(مختصر الصحيحين). (انظر شذرات الذهب 7/ـ 473، والأعلام للزركلي 1/ 186).

تعـالى: هو ما وعـدهم به من الثـواب والجـزاء؛ فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق"[1].
وقال الإمام النووي رحمه الله: "قال صاحب التحرير: اعلم أن الحق كل موجـود متحقق أو ما سـيوجد لا محالـة، والله سـبحانه وتعـالى هو الحق الموجـود الأزلي البـاقي الأبـدي، والموت والساعة والجنة والنار حـق، لأنها واقعة لا محالـة. وإذا قيل للكلام الصدق حق فمعناه أن الشيء المخـبر عنه بـــذلك الخـــبر واقع متحقق لا تـــردد فيـــه، وكـــذلك الحق المسـتحق على العبد من غـير أن يكـون فيه تـردد وتحـير. فحق الله تعـــالى على العبـــاد معنـــاه؛ ما يســـتحقه عليهم متحتما عليهم، وحق العبـــاد على الله تعـــالى معنـــاه أنه متحقق لا محالة. هذا كلام صاحب التحرير"[2].

**5- أن التوحيد أول واجب على المكلف**:

إن أول ما أوجب الله على المكلف هو الإقـــــــــرار بتوحيـده في الألوهيـة, وأنه المسـتحق بـأن يعبد وحـده. فلهذا كـان أول ما يـؤمر به الإنسـان إذا دخل في الإسـلام هو الإقـــرار لله بتوحيد الألوهيـــة. وهو أول ما يـــدعى إليه الناس عند دعوتهم إلى الإسلام.

ففي الصـحيحين عن ابن عبـاس قـال: لما بعث النــبي  معـاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قـال لـه: "**إنك تقـدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تـدعوهم إلى أن يوحـدوا الله تعـالى، فـإذا عرفـوا ذلك فـأخبرهم أن الله قد فـــرض عليهم خمس صـــلوات في يـــومهم وليلتهم، فـإذا صـلوا فـأخبرهم أن الله افـترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيّهم فترد على فقيرهم، فـــإذا أقـــروا بـــذلك فخذ منهم وتـــوقّ كـــرائم أمـــوال الناس**"[3].

فـأمره النـبي  بـأن يبـدأ في دعـوتهم بالـدعوة إلى أن يوحدوا الله في ألوهيته, ويعبدوه وحده لا شـريك لـه، لأنه هو أول الواجبات, لذلك أمره بأن يبدأ به عند دعوتهم.

---

[1] المفهم للقرطبي 1/ 203.

[2] شرح مسلم للنووي 1/ 231.

[3] متفق عليه، صـحيح البخـاري 4/ـ 378 (ح: 7372)، وصـحيح مسلم ص: 84 (ح: 123).

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "وهـذا مما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين، فـإنهم مجمعـون على ما علم بالاضــطرار من دين الرســول أن كل كــافر فإنه يــدعى إلى الشــهادتين، ســواء كــان معطلا أو مشــركا أو كتابيا، وبذلك يصير الكافر مسلما. ولا يصير مسـلما بـدون ذلك، كما قـال أبو بكر بن المنـذر[1]: "أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكـافر إذا قـال: أشـهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمـدا عبـده ورسـوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخــالف دين الإسـلام، - وهو بـالغ صـحيح يعقل - أنه مسـلم. فـإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدا، يجب عليه ما يجب على المرتد"[2].

فـــأجمعت الأمة على أن التوحيد هو أول الواجبـــات في الإسـلام, وبه يصـير الكـافر مسـلما، وهو أول ما يـؤمر به العباد.

وقـال أيضـا: "والمقصـود هنا أن السـلف والأئمة متفقـون على أن أول ما يؤمر به العباد الشـهادتان، ومتفقـون على أن من فعل ذلك قبل البلــوغ لم يــؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ"[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي لرسوله معـاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: "**إنك تــأتي قوما أهل كتــاب، فليكن أول ما تــدعوهم إليه عبــادة الله وحــده، فــإذا شــهدوا أن لا إله إلا اللــه، وأن محمــدا رســول اللــه، فـأخبرهم أن الله قد فـرض عليهم خمس صـلوات في**

---

[1] محمد بن إبـراهيم ابن المنـذر أبو بكر النيسـابوريّ، المولـود 242 هـ، فقيه مجتهد، من الحفاظ، نزيل مكة، وكان شيخ الحرم بمكة، صــاحب التصــانيف كــ (الإشــراف في اختلاف العلمــاء)، و(الإجماع)، و(المبسوط) وغير ذلك، تـوفي بمكة 319 هــ. (انظر سـير أعلام النبلاء (14/ـ 490 ـ 492 )، والأعلام للـزركلي (5/ 294 - 295).

[2] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 8/ 7.

[3] المصدر نفسه 8/ 11.

**اليوم والليلة**"[1]، وذكر الحديث. وقال: "**أمـرت أن أقاتل النـاس حـتى يشـهدوا أن لا إله إلا اللـه، وأن محمـدا رسول اللـه**"[2]. ولهـذا كـان الصـحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظـــر، ولا الشك كما هي أقـــوال لأربـــاب الكلام المذموم. فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسـلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: "**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**"[3]**.** فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره"[4].

ويــدل على أن أول الواجبــات هو الإقــرار لله بالتوحيــد, وعبادته وحده لا شريك له قوله تعالى: ﭽ           ﭼ محمد: ١٩.

قال الإمـام البخـاري رحمه اللـه: "بـاب العلم قبل القـول والعمل، لقول الله تعالى: ﭽ           ﭼ فبدأ بالعلم"[5]. وهذا العلم هو الإقـرار بتوحيد الله في العبـادة، وأن لا يشرك معه أحد. قال ابن سعدي رحمه الله: "العلم لا بد فيه من إقـرار القلب ومعرفتـه، بمعـنى ما طلب منه علمـه، وتمامه أن يعمل بمقتضـاه. وهـذا العلم الـذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فـــــرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحـد، كائنا من كـان، بل كل مضـطر إلى ذلك"[6].

فتــبين أن أول الواجبــات على الأعيــان الإقــرار للــه بالألوهية, وعبادته وحده بالعبادة, لا كما يقوله أهــل الكلام من أن أول واجب على العبــد هــو النظــر, أو القصــد إلى النظر, أو الشك, وغير ذلك مما يقوله أرباب الكلام[7].

**6- أن التوحيد من أجله شرع الجهاد**:

---

[1] متفق عليه، وسبق تخريجه قريبا في ص: 57.

[2] متفق عليه، صحيح البخاري 1/ 24، (ح: 25)، وصحيح مسلم ص: 85، (ح: 129).

[3] سبق تخريجه في ص: 53.

[4] مدارج السالكين لابن القيم 3/ 327 – 328.

[5] صحيح البخاري 1/ 41.

[6] تيسير الكريم الرحمن ص: 787.

[7] انظر مدارج السالكين لابن القيم 1/ 449، 5/ 3815.

إن الله تعـالى أمر بالجهـاد لإقامة التوحيـد, ولتكـون كلمة الله هي العليـا, وهي كلمة الإخلاص, ويكـون الـدين كله لله. ﭧ ﭨ ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ التوبة: ٥ و ﭧ ﭨ ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الأنفال: ٣٩، والفتنة هي الشـرك. فـأمر الله بقتـال الكفـار حـتى يـدخلوا في دين الإسـلام, وذلك بالتوبة عن الشـرك, وعبـادة الله وحـده. وأمر بالقتـال حـتى لا يكـون الشـرك في الأرض, ويكـون الدين كله لله تعالى.

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللـه، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأمـوالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"**[1].

فبين النبي ﷺ أنه مأمور بقتـال المشـركين حـتى يقـروا لله بالتوحيد في ألوهيته, ويقوموا بعبادة الله وحـده لا شـريك له, وأنهم بذلك يعصمون دماءهم وأموالهم.

وهـــذه بعض الأمـــور الـــتي تتـــبين بها أهمية توحيد الألوهية, فتـــبين أن له أهمية كبـــيرة, إذ أنه الحكمة من الخلق, والحكمة من إرسـال الرسـل, وإنـزال الكتب. وهو أول الواجبـات, وأول ما يـدعى النـاس إليـه. وهو حق الله على العباد, ولأجله شُـرع الجهـاد في سـبيل اللـه. فلـذلك يكون هو الحكمة من إقامة الحساب ونصب الموازين يوم القيامـــة, وهو الحكمة من خلق الجنة والنـــار, وهو أول الـــدين وآخـــره, وهو الغاية المحمـــودة المحبوبة لله رب العالمين، والله تعالى أعلم.

*******

---

[1] متفق عليه، صحيح البخاري 1/ 24، (ح: 25)، وصحيح مسلم ص: 85، (ح: 129).

**ثانيا: بيان فضل توحيد الألوهية**:

لما تبين أن لتوحيد الألوهية أهمية بالغة, أردت أن أذكر ما ورد في بيان فضله هنا، لأنه قد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبين فضل هذا التوحيد وثوابه وثمراته، وأنه أفضل الطاعات, وأفضل القربات, وهو أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى, وأنه السبب الأكبر لنيل كرم الله وثوابه والبعد عن عقابه، وقد أعد الله لأهله أجرا عظيما، ونعيما كريما في الدنيا والآخرة, ومن ذلك:

1. **أن أهل التوحيد التام هم أهل الأمن التام, والاهتداء التام في الدنيا والآخرة**:

ﭨ ﭩ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ الأنعام: ٨٢ ، أي ولم يلبسوا إيمانهم بشرك, وأولئك لهم الأمن التام, ولهم الاهتداء التام. ويبين ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله ، قال: لما نزلت ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ، قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: "**ليس كما تقولون** ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ **بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه** ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ لقمان: ١٣**؟**"[1].

في هذه الآية بيان أن أهل التوحيد التام، الذين سلموا من أنواع الظلم الثلاثة؛ الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك كان لهم الأمن التام, والاهتداء التام، وأما من لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له مطلق الأمن والاهتداء[2].

بهذا يتبين فضل التوحيد, وأن أهله من أهل الأمن التام, والاهتداء التام في الدنيا والآخرة.

2. **أن الله يغفر به الذنوب, ويكفر به السيئات**:

ومن فضل التوحيد؛ أن الله تعالى يغفر لأهل التوحيد سيئاتهم إن كانوا من أهل التوحيد الكامل، وإن كانوا من أهل الكبائر والمعاصي يجعلهم تحت مشيئته، ومآلهم إلى الجنة إن دخلوا النار بسبب ذنوبهم. ﭨ ﭩ ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ

---

[1] متفق عليه، صحيح البخاري 4/ 282، (ح: 6937)، وصحيح مسلم ص: 114، (ح: 327).

[2] انظر فتح المجيد (ص: 30).

ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ النساء: ٤٨.

وروى مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وَأَزِيدُ**[1]**، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشى أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة** »[2].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: "**قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان**[3] **السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيك بقرابها مغفرة**"[4].

فهذه النصوص تدل على أن التوحيد هو السبب الأعظم لنيل مغفرة الله وعفوه وكرمه, فمن لقي الله تعالى وهو كامل التوحيد لا يشرك به شيئا, غفر الله له جميع الخطايا والسيئات, وإن نقص توحيده الواجب فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بذنوبه، ومآله إلى الجنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأسعد الناس بالمغفرة التي تنال بالشفاعة وغير الشفاعة أعظمهم إخلاصا له لا من كان فيه شرك يرجو غير الله ويسأل غير الله ويعبد غير الله كما يفعل المشركون الذين اتخذوا من

---

[1] بكسر الزاي، هكذا في النسخ المطبوعة؛ طبعة الرسالة، وطبعة دار طيبة، وطبعة دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

[2] صحيح مسلم ص: 1109، (ح: 6833).

[3] العنان بالفتح: السحاب، والواحدة عنانة (انظر النهاية في غريب الأثر 3/ 313).

[4] سنن الترمذي 5/ـ 509، (ح: 3540)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 1/ 249 - 250.

دون الله شفعاء سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين أو من يظن فيهم الصلاح فيسألونهم ويستغيثون بهم إما في مغيبهم وإما عند قبورهم"[1].

3. **أن الله يُدخل به الجنة, ويُنجي به من النار**:

إن من فضل التوحيد؛ أن الله يدخل عبده الجنة بسبب ما عنده من التوحيد رحمة منه وفضلا، لأن الله تعالى أوجب التوحيد على عباده لينالوا به سعادة الدنيا والآخرة. ففي الصحيحين عن عبادة ، عن النبي  قال: "**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**"[2]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله  قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**»[3].

فهذه الأحاديث تبين أن التوحيد هو السبب في دخول الجنة، وأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة، وأنه يكون لهم من الأجر ما يرجح على سيئاتهم، ويوجب لهم المغفرة والرحمة ودخول الجنة[4].

قال القاضي عياض: "المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة من أنه لابد له من دخول كل موحد لها إما معجلا معافى، أو مؤخرا بعد عقابه"[5].

4. **أن التوحيد الكامل يمنع دخول النار, ومطلق التوحيد يمنع الخلود فيها**:

مما سبق ثبت أن من فضل التوحيد كونه سببا لدخول الجنة، وكذلك كان سببا للنجاة من النار فإن التوحيد يمنع

---

[1] الصفدية (2/ 292).

[2] متفق عليه، صحيح البخاري 2/ـ 487، (ح: 3435)، وصحيح مسلم ص: 87، (ح: 140).

[3] رواه مسلم ص: 103 – 104، (ح: 269).

[4] انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 255)، وتيسير العزيز الحميد 1/ 226، وفتح المجيد (ص: 37).

[5] إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 255).

صــاحبه من دخــول النــار إذا أتى بالتوحيد الــواجب، وإذا نقص منه شيء، فإنه إن لم يغفر الله له فإنه يدخل النار، ولكنه لا يخلّد فيها.

ففي الصحيحين من حديث عتبان بن مالك : قال رســول الله : "**فـإن الله قد حـرم على النـار من قـال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**"[1].

قـال القاضي عيـاض – رحمه الله -: "والمـراد بتحـريم النار تحريم الخلود، خلافا للخوارج والمعتزلة"[2].

فـبين النـبي  أن من كـان موحـدا لله تعـالى فـإن الله يحرمه على النــار بــأن لا يــدخلها أبــدا، أو لا يخلد فيها إن دخلهــا. فلا شك أن هــذا مما يــبين فضل التوحيد وعظم جزائــه، لأن النــار من أعظم ما يكرهه العبــد، فــإذا كــان محرما على النار فلا شك أن مآله إلى الجنة.

5. **أن التوحيد هو السـبب لنيل شـفاعة النـبي  يوم القيامة**:

مما يبين فضل التوحيد كـون أهله هم الفـائزين بشـفاعة النـبي ، فهم أسـعد النـاس بشـفاعته، وذلك أنهم أخلصـوا الدين لله تعـالى، لما كـان المشـركون يتعلقـون بشـركائهم يبتغون عندهم الشفاعة من دون الله، ولله الشفاعة جميعا، ولا يشــفع أحد إلا بإذنــه، فجــزاهم الله على توحيــدهم وإخلاصهم، بـأن خصـهم بشـفاعة النـبي ، وكـذلك شـفاعة غيره ممن يأذن الله لهم بالشـفاعة يـوم القيامـة. فعن أبي هريـرة  أنه قـال: قيل يا رسـول اللـه: من أسـعد النـاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله : "**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هـذا الحـديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحــديث. أســعد الناس بشـفاعتي يـوم القيامة من قـال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه**"[3]. فبين  أن من وحّد الله مخلصا له الدين هو أسعد الناس بنيل شفاعته .

---

[1] متفق عليه صحيح البخاري 1/ 154، (ح: 425)، ومسلم ص: 287، (ح: 1496).

[2] إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 255).

[3] رواه البخاري 4/ 203، (ح: 6570).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فبين صلى الله عليه وسلم أن أسعد الناس بشفاعته في الآخرة أعظمهم إخلاصا لله وتوحيدا له في الدين"[1].

وقال العلامة ابن القيم: "ولهذا كان أسعد الناس بشفاعته سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه"[2].

وقال أيضا: "أخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد"[3].

فلا شك أن هذا مما يبين فضل التوحيد، وجزيل ثوابه.

فبهذه النصوص يتبين فيها جليًّا فضل التوحيد, وأنه أفضل الطاعات, وأن الله قد أعد لأهله الثواب الجزيل، والفضل العظيم، والنعيم المقيم، والكرم الواسع يوم القيامة.

---

[1] الصفدية (2/ 291)، وانظر أيضا مجموع الفتاوى (27/ 440)، وتيسير العزيز الحميد (1/ 604 - 605)، .

[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 396).

[3] مدارج السالكين (2/ 917)، وانظر تيسير العزيز الحميد (1/ 606)، وفتح المجيد (ص: 37).

# الباب الأول

## الدلائل الفطرية على توحيد الألوهية,

وفيه ثلاثة فصول:

### الفصل الأول:

دلالة الفطرة على توحيد الألوهية

### **الفصل الثاني:**

**دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية.**

### الفصل الثالث:

دلالة توحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية.

# الفصل الأول

# دلالة الفطرة على توحيد الألوهية,

وفيه مبحثان:

## **المبحث الأول**: **بيان أن توحيد الألوهية قد فطر الله العباد عليه،**

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: معنى الفطرة هو الإسلام.

**المطلب الثاني**: تفسير السلف للفطرة بأنها دين الإسلام.

المطلب الثالث: تهويد المولود وتنصيره وتمجيسه تغيير للفطرة.

## المبحث المبحث الثاني: **بيان أن توحيد الألوهية جزء من العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم**,

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إقرار الله لعباده بإثبات الربوبية.

المطلب الثاني: الاحتجاج بشرك الآباء دليل على أن الميثاق هو توحيد الألوهية.

**المبحث الأول: بيان أن توحيد الألوهية قد فطر الله العباد عليه.** وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: معنى الفطرة الإسلام.

قد وردت نصوص الكتاب والسنة تبين أن الله تعالى خلق عباده على الفطرة، وهي الدين الحنيف الذي أمر الله نبيه  أن يقيم وجهه له، وأن كل مولود يولد على هذه الفطرة. ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الروم: ٣٠ .

فإن الله تعالى أضاف الفطرة إليه إضافة مدح لا إضافة ذم، فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة، وفسرها بالدين في أول الآية؛ ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ وآخرها؛ ﭽ ﯦ ﯧ ﭼ ، لأن فطرة الله نصبت على المصدر الذي دل عليه الفعل الأول، فدل على أن إقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، والمعنى فطر الله الناس على ذلك: على إقامة الدين لله حنيفا، والإشارة ترجع إلى الفطرة، فعلم أن الفطرة هي دين الله الإسلام، لأن الدين عند الله الإسلام قال تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ آل عمران: ١٩ ، وكذلك فسره السلف[1].

قال ابن عبد البر: "قد أجمعوا في قول الله : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الروم: ٣٠، على أن قالوا: فطرة الله دين الله الإسلام"[2].

وقوله تعالى في الآية: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ، والحنيفية هي الاستقامة على ملة إبراهيم، وهي إسلام الوجه لله، المعبر به هنا بإقامة الوجه للدين المأمور بها، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ، فبين أن الحنيفية هي الإسلام. وجاء في حديث عياض بن حمار المجاشعي: "**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم**"[3].

---

[1] انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 8/ 372، أحكام أهل الذمة 2/ 962 – 963، شفاء العليل ص: 565.

[2] التمهيد 18/ 72، وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 8/ 367.

[3] رواه مسلم في صحيحه ص: 1176، (ح: 7207).

وفي بعض ألفـاظ الحـديث: "**حنفاء مسـلمين**"[1]، قال ابن عبد البر: "واحتجوا بحديث محمد بن إسحاق، عن ثور بن يزيد، عن يحيى بن جابر، عن عبد الرحمن بن عائذ الأزدي، عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسـول الله  قـال للنـاس يومـا: "**ألا أحدثكم بما حـدثني الله في الكتاب؟ أن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين**... "[2] الحديث بطوله....

ثم قـال: "وهـذا كله يـدل على أن الحنيفية الإسـلام، ويشهد لذلك قول الله : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [آل عمران: ٦٧]، وقال: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الحج: ٧٨، فلا وجه لإنكار من أنكر رواية من روى حنفاء مسلمين، قال الشاعر وهو الراعي:

| | |
|---|---|
| أخليفة الـــــــرحمن إنا معشر | حنفـــاء نســجد بكـــرة وأصيلا |
| عــــرب نــــرى لله في أموالنا | حق الزكاة منزلا تنزيلا |

فهـذا قد وصف الحنيفية بالإسـلام وهو أمر واضح لا خفـاء به"[3].

وقال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "والحنيفية هي الاستقامة بإخلاص الدين لله، وذلك يتضمن حبه تعالى والـذل لـه، لا يشـرك به شـيئا لا في الحب ولا في الـذل. فـــإن العبـــادة تتضـــمن غاية الحب بغاية الـــذل، وذلك لا يستحقه إلا الله وحده، وكذلك الخشية والتقوى لله وحــده والتوكل على الله وحده"[4].

---

[1] سيأتي تخريجه في التخريج التالي.

[2] الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبرانى (17/363 ، رقم 997) ، وابن عساكر (34/451).

[3] التمهيد لابن عبد البر 18/ 72 – 76.

[4] مجموع الفتاوى 10/ـ 466، وجامع الرسـائل لابن تيميـة 2/ 86.

وقال أيضا: "والقـرآن كله يـدل على أن الحنيفية هي ملة إبـــراهيم، وأنها عبـــادة الله وحــــده، والـــبراءة من الشرك"[1].

فـدل على أن المـراد بـالفطرة في الآيـة، هو أن الله تعـالى فطر النـاس على دين الإسـلام, وحقيقته توحيـده بالألوهية والعبودية, وخلع كل المعبودات من دونه.

ومما يـدل على أن معـنى الفطـرة الإسـلام ما روى البخاري ومسـلم من حـديث أبي هريـرة ، أنه قـال: قـال رسول الله : "**ما من مولود إلا يولد على الفطـرة، فــأبواه يهودانه وينصـرانه ويمجسـانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعــــاء، هل تحســـون فيها من جدعاء؟" ثم يقول أبو هريرة واقـرءوا إن شـئتم:** ﭼ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ الروم: ٣٠"[2].

فإن روايات حديث أبي هريرة  تـدل على أن المـراد بـالفطرة هـو دين الإسـلام، فـروى مسـلم من حـديث ابن نمــير[3]: «**ما من مولــود يولد إلا وهو على الملة**». وفى رواية أبى بكر عن أبى معاوية[4]: «**إلا على هــــذه الملة حتى يبين عنه لسانه**». وفى رواية أبى كريب[5] عن أبى معاوية: «**ليس من مولود يولد إلا على هذه**

---

[1] جامع المسائل لابن تيمية 5/ 180.

[2] صحيح البخاري 1/ 416 – 417، (ح: 1358)، وصحيح مسلم ص: 1098 (ح: 6755).

[3] محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني، بسكون الميم، الكوفي، أبو عبد الرحمن، ثقة حافظ فاضل من العاشـرة مـات سـنة أربـع وثلاثين ع. (تقريب التهذيب ص: 425).

[4] محمد بن خازم، بمعجمتين أبو معاوية الضـرير الكـوفي، عمي وهـو صـغير، ثقـة أحفـظ النـاس لحـديث الأعمش، وقـد يهم في حديث غيره، من كبار التاسـعة، مـات سـنة خمس وتسـعين، ولـه اثنتان وثمانون سنة، وقد رُمي بالإرجاء. ع. (تقريب التهـذيب ص: 411).

[5] محمد بن العلاء بن كــريب الهمــداني، أبو كــريب الكــوفي، مشهور بكنيته: ثقة حافظ من العاشرة، مات سنة ســبع وأربعين، وهو ابن سبع وثمانين سنة ع. (تقريب التهذيب ص: 435).

**الفطرة حتى يعبر عنه لسانه»**. [1], ففي هذه الألفاظ التصريح بفطرة الإسلام، وبالملّة التي هي الإسلام.

**التعبير بـالفطرة عن الإسـلام في نصـوص كثـيرة ممـا يؤيد تفسير الفطرة بمعنى الإسلام:**

قد وردت أحـاديث كثـيرة عن النـبي صـلى الله عليه وسلم، فيها التعبـير عن الإسـلام بـالفطرة، لأنه إذا جـاءت الفطرة مطلقة معرفة بـاللام، فـالمراد بها فطـرة التوحيد والإسلام.

قــال العلامة ابن القيم رحمه اللــه: "الفطــرة حيث جاءت مطلقة معرفة بـاللام، لا يـراد بها إلا فطـرة التوحيد والإسلام، وهي الفطرة الممدوحة، ولهـذا جـاء في حـديث الإسـراء لما أخذ النـبي صـلى الله عليه وسـلم اللبن، قيل له: "**أصـبت الفطـرة**"، ولما سـمع النـبي صـلى الله عليه وسـلم المـؤذن يقـول: الله أكـبر، الله أكـبر، قـال: "**على الفطــرة**"، وحيث جــاءت الفطــرة في كلام رســول الله صــلى الله عليه وســلم فــالمراد بها فطــرة الإســلام لا غير"[2].

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

1- ما رواه البخاري ومسلم من حديث الـبراء بن عـازب أن رسـول الله ﷺ قـال: «**إذا أخذت مضـجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شـقك الأيمن ثم قــل: اللهم إني أســلمت وجهي إليــك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليـك، آمنت بكتابك الـذي أنــزلت، وبنبيك الــذي أرســلت. واجعلهن من آخر كلامـــــك، فـــــإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة**». قال: فرددتهن لأسـتذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسـلت قـال: «قل آمنت بنبيك الـذي أرسلت»[3].

---

[1] صحيح مسلم ص: 1099، (ح: 6759).

[2] تهذيب السنن 5/ 2142 - 2143.

[3] متفق عليه؛ صحيح البخاري 1/ 98 ـ 99، (ح: 247 )، صحيح مسلم ص: 1116, (ح: 6882.

فعلمه النبي  الذكر المتضمن إسلام الوجه لله، ثم بين أنه إن مات في ليلته مات على الفطرة، فعبر بالفطرة عن الإسلام. قال الخطاني: "الفطرة ههنا فطرة الدين والإسلام"[1].

2- وروى البخاري ومسلم من حديث الإسراء الطويل عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة[2] رضي الله عنهما أن نبي الله  حدثهم عن ليلة أسري به: **"بينما أنا في الحطيم وربما قال: في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه..." الحديث إلى قوله: "ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك"**[3].

قال ابن حجر: "أي دين الإسلام"[4].

3- وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة  عن النبي  قال: "**الفطرة خمس أو خمس من الفطرة؛ الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب**"[5]. فعبر بالفطرة عن السنة، والسنة هي حقيقة الإسلام.

4- وروى البخاري مختصرا، ومسلم من حديث أنس بن مالك  أنه قال: كان رسول الله  يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار، فسمع رجلا يقول: الله أكبر، الله أكبر.

---

[1] معالم السنن (4/ 143).

[2] مالك بن صعصعة الأنصاري المازني، صحابي روى عنه أنس حديث المعراج، وكأنه مات قديما خ م ت س. (تقريب التهذيب 450).

[3] صحيح البخاري 3/ 63 ـ 64, (ح: 3887)، ومسلم ص: 130 – 131، (ح: 416).

[4] فتح الباري لابن حجر (7/ 215).

[5] صحيح البخاري 4/ 72, (ح: 5889), ومسلم ص: 164, (ح: 597).

فقـال رسـول الله صـلى الله عليه و سـلم: "**على الفطرة**"[1].

قال النووي: "قوله صلى الله عليه وسلم على الفطرة أي على الإسلام"[2].

5- وروى أبو داود عن أبي أيـوب رضي الله عنه[3]، وابن ماجه من حـديث العبـاس بن عبد المطلب [4]، أن رسول الله  قال: « **لا تزال أمتي على الفطرة، ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم** ».

فـبين أن تعجيل المغـرب هو سـنة الإسـلام، لأن تأخيرها حتى تشتبك النجوم من فعل اليهود[5].

6- وروى أحمد من حـديث عبد الـرحمن بن أبـزى أن النـبي  كـان يقـول: "**إذا أصبح وإذا أمسى أصـبحنا على فطـرة الإسـلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد  وعلى ملة أبينا إبـراهيم حنيفا وما كان من المشركين**"[6].

قـال العلامة ابن القيم رحمه اللـه: "وكـان رسـول الله يوصي أصحابه إذا أصبحوا إذا أمسوا أن يقولوا: "**أصـبحنا على فطـرة الإسـلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبـراهيم حنيفا مسـلما وما كـان من المشـركين**", وتأمل هـذه الألفـاظ كيف جعل الفطرة للإسلام فإنه فطرة الله التي فطر النـاس عليهـا، وكلمة الإخلاص هي شـهادة أن لا اله إلا اللـه، والملة

---

(1) صـحيح البخـاري 2/ـ 345, (ح: 2943), صـحيح مسـلم ص: 198, (ح: 847).

(2) شرح النووي على مسلم (4/ 84).

(3) سنن أبي داود 1/ـ 225، (ح: 689)، وحسن إسناده الألبـاني في صحيح أبي داود 2/ 290.

(4) سـنن ابن ماجه 1/ـ 225، (ح: 689)، وصـححه الألبـاني في صحيح سنن ابن ماجه 1/ـ 212، وروى أحمد نحـوه عن السـائب بن يزيد رضي الله عنه، انظر مسند الإمام أحمـد 24/ـ 493, (ح: 15717).

(5) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (8/ 1550).

(6) مسـند أحمد 24/ـ 77، (ح: 15360). وصـححه الألبـاني في الصحيحة 6/ 1230.

لإبــراهيم فإنه صــاحب الملــة، وهي التوحيد وعبــادة الله تعالى وحده لا شريك له ومحبته فـوق كل محبـة، والـدين للنبي وهو دينه الكامل وشرعه التام الجامع لذلك كله"[1].

وقـال أيضـا: "أوصي نبيه محمـدا أن يتبع ملة إبــراهيم وكان يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: "**أصـبحنا على فطـرة الإسـلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبــراهيم حنيفا مســلما وما كــان من المشركين**"، فملة إبراهيم التوحيـد، ودين محمد ما جـاء به من عند الله قـولا وعملا واعتقـادا، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله، وفطرة الإسـلام هي ما فطر الله عليه عبــاده من محبته وعبادته وحــده لا شــريك لـــه، والاستسلام له عبودية وذلا وانقيادا وإنابة"[2].

7- وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قــال : "**لما أسـري بـالنبي  جعل يمر بـالنبي والنبـيين ومعهم القــوم والنــبي والنبــيين ومعهم الرهط والنبي والنبيين وليس معهم أحد حـتى مر بسـواد عظيم فقلت من هــذا ؟ قيل موسى وقومه ولكن ارفع رأسك فانظر قال فـإذا سـواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجـانب ومن ذا الجـانب فقيل هـؤلاء أمتك وسوى هؤلاء من أمتك سبعون ألفا يــدخلون الجنة بغير حسـاب فـدخل ولم يسـئلوه ولم يفسر لهم فقــالوا نحن هم وقــال قــائلون هم أبناؤنا الذين ولدوا على الفطـرة والإسـلام** فخـرج النـبي  فقــال: "**هم الــذين لا يكتــوون ولا يســترقون ولا يتطـيرون وعلى ربهم يتوكلـون**" فقـام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول اللـه؟ قـال: "**نعم**"، ثم قـام آخر فقـال: أنا منهم؟ فقـال: "**سـبقك بها عكاشة**"[3].

ففسر الفطرة بالإسـلام، لأنـه ذكـر الإسـلام بعـد الفطـرة فدل على أن اللفظين مترادفان في المعنى.

---

[1] جلاء الأفهام (ص: 304 – 305).

[2] مدارج السالكين, 5/ 3885 - 3886.

[3] سنن الترمـذي 4/ـ 211، (ح: 2446)، وصـححه الألبـاني في صحيح سنن الترمذي 2/ 586.

بهذا يتبين أن المراد بالفطرة التي فطر الناس عليها هي دين الإسلام، وأن حقيقته الاستسلام لله تعالى بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له، فدل ذلك على أن العباد مفطورون على توحيد الألوهية.

ومعنى أن الله تعالى فطر الناس على توحيد الألوهية؛ هي أنه لو تُرك الإنسان على أصل خلقته الذي خلقه الله عليه لأقر لله بالألوهية, وعبده وحده لا شريك له, ولا يعبد غيره, ولا يشرك معه أحدا في عبادته.

********

**المطلب الثاني:** تفسير السلف للفطرة بأنها دين الإسلام:

قد جاء عن جماعة من أهل العلم من السلف والخلف بيان معنى الفطرة، وأن المراد بها الإسلام، وهو الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف[(1)]، وقد روى الطبري وغيره[(2)] بأسانيده عن جمع من السلف؛ أن معنى الفطرة دين الإسلام. فروى عن معاذ بن جبل أنه مر به عمر فقال: ما قوام هذه الأمة؟

---

[1(?)]اختلف العلماء في المراد بالفطرة الواردة في آية الروم وحديث "المولود" السابقين، إلى خمسة أقوال:

**القول الأول**: **القول بأن الفطرة هي الخلقة**:

نقل ابن عبد البر عن جماعة من أهل الفقه والنظر أن المراد بالفطرة في الحديث هي الخلقة، فقال: "قالت جماعة من أهل الفقه والنظر أريد بالفطرة المذكورة في هذا الحديث الخلقة التي خلق عليها المولد في المعرفة بربه فكأنه قال كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك واحتجوا على أن الفطرة الخلقة والفاطر الخالق بقول الله تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥﭼ فاطر: ١، يعني خالقهن وبقوله: ﭽ   ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ يس: ٢٢، يعني خلقني وبقوله: ﭽ   ﭼ الأنبياء: ٥٦، يعني خلقهن, قالوا: فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق.

وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار، قالوا: وإنما يولد المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعا وبنية، ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة، ثم يعتقدون الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا" (التمهيد: 18/68 – 69).

وهذا القول هو قول ابن الأثير حيث قال:" الفطر: الابتداء والاختراع . والفطرة: الحالة منه كالجلسة والركبة. والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها" (النهاية في غريب الحديث والأثر 3/882.)، وهو ما اختاره جمع من أهل العلم ورجّحهوه وصحّحهوه, منهم: ابن عبد البر، والسبكي، والطحاوي، والخطابي، وابن عطية، وابن العربي، وابن الأثير، والقرطبي، والنووي، وغيرهم من العلماء المفسرين والمحدثين.

**القول الثاني**: **القول بأن الفطرة هي البداءة**:

قال معاذ: "ثلاث، وهن المنجيـات: الإخلاص، وهو الفطـرة ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الروم: ٣٠ ، والصلاة: وهي الملة، والطاعة: وهي العصمة. فقال عمر: صـدقت"[1]. وعن ابن زيد في قوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ قال: "الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا، يقرون بذلك، وقرأ: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الأعراف: ١٧٢، قال: فهذا قول الله: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ البقرة: ٢١٣

---

قال أصـحاب هـذا القـول: إن المـراد بـالفطرة هي البـداءة التي ابتـدأ اللـه الخلـق عليهـا، وقـالوا: بـأن اللـه ابتـدأهم للحيـاة والمـوت والشـقاء والسـعادة، وكـل مـا سـبق في علم اللـه ممـا يصيرون إليه عنـد البلـوغ أو عنـد العاقبـة، فمن ابتـدأ اللـه خلقـه للضلالة والشقاء صيّره إلى ذلك وإن عمل بأعمال أهل السـعادة، ومن ابتدأ الله خلقه على السـعادة والهـدى صـيّره إلى ذلـك وإن عمل بأعمال أهل الضلالة.

وقـال بهـذا القـول جماعـة من الأئمـة، منهم: عبداللـه بن المبارك، ومالك، وأحمد في إحدى الروايات عنه.

**القول الثالث**: **القول بأن المراد بالفطرة الميثاق**:

قال أصحاب هذا القـول إن المـراد بـالفطرة الميثـاق الـذي أخذه الله تعالى من ذرية آدم عليـه السـلام قبـل أن يخرجـوا إلى الدنيا يوم استخرجهم من ظهره فخاطبهم: "ألست بـربكم قـالوا: بلى" فأقروا جميعاً له بالربوبية عن معرفة منهم بـه، ثم أخـرجهم من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلـك المعرفـة، وذلـك الإقرار، فلست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبّراً.

وينسب هـذا القـول إلى جمـع من الأئمـة، منهم: الأوزاعي، وحماد بن سلمة، حماد بن زيد، وسحنون, وابن قتيبة، وأبو جعفـر النحاس، وابن بطة.

**القول الرابع**: **القول بأن المـراد بـالفطرة مـا فطـرهم الله على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان**:

قال أصحاب هذا القول إن المراد بالفطرة هو أن الله فطر الناس على الإنكـار والمعرفـة، وعلى الكفـر والإيمـان، فأخـذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ قالوا جميعاً: "بلى" فأما أهل السعادة فقالوا: "بلى" على معرفة له طوعاً من قلوبهم، وأما أهـل الشـقاء فقـالوا: "بلى" كرهـاً لا طوعـاً. وممن قال بهذا القول: إسحاق بن راهويه، والأزهري، وابن حبان.

**القـول الخـامس**: **القـول بـأن المـراد بـالفطرة هـو الإسلام**.

بعد". وروى عن جمع من التابعين, أن معنى ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ, لدين الله، منهم مجاهد وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وإبراهيم[2].

وقال البخاري: "باب ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﭼ لدين الله. ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ دين الأولين، والفطرة الإسلام"[3], قال ابن حجر:"جزم المصنف بأن الفطرة الإسلام"[4].

وقال البغوي: " ﭽ ﯓ ﯔ ﯕﭼ دين الله، وهو نصب على الإغراء، أي: إلزم فطرة الله، ﭽﯖ ﯗ ﯘ ﯙﯚﭼ أي: خلق الناس عليها، وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة: الدين، وهو الإسلام. وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين. وهم الذين فطرهم الله على الإسلام, وقال: قوله: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﭼ فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه لا تبديل لدين الله، وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله, قال مجاهد، وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله، أي دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك"[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما قوله ﷺ: "**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**"[6]، فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﭽ ﭹ ﭺﭻ ﭼ الأعراف: ١٧٢. وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة. فإن حقيقة (الإسلام) أن يستسلم لله؛

---

للوقوف على أقوال العلماء وتفصيل حججهم ومناقشتها ينظر: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، ص: 65 – 172.

[2] ينظر جامع البيان 18/ـ 493، والدر المنثور للسيوطي 11/ 599 – 600.

[1] ولم أقف على من حكم على الأثر.

[2] ينظر جامع البيان 18/ 494 - 496.

[3] صحيح البخاري 3/ 275.

[4] فتح الباري, 4/ 182.

[5] معالم التنزيل 6/ 269 – 271.

[6] متفق عليه، وهو بهذا اللفظ عند البخاري 1/ـ 424 (ح: 1385).

لا لغيره وهو معنى لا إله إلا الله، وقد ضرب رسـول الله  مثل ذلك فقال: **"كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟"**، بين أن سـلامة القلب من النقص كسـلامة البـدن، وأن العيب حـادث طـارئ. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسـول الله  فيما يـروى عن الله: **"إني خلقت عبـادي حنفـاء فاجتالتهم الشـياطين، وحـرمتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمـرتْهم أن يشـركوا بي ما لم أنـزل به سلطانا"**[1]. ولهـذا ذهب الإمـام أحمد رضي الله عنه في المشـهور عنه: إلى أن الطفل مـتى مـات أحد أبويه الكافرَين حكم بإسلامه؛ لزوال المـوجب للتغيـير عن أصل الفطرة"[2].

وقـال العلامة ابن القيم رحمه اللـه: "وكـان رسـول الله  يوصي أصـحابه إذا أصـبحوا وإذا أمسـوا أن يقولـوا: **"أصـبحنا على فطـرة الإسـلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمـد، وملة أبينا إبـراهيم حنيفـاً مسـلماً وما كـان من المشـركين"**[3], وتأمل هـذه الألفاظ كيف جعل الفطرة للإسلام، فإنه فطرة الله الـتي فطر النـاس عليهـا، وكلمة الإخلاص هي: شـهادة أن لا إله إلا الله, والملة لإبراهيم فإنه صـاحب الملـة، وهي التوحيد وعبادة الله تعـالى وحـده لا شـريك لـه، ومحبته فـوق كل محبة. والـدين للنـبي , وهو دينه الكامل وشـرعه التـام الجامع لذلك كله"[4].

وقد حكى ابن عبد البر إجماع السلف على أن معـنى الفطـرة في هـذه الآية هو دين الإسـلام, وهو إجمـاع المفسرين من السـلف في تأويل الآية حيث قـال: "وقـال آخـرون الفطـرة ههنا الإسـلام، قـالوا: وهو المعـروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، قد أجمعوا في قـول

---

[1] رواه مسلم ص: 1176، (ح: 7207).
[2] مجموع الفتاوى لابن تيمية 4/ 245، جامع المسائل 5/ 253.
[3] رواه أحمد 24/ـ 77،  (ح: 15360). وصـححه الألبـاني في الصحيحة 6/ 1230.
[4] جلاء الأفهام لابن القيم ص: 304 – 305.

الله ﷻ: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الروم: ٣٠، على أن قالوا: فطـرة الله دين الله الإسـلام. واحتجـوا بقـول أبي هريـرة في هذا الحديث: اقرءوا إن شئتم: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الروم: ٣٠ . وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبـراهيم والضحاك وقتادة في قول الله عز و جل: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الروم: ٣٠، قالوا: دين الله الإسلام. ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ قالوا: لدين الله..."[1].

فذكر أن المفسرين من السلف أجمعوا على تفسـير الفطــرة في الآية بــدين الإســلام, واحتجــوا بحــديث أبي هريرة ﷺ، وحـديث عيـاض بن حمـار المجاشـعي رضي الله عنـه, وقـال ابن حجـر: "الآثـار المنقولة عن السـلف تـدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام"[2].

وقد نص جمع من أهل العلم على أن الفطـــــرة هي فطرة التوحيد، لأنه هو حقيقة الإسلام، قال الـرازي – عفا الله عنه -: "ثم قال الله تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﭼ أي الزم فطرة الله وهي التوحيد[3]، فــــإن الله فطر النــــاس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ الأعـراف: ١٧٢ فقالوا : بلى"[4].

وقال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "فـالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، محبة له، تعبده لا تشـرك به شـيئا، ولكن يفسـدها ما يـزين لها شـياطين الإنس والجن بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل"[5].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وهو سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته ومعرفتـــــه، وأصل عبادته محبته على آلائه ونعمه، وعلى كماله وجلاله، وذلك أمر فطـري؛ ابتـدأ

---

[1] التمهيد لابن عبد البر 18/ 72 – 76.

[2] فتح الباري, 4/ 184.

[3] هكذا نص على أن الفطرة هي التوحيـد، وإن كـان المعـروف عن المتكلمين أنهم لا يقصــــدون بالتوحيد – عند الإطلاق - توحيد الألوهيـــة، وإنما يقصـــدون به توحيد الأفعـــال الـــذي هو توحيد الربوبية، كما هو المعروف عندهم.

[4] تفسير الرازي 25/ 120 – 121.

[5] مجموع الفتاوى لابن تيميـة 14/ـ 296، وانظـر المصـدر نفسه 16/ 344، 10/ 135.

الله عليه خلقه، وهي فطرته التي فطر الناس عليهــا، كما فطرهم على الإقرار به كما قالت الرسل لأممهم: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ إبراهيم: ١٠، فالخلق مفطورون على معرفته وتوحيده، فلو خلـوا وهـذه الفطـرة لنشـأوا على معرفتـه، وعبادته وحده، وهذه الفطـرة أمر خلقي خلقـوا عليـه، ولا تبــديل لخلقــه. فمضى النــاس على هــذه الفطــرة قرونا عديدة، ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاســتقامة، بمنزلة ما يعــرض للبــدن الصــحيح والطبيعة الصحيحة، مما يوجب خروجهما عن الصحة إلى الانحراف، فأرسل رسله ترد الناس إلى فطرتهم الأولى التي فطـروا عليها"[1].

وقـال أيضـا: "والله سـبحانه خلق عبـاده حنفـاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطـرَهم لما نشــــؤوا إلا على التوحيد ولكن عــــرض لأكــــثر الفِطر ما غيّرها"[2].

فبين أن العبـاد مفطـورون على معرفة الله والإقـرار بربوبيتــه, وعلى توحيــده ومحبته وعبادته وحــده, وإخلاص الــدين لــه، وأنهم لو خلـوا وفطـرَهم لما نشـؤوا إلا على التوحيد.

وقـال الحافظ ابن كثـير رحمه اللـه: "يقـول تعـالى: فســدد وجهك واســتمر على الــذي شــرعه الله لــك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمـال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السـليمة، الـتي فطر الله الخلق عليهـــا، فإنه تعـــالى فطر خلقه على [معرفته وتوحيـده، وأنه لا إله غـيره، كما تقـدم عند قوله تعـالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ الأعـراف: ١٧٢، وفي الحــديث:"**إني خلقت عبــادي حنفــاء، فاجتــالتهم الشــياطين عن دينهم**"[3]، وســنذكر في الأحــاديث أن

---

[1] شفاء العليل لابن القيم ص: 493 ـ 494، وانظر أيضا شفاء العليل ص: 590 – 592،ــ مفتــاح دار الســعادة لابن القيم 2/ 1077 – 1079.

[2] حادي الأرواح 2/ 757، بدائع الفوائد 4/ 1591 – 1592.

[3] رواه مسلم في صحيحه ص: 1176، (ح: 7207).

الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طـرأ على بعضـهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية"[1].

فأشار –رحمه الله- إلى حديث أبي هريرة .

وقال الشيخ الشوكاني: "الفطرة في الأصل: الخلقة، والمراد بها هنا الملة، وهي الإسلام والتوحيد"[2].

---

(?)1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 313 – 314.

(?)2 فتح القدير للشوكاني 4/ 294.

**المطلب الثالث**: تهويد المولود وتنصيره وتمجيسه تغيير للفطرة:

قد بين النـــبي  أن كل مولـــود يولد على فطـــرة الإسـلام, وأن هـذه الفطـرة قد يفسـدها ما يغيرها وينقلها عن أصلها, وذلك بأسباب خارجية منهـا: تـزيين الشـيطان, وذلك بسبب الغفلة عن الحق وعن الحكمة التي خُلق من أجلها؛ وهي عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه. ومنها ما هو من فعل الأبـوين وما يقومـان به من تربية المولـود على الكفـــــــــــر، وذلك بتعليمه وتلقينه اليهودية[1] أو النصرانية[2], أو المجوسية[3]، فينشأ الإنسـان على الكفـر, ويـترك أصل الخلقة الـتي خُلق عليهـا، فعد النـبي  ذلك تغييرا للفطرة، والانتقال من الأصل - وهو فطـرة الإسـلام - إلى الكفر. لأنه عد النبي  التهويد والتنصـير والتمجيس، وذكر الأديان الفاسدة دون الإسلام، فدل على أن المنقول عنه هو الإسلام، فكان المولود يولد على الإسلام، وحقيقة الإســلام هو توحيد الألوهيــة، فــدل الحــديث على أن كل مولود يولد مفطورا على التوحيد[4].

---

[1] اليهودية: هي دين اليهود، وهم أمة موسى ، وكتابهم التوراة، وقد حرفوه. ورد ذكرهم في القرآن كثيرا، وهم فـرق، وأشـهرها: العنانيـة، والعيسـوية، والمقاربـة واليوذعانيـة، والسـامرة. (انظـر الملل والنحل للشهرستاني ص: 231 – 238).

[2] النصــرانية: هي دين النصــارى، وهم أمــة عيســى ، وكتــابهم الإنجيل وقد حرفـوه، ورد ذكـرهم في القـرآن كثـيرا، وهم فـرق، وأشــهرها: الملكانيــة، والنســطورية، واليعقوبية. (انظــر الملــل والنحل للشهرستاني ص: 241 – 247).

[3] المجوسية: وهي نسبة إلى مجوس، وهم عبدة النار، القـائلين بـأن للعـالم أصـلين؛ النـور والظلمـة، الأول قـديم أزلي، والثـاني محــدث. وقــد نشــأت المجوســية في بلاد الفــرس، وهم فــرق، وأشـهرها؛ الكيومرثيـة، والزروانيـة، والزردشـتية. (انظـر الملـل والنحل للشهرستاني ص: 257 – 260).

[4] درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 8/ 444. وينظر مجموع الفتاوى 4/ 243 ـ 244، شفاء العليل 587، وأحكام أهل الذمة كلاهما لابن القيم 2/ 1062.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفا بالله محبا له عابدا له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه كلها تغير فطرته التي فطره عليها وإن كانت بقضاء الله وقدره -كما يغير البدن بالجدع- ثم قد يعود إلى الفطرة إذا يسر الله تعالى لها من يسعى في إعادتها إلى الفطرة. والرسل صلى الله عليهم وسلم بعثوا لتقرير الفطرة وتكميلها، لا لتغيير الفطرة وتحويلها"[1].

فبين أن الفطرة تُغيّر وتنقل من أصلها، وذلك يكون من قبل الأبوين وغيرهما من بعد الولادة على فطرة الإسلام، كما تولد البهيمة جمعاء فتجدع بعد ذلك. وإذا غيرت الفطرة بتلقين المولود اليهودية والنصرانية والمجوسية انتقل من الإسلام، الذي هو أصله من حين ولادته، لأنه مولود على الفطرة.

وقال الباجي[2] رحمه الله: "قوله: "**فأبواه يهودانه أو ينصرانه**"، يريد أن أبويه هما اللذان يصرفانه عن الفطرة، وما خلق عليه من الإيمان إلى دين اليهودية والنصرانية. ويحتمل ذلك وجهين: **أحدهما**: أنهما يرغبانه في اليهودية أو النصرانية، ويحبِّبان ذلك إليه حتى يدخلانه فيه. **والثاني**: أن كونه تبعا لهما في الدين يوجب الحكم له بحكمهما، فيستن بسنتهما، ويعقد له عقد الذمة

---

[1] مجموع الفتاوى 10/ـ 135، وانظر طريق الهجرتين و باب السعادتين 1/ 303 – 306.

[2] سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، الأندلسي، القاضي أبو الوليد الباجي، الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، صاحب التصانيف. فقيه مالكي كبير، أصله من مدينة بطليوس، فتحول جده إلى باجة - بليدة بقرب إشبيلية – فولد بها 403 هـ، ونُسب إليها. رحل إلى الحجاز سنة 426 هـ فمكث ثلاثة أعوام. وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاما، وفي دمشق وحلب مدة. وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها، وتوفي بالمرية 474 هـ. (سير أعلام النبلاء 18/ 536، الأعلام 3/ 125).

بعقدهما له ويوارثهمـا، والـذي يقتضـيه هـذا الحـديث كونه تبعا لهما، وإن اختلفت أديانهما"[1].

فبين أن المولود ينقل عما خلق عليه من الإيمان إلى دين اليهودية والنصــرانية، وذلك أن دين الإســلام هو دين الفطرة.

وقــال العلامة ابن القيم رحمه الله عند بيــان أحكـام أطفـال المشــركين في الــدنيا، فــذكر أن الأبــوين "أحق بكفالته -أي الطفـــل- وتربيته من كل أحـــد، وكـــان من ضرورة ذلك أن ينشأ على دينهمــا، كما ينشأ على لغتهمــا. فــأبواه يهودانه وينصـرانه ويمجســانه، فــإن كانا موحــدين مسلمين ربياه على التوحيـد، فـاجتمع له الفطـرة الخلقية وتربية الأبوين. وإن كانا كافرين أخرجاه عن الفطرة الــتي فطره الله عليها بتعليمه الشـرك وتربيته عليـه، لما سـبق له في أم الكتاب"[2].

فــبين أن الأبــوين المســلمين يربيــان المولــود على التوحـــد، فـــوافقت التربيـــةُ الفطـــرةَ. وأما إذا كانا غـــير مســـلمَين فينقلانه عن الأصل إلى الكفر والشـــرك بالله تعالى.

وقال أيضا: "إن الله تعالى فطر عباده على الفطــرة المستقيمة، وهي ملة الإسلام كما ﭧ ﭨ ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ۇ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ الروم: ٣٠ - ٣١، ولهذا قال ﷺ: **"ما من مولود إلا يولد على الفطـــرة، فـــأبواه يهودانه أو ينصـــرانه أو يمجســانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعــاء، فهل تحســـون فيها من جـــدعاء حـــتى تكونـــوا أنتم تجدعونها؟"**، ثم قرأ أبو هريرة: ﭽ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ﭼ الروم: ٣٠ . فجمع عليه الصلاة والسلام بين الأمرين: تغيـير الفطـرة بالتهويد والتنصـير، وتغيـير الخلقة بالجـدع، وهما الأمــران اللــذان أخــبر إبليس أنه لابد أن يغيرهمــا، فغــير فطـرة الله بـالكفر وهو تغيـير الخلقة الـتي خلقـوا عليهـا، وغيّر الصورة بالجدع والبتك. فغـير الفطـرة إلى الشـرك،

---

[1] المنتقى للباجي 2/ 519 – 520.

[2] أحكام أهل الذمة لابن القيم 2/ 895.

والخلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الـروح، وهـذا تغيير خلقة الصورة"[1].

فدين الإسلام هو لازم الفطـرة ومقتضـاها وموجبهـا, وأن الفطـــــرة تســــتلزم محبة الله وإرادته والإنابة إليه والخضـــوع لـــه, بخلاف الأديـــان الفاســـدة من اليهودية والنصرانية والمجوسية, فإن الفطرة لا تستلزم شيئا منها, ولا تقتضـيه. فتغيـير الفطـرة هو نقل المولـود عن دين الإسـلام, فتهويد المولـود وتنصـيره وتمجيسه تغيـيره عن هـذه الفطـرة الـتي فطر الله النـاس عليهـا. فمقتضى الفطرة معرفة الله وحبه والخضوع له والإنابة إليـه, وذلك توحيده. وأنها لو تـركت على حالتها الأولى من غـير تغيـير لاختارت التوحيد والإيمان[2].

فتبين أن التهويد والتنصير والتمجيس الذي يكون من قبل الأبوين, وكذلك التغيير الذي يكون من قبل الشيطان, كل ذلك تغيير عن فطـرة الإسـلام الـتي فطر الله النـاس عليها, وهي دين الإسلام. فلذلك اقتصر النبي  في أحوال التبـديل على ملـل الكفـر دون ملـة الإسـلام، ولـو كـانت الفطرة هنا شيئاً غـير الإسـلام، لكـان الرسـول  قـد ذكـر الإسلام في جملة ما ذكر من الأديان التي تُفسِـد الفطـرة بالتحول إليها بفعل الأبـوين أو الشـياطين، ولقـال "فـأبواه يهودانـه أو ينصـرانه أو يمجسـانه أو يمسـلمانه" ولكنـه لم يذكره، لأنه الدين الذي تتغير الفطـرة بتحولهـا عنـه وليس بتحولهـــا إليه، فثبت أن الفطـــرة تـــدل على توحيد الله وإخلاص الدين له[3].

*******

---

[1] إغاثة اللهفان لابن القيم 1/ 185 – 186.

[2] انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم 592 – 593.

[3] انظر الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، ص: 141.

**المبحث الثاني: بيان أن توحيد الألوهية جزء من العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: إقرار الله لعباده بإثبات الربوبية:

قد أخذ الله ميثــاق التوحيد على جميع بــني آدم وهم في ظهـور آبـائهم، فأشـهدهم على أنفسـهم، وقـررهم بأنه ربهم المعبـود، فـأقرّوا له بالتوحيـد، ووقعت الشـهادة على ذلك. ﭧ ﭨ ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣.

ومما يدل على أن هذا الميثاق هو ميثاق توحيد الألوهية قوله تعالى: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ يس: ٦٠ – ٦١. قال أبو السعود رحمه الله في تفسـيره: "وقيـل: هو الميثـاق المـأخوذ عليهم حين أخرجـوا من ظهـور بـني آدم وأشـهدوا على أنفسـهم"[1]. وقال القاسمي رحمه الله: "وعهده تعالى إليهم هو ميثـاق الفطرة، كما قاله القاشاني"[2].

**اختلاف العلماء في المراد بالميثاق في الآية:**

قد اختلف العلمـاء في المـراد بالميثـاق في الآيـة على قولين:

**القـول الأول:** الميثـاق الـذي أخـذه الله من بـني آدم هو المعرفة الفطرية، وهم في أصــــلاب آبــــائهم, ولم يكن الاســتخراج من صــلب آدم عليــه الســلام، وذهب إلى هــذا بعض المحققين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وابن كثير، وابن أبي العز[3] وابن سعدي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللــه: "روي بالإســناد المــروي عن الحســين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحــوي عن عكرمة: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ البقرة: ١١٦، قال مقرون بالعبوديــة. قــال: وروى عن أبي مالك نحــوه. قلت: وهــذا إخبار عما فطروا عليه من الإقرار بأن الله ربهم كما قال: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ الأعــراف: ١٧٢ الآية. فــإن هــذه الآية بينة في إقــرارهم

[1] تفسير أبي السعود 7/ 175، وانظر فتح القدير 4/ 497.

[2] محاسن التأويل 13/ 5014.

[3] انظر شرح العقيدة الطحاوية 1/ 308.

وشـهادتهم على أنفسـهم بالمعرفة الـتي فطـروا عليها أن الله ربهم. وقـــــال ﷺ: [**كل مولـــــــود يولد على الفطرة**]"[1], فحمل شـيخ الإسـلام معـنى الآية والميثـاق الـذي أخـذه الله على بـني آدم على الفطـرة الـتي يولد عليها كل مولـود، وبين الأحـاديث الـتي جـاءت باسـتخراج ذرية آدم من صــلبه إنما هو ليريه الله ذريتــه، ويمــيز بين أهل الجنة وأهل النار منهم.

وقــال العلامة ابن القيم رحمه اللــه: "فالميثــاق الــذي أخذه سبحانه عليهم والإشهاد الذي أشهدهم على أنفسهم والإقرار الذي أقروا به هو الفطرة التي فطروا عليها، لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم ولا يذكره بل بما يشركون في معرفته والإقــرار به, وأيضا فإنه قال: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭽ الأعراف: ١٧٢، ولم يقل: "من آدم" ثم قال: ﭽ ﭬ ﭭﭼ، ولم يقل: "من ظهرهم"، ثم قال: ﭽ ﭮﭼ، ولم يقل: "ذريته" ثم قال: ﭽﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭼ، وهذا يقتضي إقرارهم بربوبيته إقرارا تقوم عليهم به الحجـة. وهـذا إنما هو الإقــرار الـذي احتج به عليهم على ألسنة رسله كقوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ إبراهيم: ١٠، وقوله: ﭽ ... ﭼ الزخرف: ٨٧، ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ لقمان: ٢٥، ﭽ ... ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ المؤمنون: ٨٤ – ٨٥، ونظائر ذلك كثيرة يحتج عليهم بما فطروا عليه من الإقرار بربهم وفـاطرهم، ويدعوهم بهـذا الإقـرار إلى عبادته وحـده، وألا يشـركوا به شـيئا هـذه طريقة القـرآن. ومن ذلك هـذه الآية الـتي في الأعراف وهي قوله: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭼ الأعراف: ١٧٢ الآية. ولهذا قال في آخرها: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﭼ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣، فاحتج عليهم بما أقــروا به من ربوبيته على بطلان شركهم وعبادة غيره، وألا يعتــذروا إما بالغفلة عن الحق وإما بالتقليد في الباطل. فإن الضلال له سببان: إما غفلة عن الحق، وإما تقليد أهل الضلال"[2].

---

[1] جامع الرسائل لابن تيمية، 1/ 11.

[2] أحكام أهل الذمة لابن القيم 2/ 948 – 950.

فحمل ابن القيم معنى هذه الآية على فطرة الإسلام التي فطر الله الناس عليها, بدليل أنه تعالى احتج عليهم بهذا الإقرار على شركهم, وهم لا يعرفون هذا الميثاق الذي أخذوه لما أخرجهم من صلب آدم, والله تعالى لا يحتج على الإنسان بما لا يعرفه لكمال رحمته وعدله. فدل على أن هذا الميثاق هو فطرة الإسلام, بدليل أن الله تعالى أرسل الرسل للتذكير به, لذلك احتج عليهم بهذا الميثاق على شركهم. وكذلك سياق الآية يدل على أنه غير ذاك الإخراج الذي كان من صلب آدم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه،...
جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره، ليكون حجة عليه"[1].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "يقول تعالى: ڇ ٿ ٽ ٹ ٺ ڤ ڦ ڨ ڨ ڦ ڇ الأعراف: ١٧٢ أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن, "و" حين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم "أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم" أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم, قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم, فكل أحد فهو مفطور على ذلك"[2].

فتبين أن أصحاب هذا القول يحملون معنى الآية على فطرة الإسلام التي خلق الله الناس عليها.

وقد احتج هؤلاء بأدلة منها:

1. عدم صحة الآثار التي تدل على أن الله استخرج ذرية آدم وأخذ عليهم الميثاق وهم كهيئة الذر.
2. أن سياق الآية لا يدل على ذلك، للوجوه الآتية:

---

[1] تفسير القرآن العظيم 3/ 500 – 506.

[2] تيسير كريم الرحمن ص 308.

**أحدها**: أنه قال: من بني آدم، ولم يقل: من آدم.
**الثاني**: أنه قـال: من ظهـورهم، ولم يقل: من ظهـره، وهذا بدل بعض، أو بدل اشتمال، وهو أحسن.
**الثالث**: أنه قال: ذرياتهم ولم يقل: ذريته.
**الرابع**: أنه قــال: وأشــهدهم على أنفســهم، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به، وهو إنما يذكر شــهادته بعد خروجه إلى هذه الدار لا يذكر شهادة قبله.
**الخـامس**: أنه ســبحانه أخــبر أن حكمة هــذا الإشــهاد إقامة للحجة عليهم، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﭽ ﭼ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الأعراف: ١٧٢، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعـالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ النساء: ١٦٥.
**السادس**: تذكيرهم بذلك، لئلا يقولوا يوم القيامة: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ الأعراف: ١٧٢، ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشــهادهم جميعا ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.
**السابع**: قوله تعالى: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الأعراف: ١٧٣، فذكر حكمتين في هذا الإشهاد؛ لئلا يدعوا الغفلـة، أو يـدعوا التقليـد، فالغافل لا شـعور لـه، والمقلد متبع في تقليـــده لغـــيره. ولا تـــترتب هاتـــان الحكمتـــــان إلا على ما قــــامت به الحجة من الرسل والفطرة.
**الثامن**: قوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الأعراف: ١٧٣، أي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم بمخالفة رسله وتكذيبهم، وقد أخـبر سـبحانه أنه لم يكن ليهلك القـــــرى بظلم وأهلها غــــافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل[(1)].

---

[1(?)] انظر درء تعارض العقل والنقل 8/ 482 ـ 491، وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم 2/ 949، 2/ 1006 ـ 1013، تفسير القرآن العظيم 3/ 506، شرح العقيدة الطحاوية 1/ 312 – 313، تيسير كريم الرحمن ص 308.

**والقول الثاني**: هو القول بأن الله تعـالى مسح على ظهر آدم فـــأخرج ذريته كلهم من صـــلبه كهيئة الـــذر وخـاطبهم، وأخذ عليهم العهد وميثـاق التوحيد بأنه ربهم المعبـود، فـأقروا بـذلك ووقعت الشـهادة عليهم, واحتج عليهم بما أقـروا به على شـركهم. وهـذا قـول جمهـور العلماء من الصـحابة والتـابعين وجمهـور المفسـرين[1], واحتجوا بالأحاديث والآثـار الـواردة في ذلـك, ومن ذلك حديث أنس وابن عباس رضي الله عنهما.

واستدل أصـحاب هـذا القـول بأدلـة، منها الأحاديث والآثـار العديدة التي وردت تفسِّر الآية وتبيّن معناها، فمنها:

1- ما روى أبو داود والترمــذي من حــديث مســلم بن يسار الجهـني، أن عمر بن الخطـاب، سئل عن هـذه الآية، ﭽ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭼ الأعراف: ١٧٢ قال: قرأ القعنـبي الآية فقـال عمر: سـمعت رسـول الله  سئل عنها، فقال رسـول الله : "**إن الله  خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هـؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملـون، ثم مسح ظهـره فاسـتخرج منه ذريـة، فقـال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**"، فقال رجل: يا رسـول اللـه، ففيم العمـل؟ فقـال رسـول الله : «**إن الله  إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمـال أهل الجنة فيدخله به الجنــة، وإذا خلق العبد للنــار اسـتعمله بعمل أهل النار حتى يمـوت على عمل من أعمـال أهل النار فيدخله به النار**"[2].

---

[1] انظر التمهيد لابن عبد البر 18/ـ 85،ـ 89،ـ معـالم التنزيل 2/ 211، 212، مفاتيح الغيب 15/ 50، الجامع لأحكام القرآن 9/ 376 – 377، فتح القدير2/ 374، فتحُ البيان في مقاصد القرآن للقنوجي 5/ 70، روح المعاني 9/ 103، العذب النمير 4/ 310 – 314.

[2] رواه مالك في الموطأ 5/ 1322، (ح: 3337)، وأخرجه أحمد 1/ 399، (ح: 311)، وأبو داود 5/ 54، (ح: 4703)، والترمذي 5/ 158, (ح: 3075)، والنسائي في "الكبرى" 10/ 101 - 102، (ح: 11126)، كلهم من طريق مالك. والحديث اختلف في ثبوته، وذلك

قال القرطبي[1] رحمه الله: "معنى هذا الحديث قد صح عن النبي  من وجوه ثابتة كثيرة"[2].

2- روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ، عن النبي  قال: "**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم؛ أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي**"[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال عياض: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ الأعراف: ١٧٢ الآية، فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوف به فهو الكافر. فمراد الحديث أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيت، إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك. ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب، والمعنى: أمرتك فلم تفعل. لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما

---

من أسباب الخلاف في المسألة. وقد صححه ابن حبان 14/ 37 – 38، (6166)، والحاكم في ثلاثة مواضع من "المستدرك" 1/ 80 (ح: 74)، و2 / 354 (ح: 3256)، و2/ 593 (ح: 4001)، ووافقه الذهبي في الموضعين الثاني والثالث، وخالفه في الموضع الأول فقال: فيه إرسال. وحسنه الترمذي. وقال ابن عبد البر: "معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ثابتة"، "التمهيد" 6 / 6. لذلك فأقل أحوال الحديث هو حسن أو صحيح لغيره.

[1] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين. صالح متعبد من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها 671 هـ. (انظر الأعلام للزركلي 5/ 322).

[2] الجامع لأحكام القرآن, 7/ 315.

[3] صحيح البخاري 2/ـ 452،ـ (ح: 3334)، وصحيح مسلم ص: 1158، (ح: 7083).

يريــــد"[1], والإرادة الـــواردة في الحـــديث هي إرادة شرعية[2].

3- روى الإمام أحمد عن سـعيد بن جبـير، من حـديث ابن عباس رضي الله عنهمـا، عن النـبي ﷺ قـال: **"أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فـأخرج من صـلبه كل ذرية ذرأها، فنـثرهم بين يديه كالـذر، ثم كلمهم قبلا، قال:** ﭽ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﭼ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣ [3].

4- روى الترمـذي من حـديث أبي هريـرة ، قـال: قـال رســـــول الله ﷺ: **"لما خلق الله آدم مسح ظهــــره، فسقط من ظهره كل نســمة هو خالقها من ذريته إلى يــوم القيامــة، وجعل بين عيــني كل إنســان منهم وبيصا من نور، ثم عرضـهم على آدم فقـال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فـرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيـه، فقـال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقـال له داود فقـال: رب كم جعلت عمـره؟ قـال: ستين سـنة، قـال: أي رب، زده من عمـري أربعين ســـنة، فلما قضي عمر آدم جـــاءه ملك المـــوت، فقـال: أولم يبق من عمـري أربعـون سـنة؟ قـال: أولم تعطها ابنك داود قــــال: فجحد آدم فجحـــدت ذريتـــه، ونسي آدم فنســـيت ذريتـــه، وخطئ آدم فخطئت ذريته"**[4].

5- روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب، في قول الله عز وجل: ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ﭼ الأعراف:

---

[1] فتح الباري لابن حجر 15/ 63.

[2] انظر فتح المجيد ص: 16.

[3] المسند 4/ 267، (ح: 2455)، قال الشيخ الأرناؤوط: "رجاله ثقـات رجـال الشـيخين غـير كلثـوم بن جـبر، فمن رجـال مسـلم، ووثقه أحمـد وابن معين، وذكـره ابن حبـان في "الثقـات"، وقـال النسـائي: ليس بـالقوي. ورجح الحافـظ ابن كثـير في "تفسـيره" 3/501 وقفه على ابن عباس".

[4] جامع الترمـذي 5/ـ 159، (ح: 3076)، وصـححه الألبـاني في صحيح سنن الترمذي 3/ 239.

١٧٢، قـال: "**جمعهم فجعلهم أرواحـا، ثم صـورهم فاسـتنطقهم فتكلمـوا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم، ألست بـربكم؟ قـال: فـإني أشـهد عليكم السـماوات السـبع والأرضـين السـبع، وأشـهد عليكم أبـاكم آدم أن تقولـوا يـوم القيامة: لم نعلم بهـذا، اعلمـوا أنه لا إله غـيري، ولا رب غـيري فلا تشـركوا بي شـيئا، وإني سأرسل إليكم رسـلي يـذكرونكم عهـدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قـالوا: شـهدنا بأنك ربنا وإلهنـا، لا رب لنا غـيرك، ولا إله لنا غـيرك فأقروا بذلك**"[1].

وقد تكلم أصحاب القـول الأول على هـذه الأحـاديث والآثار التي احتج بها أصحاب القول الثاني, وذكـروا أنه لم يصح حديث مرفوع في ذلك, وأن الصحيح من هـذه الآثـار إنما يـدل على إثبـات القـدر وتميـيز أهل الجنة من أهل النـار, لا على ما ذهب إليه أصـحاب القـول الثـاني, لعـدم دلالة سياق الآية عليه. وناقشوهم بـأن سـياق الآية لا يـدل عليـه, وأن الإقـرار بالربوبية أمر فطـري ضـروري ملازم للإنسـان, وأن ما احتج الله به عليهم على شـركهم هو ما فطـروا عليه من الإقـرار بالله ومحبته وتوحيـده, وأن الرسل جاؤوا فذكّروا الناس عن هذا الميثاق الذي نسوه.

ولكن يجـاب بـأن الأحـاديث الـواردة في تفسـير آية الميثـاق وبيـان المـراد منه قد بلغت حد التـواتر، كما قـال

---

[1] مسند الإمام أحمد: 35/ 155 - 156، (ح: 21232)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: 3/ 618 - 620, (ح: 991)، مستدرك الحاكم: 2/ 353، (ح: 3255). والحديث قال فيه الحـاكم: "هـذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الـذهبي. وقـال الألبـاني في رواية الإمام أحمد في تعليقه على "مشكاة المصابيح" (1/44): "سنده حسن موقوف, ولكنه في حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي". وقال محقق المسـند: "أثر ضـعيف، محمد بن يعقـوب الربالي -بالراء- روى عنه عبد الله بن أحمد وأبو زرعة الرازي، ولم يـؤثر توثيقه عن أحـد، وقـال الهيثمي عنه في "المجمع" 7/25: مستور". (المسند 35/ 156).

ابن عطية[1]: "تواترت الأحاديث في تفسير هــذه الآية عن النبي "[2].
وقال الشيخ الألباني رحمه الله: "تلقى ما اتفقت عليه من إخـــراج الذرية من ظهر آدم وإشـــهادهم على أنفســـهم، الســـلف الصـــالح من الصـــحابة والتـــابعين دون اختلاف بينهم"[3].
فـدلت هـذه النصـوص بمجموعها على أن الله أخـرج جميع بني آدم من صـلب أبيهم آدم عليه السـلام، وكلّمهم عيانا وهم على هيئة الـــذر، فعرفـــوه وأخذ عليهم العهد والميثـاق على أن يعبـدوه ولا يشـركوا به شـيئا، وأشـهد عليهم، وكتب مقاديرهم، ثم أعادهم حيث كـانوا، ولا تقـوم الساعة حـتى يولد كل من أخذ الميثـاق، مقـرا بالله عارفا به، مفطـورا على التوحيـد. وذلك أثر الميثـاق الـذي أخـذه بين يدي ربه. وأن الآثار المروية عن الصـحابة في ذلك لها حكم الرفع، لأنها مما لا يقال بالرأي، وهو من أمـور الغيب الذي لا يصدر الإخبار به إلا عن النبي [4].

**دلالة الميثاق على توحيد الألوهية:**

قد ثبت أن الله تعالى اسـتخرج ذرية آدم عليه السـلام، وأخذ الميثاق عليهم، وأقـروا له بالربوبيـة، وأن يعبـدوه ولا يشـركوا به شـيئا، ووقعت الشـهادة على ذلـك، فـدل ذلك على ميثاق توحيد الألوهية من جهتين:

**الأولى:** دلالة الآية على أن الله تعالى قرر عباده بإثبات ربوبيتــه، فهو يــدل على توحيد الألوهية بدلالة التلازم، لأن

---

[1] عبد الحق بن غـالب بن عبد الـرحمن بن عطية المحـاربي، أبو محمد الغرناطي، العلامة الكبير، البحر الأوحـد، المفسـر، الفقيـه، العالم بالأحكام والحديث، وله شعر. ولد سنة 481، وولي قضـاء المرية، وكان يكـثر الغـزوات في جيـوش الملثمين. وتـوفي سـنة 542 هـ، وقيل 541 و 546. له (المحـــرر الوجـــيز في تفســـير الكتــاب العزيــز). (انظر ســير أعلام النبلاء 20/ـ 133، الأعلام للزركلي (3/ 282).

[2] المحرر الوجيز 2/ 474.

[3] سلسلة الأحاديث الصحيحة 4/ 159.

[4] انظر ميثاق الإيمان للدكتور عيسى السعدي: (ص: 16 – 21).

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ويـدل عليـه. فكـان هذا الميثاق دليل على توحيد الألوهية.

**الثانيــــــة:** دلالة حـــــــديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين[1] على أن الله تعالى أراد من عباده أن يعبـدوه ولا يشـركوا به شـيئا وهم في صـلب آدم، وهـذا جـزء من الميثـاق الـذي دلت عليه الآية[2]، فتـبين أن الميثـاق الـذي أخذه الله من بني آدم يتضـمن الإقـرار لله بالربوبيـة، وأن يعبـدوه ولا يشـركون به شـيئا، فـدل الميثـاق على توحيد الألوهية.

*******

---

[1] صحيح البخاري (ح: 3334)، وصحيح مسلم (ح: 7083).

[2] انظر فتح الباري لابن حجر 15/ 63.

**المطلب الثاني**: الاحتجاج بشرك الآباء دليل على أن الميثاق هو توحيد الألوهية:

ميثـاق التوحيد الـذي أخـذه الله على جميع بـني آدم يكون حجة عليهم يوم القيامة، لذلك قطع عنهم العذر، لئلا يحتج المشـــركون بالنســيان والغفلـــة، أو بتقليد آبـــائهم واتباعهم على الشرك. قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ ﭼ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣، فذكّرهم الله تعالى في هذه الآية عن هـذا الميثـاق لئلا يحتجـوا بالنسـيان والغفلـة، أو بتقليد آبائهم واتباعهم على الشرك. فلما قطـع اللـه عنهم العـذر في الاحتجاج بتقليد الآباء في الشرك، دل على أن الميثاق الذي أخذه عليهم كان على توحيد الألوهية.

قال الواحدي[1]: "هذه الآية تـذكير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفـار إنا كنا عن هـــذا الميثـــاق غـــافلين لم نحفظه ولم نـــذكره. ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخـبر الله بـذلك على لسان صاحب المعجزة، وإذا صح ذلك بقـول الصـادق قـام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم، ثم قطع عذر الكفار بقوله: ﭽ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ﭼ، لا يستطيع أحد من الذرية الكافرة أن يقول يوم القيامة: إنما أشرك آباؤنا من قبلنا، ونقضوا العهد، ﭽ ژ ڑ ڑ کک ﭼ فاقتدينا بهم، ﭽ ک ک گ گ گ ﭼ الأعراف: ١٧٣، أفتعذبنا بما فعل المشركون المكـــذبون بالتوحيـــد؟ فلا يمكنهم أن يحتجـــوا بمثل هـــذا الكلام بعد تذكير الله بأخذ الميثـاق بالتوحيد على كل واحد من الذرية"[2].

---

[1] علي بن أحمد بن محمد بن علي النيســابوري ، أبو الحسن الواحـدي، مفسـر، عـالم بـالأدب، إمـام علمـاء التأويل، تلميذ أبي إسحاق الثعلبي. كان من أولاد التجار أصله من سـاوة (بين الـري وهمـــذان) ومولـــده ووفاته بنيســـابور 468 هـ. له "البســـيط" و"الوسـيط" و"الوجـيز" كلها في التفسـير، والواحـدي نسـبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة. (انظر سـير أعلام النبلاء18/ـ 339 – 342، شذرات الـذهب 5/ـ 291 – 292، والأعلام للـزركلي 4/ 255).

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد 2/ 426.

وقال البغوي: "قوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ، يقول: إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون: إنما أشـرك آباؤنا من قبل ونقضـوا العهد وكنا ذرية من بعــــدهم، أي كنا أتباعا لهم فاقتـــدينا بهم، فتجعلوا هذا عذرا لأنفسكم وتقولوا: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ الأعراف: ١٧٣، أفتعـذبنا بجناية آبائنا المبطلين، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثـاق على التوحيد"[1].

وقال ابن عطية: "المعنى في هذه الآيات أن الكفـرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتـان، إحـداهما كنا غـــافلين، والأخـــرى كنا تباعا لأســـلافنا فكيف نهلـــك، والــذنب إنما هو لمن طـرق لنا وأضــلنا فــوقعت شــهادة بعضــهم على بعض أو شــهادة الملائكة عليهم لتنقطع لهم هذه الحجج"[2].

فـدلت الآية على أن الله قطع عن المشـركين حجتهم في الاحتجــاج بشـــرك آبــائهم, وأقـــام عليهم الحجة على وجوب توحيده وإبطال الإشراك به في عبادته.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: "ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ ذكر لهم حجتين يدفعهما هذا الإشهاد:

إحداهما: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ فبين أن هذا علم فطـــــري ضـــــروري لا بد لكل بشر من معرفته وذلك يتضـمن حجة الله في إبطـال التعطيل وأن القـول بإثبـات الصانع علم فطري ضروري وهو حجة على نفي التعطيل.

والثاني: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ فهذا حجة لـدفع الشـرك كما أن الأول حجة لـدفع التعطيل فالتعطيل مثل كفر فرعون ونحـوه والشـرك مثل شـرك المشـركين من جميع الأمم, وقوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ وهم آباؤنا المشركون وتعاقبنا بذنوب غيرنا؟ وذلك لأنه قـدر أنهم لم يكونـوا عـارفين بـأن

---

[1] معالم التنزيل 3/ 300.

[2] المحرر الوجيز 2/ 476.

الله ربهم ووجـدوا آبـاءهم مشـركين وهم ذرية من بعـدهم ومقتضى الطبيعة العادية أن يحتذى الرجل حـذو أبيه حـتى في الصناعات والمساكن والملابس والمطـاعم إذ كـان هو الذي ربـاه ولهـذا كـان أبـواه يهودانه وينصـرانه ويمجسـانه ويشركانه فإذا كـان هـذا مقتضى العـادة الطبيعية ولم يكن في فطـــرتهم وعقـــولهم ما ينـــاقض ذلك قـــالوا : نحن معـــذورون وآباؤنا هم الـــذين أشـــركوا ونحن كنا ذرية لهم بعدهم اتبعناهم بموجب الطبيعة المعتادة ولم يكن عندنا ما يبين خطأهم فـإذا كـان في فطـرتهم ما شـهدوا به من أن الله وحده هو ربهم كان معهم ما يـبين بطلان هـذا الشـرك وهو التوحيد الـذي شـهدوا به على أنفسـهم فـإذا احتجـوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية كما قال صلى الله عليه و ســلم: [**كل مولــود يولد على الفطــرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**] فكانت الفطرة الموجبة للإســلام ســابقة للتربية الـتي يحتجـون بها وهـذا يقتضي أن نفس العقل الـذي به يعرفـون التوحيد حجة في بطلان الشرك لا يحتاج ذلك إلى رسول فإنه جعل ما تقـدم حجة عليهم بدون هذا. وهذا لا ينـاقض قوله تعـالى: ﭽ [illegible] ﭼ فإن الرسول يدعو إلى التوحيد لكن إن لم يكن في الفطـرة دليل عقلي يعلم به إثبـات الصـانع لم يكن في مجـرد الرسـالة حجة عليهم فهـذه الشـهادة على أنفسـهم الـتي تتضـمن إقـرارهم بـأن الله ربهم ومعـرفتهم بذلك وأن هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم به تقوم حجة الله تعالى في تصديق رسـله فلا يمكن أحـدا أن يقول يـوم القيامة : إني كنت عن هـذا غـافلا ولا أن الـذنب كان لأبي المشرك دوني لأنه عارف بـأن الله ربه لا شـريك له فلم يكن معذورا في التعطيل ولا الإشراك بل قام به ما يسـتحق به العـذاب ثم إن الله بكمـال رحمته وإحسـانه لا يعذب أحدا إلا بعد إرسـال رسـول إليهم وإن كـانوا فـاعلين لما يستحقون به الذم والعقاب"[1].

---

[1](?) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 8/ 490 ـ 491، وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم 2/ 1012 – 1013.

ما سبق يبين لنا أن الميثاق الذي أخذه الله على جميع بني آدم هو ميثاق توحيد الألوهيـة، لأن المشـركين يحتجـون بتقليد آبائهم في الشـرك كي لا يأخـذهم الله على شـركهم لنقضـهم ميثـاق توحيد الألوهيـة، فقطع عنهم العـذر وهـذه الحجة في هذه الآية.

فهذه الحجة التي قطعها الله بهـذه الآية تـدل على أن الميثـاق أخـذه على بـني آدم ميثـاق توحيد الألوهيـة، الـذي يكون حجة على كل من أشرك بالله تعالى بعد أخذ الميثاق على التوحيد وإرسال الرسل وإنزال الكتب للتذكير به.

*******

# الفصل الثاني

# دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: الإقرار بتفرد الله بالربوبية يقتضي إفراده بالألوهية,
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإقرار بتفرد الله بالخلق والملك والتدبير يقتضي إفراده بأنواع العبادة.
المطلب الثاني: الإقرار بتفرد الله بالإنعام والإحسان يقتضي إفراده بالعبادة.
المطلب الثالث: الإقرار بتفرد الله بجلب المنافع ودفع المضار يقتضي إفراده بالرجاء والخوف والرغبة والرهبة.

المبحث الثاني: الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية,
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإقرار بتوحيد الربوبية لا ينفع صاحبه بدون توحيد الألوهية.
المطلب الثاني: احتجاج الله تعالى على المشركين وتقريرهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية

**المبحث الأول: الإقرار بتفرد الله بالربوبية يقتضي إفراده بالألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: الإقرار بتفرد الله بالخلق والملك والتدبير يقتضي إفراده بأنواع العبادة:

إن الله تعـالى هو رب كل شـيء ومليكه وهو المتفـرد بالربوبية، تفرد بـالخلق والملك والتـدبير, هو الـذي خلق كل شيء، وله ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهما, فلا يخرج شيء من خلقه وملكه, وهو الذي يـدبر الأمـور كلهـا، وبيـده مقاليد كل شـيء، ويتصـرف في خلقه كيف يشـاء، يدبر أمورهم ويصرّفها حيث أراد, له القدرة التامة الشـاملة لجميع الخلائق والمشيئة النافذة في كل شيء.

والخلائق كلهم مـذلّلون لخلقه وملكه وتـدبيره، وهم خاضـعون تحت ملكه وقهـره وتصـريفه، ومنقـادون لحكمه وقدره، وهم تحت ربوبيته وهم عبيده ومماليكه، وكل الخلق مقرون بتفرد الله بالربوبية، ولم ينكر أحد ربوبية الله تعالى على خلقه أجمعين.

فـإذا كـان الله هو المتفــرد بـالخلق والملك والتــدبير اســتحق أن يكــون المتفــرد بالألوهيــة. وإذا خضع الخلق لربوبيته يلزمهم أن يخضعوا لألوهيته, لأن الخالق هو المالك لمن خلــق، والمالك له حق التصــرف في ملكه وما ملــك. وكل من كــــان في ملكه فهو عبد لــــه، والعبد لا بد له من طاعة ســيده. لــذلك يجب على العبــاد أن يخضــعوا لله ويستسـلموا لطاعتـه، ويطيعـوا أمـره، ويعبـدوه وحـده ولا يشركوا به شيئا. فلهذا كان الله يستدل على توحيد الربوبية بالاقرار بتوحيد الربوبية.

**تفرد الله بالخلق:**

إن الله تفرد بخلق الســموات والأرض وما بينهما من الجبال والأشجار والبحار والناس والجن والشـمس والقمر والنجــوم وغيرها من كل أصــناف المخلوقــات الجليلة

والدقيقة، ولم يشاركه أحد في خلق شيء من خلقـه، فهو الموجد من العدم من غير مثال سابق.

إن الله تعـالى هو المتفـرد بـالخلق، فلا خـالق غـيره، قال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ فاطر: ٣، والمعنى أي؛ لا خالق غير الله. فلا إله إلا هـو فيسـتحق أن يفـرد بالعبـادة. وهـو المتفـرد بعمـوم الخلق، فهو الذي خلق كل شـيء، فيجب أن يُعبد وحـده لا شريك له، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الأنعام: ١٠٢، وقال تعالى أيضا: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ غافر: ٦٢ . وله الخلق كله، فلا خالق إلا هو وحده، قال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ الأعراف: ٥٤. وهو الذي تفرد بخلق السموات والأرض، قال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ يونس: ٣. وهو الذي خلق السموات والأرض والإنسان والأنعام وكل دابة، قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ النحل: ٣ - ٥، وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ النور: ٤٥، وقال تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ يس: ٣٦. وهـو الـذي خلـق العبـاد وأعمـالهم، "خلـق كـل صـانع وصنعته" قال تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الصافات: ٩٦. وخلقه شامل لجميع المخلوقات، مـا علمناهـا ومـا لم نعلم، قـال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ النحل: ٨. وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الله هو المتفرد بخلق كل شيء.

في هــذه الآيــات إثبــات أن الله تعــالى هو المتفــرد بالخلق، هو خالق كل شيء، ولم يكن ثمت خـالق معـه. هو الــذي تفــرد بخلق الســموات والأرض، وخلق الإنس والجن والأنعــــام والجبــــال وجميع ما في الســـموات والأرض وما بينهما.

قال الواحدي: " الله سبحانه هو المتفـرد بـالخلق وهو قوله: ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الرعد: ١٦ "[1].

---

[1] الوجيز للواحدي ص: 568، وانظر الوسيط 3/ 12، 3/ 501،

وقال العلامة ابن القيم: " ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ القصص: ٦٨ ، أي سبحانه المتفرد بالخلق والاختيار مما خلق"(1).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الأنعام: ١٠٠: "ومعنى الآية: أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده؛ فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له"(2).

فتبين أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق، ولم يخلق معه أحد، وهذا معلوم بالضرورة لدى كل إنسان، فلم ينكر أحد تفرد الله بالخلق، ولم يدّع أحد أنه مشارك لله في الخلق والإيجاد، لذلك يستدل الله بذلك على تفرده بالألوهية واستحقاقه للعبادة، كما في قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ الرعد: ١٦.

قال ابن الجوزي: "أم جعلوا لله شركاء، قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئا"(3).

فتفرد الله بالخلق يدل على تفرد الله بالألوهية واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له.

قال ابن سعدي – رحمه الله – "فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد"(4).

---

(1) شفاء العليل ص: 68، وانظر زاد المعاد 1/ـ 39، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 251.

(2) تفسير القرآن العظيم 3/ 307، 4/ 556، 5/ 488، 6/ 201، الصواعق المرسلة 2/ 466.

(3) زاد المسير 2/ 490.

(4) تيسير الكريم الرحمن (ص: 889).

وقـال الشـيخ الأمين الشـنقيطي رحمه اللــه: "وذكر في مواضع كثيرة من كتابه أنه خلق الخلق ليـبين للنـاس كونه هو المعبود وحده، كقوله تعالى : ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼالبقرة: ١٦٣، ثم أقام البرهان على أنه إله واحد بقوله بعـــده: إن في خلق الســــماوات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى قوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼالبقرة: ١٦٤، ولما قال: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼالبقرة: ٢١، بين أن خلقهم برهان على أنه المعبود وحده بقوله بعده: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البقــرة: ٢١, والاســتدلال على أن المعبــود واحد بكونه هو الخالق - كثير جدا في القرآن"[1].

**تفرد الله بالملك:**

إن الله تعــالى هو المتفــرد بالملك كما أنه المتفــرد بالخلق، فالخلق كله ملك له، فله ملك الســموات والأرض وما فيهما وما بينهما من المخلوقـــات والموجــــودات، لم يشــاركه أحد في ملكه تعــالى، وقد تضــافرت الأدلة على ذلك، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼالملك: ١ .

2- وقال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼالمؤمنون: ٨٨ – ٨٩.

3- ومن كمال ملكه تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[آل عمران: ١٨٩ ]، وقال تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼالمائدة: ١٢٠ ، وقال تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [المائدة: ١٨ ].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼالبقرة: ٢٥٥. فإنكاره ونفيه أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه يتضمن كمـال ملكـه لمـا في السماوات وما في الأرض، وأنه ليس له شــريك،

[1] أضواء البيان 7/ 716 – 717.

فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه وقبل شفاعته كان مشاركا له إذ صارت شفاعته سببا لتحريك المشفوع إليه، بخلاف من لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإنه منفرد بالملك ليس له شريك بوجه من الوجوه"[1].

4- وهو مالك الناس والجن، قال تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الناس: ٢.

5- ومن كمال تفرده بالملك هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، وقال تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ البقرة: ٢٤٧ ، وقال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[آل عمران: ٢٦ ].

قال العلامة ابن القيم: "قال الله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ آل عمران: ٢٦، فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله وأنه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا غيره فالأول تفرده بالملك والثاني تفرده بالتصرف فيه"[2].

6- وهو الذي يتفرد بالملك يوم القيامة، فلا يملك الملك يومئذ إلا هو، قال تعالى: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ غافر: ١٦ ، وقال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الحج: ٥٦ ، ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الأنعام: ٧٣.

قال الطبري: " ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ غافر: ١٦ ، فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا"[3].

7- وعن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد: **أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على**

---

[1] الجواب الصحيح (3/ 210).

[2] شفاء العليل (ص: 359).

[3] جامع البيان (1/ 150)، وانظر زاد المسير في علم التفسير 3/ 68، محاسن التأويل (14/ 5160 - 5161).

**إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:** ﭽ [illegible] ﭼ الزمر: ٦٧ "[1].

8- وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلا بهما**" قال: قلنا: وما بهما؟ قال: "**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من [بعد كما يسمعه من] قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة**" قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟ قال: "**بالحسنات والسيئات**"[2].

9- وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "**ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر**"[3].

كل هذه النصوص تدل على أن الله تعالى هو المتفرد بالملك، لأن بيده ملك كل شيء. فإذا كان لله ملك كل شيء، فهو المانع المعطي، فهو الذي يعطي

---

[1] صحيح البخاري (6/ 126) صحيح مسلم (4/ 2147).

[2] مسند أحمد (25/ 432) وقال المحقق: "إسناده حسن، القاسم بن عبد الواحد المكي، سئل عنه أبو حاتم فقال: يكتب حديثه، ثم سئل: يحتج بحديثه؟ قال: يحتج بحديث سفيان، وشعبة. قلنا: وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال الذهبي: وثق".

[3] صحيح مسلم (1/ 522).

السـائلين، ويجيب الـداعين، ويـرزق من يشـاء ويعطي الملك من يشاء، فلا يُطلب إلا منه، ولا يُسـأل إلا إيـاه، ولا يُدعى إلا هو، فذلك يقتضي أن لا يُعبد إلا هو تعالى.

وفي كثير من الآيات يذكر الله تعـالى تفـرده بالملـك يستدل به على تفرده بالألوهية، ووجوب إفـراده بالعبـادة. قال تعالى: ﭽ ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ
ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ
الأعـراف: ١٥٨, في هذه الآية يـبين الله تعـالى تفـرده بالملك ويسـتدل به على تفـرده بالألوهية وأنه المسـتحق للعبـادة ولا إله سواه.

قـال الشـيخ عبد اللطيف بن عبد الـرحمن آل الشـيخ: "وتأمـل كيـف اسـتدل اللـه سـبحانه وتعـالى على توحيـد إلهيتـه، ووجوب عبادته وحـده لا شـريك لـه، بمـا أقـر بـه الخصـم واعترف به من توحيد ربوبيته، واستقلاله بالملك، والخلق، والتأثير، والتدبير. وهذه عادة القرآن دائما يعرج على هـذه الحجـة، لأنها من أكـبر الحجج، وأوضـحها، وأدلها على المقصود. "[1].

وقال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﭼ المؤمنـون: ١١٦, وفي هـذه الآية دليل على تفـرد الله بالألوهية وأنه لا إله غيره وأنه المسـتحق للعبـادة وحـده لا شـريك لـه، وذلك لأنه الملك الحـق. فتفـرده بالملـك، واتصـافه بـالعلو وصـفات الكمـال، دليـل على تفـرده بالألوهية، ووجوب عبادته وحده لا شريك له.

**تفرُّد الله بالتدبير:**

والله تعـالى هو المتفـرد بتـدبير الأمـور وبيـده مقاليد كل شـيء، فهو الخـالق المالك لخلقه المـدبر لـه، وهو القيوم القائم بنفسه المقيم لغـيره، وبه قـامت السـموات والأرض، وهو الـذي يـدبر أمـور الخلائق كلهـا، وهو الـذي يتولى رزقها وكل ما تحتاجه. فكل ما يجري في الكون هو الذي يدبره ينزل من السماء مـاء، ويـولج الليل في النهـار ويولج النهار في الليل، فـالمتفرد بتـدبير أمـور الخلائق هو

---

[1](?) تحفة الطالب والجليس (ص: 44).

المستحق لأن يذعن الخلق له ويخضع، ويتضرع إليه ويفرد بالعبادة والطاعة.

قال حافظ الحكمي: "وأنه الرب" أي: وإثبات ربوبيته بأنه رب كل شـــيء ومليكه, رب الأولين والآخـــرين رب المشرقين ورب المغـربين, رب السـموات والأرضـين وما بينهما, رب العـالمين رب الآخـرة والأولى, مالك الملك فلا شـريك له في ملكه, يـؤتي الملك من يشـاء ويـنزع الملك ممن يشـاء, ويعز من يشـاء ويـذل من يشـاء, ويهـدي من يشــاء ويضل من يشــاء, ويســعد من يشــاء ويشــقي من يشــاء, ويخفض من يشــاء ويرفع من يشــاء, ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء, ويصل من يشـاء ويقطع من يشـاء, ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء, يخلق ما يشــاء يهب لمن يشــاء إناثا ويهب لمن يشــاء الــذكور أو يـــزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشـــاء عقيما, إنه عليم قدير, يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل, ويخـرج الحي من الميت ويخــرج الميت من الحي, ويحــيي الأرض بعد موتها وســـخر الشـــمس والقمر كل يجـــري لأجل مسمى, يـدبر الأمر من السـماء إلى الأرض ثم يعـرج إليه في يوم كان مقداره ألف سـنة مما تعـدون, خلق فسـوى وقدر فهدى, وأضحك وأبكى, وأمات وأحيا, وخلق الزوجين الـذكر والأنـثى من نطفة إذا تمـنى, وأغـنى وأقـنى وأوجد وأفــنى, يبــدي ويعيد ويفعل ما يريد, رفع ســمك الســماء فســـواها وأغطش ليلها وأخـــرج ضـــحاها, وبسط الأرض ودحاها فراشا لعباده ومهـادا, ونصب الجبـال عليها أوتـادا, سخر الفلك تجـري في البحر بـأمره, ويمسك السـماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه, فالق الإصباح وجعل الليل سـكنا والشمس والقمر حسبانا, لا الشـمس ينبغي لها أن تـدرك القمر ولا الليل ســابق النهــار, وكل في فلك يســبحون, الذي أحسن كل شيء خلقه, وبدأ خلق الإنســان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه, وجعل لكم السـمع والأبصـار والأفئـدة قليلا ما تشكرون, خالق الكون وما فيه وجامع الناس ليـوم لا ريب فيه, مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج, وجعل

بينهما برزخا وحجـرا محجـورا, وأسـبغ على عبـاده نعمه الظاهرة والباطنة, وجعل الليل والنهـار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا, علم وألهم ودبر فأحكم وقضى فأبرم لا راد لقضـــائه ولا مضـــاد لأمـــره ولا معقب لحكمه, ولا شـريك له في ملكه ولا إله غـيره, ولا رب سـواه ما شـاء كان وما لم يشأ لم يكن, ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم"[1].

فهذا تفصيل في بيان تدبير الله تعالى للعالم العلـوي والسفلي، وأنه هو المتفرد بذلك.

والتدبير يشمل القضاء والقدر وتسيير نظـام الكـون، فكل ما قدره الله تعالى وقضـاه وينفـذه، وما ويجـري من تسيير نظام العالم العلوي والسفلي من تـدبير الله تعـالى للأمور.

قال تعالى: ﭽﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ السجدة 5.

قال مجاهد: " ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ، قال: يقضيه وحده"[2].

وقد بين الله تعالى في آيات كثـيرة في كتابه أنه المتفـرد بالتدبير، فلا أحد يشـاركه في تـدبير الأمـور، وفي القضـاء والقدر والتنفيذ، وتسيير نظام الكون. فهو الـذي يـدبر أمر الخلائق، ولا يعـــزب عنه مثقـــال ذرة في الأرض ولا في الســـموات، ولا يشـــغله شـــأن عن شـــأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين, ولا يلهيه تدبير الكبـير عن الصغير، في الجبال والبحار والعمران والقفار، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭼ هود 6، ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭼ الأنعام: 59 [3]. والأدلة في تفصيل بيان تدبير الله لأمـــور الخلائق كثـــيرة جـــدا، وقد أجمل ذلك في بعض الآيات، وهي:

---

[1] معارج القبول 1/ 130.

[2] جامع البيان 12/115، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حـاتم 6/ 1926.

[3] انظر تفسير القرآن العظيم 7/333.

1- قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﭼ يونس: ٣.

فالله تعالى بعد ما أخبر أنه الذي تفرد بخلق السموات والأرض وأنه مستو على العرش أخبر أنه هو الذي يدبر الأمور، وهو الذي يتولى تدبير أمور العالم العلوي والسفلي، ويقوم بتصريف أمور الخلائق كلها يقسم الرزق ويحيي ويميت ويهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السماوات السبع والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير، ثم استوى على عرشه مدبرا للأمور وقاضيا في خلقه ما أحب، لا يضاده في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل....

ﭽ ﮗ ﮘ ﭼ يقول: فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته، وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة. ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ يقول: أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج، فتنيبون إلى الإذعان بتوحيد ربكم وإفراده بالعبادة، وتجمعون الأنداد وتبرءون منها"[1].

فاستدل الله بتفرده بالتدبير على تفرده بالألوهية واستحقاقه للعبادة، لذلك أمر بعبادته وحده وتوحيده بذلك، لأن الإقرار بتفرده بالتدبير يستلزم عبادته وحده لا شريك له.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ
ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ
ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ يونس: ٣١ – ٣٢.

قال الطبري: " ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ وقل لهم: من يدبر أمر السماء والأرض وما فيهن وأمركم وأمر الخلق؟

---

[1] جامع البيان 12/ 113 – 114.

ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ يقول جل ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذي يفعل ذلك كله الله. ﭽ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ يقول: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئا ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا"[1].

فدلت الآية على أن الإقرار لله بالتفرد بالتدبير يستوجب توحيده بالعبادة، وعدم الشرك به.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الرعد: ٢ – ٤.

قال الطبري: "وقوله: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ يقول تعالى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها، ويدبر ذلك كله وحده، بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه"[2].

فدلت الآية على أن الله تعالى هو المتفرد بالتدبير وحده لا شريك له، ليس له ظهير ولا معين على ذلك.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ السجدة: ٤ – ٥.

دلت هذه الآية على أن الله تعالى هو المتفرد بالتدبير في الكون، يدبر أمر الخلائق، يحكم ويقضي من السماء إلى الأرض[3].

ومن تدبير الله أمر الخلق أنه يأمر الملائكة بتدبير أمر من أمور الخلائق بإذنه ومشيئته تعالى، لذلك أضاف التدبير

[1] جامع البيان 12/ 176، وانظر الوسيط للواحدي 2/ 547.

[2] جامع البيان 13/ 412، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 266.

[3] انظر جامع البيان 18/ 592، تفسير السمعاني 4/ 242.

إلى الملائكة، لأنه يوكّلهم بتـدبير أمر العـالم بإذنه وأمـره. وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ النازعات: 5.

قـال ابن القيم: "إن الله سـبحانه وكّـل بالعـالم العلـوي والسـفلي ملائكة – عليهم من الله أفضل الصـلاة والسـلام-, فهي تـدبر أمر العـالم بإذنه ومشـيئته وأمـره, فلهـذا يضـيف التـدبير إلى الملائكة تـارة - لكـونهم هم المباشرين للتدبير -, كقوله: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ النازعات: 5. ويضيف التدبير إليه كقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ, وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ يونس: 31. فهو المـدبر أمـرا وإذنا ومشـيئة, والملائكة المـدبرات مباشرة وامتثالا"[1].

فتبين أن إضـافة التـدبير إلى الملائكة من تـدبير الله تعـالى، لأن الله تعـالى كـان يوكل الملائكة بالقيـام ببعض الأعمـال الـتي يـأمرهم بهـا، وكل ذلك تحت تـدبيره وإذنه ومشيئته وقضائه وحكمه. فـدل ذلك على تمـام تفـرد الله تعالى بالتدبير من كل وجه.

فيتبين مما سبق أن تفـرد الله تعـالى بتـدبير أمـور العـالم العلـوي والسـفلي, دليل واضح على ربوبيته وعلى اسـتحقاقه للعبـادة, وأنه لا إله غـيره. لـذلك يسـتدل الله تعالى بتفرده بالتدبير على وجوب إفراده بالعبادة، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ يـونس: ٣، بعد ما قـرر تفـرده بالتـدبير أمر بعبادته وحـده. فيلـزم كل من أقر لله بتفـرده بالتـدبير والربوبية توحيـدُه بالألوهية وإفرادُه بالعبادة.

********

---

[1] إغاثة اللهفان, (2/847 ـ 848)، التبيان في أيمان القرآن ص: 214 – 216، 432 - 433.

**المطلب الثاني**: الإقرار بتفرد الله بالإنعام والإحسان يقتضي إفراده بالعبادة:

قد تقــرر في المطلب الســابق أن الله هو المتفــرد بالربوبيــة، ومن معـاني ربوبيته تفـرده بالتـدبير، ويتضـمن ذلك إسداء النعم إلى الخلق والإحسـان إليهم، فـدل ذلك على أن الله هو المتفرد بالإنعام والإحسان إلى عباده لأنه المتفرد بتدبير أمر الخلائـق. فإنعامه لهم والإحسـان إليهم يقتضي أن يحبوه ويشكروه ويفردوه بالعبادة الـتي خُلقـوا من أجلهـا، وأنعمـوا لتكـون النعم عونا على عبـادة المنعِم وطاعته، وذلك لتفرده بالإنعام إليهم.

وقد وردت أدلة كثــيرة تــدل على تفــرد الله تعــالى بالإنعام والإحسان إلى عباده، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: چ ۋ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح چ فاطر: ٢ – ٣.

2- وقوله تعالى: چ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ چ الأنعام: ١٤.

3- وقوله تعالى: چ ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم چ النحل: ٥٣ – ٥٤.

فــدلت هــذه الآية على تفــرد الله تعــالى بالإنعــام والإفضــال والإحســان إلى عبــاده، فهو الــذي يملك النعم كلها، وهو الذي يتفضل بها على عبـاده ويعطيها من يشاء من خلقـه. وكل نعمة تكـون للعبـاد من نفع أو دفع ضر فهو الذي يتفضل بها على عباده وحــده لا شريك له.

قــــال الطــــبري: "وتأويل الكلام: ما يكن بكم في أبـدانكم أيها النـاس من عافية وصـحة وسـلامة وفي أموالكم من نمـاء، فمن الله هو المنعم عليكم بــذلك لا غيره، لأن ذلك إليه وبيده چ ی ی ی ی چ يقول: إذا أصــابكم في أبــدانكم ســقم ومــرض وعلة عارضة وشدة من عيش، چ ئج ئح ئم چ يقـول: فـإلى الله

تصـــرخون بالـــدعاء وتســـتغيثون بـــه، ليكشف ذلك عنكم"[1].

قـال ابن سـعدي رحمـه الله مبينا دلالة هـذه الآيـات على توحيد الألوهية عند تفسيره للآيات: "يأمر تعالى بعبادته وحـــده لا شـــريك لـــه، ويســـتدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية فقال: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧﮨ ﭼ أي: تجعلون له شريكا في إلهيته، وهو ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها. فكما أنه الواحد في ذاته وأســمائه ونعوته وأفعالــه، فلْتُوَحِّدوه في عبادته، ولهذا قال: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ أي: خافوني وامتثلـوا أمـري، واجتنبـوا نهـيي من غـير أن تشـــركوا بي شـــيئا من المخلوقـــات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة...

والله المنفرد بالعطاء والإحسان ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ ظاهرة وباطنة ﭽ ﯛ ﯜ ﭼ لا أحد يشركه فيها، ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ من فقر ومرض وشدة ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ أي: تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشـدة إلا هـو، فالـذي انفـرد بإعطـائكم ما تحبـون، وصـرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحــده. ولكن كثـيرا من النـاس يظلمـون أنفسـهم، ويجحـدون نعمة الله عليهم إذا نجـاهم من الشــدة فصــاروا في حــال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة"[2].

فبين تعالى أنه المتفـرد بـالنعم، واسـتدل بـذلك على تفرده بالألوهية واستحقاقه للعبادة. فـدلت الآية على أن من بـراهين توحيد الألوهية كـون الله هو المتفـرد بالإنعــام والإحســان إلى العبــاد, لأنه المالك القــادر النافع الضـار المـانع المعطي الـرحيم بخلقـه. فجميع حياة الإنسـان مملـوءة بـالنعم الدنيوية والدينيـة؛ من رزق وإطعـام وصـحة الأبـدان وإنـزال المطر وهداية

---

[1] جامع البيان 14/ 251.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 442، وانظـر فتح الـرحيم الملـك العلام (ضمن مجمـوع مؤلفـات الشـيخ العلامـة عبـد الـرحمن بن ناصر السعدي 3/ 726 – 729).

وغير ذلك من النعم التي لا نستطيع إحصـائها، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ النحل: ١٨.

4- وقوله تعال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ النساء: ٧٩.

في هذه الآية بيان أن الحسنات من الله تعالى، وهي من النعم والإحسان الذي يتفضل به الله على عباده.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "ولما كـان الأمر كما أخبر الله به في قوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ النسـاء: ٧٩، أوجب هـذا: أن لا يطلب العبد الحسنات - والحسـنات تـدخل فيها كل نعمة - إلا من الله. وأن يعلم أنها من الله وحده فيستحق الله عليها الشكر الذي لا يستحقه غيره, ويعلم أنه لا إله إلا هو, كما قال تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ النحل: ٥٣، فهذا يوجب على العبد شكره وعبادته وحده, ثم قـال ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ النحل: ٥٣ وهذا إخبار عن حالهم والجؤار: يتضمن رفع الصوت, والإنسان إنما يجـأر إذا أصـابه الضـر, وأما في حـال النعمة: فهو سـاكن إما شاكرا وإما كفورا ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ, ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ النحل: ٥٤, وهذا المعنى قد ذكـره الله في غـير موضع يـذم من يشـرك به بعد كشف البلاء عنه وإسباغ النعماء عليه فيضيف العبد - بعد ذلك- الإنعـام إلى غـيره, ويعبد غـيره تعـالى, ويجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الروم: ٣٣"[1].

فـبين رحمـه اللـه أن تفـرد اللـه بـالنعم والإحسـان يستلزم طلبها من عنده وحده تعالى، فهذا مما يحمل العباد على سؤاله تعالى ودعائه والتضـرع إليـه طلبـا لإحسانه ونعمه، ثم يحبوه ويشكروه لما أعطـاهم من النعم الكثيرة والعطاء الجزيل. لأن الإحسان والإنعـام يوجب المحبة والشكر، فيعبدوه وحـده لا شـريك لـه.

---

[1] مجموع الفتاوى 14/ 369 – 370.

لذلك يذم الله الذين يشـركون بـه بعـد كشـف الضـر عنهم، لأن ذلك يستلزم إخلاص العبادة له تعالى.

5- وقال تعالى: ﭽ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ إبراهيم: ٣٤.

ولما كان الله هو المتفرد بالنعم وأن كل شيء بيـده، وهو المتفرد بـالرزق والرحمة جعل عبـاده محتـاجين إلى ربهم وخـــالقهم ورازقهم المنعم المحسن إليهم، فلا يسـتغنون عن رحمته طرفة عين. فهم محتـاجون إليه في معاشهم وفي كل شؤون حياتهم، فيسـتدعي ذلك دعـاءه وطلب الحـوائج منـه، وهو يـؤتيهم كل ما يسألونه.

قـال الشـيخ سـليمان آل الشـيخ: "فمن المنعم على الحقيقة سواه قال تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ النحــل: ٥٣ فالعبد لا خــروج له عن نعمة الله وفضــله ومنته وإحســــانه طرفة عين لا في الــــدنيا ولا في الآخــرة، ولهـذا ذم سـبحانه من آتـاه شـيئا من نعمه فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ القصص: ٧٨"[1].

6- روى مسلم عن أبي سعيد الخــدري وابن عبــاس رضي الله عنهم، قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قـال: "**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعـد، أهل الثنـاء والمجـد، أحق ما قـال العبـد، وكلنا لك عبـــد: اللهم لا مـــانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**"[2].

في هذا الحديث بيـان تفـرد الله تعـالى بـالنعم، فكل النعم والإحســان والفضل بيـــده، فلا يتصـــرف فيها غيره، لذلك إذا أعطى نعمة فلا مانع لها، وإذا منع فلا معطي لها، لأنه المتفرد بملكها والتصـرف وتـدبيرها، وذلك يستوجب شكره والإنابة إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لما كانت الحســنة من إحســانه تعــالى والمصــائب من نفس الإنســان -

---

[1] تيسير العزيز الحميد 2/ 1010.

[2] صحيح مسلم ص: 229، (ح: 1071، و 1072).

وإن كـانت بقضـاء الله وقـدره - وجب على العبد أن يشــكر ربه ســبحانه وأن يســتغفره من ذنوبــه, وألا يتوكل إلا عليه وحــده, فلا يــأتي بالحســنات إلا هو. فـــأوجب ذلك للعبد: توحيـــده والتوكل عليه وحـــده والشـكر له وحـده والاسـتغفار من الـذنوب. وهـذه الأمور كان النـبي ﷺ يجمعها في الصـلاة. كما ثبت عنه في الصــحيح؛ أنه ﷺ كــان إذا رفع رأسه من الركــوع يقـول: "**ربنا ولك الحمد ملء السـماء وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شــيء بعد أهل الثنـاء والمجـد, أحق ما قـال العبد وكلنا لك عبد**". فهذا حمد وهو شكر لله تعالى, وبيـان أن حمـده أحق ما قاله العبـد, ثم يقـول بعد ذلك "**اللهم لا مـانع لما أعطيت, ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**", وهـذا تحقيق لوحدانيته: لتوحيد الربوبيـة, خلقا وقدرا وبداية وهداية, هو المعطي المانع, لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منـــــــع، ولتوحيد الإلهية - شرعا وأمرا ونهيا - وهو أن العبـاد وإن كـانوا يعطـون ملكا وعظمة وبختا ورياسة في الظاهر أو في الباطن كأصحاب المكاشـفات والتصـرفات الخارقة {فلا ينفع ذا الجد منك الجد} أي لا ينجيه ولا يخلصه من سؤالك وحسابك حظه وعظمته وغنـاه, ولهـذا قـال {لا ينفعه منك} ولم يقل "لا ينفعه عنــــدك" فإنه لو قيل ذلك: أوهم أنه لا يتقرب به إليك لكن قد لا يضـره . فيقـول صاحب الجد: إذا سلمت من العـذاب في الآخـرة فما أبالي كالذين أوتوا النبـوة والملك لهم ملك في الـدنيا وهم من السـعداء فقد يظن ذو الجد -الـذي لم يعمل بطاعة الله من بعـده- أنه كـذلك, فقـال {ولا ينفع ذا الجد منك} ضمن "ينفع" معنى "ينجي ويخلص"فــبين أن جــده لا ينجيه من العــذاب, بل يسـتحق بذنوبه ما يســتحقه أمثاله ولا ينفعه جــده منــك, فلا ينجيه ولا يخلصه . فتضـمن هـذا الكلام تحقيق التوحيد وتحقيق قوله ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭼ وقوله ﭽﮕ ﮖ ﮗﭼ وقوله {عليه توكلت وإليه أنيب} وقوله: ﭽﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ

ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﭿالمزمل: ٨ - ٩. فقوله {لا مـــــــانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت} توحيد الربوبية الـذي يقتضي: أنه سـبحانه: هو الـذي يسـأل ويدعى ويتوكل عليه, وهو سـبب لتوحيد الإلهية ودليل عليه"[1].

فبين رحمه الله أن الإقرار بتفرد الله بالإنعام والإحسان يستوجب توحيد الله وحده بالعبادة، وذلك من وجهين:

1. كـون الله هو المتفـرد بالإنعـام يقتضي وجـوب دعائه وسؤاله وطلب النعم منه تعالى، وهذا من عبادته.
2. كونه المتفـــرد بالإنعـــام والإحســـان يقتضي محبته وشكره والثناء عليه، وذلك أيضا من عبادته.

فيتبين من هذا أن النعمة تتطلب الإقرار بها، ونسـبتها إلى الله تعالى المتفرد بها، وعبادة الله تعالى وحـده لا شـريك له، والإخلاص له والخضوع له شكرا له على هذه النعمة.

قـال الشـيخ سـليمان آل الشـيخ في كلامه على حـديث الثلاثة من بـني إسـرائيل؛ أبـرص، وأقـرع، وأعمى: "وهـذا حديث عظيم وفيه معتبر فإن الأولين جحـدا نعمة الله فما أقــرا لله بنعمته ولا نســبا النعمة إلى المنعم بهــا، ولا أديا حق الله فحل عليهما الســـخط, وأما الأعمى فـــاعترف بنعمة الله ونســـبها إلى من أنعم عليه بها وأدى حق الله فيها فاســتحق الرضى من الله بقيامه بشـــكر النعمة لما أتى بأركـان الشـكر الثلاثة الـتي لا يقـوم الشـكر إلا بهـا، وهي: الإقـرار بالنعمـة، ونسـبتها إلى المنعم، وبـذلها فيما يحب"[2].

كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "أصل الشكر هو الاعــتراف بإنعــام المنعم على وجه الخضــوع له والــذل والمحبــة، فمن لم يعــرف النعمة بل كــان جــاهلا بها لم يشــكرها. ومن عرفها ولم يعــرف المنعم بها لم يشــكرها أيضا. ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحـدها المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرهـــا. ومن عـــرف

---

[1] مجموع الفتاوى 14/ 375 - 377.

[2] تيسير العزيز الحميد 2/ 1090 ـ 1091، وانظر فتح المجيد ص: 391 – 392.

النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحـــدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ولم يــرض به وعنــه، لم يشــكره أيضــا. ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه واســـتعملها في محابه وطاعته فهـــذا هو الشاكر لهــا، فلا بد في الشــكر من علم القلب وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له"[1].

وبهذا يتبين أن الإقرار بتفرد الله بالإنعام يقتضي عبادته وحده، لأنه يستوجب دعاءه وسؤاله من فضله، والشكر له على النعم ومحبتـــــــه، فيحمل ذلك على طاعته وعبادته وحده لا شريك لــه, وما أســدى الله من النعم والحســنات يجعل عبـــاده يحبونه لأن القلـــوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمحبة هي أصل العبادة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وقد دل على وجوب محبته ســبحانه جميع كتبه المنزلــة، ودعــوة جميع رســله، وفطرته الـــتي فطر عبـــاده عليهـــا، وما ركب فيهم من العقول، وما أسبغ عليهم من النعم، فإن القلوب مفطـورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليهـــــا، فكيف بمن كـــان الإحســـان منـــه؟ وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﭽ □ □ ی ى ي ي □ □ □ □ □ □ ﭼالنحل: ٥٣"[2].

وقال الشيخ سليمان آل الشـيخ رحمه اللــه: "ولما كـان إنـزال الغيث من أعظم نعم الله وإحسـانه إلى عبـاده لما اشتمل عليه من منافعهم، فلا يستغنون عنه أبـدا كـان من شكره الواجب عليهم أن يضيفوه إلى البر الرحيم المنعم، ويشــكروه. فــإن النفــوس قد جبلت على حب من أحسن إليها والله تعـالى هو المحسن المنعم على الإطلاق، الـذي ما بالعباد من نعمة فمنه وحده كما قال تعالى: ﭽ □ □ ی ى ي ي ﭼ"[3].

فتبين لنا مما سبق أن الله هو المتفرد بالإنعام والإحســان إلى عباده، والإقــرار بــذلك يقتضي محبته وشــكره والثنــاء

---

[1] طريق الهجرتين 1/ 203.

[2] الداء والدواء ص: 533.

[3] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد 2/ 813.

عليه لما أنعم، ويســـتوجب دعـــاءه وطلب النعم منـــه. فيفـرده العبد بالمحبة والشـكر والـدعاء وطلب الحاجـات وجلب النفع ودفع الضر عنده وحده لا شريك له.

*******

**المطلب الثالث**: الإقرار بتفرد الله بجلب المنافع ودفع المضار يقتضي إفراده بالرجاء والخوف والرغبة والرهبة:

إن الله تعالى هو المتفرد بجلب المنـافع للعبـاد ودفع المضار عنهم، فهو النـافع الضـار، وهو الـذي يجلب لهم ما يكــون فيه صــلاحهم وفلاحهم في الــدنيا والآخــرة، وإذا أصابهم ضر يدفعه عنهم رحمة بهم وفضلا منــه، وذلك من معاني ربوبيته، لأنه المتفرد بالتدبير في خلقه كيف يشــاء، وبيده مقاليد كل شيء, وإذا أقر العبد بذلك يجعله لا يرجو أحدا سوى الله، ولا يخاف أحدا إلا الله لأنه النـافع الضـار، ويدعوه رغبة ورهبة لأنه المالك للنفع والضر وبيـده الخـير كلــه، وكل من يملك النفع والضر هو المســتحق للعبــادة دون غيره، لأن المعبود لا يد أن يكون مالكا للنفع والضر.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "كل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبـود لا بد أن يكـون مالكا للنفع والضـر, ولهـذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا, وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﭽ ى ې ې ﭼ يونس: ١٠٦, وقال: ﭽ ﭒ ه ﭼ يونس: ١٨, فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم. وهذا كثـير في القرآن يـبين تعـالى أن المعبـود لا بد أن يكـون مالكا للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم أن النـوعين متلازمـان فكل دعـاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة. وكل دعـاء مسـألة متضـمن لدعاء العبادة"[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ: "وقوله: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ يونس: ١٠٧, فإنه المتفــرد بالملك والقهر والعطــاء والمنع والضر والنفع دون كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكــون هو المــدعو وحــده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفــع، ولا يملك ذلك ولا شــيئا منه غــيره تعــالى، فهو المســتحق

---

[1] مجموع الفتاوى 15/ 10 ـ 11, وانظر بدائع الفوائد 3/ 835 ـ 836، درء تعارض العقل والنقل 7/ 391 – 394، مفتاح دار السعادة 3/ 1599 – 1600.

للعبادة وحده دون من لا يضر ولا ينفع, وقوله تعـالى: ﭽ ﮬ
ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ
ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼالزمر: ٣٨، وقال: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼفاطر:
٢، فهذا ما أخبر به الله تعـالى في كتابه من تفـرده بالإلهية والربوبية ونصب الأدلة على ذلك"[1].

وقد وردت أدلة كثـــيرة تـــدل على تفـــرد الله بجلب النفع ودفع الضر، منها ما أثبت الله على نفسه جلب النفع ودفع الضـــر، ومنها ما نفى الله فيها ذلك عن غــــيره من الآلهة المعبودة من دونه.

**أولا: الأدلة في حصر جلب النفع ودفع الضر في الله تعالى:**

إن الله تعـالى هو المتفـرد بجلب المنـافع ودفع المضـار، وقد جـاءت نصـوص تثبت ذلك لله تعـالى وتحصـره فيـه، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼالأنعام: ١٧.

قـال ابن القيم: "المخلـوق ليس عنـده للعبد نفع ولا ضر ولا منع ولا عطـاء، بل ربه سـبحانه الـذي خلقه ورزقه وبصـره وهـداه وأسـبغ عليه نعمه وتحبب إليه بها، مع غنـاه عنه ومع تبغض العبد إليه بالمعاصي مع فقره إليه، فـإذا مسه الله بضر فلا كاشف له إلا هـو، وإذا أصابه بنعمة فلا راد لها ولا مانع"[2].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼيونس: ١٠٧.

قال ابن كثير: "وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭼ إلى آخرها، بيـــان لأن الخـــير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعـالى وحـده لا يشـاركه في ذلك أحـد، فهو الذي يستحق العبادة وحده، لا شريك له"[3].

---

[1] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص: 137.

[2] طريق الهجرتين 1/ 125.

[3] تفسير القرآن العظيم 4/ 300،

قال ابن سعدي: "هـذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضــار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ"[1].

فـــبين أن تفـــرد الله بـــالنفع والضر من أعظم أدلة ألوهية الله تعالى، وأنه المستحق للعبادة دون سواه.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ الزمر: ٣٨.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ الأعراف: ١٨٨.

قــال الطــبري: "يقــول تعــالى ذكــره: قل يا محمد لمستعجليك وعيد الله، القائلين لك: متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ أيها القـــوم؛ أي لا أقـــدر لها على ضر ولا نفع في دنيا ولا دين إلا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه إليها بإذنه"[2].

5- وقوله تعالى: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الأنعام: ٤٦.

قال الطبري: "وهذا من الله تعــالى تعليم نبيه الحجة على المشــركين بــه، يقــول له: قل لهم: إن الــذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضـرا ولا نفعـا، وإنما يســتحق العبــادة عليكم من كــان بيــده الضر والنفع والقبض والبسط ، القـــادر على كل ما أراد لا العاجز الذي لا يقدر على شيء"[3].

6- ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الفتح: ١١.

7- ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ يس: ٢٣.

**ثانيــا: الأدلة في نفي جلب النفع ودفع الضر عن غــير الله من الآلهة المعبودة من دونه لتفرده بذلك:**

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 375.

[2] جامع البيان 12/ 189 – 190.

[3] جامع البيان 9/ 251.

قد جـاءت نصـوص كثـيرة ينفي الله فيها جلب النفع ودفع الضر عن غـــيره من الآلهة المعبـــودة ليــدل على بطلان عبادتهـــــا، وينكر على من يعبد من دونه ما لا يملك لعابديه نفعا ولا ضــرا، ليــدل عبــاده على أن النفع والضر بيد الله وحده، وأن الـذي لا يملك النفع والضر لا يسـتحق أن يكـون معبودا، فلـزم أن يكـون الله هو المسـتحق للعبـادة وحـده، لأنه المتفرد بالنفع والضر, ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ المائدة: ٧٦.

في هــــذه الآية ينكر الله على من يعبد غــــيره من الآلهة، ويبين أنه لا يستحق العبادة، لأنهم يعلمـون أنه لا يملك له نفعا ولا ضرا، فكيف يعبدونـه؟ وهـذا دليل على بطلان عبادته.

والآية تدل على تفرد الله بـالنفع والضـر، لأنه الـرب، الخالق المالك الذي بيده كل شـيء، فهو الـذي يملك النفع والضر، فيستحق العبادة.

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﭼ المائدة: ٧٦, زيادة في البيان وإقامة حجة عليهم؛ أي أنتم مقـــرون أن عيسى كـــان جنينا في بطن أمه، لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا، وإذ أقــررتم أن عيسى كان في حـال من الأحـوال لا يسـمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلها؟ ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ أي لم يزل سميعا عليما يملك الضر والنفع. ومن كـــانت هـــذه صــــفته فهو الإله على الحقيقة"[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ الرعد: ١٦.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الحج: ١٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قوله: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ هو نفي لكـون المـدعو المعبـود من دون الله

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 8/ 102، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص 240.

يملك نفعا أو ضرا وهـذا يتنـاول كل ما سـوى الله من الملائكة والبشر والجن والكـواكب والأوثـان كلها فإنما سـوى الله لا يملك لا لنفسه ولا لغـيره ضـرا ولا نفعا"[1].

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الفرقان: ٣.

قـال العلامة ابن القيم رحمه اللـه: "ولا يملك المخلـوق لنفسه ولا لغـيره ضـرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشـورا، بل الأمر كله للـه، ليس لأحد سـواه منه شيء"[2].

5- وقوله تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ الأنبياء: ٦٦.

6- وقوله تعالى: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ يونس: ١٠٦.

قال الطبري: "يقـول تعـالى ذكـره: ولا تـدع يا محمد من دون معبودك، وخالقك شـيئا لا ينفعك في الـدنيا، ولا في الآخـرة، ولا يضـرك في دين ولا دنيـا، يعـني بذلك الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبـدها راجيا نفعها أو خائفا ضـرها، فإنها لا تنفع ولا تضـر، فـإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﭼ يقول: من المشركين بالله ، الظالمي أنفسهم"[3].

فبين الله أن الضر والنفع كله بيده فهو المتفرد بهما، هو الذي يجلب للعبد نفعا ويدفع عنه ضرا بقضائه وقـدره، وهو الذي يسبب النفع والضر، وهو الذي يـأتي بالحسـنات ويدفع السـيئات، وكل هـذا يـدل أنه هو المعبـود الحق لأنه المتفضل على العبـاد. وأما المخلـوق فليس عنـده نفع ولا ضـر، ولا منع ولا عطـاء، بل الأمر كله بيد الله وحـده لا شريك له.

---

[1] مجموع الفتاوى 15/ 270.

[2] شفاء العليل ص: 535 ـ 536، جامع البيان 17/ 397، تيسير الكريم الرحمن ص: 577 – 578.

[3] جامع البيـان 12/ـ 304، وانظر تيسـير الكـريم الـرحمن ص: 375.

وفي هذه الآيات وأمثالها برهان جلي على استحقاق الله للعبادة وحده لا شريك له، وأنه الموصوف بالألوهية دون سواه، لأنه المتصف بالربوبية والمتفرد بالنفع والضر، وأنه المتصف بصفات الكمال، وأن المعبودات من دونه متصفة بصفات النقص، إذ لا تضر ولا تنفع فدل ذلك على تفرد الله بالألوهية كما تفرد بالنفع والضر، لأنه لا يكون المعبود إلها إلا المالك للنفع والضر[1].

وإذا أقر العبد بأن الله هو المتفرد بجلب المنافع ودفع الضر يقتضي ذلك أن يتوكل عليه ويستعين به ويلجأ إليه ويدعوه رغبة ورهبة لأنه النافع الضار. وذلك لأن العبد لا يملك النفع والضر لنفسه فضلا عن غيره، ولا يصل إليه نفع ولا يندفع عنه ضر إلا بإذن الله تعالى, ٹ ٹ چ
ھ ھ ھ ھ چ يونس: ٤٩.

فتبين مما سبق أن الإقرار بتفرد الله بجلب المنافع ودفع المضار يدل على استحقاق الله بالعبادة وأنه الإله الحق، لأن الإقرار بذلك يقتضي محبته ورجاءه ودعاءه وخوفه والتوكل عليه والاستعانة به والاستغاثة به وعبادته وحده لا شريك له. وأن ما يُعبد من دونه لا يستحق شيئا من العبادة، لأنه لا يملك نفعا ولا ضرا لنفسه ولا لغيره.

*******

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 64.

## المبحث الثاني: الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: الإقرار بتوحيد الربوبية لا ينفع صاحبه بدون توحيد الألوهية:

قد تقرر في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة أن التوحيد الذي ينفع في الدنيا والآخرة وينجي صاحبه من العذاب هو التوحيد المطلوب من العباد؛ وهو توحيد الألوهية والعبادة، المتضمن لتوحيد الربوبية. وأما الإقرار بتوحيد الربوبية الخالي من توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله، فلا ينفع العبد في دنياه وأخراه، إذ ليس هو وحده التوحيد الواجب المطلوب من العباد، بل هو بعضه وجزء منه، ومستلزم للتوحيد المطلوب؛ الذي هو توحيد الألوهية والعبادة، الذي أُرسلت الرسل للدعوة إليه. لذلك لا يكون إيمان العبد وتوحيده بالربوبية نافعا له ومنجيا له ومُسعدا له في الآخرة إلا إذا قرنه بتوحيد الألوهية، لأنه هو المنجي، وعليه يكون الثواب والعقاب.

وقد تظافرت عبارات العلماء وتنوعت في تقرير هذا الأصل وبيانه، وقرروا أن توحيد الربوبية لا يكفي في الإتيان بالتوحيد الواجب، العاصم للدم والمال، المنجي من العذاب. إذ ليس هو التوحيد المطلوب الذي جاءت به الرسل من عند الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية، وذلك متضمن لتوحيد الربوبية. كما قال كل منهم لقومه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الأعراف: ٥٩ وقال: ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الزخرف: ٤٥، وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنبياء: ٢٥، وقال: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ٣٦, وإلا فمجرد توحيد الربوبية قد كان المشركون يقرون به، وذلك وحده لا ينفع. وهؤلاء الذين يريدون تقرير الربوبية من أهل الكلام والفلسفة، يظنون أن هذا هو غاية التوحيد، كما يظن ذلك من يظنه من الصوفية الذين يظنون أن الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية, وهذا من أعظم ما وقع فيه هؤلاء وهؤلاء من الجهل بالتوحيد، الذي

بعث الله به الرسل وأنـزل به الكتب, فـإن هـذا التوحيد -الذي هو عندهم الغاية- قد كان مشركو العرب يقرون بـه، كما أخبر الله عنهم"[1].

فــبين أن توحيد الربوبية وحــده لا ينفع صــاحبه دون الإتيان بلازمه من توحيد الألوهية.

وقد جاءت نصوص كثيرة تثبت للمشركين الإيمان والإقرار بالربوبية، وتثبت لهم الشـرك والكفر بالله تعـالى، ما يـدل على أن إقرارهم بالربوبية وحده لم ينفعهم، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ يوسف: ١٠٦.

فـأثبت الله الإيمـان والشـرك لكفـار قـريش، ولكنّ الإيمـــان المُثبَت لهم هو إقـــرارهم لله بالربوبيـــة، والشـــرك المثبت لهم هو شـــركهم بالله في الألوهية والعبـادة. كما فسر بـذلك طائفة من السـلف؛ منهم ابن عبـــاس ومجاهد وعكرمة وقتـــادة وعطـــاء وابن زيد[2] بـــأن الإيمـــان المُثْبت في الآية هو التوحيد في الربوبيـــة، وأن الشـــرك هو في الألوهيـــة. فـــدل على أنهم ما زالــوا مشــركين الشــرك الأكــبر مع كــونهم موحدين في الربوبية، لذلك ما نفعهم هذا التوحيد مع هذا الشرك.

قـال ابن جريـر: "يقـول تعـالى ذكـره: وما يقر أكـثر هؤلاء الذين وصف ﷻ صفتهم بقوله: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ يوسف: ١٠٥ بالله، أنه خالقه ورازقه وخـالق كل شـيء، إلا وهم به مشـركون في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخـاذهم من دونه أربابـا، وزعمهم أنه له ولـدا، تعـالى الله عما يقولـون علـوا كبيرا"[3].

فبين أنهم يقرون لله بالربوبيـة، يؤمنـون بـأن الله هو خـالقهم ورازقهم ومع ذلك يشـركون به في الألوهية والعبــــادة، من حيث أنهم يتخـــــذون آلهة من دونه

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 9/ 344 – 345، تيسير العزيز الحميد 1/ 184 – 185.

[2] انظر جامع البيان للطبري 13/ 373 - 376.

[3] جامع البيان 13/ 372.

ويشــركون به في عبـادتهم الأوثـان والأصـنام. فـدل على أنهم ما زالوا مشركين بالله مع إقـرارهم به في الربوبية، وأنه لا ينفعهم هـذا الإقـرار مع الشـرك في الألوهية.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ العنكبوت: ٦١.

في هذه الآية بيان أن كفار قـريش يقـرون بـأن اللـه تعالى خالق السموات والأرض والشمس والقمر.

3- وقال تعالى: ﭽ ﭼ الزخرف: ٨٧.

وفي هذه الآية بيان أن كفار قريش يقـرون بـأن الله تعالى هو الذي خلقهم أنفسهم، فهم يقرون بـأن الله هو الخالق.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ المؤمنون: ٨٤ – ٨٩.

وفي هـذه الآيـات إثبـات أن المشـركين يقـرون بـأن اللـه تعـالى هـو المالـك للأرض ومن فيهـا، وهـو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو المالك له. ويقرون بأن الله هو رب السموات ورب العرش العظيم.

5- وقوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ يونس: ٣١.

وكذلك في هذه الآية يبين اللـه تعـالى أن المشـركين يقرون بأن الله تعـالى هـو المـدبر للأمـور؛ هـو الـذي يـرزق، ويخــرج الحي من الميت، ويخــرج الميت من الحي.

فتبين أن كفار قريش كانوا مقرين لله بالربوبيـة، لأن أصول الربوبية هي الخلق والملك والتدبير، وقـد ثبت أنهم مقرون بذلك، ومع ذلك حكم الله عليهم بالكفر، أحــل دمــاءهم وأمــوالهم، وحكم عليهم بــالخلود في النار، وقـاتلهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، لأنهم أشركوا بالله في العبادة.

توحيد الربوبية وحده لا ينفع صاحبه بدون توحيد الألوهية، وبيان ذلك من كلام أهل العلم من وجوه:

**أولا: توحيد الربوبية وحده لا يكفي:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق، وقرره أهل الكلام؛ فلا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم"[1].

وقال العلامة ابن القيم: "فأما توحيد الربوبية الذي أقر به كل المخلوقات فلا يكفي وحده، وإن كان لا بد منه، وهو حجة على من أنكر توحيد الألوهية. فحق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا. وحقهم عليه إذا فعلوا ذلك، أن لا يعذبهم وأن يكرمهم إذا قدموا عليه"[2].

فدل هذا على أن توحيد الربوبية ليس كافيا في الإتيان بالتوحيد المطلوب، فلا بد من الإتيان بلازمه وهو توحيد الألوهية، لأن الأول دليل على الثاني ومستلزم له وحجة على العباد في الإتيان به.

**ثانيا: توحيد الربوبية لا يجزئ:**

وقد أشار الإمام المقريزي إلى هذا المعنى، حيث ذكر عن المحققين أن قول العبد "لا رب إلا الله" بدل قوله "لا إله إلا الله" لا يجزئ، لأن حاصله توحيد الربوبية. وأن من أشرك في الألوهية فهو مشرك خالص وإن وحّد في الربوبية، فقال: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله. وإنما أنكروا توحيد الألوهية والمحبة، كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ البقرة: ١٦٥. فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين، كما قال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنعام: ١.

---

[1] مجموع الفتاوى 1/ 23.

[2] طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، 1/ 118، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 1/ 45، مدارج السالكين 5/ 3712 – 3713.

وقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليا، وحكما، وربا. فقال تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الأنعام: ١٤ وقال: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الأنعام: ١١٤, وقال: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الأنعام: ١٦٤, فلا ولي ولا حكم ولا رب إلا الله، الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته، ولو وحد ربوبيته. فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق، مؤمنها وكافرها. وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين. ولهذا كانت كلمة الإسلام "لا إله إلا الله". ولو قال:"لا رب إلا الله" لما أجزأه عند المحققين، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد".[1].

فبين أن توحيد الربوبية وحده دون توحيد الألوهية غير مجزئ في الإتيان بالتوحيد المطلوب من العبد.

**ثالثا: إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لم يخرجهم من الشرك:**

وكذلك الإمام الصنعاني قرّر أن إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لم يخرجهم من الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم غنيمة، وذلك لعدم إخلاصهم العبادة لله وحده، وهو توحيد الألوهية، فقال: "إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستعانة بالله وحده واللجوء إلى الله والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لا يكون إلا لله عز وجل. ومن فعل شيئا من ذلك لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غير ذلك فقد أشرك في العبادة. وصار من تفعل له هذه الأمور إله لعابديه، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرا أو قبرا أو جنيا أو حيا أو ميتا، وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابدا لذلك المخلوق مشركا بالله، وإن أقر بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم

---

[1] (?) تجريد التوحيد المفيد ص: 53 - 56.

وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم غنيمة، قال الله تعالى في الحديث القدسي: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك**[1]» لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه غيره.

وإذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم الأنداد من المخلوقين معه في العبادة ولا أغنى عنهم من الله شيئا وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم، ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين ولم يعتد بإقرارهم هذا، لأنه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة، فإن لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل، وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار فقالوا: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ الشعراء: ٩٧ – ٩٨, مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام، قال الله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ يوسف: ١٠٦، أي ما يقر أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السماوات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان"[2].

فبين أن المشركين بالله في توحيد الألوهية لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم الأنداد من المخلوقين معه في العبادة ولا أغنى عنهم من الله شيئا، فلم يعصموا به دماءهم وأموالهم، ولا ينجيهم من عذاب الله الأليم. وأن شركهم في الألوهية أبطل عليهم توحيدهم في الربوبية، وإقرارهم به لم يخرجهم من الشرك.

---

[1] أخرجه مسلم ص: 1225، (ح: 7475).
[2] تطهير الاعتقاد للصنعاني، ص: 201 – 204.

**رابعا: توحيد الربوبية وحده لا يُدخل في الإسلام:**

وتوحيد الربوبية وحده لا يُدخل في الإسلام، ولا يصير به العبد مؤمنا، إذ ليس هو معنى شهادة أن لا إله إلا اللـه، الكلمة التي يـدخل بها المـرء في الإسـلام، ولا هو التوحيد المطلوب المأمور به العبد.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: "فـإن اعـترف العبد أن الله ربه وخالقـه، وأنه مفتقر إليه محتـاج إليـه، عـرف العبودية المتعلقة بربوبية الله. وهـذا العبد يسـأل ربه فيتضـرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره، وقد يعصـيه، وقد يعبـده مع ذلك؛ وقد يعبد الشيطان والأصنام. ومثل هـذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة والنار، ولا يصـير بها الرجل مؤمنـا، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ يوسف: ١٠٦, فإن المشـركين كـانوا يقـرون أن الله خـالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره. ﭧ ﭨ ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ لقمان: ٢٥, وﭧ ﭨ ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﭼ المؤمنون: ٨٤ - ٨٥. إلى قوله: ﭽ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﭼ المؤمنون: ٨٩"[1].

وكذلك بيّن الشـيخ عبد الله بن عبد الـرحمن أبا بطين أن كفــار قــريش لم يُــدخلهم في الإســلام إقــرارُهم لله بالربوبية، إذ لا يُدخل في الإسـلام إلا توحيد الألوهيـة، الـذي هو معـنى شـهادة أن لا إله إلا اللـه، فقـال: "وليس المـراد بالتوحيد الذي دعت إليه رسل الله سبحانه توحيد الربوبية - كما ظنه من قل نصـيبه من العلم وخـوى عقله من الفهم - لأن الخلق مفطــورون ومجبولــون على الإقــرار بخــالقهم ورازقهم. فهؤلاء كفار قريش الذين امتنعوا من الدخول في دين الله جل جلالـه، وأنفقـوا جميع ما يملكـون من المـال والأولاد، والأنفس في سبيل صد الناس عن هذا الدين يقول الله تبارك وتعالى عنهم: ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﭼ المؤمنون: ٨٤ - ٨٩. وقال تعالىﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ يونس: ٣١ ، ففي هذه الآيات وغيرها الـدليل الصـريح على أن كفـار

[1] مجموع الفتاوى 10/ 156، الفتاوى الكبرى 5/ 160.

قريش مقرون بتوحيد الربوبية، ولكن هذا الإقرار بهذا النوع من التوحيد لم يدخلهم في الإسلام"[1].

**خامسا: من أقر بتوحيد الربوبية فقط لم يكن موحدا:**

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "إن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالي من الصـفات، ونزهه عن كل ما يـنزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء ــ لم يكن موحـدا، بل ولا مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحـده هو الإله المسـتحق للعبـادة، ويلـتزم بعبـادة الله وحـده لا شريك له, والإله هو بمعني المألوه المعبـود الـذي يسـتحق العبادة، ليس هو الإله بمعني القادر علي الخلق، فـإذا فسر المفسر الإله بمعني القـادر علي الاخـتراع، واعتقد أن هـذا أخص وصف الإلـه، وجعل إثبـات هـذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من المتكلمة الصـــفاتية، وهو الـــذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعـــه، لم يعرفـــوا حقيقة التوحيد الـذي بعث الله به رسـوله، فـإن مشـركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكـانوا مع هذا مشركين"."[2].

فبين أن من أقر بتوحيد الربوبية ليس موحـــدا لله ولا مؤمنا به حتى يخلص العبادة للـه، لأن توحيد الربوبية ليس هو الغاية، ولا هو المطلوب المأمور به العبد، ولا هو الـذي جاءت به الرسل للدعوة إليه.

---

[1] (?) دحض شـبهات على التوحيـد من سـوء الفهم لثلاثـة أحـاديث (ص: 13)، وانظر تيسير العزيز الحميد 1/ 120 – 122.

[2] (?) درء تعارض العقل والنقل1/ 225 ـ 228، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص: 13 – 14.

**سادسا: توحيد الربوبية وحده لا يُسعد صاحبه ولا يُدخله الجنة:**

ومما يـــــدل على أن توحيد الربوبية وحـــــده لا ينفع صاحبه هو كونه لا يُسعد صـاحبه ولا يُدخله الجنــة، لأن كل من مـات وهو يشـرك بالله شـيئا في الألوهية لا يغفر الله له، ولا يدخل الجنة ومأواه النار وإن أقر بتوحيد الربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما قول ذي النـون[1]: "إن كنت أيدت في علم الغيب بصدق التوحيد" فلا يراد به مجــرد الإقــرار بالربوبية العامة فــإن المشــركين كــانوا يوحدون هذا التوحيد، كما قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮬ ﮭﮮ ﭼ الزمر: ٣٨، وقال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ يوسـف: ١٠٦, قـالوا: إيمـانهم هو إيمـانهم بأنه خـالق كل شئ، وشـركهم أن عبـدوا معه إلها آخـر. وإنما أراد تحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الإلهيـــة، وهو أن يعبد الله وحـــده لايشرك به شيئا، فهذا التوحيد الذي جاءت به الرســل، هو يسعد صاحبه ويدخل الجنة، لا محالة له من دعـوة مجابـة. ومن فاته هـذا التوحيد فـإن الله لا يغفر أن يشـرك به فلا ينفعه الدعاء, وهذا هو التوحيد المذكور في قول المراغى: "صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد"[2].

فبين أن التوحيد الذي يُسعد صاحبه ويُدخله الجنة هو توحيد الألوهية.

---

[1] ذو النـون المصـري ثوبـان بن إبـراهيم الزاهـد، شـيخ الـديار المصرية، وقيل: فيض بن إبـراهيم النـوبي، الإخميمي. يكـنى: أبـا الفيض. ولـد في أواخــر أيـام المنصـور. روى عن مالـك، والليث، وابن لهيعـة، وفضـيل بن عيـاض، وسـلم الخـواص، وسـفيان بن عيينة، وطائفة. وعنه: أحمد بن صـبيح الفيـومي، وربيعة بن محمد الطــائي، والجنيد بن محمد الزاهــد، ومقــدام بن داود الرعيــني، وآخرون. قيل: إنه من موالي قـريش، وكـان أبـوه نوبيا. قـال ابن يونس: كان عالما، فصـيحا، حكيما. تـوفي: في ذي القعـدة، سـنة خمس وأربعين ومـائتين، وكـان من أبنـاء التسـعين. (سـير أعلام النبلاء ط الرسالة (11/ 532 – 533، 536)، وانظر أيضا: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (9/ـ 331 -ـ 332)، صفة الصـفوة (4/ 315)، طبقات الصوفية للسلمي (ص: 27).

[2] الاستقامة 1/ 179 – 180.

**سابعا: توحيد الربوبية وحـده لا ينجي صـاحبه من النـار والعذاب في الآخرة ولا يُقبل منه:**

وكـذلك أن توحيد الربوبية لا ينجي صـاحبه من النـار والعـذاب في الآخـرة ولا يُقبل منه إذا لم يقـترن بتوحيد الألوهية.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: "فـإقرار المشـرك بـأن الله رب كل شيء، ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله، إن لم يقترن به إقراره بأنه لا إله إلا الله، فلا يستحق العبـادة أحد إلا هو؛ وأن محمدا رسـول اللـه. فيجب تصـديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر"[1].

وقـال الإمـام الصـنعاني رحمه اللـه: "الحمد لله الـذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفـردوه بتوحيد العبـادة كل الإفراد، فلا يتخذون له نـدا، ولا يـدعون معه أحـدا، ولا يتكلـون إلا عليـه، ولا يفزعـون في كل حـال إلا إليـه، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى، ولا يتوصلون إليه بالشفعاء: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ البقرة: ٢٥٥ "[2].

فـبين أن توحيد الربوبية وحـده لا يُقبل من العبد ولا ينفعه بدون توحيد الألوهية.

**ثامنا: توحيد الربوبية وحده لا يعصم الدم والمال:**

توحيد الربوبية وحده ليس عاصـما للـدم والمـال، ولا يعصم الإنسانُ دمه وماله إلا بالإتيان بتوحيد الألوهية الـذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا اللـه، الكلمة الـتي يـدخل بها المرء في الإسلام.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة:"والمشـركون الـذين كفـرهم رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم - وقـاتلهم واسـتباح دماءهم وأموالهم من العرب، لم يكونوا يقولون: إن آلهتهم شاركت الله في خلق السماوات والأرض والعالم، بل كانوا يقرون بـأن الله وحـده خـالق السـماوات والأرض والعـالم، كما قال الله تعالى ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ لقمان: ٢٥، وقال تعالى: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ المؤمنون:

---

[1] مجموع الفتاوى 3/ 105.

[2] تطهير الاعتقاد ص: 187.

٨٤ - ٨٥ الآيات إلى قوله ﭽ  ﭼ المؤمنون: ٨٩ وقد قال تعالى: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭼ يوسف: ١٠٦. قال طائفة من السلف: يسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: اللــه، وهم يعبـدون غـيره. وإنما كـانت عبـادتهم إيـاهم أنهم يـدعونهم ويتخذونهم وسائط ووسائل وشـفعاء لهم، فمن سـلك هـذا السبيل فهو مشرك بحسب ما فيه من الشرك.

وهذا الشرك إذا قامت على الإنسان الحجة فيه ولم ينتــه، وجب قتله كقتل أمثاله من المشـــركين، ولم يــــدفن في مقابر المسلمين، ولم يصل عليه"[1].

فبين أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قاتل كفـار قـريش، واستحل دماءهم وأموالهم لشـركهم بالله في العبـادة، مع إقرارهم بتوحيد الربوبية.

وبهذا العرض لأقوال العلماء تبين لنا أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحـــده لا ينفع صـــاحبه، وأنه لا يكفي في الإتيـــان بالتوحيد المطلوب، ولا يُدخل في الإسـلام ولا يصـير الرجل به مؤمنـــا، ولا يُدخله الجنة ولا ينجيه من عـــذاب اللـــه، ولا يعصم به دمه ولا ماله حتى يأتي بتوحيد الألوهية. فتـــبين لنا أن توحيد الألوهية هو التوحيد الواجب المطلوب من العبــد، وأنه الـــذي ينفع صـــاحبه وينجيه من العـــذاب. وأن توحيد الربوبية حجة على العبــد، وهو مســتلزم لتوحيد الألوهيـــة، وأنه دليل عليـــه. وإذا كـــان توحيد الربوبية وحـــده لا ينفع صاحبه لزم الإتيان بالتوحيد النافع، المنجي من عذاب الله.

*********

---

[1] جامع المسـائل لابن تيميـة 3/ـ 150 – ـ 151، وانظـر تيسـير العزيز الحميد 1/ 120 – 122.

**المطلب الثاني**: احتجاج الله تعالى على المشركين وتقريرهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية:

لقد استدل الله تعالى على توحيـد الألوهيـة بـأنواع من الـدلائل، ومن ذلـك اسـتدلاله بتوحيـد الربوبيـة على توحيـد الألوهيـة، للتلازم الـذي بينهمـا، لأن الأول يـدل على الثـاني ويستلزمه؛ فإن من أقرّ بتوحيد الربوبية يستلزمه أن يقر لله بتوحيد الألوهية، ويخضع له في عبادته وطاعتـه، ويفـرده بهـا دون غيره.

ولـــذا احتج الله على المشـــركين بـــإقرارهم بتوحيد الربوبية على أن يوحدوه بالألوهية، ويخلصـوا العبـادة له لا شريك له.

قـــال المقريـــزي رحمـــه اللـــه: "فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد. ولهذا كان أصل {الله} الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصـحيح وهو قـول جمهـور أصـحابه، إلا من شذ منهم.

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله، وأنه المحبـوب لاجتمـاع صـفات االكمـال فيـه، كـان الله هو الاسم الجـامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكــره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعـالى عليهم بتوحيـدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته، كما قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ النمل: ٥٩ - ٦٠. وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﭼ فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كـانوا يتوقفـون في إثبـات توحيد الإلهية لا الربوبيـة، على أن منهم من أشـرك في الربوبية كما يـأتي بعد ذلك إن شــاء الله تعــالى. وبالجملة فهو تعــالى يحتج على منكـــري الإلهية بإثبـــاتهم الربوبية. والملك هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقا بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فإن الملك هو الآمر النـــاهي المعطى المـــانع الضـــار النـــافع المثيب المعاقب"[1].

---

[1] تجريد التوحيد المفيد ص: 56 – 57.

فبيّن أن الله احتج على المشركين بتوحيـدهم في الربوبية على إشـراكهم في الألوهيـة، لأن مقتضى كـون الله ربهم وخـالقهم هو أن لا يـتركهم سـدى فيـأمرهم وينهـاهم ، فتلزمهم طاعته وإفراده بالعبادة.

ويتكلم العلامة ابن القيم عن قوله تعالى: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الناس: ٣ ، فقـال: "فهو إلههم الحق ومعبـودهم الـذي لا إله لهم سواه، ولا معبـود لهم غـيره، فكما أنه وحـده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته، ولا في ملكه أحد فكـذلك هو وحـده إلاههم ومعبـودهم، فلا ينبغي أن يجعلـوا معه شـريكا في إلهيته كما لا شـريك معه في ربوبيته وملكـه. وهذه طريقة القـرآن الكـريم؛ يحتج عليهم بـإقرارهم بهـذا التوحيد على ما أنكـروه من توحيد الإلهية والعبـادة، وإذا كـان وحـده هو ربنا ومالكنا وإلهنـا، فلا مفـزع لنا في الشـدائد سـواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليـه، ولا معبـود لنا غـيره، فلا ينبغي أن يـدعى، ولا يخـاف ولا يـرجى ولا يحب سواه، ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه، لأن من ترجوه وتخافه وتـدعوه وتتوكل عليه إما أن يكـون مربيك والقيم بـأمورك ومتـولي شـأنك، وهو ربك فلا رب سـواه، أو تكـون مملوكه وعبـده الحـق، فهو ملك النـاس حقـا، وكلهم عبيـده ومماليكـه، أو يكـون معبـودك وإلهك الـذي لا تسـتغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك"[1].

فبيّن أن طريقة القرآن هو الاحتجاج على المشـركين بتوحيد الربوبية الـذي أقـروا به على توحيد الألوهية الـذي أنكـروه. فـإذا كـان الله وحـده هو الـرب المالك فيلزمنا الإقـرار بألوهيته كما أقررنا بربوبيتـه، فنعبـده وحـده لا شريك له.

وقال ابن سعدي رحمـه الله: "فمن أوضح أدلته – أي توحيد الألوهية - وأجلاها الاسـتدلال على ذلك بـاعتراف الخلق برهم وفاجرهم، إلا شرذمة ملحدة، معطلة للبـاري، فالخلق كلهم مسلمهم وكـافرهم قد اعـترفوا بـأن الله هو الخـالق وما سـواه مخلـوق، وهو الـرازق ومن سـواه

[1] بدائع الفوائد 2/ 779 – 781.

مرزوق، وهو المدبر وما سواه مصرف مــدبر، وهو المالك وما سواه مملوك. فهذا يدل أكبر دلالة على أنه لا يستحق العبادة سواه"[1].

وقال حافظ الحكمي: "وعباد الأوثان يقرون بها – أي الربوبية - لله عز وجل ويقرون بأن أوثـانهم الـتي يـدعون من دونه مخلوقة, لا تملك لأنفســها ولا لعابــديها ضــرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيـاة ولا نشـورا, ولا تسـمع ولا تبصر ولا تغـني عنهم شـيئا, ويقــرون أن الله هو المتفــرد بــالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصـرفات, ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شـيء, بل هو الخـالق وما عداه مخلوق, وهو الرب وما عداه مربــوب, غــير أنهم جعلــوا له من خلقه شــركاء ســووهم به في اســتحقاق العبادة، وأنكروا أن يكون تفرد بها, وقـالوا لمن قـال لهم: قولوا لا إله إلا الله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ص: ٥، فألزمهم الله تعـالى بما أقــروا به من التفــرد بالربوبية أن يعملــوا بمقتضى ذلك, ويلــتزموا لازمه من توحيد الإلهيــة، وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه كما أقروا بعجزهم، وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة"[2].

وكلام أهل العلم في تقرير هــذا النــوع من الــدلائل كثير. فلكــون المشــركين مقــرين بالربوبية كـان من منهج القرآن؛ يحتج الله تعالى عليهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، ويمكن تصنيف ما جاء في ذلك كالتالي:

**أولا: الاحتجــاج على المشــركين بــإقرارهم بتفــرد الله بالخلق على توحيد الألوهية:**

قد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم، يحتج الله تعــالى على المشركين بإقرارهم بأن الله هو الخالق وحده، الذي خلــق الســموات والأرض، وأنــه هــو الــذي يبــدأ الخلــق ثم يعيده، وأنه هو الذي يخلــق النـاس، يحتج عليهم بــإقرارهم بذلك على توحيده في العبادة، ومن ذلك:

---

[1] فتح الرحيم الملك العلام 3/ـ 725،ـ (ضمن مجمـوع مؤلفـات الشيخ السعدي).

[2] معارج القبول 2/ 499 – 501.

1- قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ لقمان: ٢٥.

2- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ يونس: ٣٤.

3- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ الزخرف: ٨٧.

4- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ الروم: ٤٠.

5- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ فاطر: ٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك "مشركو العرب" كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض؛ بل كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض وما بينهما، كما أخبر الله عنهم بذلك في غير آية"[1].

**ثانيا: الاحتجاج على المشركين بإقرارهم بتفرد الله بالملك على توحيد الألوهية:**

قد احتج الله تعالى على المشركين بإقرارهم له بالملك، وأن ملك كل شيء بيده، على توحيد الألوهية. فهم مقرون بأن له ملك السموات والأرض، وما بينهما وما فيهما، وأنه المالك وما سواه مملوك له، وهو الذي يملك النفع والضر، فاحتج الله عليهم بذلك على وجوب إفراده بالعبادة، وذلك في آيات كثيرة منها:

1- قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ المؤمنون: ٨٤ – 85.

2- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ المؤمنون: ٨6 – 87.

3- وقوله تعالى: ﴿ ... ﴾ المؤمنون: ٨8 – 89.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالأول: إقرارهم بأن الأرض وما فيها لله، والثاني: إقرارهم بأن السموات السبع والعرش العظيم لله، والثالث: إقرارهم بأن

---

[1] مجموع الفتاوى 7/ـ 75، وانظر أيضا: مجموع الفتاوى 8/ 101.

ملكوت جميع الأشياء بيده، وأنه الـذي يمنع المخلـوق وينصره، فيجيره من الضـرر والأذى، فيجـير على من يشـاء، ولا يجـير عليه أحـد، فـإذا أراد بأحد ضـررا لم يمنعه مــانع، وإذا رفع الضر عن أحد لم يســتطع أحد أن يضره. وفي كون ملكوت كل شيء بيده بيــان أنه هو المدبر النافع لـه، فهو الـذي يـأتي بالمنفعـة، وهو الذي يدفع المضرة"[1].

**ثالثا: الاحتجـاج على المشـركين بـإقرارهم بتفـرد اللـه بتدبير الأمور على توحيد الألوهية:**

ومما احتج الله به على المشـركين لإلـزامهم بتوحيـد الألوهية إقرارهم له بتفرده بتدبير الأمور. فهم مقرون بأنه هو الذي يـنزّل من السـماء مـاء ويـرزق عبـاده ويُطعمهم، ويحيي الأرض بعد موتها، ويخرج الحي من الميت، ويخـرج الميت من الحي، وهو الذي سخّر الشمس والقمر تجريان لمنـافع العبـاد، فـاحتج اللـه عليهم بـذلك على اسـتحقاقه للعبادة، ويظهر ذلك في الآيات الآتية:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﭼ يونس: ٣١ – ٣٢.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ العنكبوت: ٦٣.

3- قوله تعالى: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ سبأ: ٢٤.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الأنعام: ١٤.

5- وقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ العنكبوت: ٦١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإذا كانوا مقـرين بهـذا فهذا إقرار منهم بعمـوم ربوبيته وتـدبيره لكل شـيء، وهو أعظم من إقـرار القدرية والصـابئة والمتفلسـفة الطبيعية ونحوهم؛ ممن يجعل الـرب لبعض الكائنـات شيئا غير الله، وهو مع هـذا قد أخـبر أنهم مشـركون،

[1] بيان تلبيس الجهمية 4/ 534 ـ 535، وانظر أيضا: مجموع الفتاوى 11/ 682 – 683.

نزه نفسه عن شركهم، لكـونهم عبـدوا معه غـيره، لا لكونهم اعتقدوا أن للعالمين ربا معه"[1].

**رابعا: الاحتجاج على المشركين بـإقرارهم بتفـرد اللـه تعالى بكشف الضر على توحيد الألوهية:**

وقــد احتج اللــه على المشــركين على توحيــد الألوهيــة بإقرارهم بتفـرده تعـالى بكشـف الضـر، فهم مقـرون للـه تعـالى بأنـه الـذي يكشـف السـوء ويـدفع الضـر، ويجيب المضطر إذا دعاه، وينجي من العـذاب ومن ظلمـات الـبر والبحــر، فــاحتج اللــه عليهم بــذلك على وجــوب إفــراده بالعبـادة، وإبطـال عبـادة غـيره، ويظهـر ذلـك في الآيـات الآتية:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الأنعام: ٤٠ – ٤١.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الأنعام: ٦٣ – ٦٤.

3- ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ النمل: ٦٢.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: "وهـذا شـأن اسـتفهام الإنكـار، فإنه يتضـمن نفي المسـتفهم عنـه، والإنكـار على من أثبتـه. والقـوم كـانوا معـترفين بـذلك، لكن كانوا مع ذلك مشركين به الآلهة التي يعلمون أنها لم تفعل ذلك، فأنكر عليهم ذلك، وزجروا عنه، ومثل هذا في القرآن كثير"[2].

وقـال ابن القيم رحمــه اللــه: "يحتج عليهم بــأن من فعل لهم هـذا وحـده فهو الإله لهم وحـده. فـإن كـان معه رب فعل هـــذا فينبغي أن تعبـــدوه، وإن لم يكن معه رب فعل هذا فكيف تجعلون معه إلها آخر. ولهذا كان الصحيح من القولين في تقدير الآية: أإله مع الله

---

[1] بيان تلبيس الجهمية 4/ـ 535 ـ 536، وانظر أيضا: مجموع الفتاوى 11/ 682 – 683.

[2] بيان تلبيس الجهمية 4/ـ 537، وانظر أيضا: مجمـوع الفتـاوى 11/ 682 – 683.

فعل هـذا؟ حـتى يتم الـدليل فلا بد من الجـواب بلا، فإذا لم يكن معه إله فعل كفعله، فكيف تعبـدون آلهة أخرى سواه؟ فعُلم أن إلهية ما سواه باطلـة، كما أن ربوبية ما سواه باطلة بإقراركم وشهادتكم"[1].

وقال الشيخ عبد الـرحمن آل الشـيخ: "بيّن تعـالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علمـوا أنه لا يجيب المضـطر ويكشف السـوء إلا الله وحـده، فـذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه، ولهذا قال ﭽ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﭼ يعنى يفعل ذلك فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حـال الاضـطرار فلا يصـلح أن يجعلوها شـركاء لله الـذي يجيب المضـطر إذا دعـاه ويكشف السوء وحده...

فتأمل هذه الآيات يتـبين لك أن الله تعـالى احتج على المشـركين بما أقـروا به على ما جحـدوه؛ من قصر العبادة جمعيها عليه"[2].

**خامسـا: الاحتجـاج على المشـركين بـإقرارهم بخلـو آلهتهم عن صفات الربوبية على توحيد الألوهية:**

وقد احتج الله على المشـركين على توحيـد الألوهيـة بإقرارهم بخلـو آلهتهم عن صـفات الربوبيـة، فهم مقـرون بأن آلهتهم لم تخلق شـيئا، ولا تملـك شـيئا في السـموات والأرض، ولا تملك النفع والضـر، فـاحتج اللـه عليهم بـذلك على وجـوب إفـراده بالعبـادة، وإبطـال عبـادة الآلهـة من دونه، ويظهر ذلك في الآيات الآتية:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬﭼ النحل: ١٧.

2- وقوله تعالى: ﯜ ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ فاطر: ٤٠.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯿ             ﭼ لقمان: ١١.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ الرعد: ١٦.

---

[1] مدارج السالكين 2/ 1070، وانظر شرح العقيدة الطحاوية 1/ 36 – 37.

[2] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص: 140 – 141.

وقـــال الشـــيخ عبد الله بـــابطين رحمه الله بين أن "مشــركي العــرب الــذي بعث إليهم محمد  فــإنهم كلهم معترفون بأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تــدبر شــيئا من دون اللــه، ونصــوص القــرآن كثــيرة في ذلك...." [1].

فهذه النصوص المتقدمة صــريحة في أن المشــركين يعترفون بتوحيد الربوبية ويقرون بتفرد الله تعالى بــالخلق والملك والتــدبير، وأن آلهتهم ما يملكــون كشف الضر ولا يملكــون نفعا ولا ضــرا، وليس لهم من خصــائص الربوبية شيء، فلا يخلقــون شـيئا، فـاحتج الله تعـالى عليهم بـذلك على وجوب إفراده بالعبادة وإبطـال عبـادة آلهتهم. فصـار إيمــــانهم بتوحيد الربوبية وإقــــرارهم به حجة عليهم في إشــــراكهم في الألوهيــــة، لأن الأول دليل على الثــــاني ومسـتلزم لــه. فيلــزم كل من أقر لله بالربوبية أن يقر له بالألوهيــة، ويفــرده بالطاعــة، ويخلص العبـادة له وحــده لا شــريك لــه. فهــذا دليل واضح على اســتحقاق الله تعـالى للألوهية، فيعبد وحده لا شريك له.

*******

---

[1] تأسـيس التقـديس في كشـف تلـبيس داود بن جـرجيس ص: 46.

# الفصل الثالث

## دلالة توحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: تفرد الله تعالى بصفات الكمال يدل على استحقاقه للألوهية والعبادة.**

**وفيه ثلاثة مطالب:**
**المطلب الأول: الألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا.**
**المطلب الثاني: تفرد الله تعالى بصفات الكمال يقتضي محبته وإفراده بالعبادة.**
**المطلب الثالث: أمر الله بتوحيد الألوهية ودعوته إليه بذكر تفرده بالكمال.**

**المبحث الثاني: تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص يدل على استحقاقه للألوهية والعبادة.**

**وفيه مطلبان:**
**المطلب الأول: تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص يقتضي نفي الألوهية عن غيره.**
**المطلب الثاني: الإقرار بتنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص يقتضي تنزيهه عن كل ند وشريك في ألوهيته**

**تمهيد: بيان فطرية معرفة كمال الله تعالى:**

إن مما فطر الله عباده عليه معرفته تعالى والإقرار بكمال صفاته، وهذا أمر مركوز في الفطر، فلا ينكر معرفة الله تعالى وأنه موصوف بالكمال إلا الملحد المتظاهر بالجحود والإنكار، مع ثبوت ذلك واستقراره في قرارة نفسه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وإذا كانت الروح مفطورة على تأله فاطرها وخالقها وهي فقيرة إليه أعظم الافتقار من جهة كونه ربها وخالقها وممسكها وحافظها ومغذيها وطبيبها ومداويها، ومن جهة كونه إلهها ومحبوبها ومطلوبها وغاية مناها، فهي إلى معرفة هذا المطلوب ومعرفة كماله وجماله وأوصاف جلاله أشد شيء ضرورة، وكلما كانت معرفتها بذلك أوفر كانت محبتها له أقوى، ما لم يعقها عائق ويمنعها مانع من مرض يتعطل به أو تضعف عن نهوضها بالجد في طلب هذا المحبوب"[1].

ويذكر العلامة ابن القيم الأمور التي رُكزت في الفطر ثم جاءت الرسل بالتذكير بها وبيانها وتفصيلها، فيقول: "وهكذا باب التوحيد وإثبات الصفات فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه، ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق، خلافا لمن قال من المتكلمين أنه لم يقم دليل عقلي على تنزيهه عن النقائص وإنما علم بالإجماع.

قبحا لهاتيك العقول فإنها *** عقال على أصحابها ووبال

فليس في العقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص وجاءت الرسل بالتذكرة بهذه المعرفة وتفصيلها"[2].

فبين رحمه الله أن الإقرار بكمال الله تعالى وتنزيهه عن النقائص كان مستقرا في الفطر في الجملة، ومعرفة ذلك على التفصيل هو ما جاءت به الرسل. فدل هذا على أن

---

[1] الصواعق المرسلة 4/ 1355.

[2] شفاء العليل ص: 591.

الإقرار بكمال الله تعالى مستقر في فطر بني آدم، كمـا أن الإقرار بربوبيته وألوهيته مفطور في الفطر.

*******

**المبحث الأول: تفرد الله تعالى بصفات الكمال يدل على استحقاقه للألوهية والعبادة.وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: الألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا:

إن الله تفرد بصفات الكمال، لأن صفاته كلها صـفات كمال وحمد وثنـاء، لا نقص فيها ولا عيب. واسـتحق الحمد والثناء والمحبة والتعظيم لكمال صفاته، ولأنه المتفــرد بها دون غيره، لأنه له المثل الأعلى المتضـمن للصـفات العليا المسـتلزمة لتفـرد المتصف بهـا، ولـذلك اسـتحق الألوهية لكماله، لأن صفات الكمال هي المستلزمة للألوهية.

والألوهية صـفة لله تعـالى، وهي من أعظم خصـائص الرب تعالى، لأنه لا أحد يستحق الألوهية إلا هو تعالى، فلم يشــــاركه في هــــذا الوصف العظيم مشــــارك بوجه من الوجوه.

والألوهية صفة متضمَّنة في اسم الجلال "الله"، ومعناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال ابن جرير الطبري: "الله، فإنه على معـنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس: هو الذي يألهه كل شـيء، ويعبـده كل خلــق..." ثم روى بإســناده عن عبد الله بن عبــاس، قـــــــــــال: **"الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين"**[1].

ففي هذا التفسـير بيـان الوصف المتعلق بالله تعـالى من هذا الاسم الكريم، وهو الألوهية التي هي وصفه الدال عليه لفظ الجلال "الله".

وقال القرطـبي: "قولـه: "اللـه" هـذا الاسم أكـبر أسـمائه سبحانه وأجمعهـا، حـتى قـال بعض العلمـاء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، لـذلك لم يُثَنَّ ولم يُجمـع، وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ [مريم: ٦٥] ، أي من تسمى باسـمه الـذي هو "اللـه". فالله اسم للموجـود

---

[1] جامع البيان للطبري 1/ـ 121، وفي إسـناده بشـر بن عمـارة وهو ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه.

الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه"[1].

وصفات الإلهية هي جميع صفات الكمال، وصفات الجلال والعظمة والكبرياء، وصفات الملك والسلطان، وصفات الرحمة والامتنان. فعلى هذا كان اسم الجلال "الله" هو أصل أسماء الله الحسنى وأجمعها، وأن الصفة "الألوهية" المتضمنة فيه أصل صفات الكمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما الفناء الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، ومحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، فيتحقق بحقيقة قول لا إله إلا الله. وقد ثبت في الصحيح عن عثمان عن النبي  أنه قال: "**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**". وفي السنن عن معاذ عن النبي  أنه قال: "**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**", وهذا التوحيد يتضمن إثبات صفات الكمال لله، ونفي النقص، ونفي مماثلته لشيء من الأشياء، وإثبات خصائصه بالمحبة والعبادة والتعظيم ونحو ذلك, وإنما يتفاوت أهل العلم والإيمان بحسب تفاوتهم في تحقيق هذا التوحيد"[2].

وهذه الصفة هي أصل صفات الله تعالى وأعظمها وأجمعها، وأنها تضمنت جميع معاني أسماء الله وصفاته العليا. وذلك أن الألوهية لا تليق إلا لمن اجتمعت فيه صفات الكمال، وانتفى عنه صفات النقص والعيب.

قال ابن سعدي رحمه الله: "يؤله (الله تعالى) لأن له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنه المتفرد بالقيّومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علما وحكما وحكمة وإحسانا

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/ 157 ، وانظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى له، ص: 273، والمقصد الأسنى للغزالي ص: 60.

[2] الصفدية 2/ 340، وانظر أيضا 2/ 228..

ورحمة وقـدرة وعـزة وقهـرا، ويؤله لأنه المتفـرد بـالغنى المطلق التـام من جميع الوجـوه، كما أن ما سـواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجـاده وتـدبيره، مفتقر إليه في إمـداده ورزقـه، مفتقر إليه في حاجاته كلهـــا، مفتقر إليه في أعظم الحاجـــات وأشد الضـــرورات، وهي افتقـــاره إلى عبادته وحـــده والتأله له وحده"[1].

والله تعالى هو المتصف بصفات الكمال، المتفرد بالكمـال المطلق، والغنى المطلق، وأن له المثل الأعلى، والصفات العليـا، لأن له الأسـماء الحسـنى، وهي دالة على صـفات كمالـه، فهي مشـتقة من الصـفات، فهي أعلام وأوصـاف، لــذلك كــانت حســنى، أي بالغة في الحســن، لتضــمنها للمعـاني المختصة لله تعـالى [2]. فالألوهية تضـمنت هـذه المعـاني، وتسـتلزمها، وكلها تـدل على تفـرد الله تعـالى بالعبادة.

ويدل على أن "الألوهية" تتضمن جميع معـاني الأسـماء الحسنى والصفات العلى **أمور**:

**الأول: كـون اسم الجلال "اللـه" المشـتق من الألوهية هو الاسم الأعظم على الأرجح**:

قد رجح كثـير من العلمـاء أن اسم الجلال "اللـه" هو الاسم الأعظم، وهو مـذهب أكـثر أهل العلم، قـال الشـيخ السفاريني رحمه الله: "قال بعض الصوفية وغيرهم: اسم الله الأعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم كلها، وعند أكثر أهل العلم أنه لفظ الجلالة"[3].

فكــون اسم الجلالة "اللــه" هو الاسم الأعظم يــدل على أنه أصل الأسماء الحسنى، وأن الصفة المتضمنة فيه تتضمن جميع معاني صفات الكمال.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "{الله} علم على الرب تبارك وتعالى، يقـال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف

---

[1] انظر فتح الرحيم الملك العلام (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي 3/ 671).

[2] مدارج السالكين 1/ 236 – 237.

[3] لوامع الأنوار البهية للسفاريني 1/ 36.

بجميع الصفات، كما ٹ ٺ ﭽ ڳ ڱ ڲ ڻ ڼ ڽ ھ ۀ ہ ۂ
ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ
ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ
ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ الحشر: ٢٢ - ٢٤، فأجرى الأسماء
الباقية كلها صفات له"[1].

فاسم الجلالة "اللـــه" هو الاسم الأعظم ويـــدل على أنه أصل الأسماء كلها، فـترجع جميع معـاني بقية الأسـماء إليـه. فـدل ذلك على أن الألوهية تتضـمن جميع الأسـماء الحسنى والصفات العلى. وأنها تستلزمها وتدل عليها.

**الثـاني: تضـاف جميع الأسـماء إلى هـذا الاسم {اللـه} لتضمنه جميع الأسماء الحسـنى والصـفات العليا كلهـا، فيقال الرحمن الرحيم من أسماء اللـه، ولا يقـال: الله من أسماء الرحمن:**

قـال العلامة ابن القيم رحمه اللـه: "اسم "اللـه" دال على جميع الأسـماء الحسـنى والصـفات العليـا، بالـدلالات الثلاث. فإنه دال على إلهيته المتضـــمنة لثبـــوت صـــفات الإلهية لـــه، مع نفي أضـــدادها عنـــه. وصـــفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيـوب والنقائص. ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسـماء الحسـنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵﭼ الأعراف: ١٨٠، ويقال: الرحمن والرحيم والقـدوس والسـلام والعزيز والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ولا من أسـماء العزيز ونحو ذلـك. فعلم أن اسـمه {اللـه} مســـتلزم لجميع معـــاني الأســـماء الحســـنى، دال عليها بالإجمال. والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصـفات الإلهية الـــتي اشـــتق منها اسم اللـــه، واسم الله دال على كونه مألوها معبـــــودا، تألهه الخلائق محبة وتعظيما وخضـــــوعا وفزعا إليه في الحـوائج والنـوائب، وذلك مسـتلزم لكمـال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمـال الملك والحمـد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ

---

[1] تفسير القرآن العظيم 1/ 122.

يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله"[1].

فبين رحمه الله أن الاسم الجلال دال على الأسماء الحسنى والصفات العليا, وأنه يدل عليها ويتضمنها ويستلزمها، لأنه الأصل في الأسماء والصفات. وأن جميع الأسماء والصفات تفصيل وبيان لهذا الاسم العظيم. فعلى ذلك فجميع أسماء الله وصفاته تستلزم إفراده بالألوهية.

**الثالث: كون هذا الاسم هو الجامع لمعاني الأسماء والصفات**:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "أما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح؛ إن الله أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه، إلا من شذ منهم. وإن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى"[2].

وقال أيضا: "فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء، وهو مشهد جامع للأسماء والصفات. وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات. ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله، فإن هذا الاسم هو الجامع. ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ الأعراف: ١٨٠. فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها، وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته"[3].

وقال المقريزي: "فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد. ولهذا كان أصل "الله" الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه، إلا من شذ منهم. وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله، وأنه المحبوب لاجتماع

---

(?)[1] مدارج السالكين 1/ 236 – 237.

(?)[2] بدائع الفوائد 2/ 782.

(?)[3] طريق الهجرتين 1/ 92 – 93.

صــفات الكمــال فيه كــان الله هو الاسم الجــامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا"[1].

فتبين من هذا أن اسم "الله" الذي أصله الإله، هو الجـامع لجميع الأسماء والصفات، ويسـتلزم أن صـفة الألوهية هي الجامعة لجميع صفات الله العليا، متضمنة لهــا، لأن الإسم مشتق منها، فهي جامعة لمعانيهــا، إذ صـفات الألوهية هي صفات الكمال كلها.

[1] تجريد التوحيد المفيد ص: 56 – 57.

**الرابع: إن صفات الألوهية تستلزم صفات الكمال**:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والإلـه: هو المـألوه الـذي تألهه القلـوب. وكونه يسـتحق الإلهية مسـتلزم لصـفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبـودا محبوبا لذاته إلا هـو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبـادة غـيره وحب غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى: ﭽ ﯘ □ □ □ □ ﯙ ﯚﯛ ﭼ الأنبياء: ٢٢"[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "إن الإله هو المستحق لصفات الكمال، المنعوت بنعـوت الجلال، وهو الـذي تألهه القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء"[2].

وقال أيضـا: "والتحقيق أن صـفات الـرب جل جلاله داخلة في مسمى اسمه، فليس اسمه الله والرب والإله أسـماء لذات مجردة لا صفة لها ألبتة، فإن هـذه الـذات المجـردة وجودها مستحيل، وإنما يفرضها الذهن فـرض الممتنعـات، ثم يحكم عليهـا. واسم الله سـبحانه والـرب والإله اسم لـذات لها جميع صـفات الكمـال، ونعـوت الجلال، كـالعلم والقدرة والحياة والإرادة والكلام والسـمع والبصر والبقـاء والقدم وسائر الكمال الـذي يسـتحقه الله لذاتـه. فصـفاته داخلة في مسمى اسمه"[3].

وكل هذا يبين أن اسـم "اللـه" مسـتلزم لصـفات الكمـال، فلما كان الله متصفا بصـفات الألوهيـة يسـتلزم أن يكـون متصفا بصفات الكمال من الحيـاة والقيوميـة، وهمـا أصـلا صفات الذات والفعل، وصفات الربوبية والعظمـة والجلال والجبروت والكبرياء، وصـفات الملـك والقهـر والسـلطان، وصفات الإحسان والبر والرحمة، وصفات الأحدية والتفـرد والتـنزه عن المثـل والشـريك، والتـنزه عن النقـائص والعيـوب. لأن اللـه تعـالى إنمـا يُعبـد ويُؤلـه لتفـرده بهـذه الصفات، فكونه متصفا بالألوهية يستلزم كونه متصفا بهذه

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم 2/ 855 – 856.

[2] شفاء العليل ص: 285 – 286.

[3] مـدارج السـالكين 5/ـ 3646 –ـ 3647، وانظـر الصـفدية 2/ 228.

الصفات، إذ هي صـفات الكمـال. ولا يسـتحق الألوهيـة إلا من كان متصفا بصفات الكمال.

**الخامس: الاسم "الله" يتضمن جميع المحامد التي هي صفات الكمال:**

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية رحمه اللــه: "واســمه "اللـــه" تضــمن جميع المحامـــد، فإنه يتضـــمن الإلهية المستلزمة لذلك، فإذا قيل "لا إله إلا اللـه" تضـمنت هـذه الكلمة إثبـات جميع المحامـد، وأنه ليس له فيها نظـير، إذ هو إله لا إله إلا هــو. والشــرك كله إثبــات نظــير لله عز وجــل، ولهــذا يســبح نفسه ويعاليها عن الشــرك في مثل قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ المؤمنون: ٩١ - ٩٢. وقـ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ الأنبياء: ٢١ - ٢٢. فإن الشرك قول هو وصف، وعمل هو قصـد، فـنزه نفسه عما يصفون بالقول والاعتقاد، وعن أن يعبد معه غيره.

وأعظم آية في القرآن آية الكرسي، أولها: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ البقرة: ٢٥٥. فقوله "الله" هو اسمه المتضمن لجميع المحامد وصفات الكمال، وقوله "لا إله إلا هو" نفي للنظراء والأمثـال. وكـذلك أول الكلمـات العشر الـتي في التـــوراة: "يا إســـرائيل! أنا الله لا إله إلا أنـــا"، جمع بين الإثبـات ونفي الشـريك، فالإثبـات لـرد التعطيـل، والتوحيد لنفي الشرك.

وهكـــذا التحميد والتوحيـــد، فالتحميد متضـــمن إثبـــات ما يستحقه من المحامد المتضـمنة لصـفات الكمـال، وهو رد للتعطيــل، والتوحيد رد للشــرك، والتحميد يتضــمن إثبـات أسمائه الحسـنى، وكلها محامد لـه، وهو يتضـمن ذكر آياته وآلائه، فإنه محمـود على آلائه كلهـا، وآياته كلها من آلائـه، كما قد بسط في مواضـع. فهو محمـود على كل ما خلـق، له الحمد ملء الســـــماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شـاء من شـيء بعد ذلـك، فله الحمد حمـدا يملأ جميع ما خلقه، ويملأ ما شـاء خاصة بعد ذلـك، إذ كـان كل مخلوق هو محمود عليه، بل هو مسبح بحمده، كما ﮢ ﮣ ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الإسراء: ٤٤.

والتوحيد يقتضي نفي كل ند ومثل ونظـــير، وهو كمـــال التحميد وتحقيقه ذاك إثباته بغاية الكمــــال ونفي النقص، وهذا نفي أن يكون له مثل أو ند"[1].

فبين رحمه الله أن اسم "الله" يتضمن جميع المحامد، إذ إن المستحق للألوهية هو المتفرد بجميع صفات الكمـال، وكلها صفات ثنـاء وحمـد ومـدح. وتفـرد اللـه بالألوهيـة هـو أعظم حمــد ومــدح على الإطلاق، لأن ذلــك يتضــمن نفي الشريك والند والمثل والكفؤ عن الله تبارك وتعالى. ولذلك كانت كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" هي الكلمة العليا، وخير ما يثنى به على الله ويحمد. قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: **"خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنـا والنـبيون من قبلي؛ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهـو على كـل شـيء قـدير"**[2]. وكمـا في حـديث الاسـم الأعظم؛ أن رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك أنى أشهد أنك أنت اللــه لا إله إلا أنت الأحد الصمد الـذي لم يلـد ولم يولـد ولم يكن له كفوا أحد. فقال «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**»[3].

فــدل على أن هــذه الكلمة هي أعظم المحامــد، وأفضل الثنـاء على اللـه، وذلك لتضـمنها لصـفة الألوهية الـتي هي الجامعة لجميع المحامد وصفات الكمال.

وممـا سـبق يتـبين أن الاسـم "اللـه" هـو أصـل الأسـماء الحسـنى والصـفات العليـا، وهــو جـامع لهـا متضـمن لهـا ومسـتلزمة لهـا. فـدل على صـفة الألوهيـة المشـتق منهـا، المتضمنة فيه هي أصل الأسماء الحسـنى والصـفات العلى،

---

[1] جامع المسائل لابن تيمية 3/ 288 – 289.

[2] رواه أحمد في المسند 11/ـ 548، (ح: 6961)، والترمـذي 5/ 541، (ح: 3585)، وحسنه الألباني في صحيح سـنن الترمـذي 3/ 471 – 472.

[3] رواه أحمـد في المسـند 38/ـ 64ـ (22965)، أبـو داوود 2/ 113، (ح: 1493)، والترمـذي 5/ـ 462، (ح: 3475)، والنسـائي في "الكبرى" 7/ـ 126، (ح: 7619)، وابن ماجـه 2/ـ 1267، (ح: 3857)، عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (الأم) 5/ 229 – 230.

والمتضمنة لها، والمستلزمة لها. فيدل ذلك على أن كل اسم من الأسماء الحسنى، وكل صفة من الصفات العليا تدل على تفرد الله تعالى بالألوهية، وأنه المستحق أن يعبد وحده، وأن يلجأ إليه، ويقصد في الحوائج، وأن ينزه عن الشريك والند، وذلك لتفرده بصفات الكمال والجلال والجمال. فكما أنه المتفرد بصفات العظمة والكبرياء والملك والسلطان والغنى المطلق، كذلك هو المتفرد بالألوهية والعبودية، فلا يعبد غيره، ولا يؤله سواه.

وقد لخص ابن سعدي رحمه الله هذه المعاني في قوله: "الله، هذا الاسم الجليل الجميل هو أعظم الأسماء الحسنى، بل قيل: إنه الاسم الأعظم. ولهذا تضاف جميع الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم ويوصف بها، فيقال: الرحمن، الرحيم، الخالق، الرازق، العزيز، الحكيم، إلى آخرها من أسماء الله. ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، الرحيم، إلى آخرها.

فمعنى {الله} كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين"، فجمع -رضي الله عنه- في هذا التفسير بين الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم الكريم، وهو الألوهية التي هي وصفه الدال عليها لفظ الله، كما دل على العلم الذي هو وصفه لفظ العليم، وكما دل على العزة التي هي وصفه لفظ العزيز، وكما دل على الحكمة التي هي وصفه لفظ الحكيم، وكما دل على الرحمة التي هي وصفه لفظ الرحيم، وغيرها من الأسماء الدالة على ما قام بالذات من مدلول صفاتها.

فكذلك الله هو ذو الألوهية، والألوهية التي هي وصفه هي الوصف العظيم الذي استحق أن يكون به إلها، بل استحق أن لا يشاركه في هذا الوصف العظيم مشارك بوجه من الوجوه. وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والامتنان. فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يؤله ويعبد لأجلها، فيؤله لأن له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنه المتفرد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة والباطنة

إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علما وحكما وحكمة وإحسانا ورحمة وقدرة وعزة وقهرا، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتأله له وحده. فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، وبهذا احتج من قال: إن الله هو الاسم الأعظم"[1].

---

[1] فتح الرحيم الملك العلام (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي 3/ 670 - 671).

**المطلب الثاني**: تفرد الله تعالى بصفات الكمال يقتضي محبته وإفراده بالعبادة:

إن الله متصف بصفات الكمال، وكلها صـفات عظمة وجلال وجمـال وكمـال، لا نقص فيها بوجه من الوجـوه، فيستحق الحمد على كماله وجلاله وجماله وعلى إحسانه وبـره وإنعامـه، وذلك يقتضي شـكره وتعظيمه ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والإنابة إليه وعبادته وحده لا شـريك لـه. فيعّظم لأن صـفاته صـفات العظمة والجلال، ويفـرد بكمال المحبة لأنها صفات كمال وجمال ورحمة وإحسان.

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ البقرة: ١٦٥. فأخبر تعالى أن من أحب شيئا غير الله مثل حبه لله كان قد اتخذه نـدا، لأنه تعـالى هو المسـتحق لكمال الحب لكمال صفاته.

قال العلامة ابن القيم رحمه اللـه: "كمـال المحبة أن تقـرن بـالتعظيم والهيبـة، فالمحبة بلا هيبة ولا تعظيم ناقصة، والهيبة والتعظيم من غير محبة، كما تكـون للغـادر الظـالم نقص أيضـا. والكمـال أن تجتمع المحبة والـود والتعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبـوب صـفات الكمـال الـتي يسـتحق أن يعظم لأجلهـا، ويحب لأجلها.

ولما كان الله سبحانه وتعـالى أحق بهـذا من كل أحد كان المسـتحق لأن يعظّم ويكبّر ويهـاب، ويحب ويـود بكل جزء من أجزاء القلب، ولا يجعل له شريك في ذلك، وهـذا هو الشرك الذي لا يغفره الله سبحانه أن يسوي بينه وبين غيره في هذا الحب"[1].

فبين أن صفات الكمال في المحبوب تسـتلزم محبته وتعظيمه، وإفراده بالعبادة، ونفي الشريك عنه في المحبة والطاعة وفي العبادة كلهـا، ويتضح تقرير هـذا الـدليل في الأوجه الآتية:

**أولا: صفات الكمال صفات حمد وثناء، وكلها تسـتوجب تعظيمه تعالى ومحبته:**

---

[1] جلاء الأفهام 203 – 204.

والله تعالى هو المتصف بصفات الكمال، فكل صفاته صـــفات كمـــال وحمد وثنـــاء، وكلها تســـتدعي العبد إلى تعظيمه تعالى ومحبته وطاعته وعبادته وحده لا شريك له.

قـــال العلامـــة ابن القيم: "فالحميد هو الـــذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكـون محمـودا، وإن لم يحمده غـيره فهو حميد في نفسـه. والمحمـود من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد والممجد والكبـير والمكـبر والعظيم والمعظم. والحمد والمجد إليهما يرجع الكمـــــال كلـه، فـإن الحمد يسـتلزم الثنـاء والمحبة للمحمـود، فمن أحببته ولم تُثْنِ عليه لم تكن حامدا له حتى تكون مثنيا عليه محبا له. وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضـية لـه، وهو ما عليه المحمـــود من صـــفات الكمـــال، ونعـــوت الجلال، والإحسان إلى الغير. فـإن هـذه هي أسـباب المحبـة، وكلما كـانت هـذه الصـفات أجمع وأكمل كـان الحمد والحب أتم وأعظم. والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنـه، فهو أحق بكل حمد وبكل حب من كل جهة. فهو أهل أن يحب لذاته ولصفاته ولأفعاله ولأسمائه ولإحسانه ولكل ما صدر منه سبحانه وتعالى. وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسـعة والجلال. والحمد يـدل على صـــفات الإكـــرام، والله ســـبحانه وتعـــالى ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: لا إله إلا اللـه، والله اكـبر. فـ "لا إله إلا اللـه" دال على ألوهيته وتفـرده فيهـا، فألوهيته تســـتلزم محبته التامـــة. و"الله أكـــبر" دال على مجـــده وعظمته، وذلك يستلزم تعظيمه وتمجيده وتكبيره"[1].

**ثانيـا: اسـتحقاق اللـه الإفـراد بالعبـادة وكمـال الحب والطاعة والمجد والتعظيم لذاته ولكمال صفاته:**

فالله تعالى يستحق الإفـراد بالعبـادة لذاتـه، ولكمـال صـفاته، فهو الإله المعبـود حقـا، وهو المحمـود المعظم، لذاته، لأن الإلهية والحمد والمجد والعظمة صفاته الذاتيـة، لا تفارقه بوجه من الوجوه.

قال العلامة ابن القيم: "فكونه سبحانه أهلا أن يعبد ويحب ويحمد ويثني عليه أمر ثابت له لذاته، فلا يكـون إلا كـذلك،

---

[1] المصدر السابق 366 – 369.

كما أن الغـني القـادر الحي القيـوم السـميع البصـير فهو سـبحانه الإله الحق المـبين، والإله هو الـذي يسـتحق أن يؤله محبة وتعظيما وخشية وخضـوعا وتـذللا وعبـادة، فهو الإله الحق ولو لم يخلق خلقـــــه، وهو الإله الحق ولو لم يعبدوه، فهو المعبـود حقـا، الإله حقـا، المحمـود حقـا، ولو قـدر أن خلقه لم يعبـدوه، ولم يحمـدوه، ولم يـألهوه. فهو الله الــــذي لا إله إلا هو قبل أن يخلقهم، وبعد أن خلقهم، وبعد أن يغنيهم، لم يسـتحدث بخلقه لهم ولا بـأمره إيـاهم استحقاق الإلهية والحمد، بل الإلهية وحمده ومجده وغنـاه أوصـاف ذاتية لــه، يسـتحيل مفارقتها له لحياته ووجـوده وقدرته وعلمه وسائر صفات كماله"[1].

وقـــال أيضـــا: "إن نفس معرفة الله ومحبته وطاعته والتقرب إليه وابتغاء الوسـيلة إليه أمر مقصـود لذاتـه، وأن الله سـبحانه يسـتحقه لذاتـه، وهو سـبحانه المحبـوب لذاته الذي لا تصـلح العبـادة والمحبة والـذل والخضـوع والتأله إلا لـــه، فهو يســتحق ذلك لأنه أهل أن يعبد ولو لم يخلق جنة ولا نــــارا، ولو لم يضع ثوابا ولا عقابا كما جـــاء في بعض الآثــار: "**لو لم أخلق جنة ولا نـــارا أما كنتُ أهلا أن أعبد؟**"[2], فهو سبحانه يستحق غاية الحب والطاعة والثناء والمجد والتعظيم لذاته، ولما له من أوصاف الكمال ونعوت الجلال، وحبه والرضى به وعنه والذل له والخضــوع والتعبد هو غاية سـعادة النفس وكمالهــا، والنفس إذا فقــدت ذلك كانت بمنزلة الجسد الـذي فقد روحه وحياتـه، والعين الـتي فقدت ضوءها ونورها، بل أسوأ حالا"[3].

**ثالثـا: اسـتحقاق الله الحمد والثنـاء المتضـمن لمحبته وتعظيم لذاته ولكمال صفاته:**

إن الحمد والثنـــاء يكــون بـــذكر صــفات المحمـــود، وصـفات الله تعـالى صـفات كمـال لا يشـاركه فيه أحـد،

---

[1] مفتاح دار السعادة 2/ 1079 – 1081.

[2] نقله وهب بن منبه عن الزبـــور، انظر "قـــوت القلـــوب" لأبي طالب المكي 2/ 1064.

[3] مفتـاح دار السـعادة 2/ـ 1168، وانظر أيضـا: 2/ـ 1077 – 1081.

فاستحق كمـال الحمد والثنـاء لكمـال صـفاته، وأنه تعـالى اســتحق ذلك لذاته ولأوصــاف كمالــه، وأن ذلك يســتلزم محبته وتعظيمه لكالـــه، وإن لم يحسن إلى عبـــاده ويُنعِم عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "إن الله سـبحانه أخـبر أن له الحمد، وأنه حميد مجيد، وأن له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم ، ونحو ذلك من أنـواع المحامد. والحمد نوعـان: حمد على إحسـانه إلى عبـاده. وهو من الشـكر؛ وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كمالـه، وهـذا الحمد لا يكـون إلا على ما هو في نفسه مســتحق للحمــد، وإنما يســتحق ذلك من هو متصف بصـفات الكمـال وهي أمـور وجوديـة، فإن الأمور العدمية المحضة لا حمد فيها ولا خير ولا كمـال. ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صــفات الكمــال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخــالق، والــذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمـــد، فثبت أنه المســـتحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب"[1].

وقال ابن القيم: "إن الحمد يتضمن مدح المحمـود بصـفات كماله ونعوت جلالــه، مع محبته والرضا عنه والخضـوع لــه، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمـود، ولا من أعـرض عن محبته والخضوع له. وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صــفات كماله نقص من حمده بحسـبها, ولهـذا كـان الحمد لله حمـدا لا يحصـيه سواه لكمال صفاته وكثرتهـا، ولأجل هـذا لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه، لما له من صفات الكمـال، ونعـوت الجلال الـتي لا يحصـيها سـواه، ولهـذا ذم الله تعـالى آلهة الكفـار وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تهدي ولا تنفع ولا تضر"[2].

**رابعـا: كمـال إيمـان العبد بصـفات كمـال الله تعـالى يقتضي توحيده وإخلاصه بالعبادة:**

---

[1] مجموع الفتاوى 6/ 83 – 84، وانظر أيضا 10/ 251 – 254.

[2] مدارج السالكين 1/ 220.

قال العلامة ابن القيم موجها ما ورد عن السـلف في تفســـير المثل الأعلى الخـــاص بالله تعـــالى، ومن ذلك تفسيرهم إياه بالإخلاص والتوحيد، فذكر أنه يتضــمن أربعة أمور ومنها:

"محبة الموصـوف بها (أي بالصـفات العليا المتضـمنة في المثل الأعلى) وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإنابة إليه. وكلما كـان الإيمـان بالصـفات أكمل كـان هـذا الحب والإخلاص أقوى"[1].

فبين رحمه الله ما كان بين الإيمان بكمال الله تعالى وبين محبته وتعظيمه من التلازم، فلا شك أن تفرد الله بصـفات الكمال والإيمان بـذلك يقتضي ويسـتدعي العبد إلى محبته وتعظيمه وإجلاله. وذلك أن الله تعـالى أهل للحمد والثنـاء لذاته، وأنه يستحق ذلك بنفسه.

**خامسا: ذكر الله تعالى لصفات كماله دليل على بطلان إلهية المعبودات من دونه:**

ومما يـدل على أن المتفـرد بالكمـال هو المسـتحق لكمــال الحب والتعظيم، كــون الآلهة من دون الله ناقصة وفاقدة لصـفات الكمـال، لـذلك يـذكر الله تعـالى صـفات كماله في معـرض إبطـال إلهية الآلهة المعبـودة من دون الله، وهذا كثير في القرآن، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼطه: ٨٩.

فبين تعالى أن العجل الـذي اتخـذه قـوم موسـى من دون الله فاقد لصفات الكمال، وذلك يدل على بطلان ألوهيته.

قال العلامة ابن القيم: "بين (الله تعـالى) أن ما وصف به نفسه هو الكمال الذي لا يستحقه سـواه، فجاحـده جاحد لكمال الـرب فإنه يمـدح بكل صـفة وصف بها نفسه وأثـنى بها على نفسه ومجد بها نفسه وحمد بها نفسه فـــــذكرها ســبحانه على وجه المدحة له والتعظيم والتمجيد وتعــرف بها إلى عباده ليعرفوا كماله وعظمته ومجده وجلاله وكثـيرا ما يـذكرها عند ذكر آلهتهم الـتي عبـدوها من دونه وجعلوها شـركاء له فيـذكر سـبحانه من صـفات كماله وعلـوه على عرشه وتكلمه وتكليمه وإحاطة علمه ونفـوذ مشـيئته ما هو

---

[1] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة 3/ 1035.

منتف عن آلهتهم فيكــون ذلك من أدل الــدليل على بطلان آلهيتها وفساد عبادتها من دونه ويذكر ذلك عند دعوته عباده إلى ذكره وشـكره وعبادتـه، فيـذكر لهم من أوصـاف كماله ونعــوت جلاله ما يجــذب قلــوبهم إلى المبــادرة إلى دعوته والمســارعة إلى طاعته والتنــافس في القــرب منه ويــذكر صـــــفاته أيضا عند ترغيبه لهم وترهيبه وتخويفه ليعــــــرف القلوب من تخافه وترجوه وتـرغب إليه وتـرهب منه ويـذكر صــفاته أيضا عند أحكامه وأوامــره ونواهيه فقل أن تجد آية حكم من أحكام المكلفين إلا وهي مختتمة بصفة من صفاته أو صفتين وقد يذكر الصــفة في أول الآية ووســطها وآخرها كقوله: ﭽ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ المجادلة: ١، فيذكر صفاته عند سؤال عباده لرسوله عنه ويذكرها  عند سؤالهم له عن أحكامه حتى إن الصلاة لا تنعقد إلا بذكر أسمائه وصفاته فذكر أسمائه وصـفاته روحها وسرها يصحبها من أولها إلى آخرها وإنما أمر بإقامتها ليذكر بأسمائه وصفاته وأمر عبـاده أن يسـألوه بأسـمائه وصـفاته ففتح لهم باب الـدعاء رغبا ورهبا ليـذكره الـداعي بأسـمائه وصفاته فيتوسل إليه بها ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته قـال الله تعـالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭼ الأعراف: ١٨٠ "[1].

وفي كل ما سبق بيـان لما يقتضـيه تفـرد الله تعـالى بصفات الكمال من المحبة والتعظيم، فيستلزم ذلك إفراد الله تعالى بالعبادة، واجتناب الشرك به.

*******

---

[1] الصواعق المرسلة 3/ 909 – 911.

**المطلب الثالث**: أمْر الله بتوحيد الألوهية ودعوته إليه بذكر تفرده بالكمال:

يستدل الله تعالى على توحيده واسـتحقاقه بالألوهية بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليـا، لتـدل صـفات كماله على ألوهيته، ومن ذلك كـان تعـالى يـأمر بتوحيـده ويـدعو عبـاده إلى إخلاص العبـادة له مسـتدلا على ذلك بصـفات كمالـه؛ بـذكر أسـمائه الحسـنى وصـفاته العليـا، لأنها كلها صفات الكمال وتسـتلزم الألوهيـة. واسـتحق الله الألوهية لتفرده بصفات الكمال. وقد وردت آيات كثـيرة في كتـاب الله يـدعو الله تعـالى عبـاده إلى توحيـده وعبادته وحـده؛ يـأمر عبـاده بـذلك ويرشـدهم إليه ويسـتدل على ذلك بأسـمائه الحسـنى وصـفات كمالـه، وقد تنـوعت أسـلوب القرآن بذلك، ومن ذلك:

**أولا: الأمر بعبادة الله وحـده مسـتدلا على ذلك بتفـرده بصفات الكمال:**

1- قوله تعالى: ﭽ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣.

في هذه الآية يـأمر الله تعـالى عبـاده بعبادته وحـده، واستدل على ذلك بتفرده بصفات الكمال، ومنها؛ أنه رب العالمين، وأنه المستحق للألوهية، فلا إله إلا هو، وأنه المتفـرد بخلق كل شـيء، وأنه على كل شـيء وكيل، فوكالته تعـالى متضـمنة لكمـال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه، والعدل. وأنه لا تدركه الأبصـار لعظمته، وجلاله وكماله، وهو يـدرك الأبصـار لإحاطته بكل شـيء، وهو اللطيف الخبـير المحيط بكل شـيء علما وحكمة وخـبرة. فكل هـذه الصـفات صـفات كمال، تفرد الله تعالى بها، فاستدل بها على توحيـده وإفراده بالعبادة فقال: ﭽ ﭜ ﭼ فأمر بعبادته وحده، وذكر صـفات كماله مسـتدلا بها على اسـتحقاقه وتفرده بالألوهية.

قال الرازي: "قوله تعالى: ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ يدل على ترتيب الأمر بالعبادة على كونه تعالى خالقا لكل الأشـياء بفـاء التعقيب، وتـرتيب الحكم على الوصف بحرف الفاء مشعر بالسببية، فهـذا يقتضي أن يكـون كونه تعالى خالقا للأشـياء هو المـوجب لكونه معبـودا على الإطلاق، والإله هو المستحق للعبودية"[1].

وقـــال أبو حيـــان[2]: "أي ذلكم الموصـــوف بتلك الأوصاف السابقة من كونه بديعا لم يتخذ صـاحبة ولا ولدا، خالق الموجودات عالما بكل شيء هو الله، بـدأ بالاسم العلم ثم قال: ﭞ ﭟ ﭠ أي مالككم والناظر في مصـالحكم، ثم حصر الألوهية فيـه، ثم كـرر وصف خلقه كل شـيء، ثم أمر بعبادته لأن من اسـتجمعت فيه هذه الصفات كان جـديرا بالعبـادة، وأن يفـرد بها فلا يتخذ معه شـريك، ثم أخـبر أنه مع تلك الصـفات السـابقة الـتي منها خلق كل شـيء وهو المالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال"[3].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ يونس: ٣.

فإن الله تعالى قـرّر في هـذه الآية تفـرده بالربوبيـة، وعلـوه على خلقه واسـتوائه على عرشـه، وتفـرده بالتدبير، وعموم ملكه بحيث لا يشـفع أحد إلا من بعد

---

(?)1 مفاتيح الغيب 13/ 96.

(?)2 محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيـان أثـير الـدين الغرناطي أبو حيان الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحـدى جهـات غرناطة 654، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها سنة 745، بعد أن كف بصره. من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن. ( انظر الدرر الكامنة 4/ 302، والأعلام للزركلي 7/ 152).

(?)3 البحر المحيط 4/ـ 605، وانظر الكشـاف 2/ـ 382، التحرير والتنوير 7/ 413 – 414.

إذنه، وكرر تفرده بالربوبيـة، هـذه كلها صـفات كماله تعــالى، فــأمر بعبادته وحــده. وبعد أن ذكر صــفات كماله وهي الربوبية والاستواء على العـرش والتـدبير والملك، اسـتدل بها على تفـرده بالألوهية والعبوديـة، حيث أمر بعبادته وحده لا شريك له. ومعنى ذلـك؛ أي ربكم الله الـذي تفـرد بالربوبية وصـفات الكمـال هو المتفرد بالألوهية المستحق للعبادة فاعبدوه وحـده لا شريك له.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: إن ربكم الـذي له عبـادة كل شـيء، ولا تنبغي العبـادة إلا لـه، هو الـذي خلق السماوات السبع والأرضين السبع في ستة أيام ، وانفـرد بخلقها بغـير شـريك ولا ظهـير، ثم اسـتوى على عرشه مدبرا للأمور وقاضــيا في خلقه ما أحب، لا يضاده في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل. ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅﭼ يقول : لا يشفع عنده شـافع يـوم القيامة في أحد إلا من بعد أن يأذن له في الشفاعة فيه, ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ يقول جل جلاله: هذا الذي هذه صـفته سـيدكم ومـولاكم لا من لا يسمع، ولا يبصر، ولا يدبر، ولا يقضي من الآلهة والأوثان. ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ يقول: فاعبدوا ربكم الذي هـذه صــفته، وأخلصــوا له العبــادة، وأفــردوا له الألوهية والربوبية بالذلة منكم له دون أوثــــانكم وســــائر ما تشركون معه في العبادة. ﭽ ﮎ ﮏ ﭼ يقول: أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج، فتــنيبون إلى الإذعــان بتوحيد ربكم وإفــراده بالعبــادة، وتجمعــون الأنداد وتبرءون منها"[1].

وقــــال أبو حيـــان:" ذلكم الله ربكم فاعبــــدوه: أي المتصف بالإيجاد والتدبير والكبريـاء هو ربكم النـاظر في مصـالحكم، فهو المسـتحق للعبـادة، إذ لا يصـلح لأن يعبد إلا هو تعالى، فلا تشركوا به بعض خلقه, أفلا

[1] جامع البيان 12/ 114.

تذكرون: حض على التدبير والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته وإمحاض العبادة له."[1].

3- وقال تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ طه: ١٤.

في هذه الآية يأمر تعالى نبيه موسى عليه السلام بعبادته وحده لا شريك له مستدلا على ذلك بتفرده بالألوهية، والألوهية تتضمن صفات الكمال.

قال ابن سعدي رحمه الله: "ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ طه: ١٤ أي: الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي، ﭽ ﭞ ﭼ بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها"[2].

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ هود: ١٢٣.

ففي هذه الآية وصْف الله تعالى بصفات الكمال، منها وصْفه بالتفرد بعلم الغيب، وأنه المرجع لكل الأمور، وأنه ليس بغافل عما يعمل عباده لكمال علمه وإحاطته.

قال أبو حيان: "والجملة الأولى: دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنات كليها وجزئيها حاضرها وغائبها، لأنه إذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط، إذ علمه تعالى لا يتفاوت. والجملة الثانية: دلت على القدرة النافذة والمشيئة. والجملة الثالثة: دلت على الأمر بإفراد من هذه صفاته بالعبادة الجسدية والقلبية، والعبادة أولى الرتب التي يتحلى بها العبد. والجملة الرابعة : دلت على الأمر بالتوكل، وهي آخرة الرتب، لأنه بنور العبادة أبصر أن جميع الكائنات معذوقة بالله تعالى، وأنه هو المتصرف وحده في جميعها، لا يشركه في شيء منها أحد من خلقه، فوكل نفسه إليه تعالى، ورفض سائر ما يتوهم

---

[1] البحر المحيط 6/ 12.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 476.

أنه سبب في شيء منها. والجملة الخامسة: تضمنت التنبيه على المجازاة، فلا يضيع طاعة مطيع ولا يهمل حال متمرد"[1].

5- وقوله تعالى: ﭽ  ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ
ٺ ﭼ مريم: ٦٥.

ففي هذه الآية يـأمر تعـالى بعبادتـه وحـده، ويسـتدل على ذلك بتفرده بالربوبية وتفـرده بصـفات الكمـال، لأنــه تعــالى متفــرد بالأســماء الحســنى المتضــمنة لصفات الكمـال. فلكونـه متفـردا بصـفات الكمـال لا شريك ولا كفؤ ولا سمي له فيها، كذلك لا شـريك لـه ولا ند له في ألوهيته وعبوديته، فلـذلك يجب أن يُعبـد وحده ولا يشرك به شيئا.

قال القاسمي: "والجملة تقرير لوجوب عبادته وحده, أي: إذا صح أن لا مثل له، ولا يستحق العبـادة غـيره، لم يكن بد من التســليم لأمــره والقيــام بعبادتــه، والاصطبار على مشاقها"[2].

وقال ابن عاشور[3]: "وجملة ﭽ پ ڀ ڀ ٺ ﭼ واقعة موقع التعليل للأمر بعبادته والاصطبار عليها"[4].

وقال ابن سعدي رحمه الله: " ﭽ پ ڀ ڀ ٺ ﭼ أي: هل تعلم لله مســـاميا ومشـــابها وممـــاثلا من المخلـوقين. وهـذا اسـتفهام بمعـنى النفي، المعلـوم بالعقـــل. أي: لا تعلم له مســـاميا ولا مشـــابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغــني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالـذات من كل وجـه، الكامل الـذي له الكمـال المطلق من جميع الوجـوه،

---

[1] البحر المحيط 6/ 230، التحرير والتنوير 12/ 194 - 196.

[2] محاسن التأويل 11/ 4156.

[3] محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القـادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصـادق (باشـا). ولي قضـاءها سـنة 1267 هــ، ثم الفتيا (سـنة 1277) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس 1284 هــ. (انظر الأعلام للزركلي 6/ 173).

[4] التحرير والتنوير 16/ 143، وانظر مفاتيح الغيب 21/ 555.

وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى"[1].

فتبين أن الله تعالى استدل بتفرده بصفات الكمال المتضمن في نفي السمي له على تفرده بالألوهية واستحقاقه للعبودية، فأمر بعبادته وحده لا شريك له.

**ثانيا: الأمر بدعاء الله وحده المتضمن الأمر بعبادته وحده لا شريك له:**

وفي بعض الآيات يأمر الله تعالى بدعائه وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للأمر بتوحيده وإفراده بالعبادة، ويذكر تفرده بصفات الكمال مستدلا بها على تفرده بالألوهية واستحقاقه للعبودية، ومما ورد في ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ غافر: ١٤ – ١٥.

فوصْف الله تعالى بأنه رفيع الدرجات، وأنه ذو العرش، وأنه يوحي على من يشاء من عباده، كل ذلك من صفات كماله المتفرد بها، فعلل بها على الأمر بإخلاص الدعاء والدين له، فتضمن ذلك أنه تعالى أمر بعبادته وحده مستدلا على ذلك بتفرده بصفات الكمال، لأن الدعاء هو العباد.

قال ابن سعدي رحمه الله: "ثم ذكر من جلاله وكماله ما يقتضي إخلاص العبادة له فقال: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ غافر: ١٥, أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش واختص به، وارتفعت درجاته ارتفاعا باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وجلت أوصافه، وتعالت ذاته، أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر، وهو الإخلاص"[2].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 498، وانظر فتح القدير 3/ 471 – 472.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 700.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ غافر: ٦٥.

وكذلك في هذه الآية يأمر بإخلاص الدعاء والـدين لـه مستدلا على ذلك بصفات كماله، بأنه الحي المتصـف بالحياة الكاملـة، والمتفـرد بالألوهيـة، وأن لـه الحمـد المتضمن إثبات صفات الكمـال، وأنـه رب العـالمين، المتصف بالربوبية الشاملة. فكل هذه صـفات كمالـه تعالى. والجامع لـذلك هـو أن الحمـد كلـه لـه، وذلـك يتضمن صفات الكمال كلها.

قال ابن جرير: "ﭽ ﮁ ﮂ ﭼ يقول: هو الحي الذي لا يمـوت، الـدائم الحيـاة ، وكل شـيء سـواه فمنقطع الحياة غير دائمها ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ, يقول: لا معبود تجـوز عبادتـه، وتصـلح الألوهة له إلا الله الـذي هـذه الصفات صفته ، ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ يقول : فاعبدوا الإله الذي هذه الصفات صفاته أيها النـاس مخلصـين له الطاعة ، مفـــردين له الألوهة ، لا تشـــركوا في عبادته شـيئا سـواه ، من وثن وصـنم ، ولا تجعلـوا له ندا ولا عدلا"[1].

**ثالثـا: تقريـر ألوهيـة اللـه تعـالى والإرشـاد إلى توحيده بالعبادة مستدلا بأسمائه الحسنى:**

وهنـاك آيـات كثـيرة في القـرآن العظيم يقـرر اللـه ألوهيته ونفي الشـريك عنـه ويرشـد إلى توحيـده بالعبـادة ويستدل على ذلك بأسمائه وصفات كماله, ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ البقرة: ١٦٣.

قرر الله تعالى تفرده بالألوهيـة، وأرشـد إلى إفـراده بالعبادة واستدل على ذلك باسميه الـرحمن والـرحيم المتضمنين لكمال رحمته العامة والخاصة.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ البقرة: ٢٥٥.

---

[1] جامع البيان 20/ 357.

وفي هذه الآية – وهي أعظم آيات القرآن – قرر الله ألوهيته واستحقاقه بالعبادة وحده دون سواه بعدة أسمائه الحسنى وأوصاف كماله. وفيها من أسماء الله الحسنى خمسة أسماء، وهي: الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم. وفيها أكثر من عشرين صفة كمال، أبرزها: الألوهية، والحياة، والقيومية، والملك، والعلم، والعلو والعظمة، وكل ذلك يدل على كماله تعالى واستحقاقه للعبادة[1].

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [آل عمران: ٦].

قد تضمنت هذه الآية تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال إلهية ما سواه، بهذين الاسمين من أسمائه الحسنى العزيز والحكيم المتضمنين كمال العزة والحكمة لله تعالى. فهذا دليل مستلزم لإفراد تعالى بالعبادة[2].

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮈ  ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[طه: ٨].

قرر الله تعالى إلهيته وأنه المستحق للعبادة وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة وعبادة غيره باطلة، فاستدل على ذلك بأن له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى، الدالة على المدح والحمد، الدالة على الصفات الكاملة[3].

5- وقوله تعالى: ﭽ              
   ﭼ طه: ٩٨.

وكذلك في هذه الآية استدل تعالى بسعة علمه وعمومه وأنه محيط بكل شيء على تفرده بالألوهية ووجوب إفراده بالعبادة.

6- قوله تعالى: ﭽ     ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ     
     ﭼالقصص: ٧٠.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 110.
[2] المصدر السابق ص: 121- 122.
[3] المصدر نفسه ص: 502.

في هذه الآية يقرر الله تعالى أنه وحده المعبـود، لأنه وحـده المحمـود في الـدنيا والآخـرة، على ما له من صفات الجلال والجمال، فيجب إفراده بالعبادة لما له من صفات الكمال التي يُحمد عليها[1].

-7 وقوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ
ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ
ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ
ﭼ الحشر: ٢٢ – ٢٤.

ففي هـذه الآيـات يسـتدل تعـالى بأسـمائه الحسـنى المتضمنة لصـفات كماله على تفـرده بالألوهية ونفي الشر عنه.

قـال ابن القيم: "فإنه سـبحانه يسـتدل بأسـمائه على توحيده ونفي الشرك عنه ولو كانت أسماء لا معنى لها لم تدل على ذلك كقول هارون لعبدة العجل ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ طه: ٩٠، وقوله سبحانه في القصة ﭽ ... ﭼ طه: ٩٨، وقوله تعالى ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ... ﭼ البقرة: ١٦٣. وقوله سبحانه في آخر سورة الحشر ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ الحشـر: ٢٢ – ٢٣، فسـبح نـزه نفسه عن شـرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده واستحالة إثبات شريك له"[2].

وبهذا يتبين أن الله تعالى لم يذكر أسـماءه الحسـنى في كتابه مجـردة عن المعـاني، بل إنما يـذكرها متضـمنة للمعـاني العالية وهي صـفات كمالـه، يـذكرها مسـتدلا بها على كماله وعلى اسـتحقاقه للعبوديـة. فأسـماؤه تعـالى وصـــــفاته دليل على كماله وعلى تفـــــرده بالألوهية واستحقاقه للعبودية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والله سبحانه لم يــذكر هذه النصـوص لمجـرد تقرير صـفات الكمـال له بل ذكرها

---

[1] المصدر نفسه ص: 622.

[2] جلاء الأفهام ص: 189.

لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سـواه فأفـاد الأصـلين اللـذين بهما يتم التوحيد: وهما إثبـات صـفات الكمـال ردا على أهل التعطيل، وبيـان أنه المسـتحق للعبـادة لا إله إلا هو ردا على المشركين"[1].

**رابعـا: تفـرد الله بصـفات الكمـال يسـتلزم تنزيهه عن الشريك في العبادة:**

وفي بعض الآيـــات يـــدعو الله عبـــاده إلى توحيـــده بالألوهية بنفي الشـــريك عنـــه، وتنزيهه عما يشـــرك به المشـركون، مسـتدلا على ذلك بتفـرده بصـفات الكمـال، ومن ذلك ما يلي:

1- قال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ المؤمنون: ٩٢.

2- وقال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ النمل: ٥٩.

3- وقال تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ الزمر: ٦٧.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الحشر: ٢3.

فبهذا يتبين أن الله تعالى يستدل بصفات كماله على توحيده ونفي الشرك عنـه، وأنه كـان يـأمر بعبادته وحـده، ويقرر ألوهيته مسترشـدا إلى توحيـده ويسـتدل على ذلك بصـفات كمالـه. فلـذلك يجب على كل من أفـرد الله في صـفات الكمـال أن يفـرده في ألوهيته وعبوديتـه، لما بين توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية من التلازم، فـإن الأول يسـتلزم الثـاني ويقتضـيه ويـدل عليـه، فتفـرد الله بصـفات الكمـال دليل على تفـرده بالألوهية واسـتحقاقه للعبودية ونفي الشريك عنه.

*******

---

[1] مجموع الفتاوى 6/ 83.

**المبحث الثاني: تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص يدل على استحقاقه للألوهية والعبادة. وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص يقتضي نفي الألوهية عن غيره:

إن اللـه هـو المتفـرد بصـفات الكمـال، الـتي لا نقص فيها ولا عيب، وذلك يقتضي تنزهه عن كل صــفات النقص والعيب، ويدل ذلك على تفـرده بالألوهيـة، لأن التـنزه عن العيوب والنقائص من صفات الألوهية، فلا يستحق الألوهية والعبادة إلا من تنزه عن العيوب والنقـائص، كمـا قـال ابن القيم: "وصـفات الإلهية هي صـفات الكمـال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص"[1].

فتنزه الله تعالى عن كل نقص وعيب، يستلزم تفرده بالألوهية، ويدل ذلك على نفي الألوهية عن غيره، لأمرين:

1- لأن اللــه تفـرد بهـا لتزهــه عن النقــائص والعيــوب، المستلزم ثبوت صفات كماله، وهي صفات الألوهية.
2- ولاتصاف الآلهة من دونه بالنقائص والعيـوب. ولـذلك يصـف اللــه تعـالى الآلهـة من دونــه بصـفات النقص والعيوب في آيات عديدة، ليدل على عـدم صـلاحيتها للعبادة.

فكان تنزه اللـه عن النقـائص والعيـوب، وعن كـل شـريك ومثيل ونظير ونـد، دليلا على تفـرده بالألوهيـة ونفيهـا عن غيره، لأن الله متفرد بالكمـال المطلـق، والشـرك بـه في الألوهية من صفات النقص التي يتعالى اللـه ويتـنزه عنهـا، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ المؤمنون: ٩٢، وقال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ الحشر: 23. ويستلزم ذلك تفرده تعالى الألوهية، فيجب إفراده بالعبادة وعدم الشرك به.

وتتلخص طريقـــة القـــرآن في دلالـــة التنزيـــه على نفي الألوهية عن غير الله في ثلاث طرق:

---

[1] مدارج السالكين 1/ 236.

**الطريقـة الأولى: بيـان تفـرد اللـه بالكمـال المتضـمن تنزهـه عن النقص والعيب المقتضـي تفـرده بالألوهيـة ونفيها عن غيره:**

وقد سبق تقرير تفـرد اللـه بصـفات الكمـال ودلالتـه على تفـرد اللـه بالألوهيـة ونفيهـا عن غـيره، في المبحث السابق، وذُكر هنـا للتلازم بين إثبـات صـفات الكمـال للـه تعـالى وتنزيهـه عن النقـائص والعيـوب، وكلاهمـا يسـتلزم الآخر.

قد وصف الله تعالى نفسه بصفات الكمـال، ومعـاني الجلال، ويقتضي ذلـك تنزهـه عن كـل نقص وعيب، فيـدل ذلـك على تفـرده بالألوهيـة ونفيهـا عن غـيره، لأن الآلهـة المعبودة من دونه كلهـا متصـفة بصـفات النقص، وفاقـدة عن صفات الكمال. والآيات في ذلك كثيرة، منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ں ﭼ النحل: ٦٠.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ الروم: ٢٧.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الأعلى: ١.

فكل هذه الآيات تدل على تفرد الله بصفات الكمـال، ولا يشاركه فيها أحد، ومنهـا صـفات الألوهيـة، فـدلت الآيات على انتفاء الألوهية عن غير الله تعالى.

4- وقال تعالى: ﭽ ﮤ ﮬ ﮭ ﭼ طه: ٨.

وكون أسمائه حسنى يدل على أنها متضمنة لصــفات كمال، ويدل على تفـرده بهـا، لأن "الحسـنى" صـيغة تفضـيل من "الحسـنة"، وصـيغة التفضـيل يـدل على تفرد الموصوف واختصاصه بها. فدلت هذه الآية على تفرد اللـه بصـفات الكمـال بالمطابقـة، وعلى تنزهـه عن النقص والعيب بالتضـمن والالـتزام، وتـدل الآيـة باللزوم على نفي الألوهية عن كل ما سوى الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فثبوت صفات الكمال له ينفي اتصـافه بأضـدادها وهي النقـائص. وهو سـبحانه ليس كمثله شيء فيما يوصف به من صفات الكمـال. فهو مـنزه عن النقص المضاد لكماله، ومنزه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته. ومعاني التنزيه ترجع إلى هذين الأصــلين.

وقد دل عليهما ســورة الإخلاص الــتي تعــدل ثلث القــرآن بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭼ الإخلاص: ١-٢, فاسمه " الصمد " يجمع معـــاني صـــفات الكمـــال، كما قد بسط ذلك في تفسير هذه السورة، وفي غـير موضع. وهو كما في تفسـير ابن أبي طلحة عن ابن عبــاس: "أنه المســتوجب لصــفات السؤدد؛ العليم الـذي قد كمل في علمـه، الحكيم الـذي قد كمل في حكمتـــه"، إلى غـــير ذلك مما قد بين. وقولـــه: "الأحد" يقتضي أنه لا مثل له ولا نظير، ﭽﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الإخلاص: ٤. وقد ذكرنا في غير موضع أن ما وصف الله تعالى به نفسه من الصــفات الســلبية فلا بد أن يتضــمن معــنى ثبوتيا. فالكمـال هو في الوجـود والثبـوت، والنفي مقصـوده نفي ما ينــاقض ذلك. فــإذا نفي النقيض الــذي هو العــدم والســلب، لــزم ثبــوت النقيض الآخر الــذي هو الوجــود والثبوت. وبيّنا هذا في آية الكرسي وغيرها، مما في القرآن كقوله: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﭼ البقرة: ٢٥٥، فإنه يتضمن كمال الحياة والقيومية. وقوله: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﭼ البقرة: ٢٥٥ يتضمن كمال الملك. وقوله: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ البقرة: ٢٥٥، يقتضي اختصاصه بالتعليم دون ما سواه. والوحدانية تقتضي الكمال، والشركة تقتضي النقص,ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼ ق: ٣٨، ﭽﭨ ﭩ ﭪﭼ الأنعام: ١٠٣، ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﭼ سبأ: ٣"[1].

فتبين أن تفرد الله بالكمال يقتضي توحيده بالألوهية، وعبادته وحده لا شريك له، لأن الوحدانية تقتضي الكمـال، والشركة تقتضي النقص، والله مـنزه عن النقص، فـانتفت الألوهية عن غيره.

**الطريقـة الثانيـة: بيـان تـنزه اللـه تعـالى عن الشـريك المقتضي نفي الألوهية عن غيره:**

قد نــزه الله تعــالى نفسه عن الشــريك في آيــات عديـدة في القـرآن الكـريم، لأن وصف الله بالشـريك من النقـائص الـتي يتـنزه عنها البـاري سـبحانه وتعـالى، فنفي الشــريك عن الله تعــالى، وتنزهه عنه يــدل على تفــرده بالألوهية ونفيها عن غيره، ومن الآيات في ذلك:

---

[1] مجموع الفتاوى 16/ 98 – 99.

1- قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ
ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ التوبة: ٣١.

فنفى تعالى الألوهية والعبودية عن كل ما سواه، وذلك لتنزهه عما يشرك به المشركون في ربوبيته وصفات ألوهيته، فدل تنزهه تعالى عن الشريك وصفات النقص والعيب على تفرده بالألوهية ونفيها عن غيره.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ
ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ
يونس: ١٨.

ولما كانت العبادة لا تنبغي لأحد إلا الله، لتفرده بصفات الكمال، وتنزهه عن صفات النقص، عاب الله الذين يعبدون الآلهة من دونه المتصفة بالنقائص؛ فلا تضرهم ولا تنفعهم، ونزه نفسه عن الشريك لكمال صفاته. فقال: ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ، فنزه الله تعالى نفسه عن الشركاء في عبوديته، لأنه المنزه عن النقص والعيب والشريك والمثيل، المتفرد بكل كمال.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ
ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ
ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ النحل: ١ – ٣.

وكذلك في هذه الآيات نزه الله تعالى نفسه عن كل وشريك، لتفرده بالألوهية، وينفيها عن غيره.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ
ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الإسراء: ٤3.

وفي هذه الآيات ينزه الله تعالى نفسه عن كل عيب ونقص وعن أن يكون له شريك في ألوهيته، فدل ذلك على نفي الألوهية عن غيره.

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية دلالة التسبيح على التنزيه فقال: "والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له. فإن التسبيح يقتضي التنزيه، والتعظيم. والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها. فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده. قال ابن أبي حاتم: "حدثنا أبي، ثنا ابن نُفيل

الحرّاني، ثنا النضر ابن عربي قال: سأل رجل ميمون بن مهران عن: "سبحان الله". فقال: "اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[1]. وقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: "سبحان"، قال: "تنزيه الله نفسه من السوء"[2]"[3].

فتبين أن تنزه الله عن الشريك وعن النقائص والعيوب يدل على تفرده بالألوهية ونفيها عن غيره من المعبودات سواه.

**الطريقة الثالثة: ذكر أسماء الله الحسنى الدالة على التقديس والتمجيد والتعظيم تدل على تنزهه عن الشريك ونفي الألوهية عن غيره:**

قد سمى الله تعالى نفسه بأسماء تدل على تنزهه عن كل النقائص والعيوب، وهي أسماء التقديس والتمجيد والتعظيم، وكلها تدل على نفي الألوهية عن غير الله تعالى، ووردت في نصوص بذلك، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ۆ ۈ ۈ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الحشر: ٢٣.

وقد تضمنت هذه الآية بعض أسماء الله الحسنى التي تدل على تقديس الله وتنزيهه عن كل عيب ونقص وعن الشريك في الألوهية، ويدل ذلك على نفي الألوهية عما سواه، لتفرده بها، لأن إثبات الألوهية لغيره ينافي كماله تعالى وتقديسه وتنزيهه، وفيه تنقّص لجلاله وكماله.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ الإخلاص: ١.

3- قوله صلى الله عليه وسلم في ركوعه وسجوده: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»[4].

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 1/ 81، 4/ 1361، 6/ 1785.

[2] المصدر نفسه 4/ 1123، 1361، 6/ 1785، 8/ 2549.

[3] مجموع الفتاوى 16/ 125.

[4] رواه مسلم ص: 232، (ح: 1091)، وينظر دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه (ص: 105 – 109).

ومما يدل على ذلك من أسماء التقديس والتنزيه الأسـماء الآتية:

1- القدوس؛ أي المنزه عما لا يليق به، والطاهر من كل عيب ونقص.
2- السـلام؛ أي ذو السـلامة مما لا يليق به من النقـائص والأنداد.
3- السبوح؛ أي المـنزه عن مماثلة أحد من خلقـه، وعما لا يليق به من صفات النقص والسوء.
4- الأحد، الواحد، الفرد.

قـال ابن سـعدي رحمـه الله: "أي هو الواحد المتفـرد بصـــفات المجد والجلال، المتوحد بنعـــوت العظمة والكبريـاء والجمـال، فهو واحد في ذاتــه، وواحد في أسـمائه لا سـمي لـه، وواحد في صـفاته لا مثيل لـه، وواحد في أفعاله لا شـريك لـه، ولا ظهـير ولا عـوين، وواحد في ألوهيته فليس له ند في المحبة والتعظيم، ولا له مثيل في التعبد له والتأله، وإخلاص الـدين لـه، وهو الــذي عظمت صــفاته ونعوته حــتى تفــرد بكل كمال، وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته أو يدركوا شيئا من نعوتـه، فضلا عن أن يماثله أحد في شيء منها"[1].

ويدل على هذا التنزيه ونفي الألوهية عن غــير الله أيضا بعض أســماء التمجيد والتعظيم، وهي تلك الأســماء الــتي تدل على جميع صـفات الكمـال، ولا تختص بصـفة معينـة، ومنها الأسماء الآتية:

1- الله؛ وهو أجل الأسماء الحسنى وأجمعها.
2- الصمد؛ وهو السـيد الـذي اجتمعت فيه أعلى صـفات السؤدد، وقصده كل شيء.
3- المجيد؛ وهو الـذي كـثرت صـفات كمالـه، وبلغت كل صفة منها غاية الكمال.

---

[1] فتح الـرحيم الملـك العلام (ضـمن مجمـوع مؤلفـات الشـيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي 3/ 694 - 695).

4- الجبــــار؛ أي المتعـــالي عن كل ســـوء ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ، أو ضد، أو سمي، أو شريك في خصائصه وحقوقه.

5- العلي، والأعلى، والمتعالي، أي الـذي له علو الـذات، وعلو القهــر، وعلو القــدر، وهو كمــال ذات الــرب وصفاته، وعلوها عن الأمثال والنقائص[1].

6- العظيم؛ هو الــذي له الكبريــاء نعتا والعظمة وصــفا، وعظمة الله تعـــــالى تنـــــافي عنه كل نقص وعيب وشريك ومثيل.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "واسـمه "الله" تضـمن جميع المحامد، فإنه يتضمن الإلهية المسـتلزمة لـذلك، فـإذا قيل "لا إله إلا الله" تضـــمنت هـــذه الكلمة إثبـــات جميع المحامــد، وأنه ليس له فيها نظــير، إذ هو إله لا إله إلا هو. والشرك كله إثبات نظير لله عز وجـل، ولهـذا يسـبح نفسه ويعاليها عن الشرك في مثل قوله ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ
ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭽ المؤمنون: ٩١ - ٩٢. و ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﭼ
الأنبياء: ٢١ - ٢٢. فإن الشرك قول هو وصف، وعمل هو قصـد، فنزه نفسه عما يصفون بالقول والاعتقاد وعن أن يعبد معه غيره, وأعظم آية في القرآن آية الكرسي، أولها: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ
ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ البقرة: ٢٥٥. فقوله "الله" هو اسمه المتضمن لجميع المحامد وصـفات الكمـال، وقوله "لا إله إلا هو" نفي للنظراء والأمثال"[2].

وقال ابن القيم: "إن في سورة الإخلاص من كمــال التوحيد العلمي الاعتقادي، وإثبات الأحدية للــه، المسـتلزمة نفى كل شركة عنه، وإثبات الصمدية المستلزمة لإثبات كل كمـال له مع كـــون الخلائق تصـــمد إليه في حوائجهـــا، أي: تقصـــده الخليقة، وتتوجه إليـه، علويها وسـفليها، ونفى الوالد والولـد، والكفء عنه المتضـــمن لنفى الأصـــل، والفـــرع والنظـــير، والمماثل مما اختصت به وصـارت تعـدل ثلث القـرآن، ففي

---

[1] انظر دلالة الأسماء الحسنى على التّنزيه (ص: 110 – 113).

[2] جامع المسائل لابن تيمية 3/ 287 – 288.

اسمه "الصمد" إثبات كل الكمــال، وفي نفي الكفء التنزيه عن الشــبيه والمثــال. وفى "الأحد" نفى كل شــريك لــذي الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد"[(1)].

وهــذا النــوع من أســماء التمجيد يــدل على التنزيه المطلق من وجهين:

**أحــدهما**: أن اتصــاف الــرب بصــفات الكمــال المطلق يستلزم نزاهته عن جميع النقائص؛ لأن إثبات الشــيء نفي لضده، ولما يستلزم ضده.

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية: "الســمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد؛ فكل ما ضاد ذلك فالســمع ينفيــه، كما ينفي عنه المثل والكفء؛ فــإن إثبــات الشــيء نفي لضــده، ولما يســتلزم ضــده. والعقل يعــرف نفي ذلك كما يعــرف إثبــات ضــده؛ فإثبــات أحد الضدين نفي للآخر، وما يستلزمه"[(2)].

ويدل على صحة هذا الاستلزام قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ
ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ
ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ
ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الإسراء: ١١٠ - ١١١؛ فلما أثبت لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى أتبع ذلك بالتنزيه عن النقائص من الأولاد والشركاء والأولياء؛ لأن إثبــات أحسن الأســماء المشــتملة على أكمل الأوصــاف يــدل ســمعا وعقلا على تنزيه الــرب عن جميع النقائص.

**والثاني**: أن اتصاف الرب بأعلى صفات الكمال يستحيل معه وجــود المثــل؛ لأنهما إن تمــاثلا ارتفع الكمــال الأعلى عنهمــا؛ إذ ليس أحــدهما أعلى من الآخــر، وإن لم يتمــاثلا فالكمال الأعلى، أو المثل الأعلى لأحدهما.

قــال ابن القيم: "يســتحيل أن يشــترك في المثل الأعلى اثنــان؛ لأنهما إن تكافآ لم يكن أحــدهما أعلى من الآخــر، وإن لم يتكافآ فالموصــوف بالمثل الأعلى أحــدهما وحــده، يســتحيل أن يكــون لمن له المثل الأعلى مثــل، أو نظــير. وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على اســتحالة

---

[1(?)] زاد المعاد في هدي خير العباد 4/ 180 - 181.

[2(?)] مجموع الفتاوى 3/ 84.

التمثيل والتشـــــبيه، فتأملـــــه؛ فإنه في غاية الظهـــــور والقوة"[1].

*******

[1] الصواعق المرسلة 3/ 1031 ـ 1032، انظر دلالة الأسماء الحسنى على التّنزيه ص: 113 – 115.

**المطلب الثاني**: الإقرار بتنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص يقتضي تنزيهه عن كل ند وشريك في ألوهيته:

إن الله تعـالى تـنزه عن النقـائص والعيـوب لكمـال صفاته، ويتضمن ذلك تنزهه عن الشريك في الألوهيـة؛ لأنه لا يماثله شـيء ولا يشـاركه فيما يختص به من الأسـماء الحسنى، وصفات الكمال. قال تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ الشورى: ١١، وقال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭽ الأعراف: ١٨٠, وقال: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭽ النحل: ٦٠, وقال: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭽ الروم: ٢٧.

وصْف أسماء الله بالحسـنى وصـفاته بالعليا يـوجب انتفـاء الشـريك والكفء له في أسـمائه وصـفاته، وإلا لما تفـرد الـرب بأحسن الأسـماء وأعلى الصـفات؛ لأنه إن وجد له مشـارك فيها لم تكن أسـماؤه حسـنى، ولا صـفاته عليـا، لذلك نفى الله أن يكون لـه سـميا ومـثيلا وكفـؤا وشـريكا وندا في جميع أسمائه وصـفاته، لتفـرده بهـا، ونـزه نفسـه عن الشريك فيها لتفرده بها.

ولذلك يجب الإقرار بتنزه اللـه عن كـل نقص وعيب، ومن أقر بتنزه الله عن النقائص والعيوب، يلزمه أن ينزهه عن الشريك في ألوهيته، فلا يعبد أحدا إلا هو تعالى، وحده لا شريك له، لأن الشرك به في العبادة يتنافى مـع تنزيهـه وإثبات صفات الكمال له, ولأنـه المتفـرد بصـفات الكمـال التي هي صفات الألوهيـة، فلا يشـاركه فيهـا أحـد، وإثبـات شريك له يقتضي تنقيصه وعدم تنزيهه الواجب على العبد.

وقد دل على ذلك نصوص كثيرة، منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭽ مريم: ٦٥.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭽ الإخلاص: ١ – ٤.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭽ البقرة: ٢٢.

في هذه الآيات دلالة على تنزيه الله عن الشريك في الألوهية، ووجوب عبادته وحـده لا شـريك لـه، لتنزهـه عن الشـريك والسـمي والمثـل والكفـؤ والنـد، وعن العيـوب والنقائص مطلقا.

وقـد خص اللـه نفي الشـريك في ألوهيتـه في آيـات عديدة، ويقرر تفرده بالألوهية والعبودية، فينزه نفسـه عن أن يكـون لـه شـريك في ألوهيتـه، لأن ذلـك من النقـائص التي تنزه عنها تعالى, منها قوله تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ الأعراف: ١٩٠.

في هذه الآية نزه الله تعـالى نفسـه عن الشـريك في الألوهية، لكمال صفاته، وتنزهه عن النقـائص والعيـوب، فلا يكون له شريك في ألوهيته كما ليس له مثيـل في صـفات كمالـه، لأن جميـع المعبـودات من دونـه متصـفة بصـفات النقص وخاليـة عن صـفات الكمـال، فلا تسـتحق الألوهيـة بوجه من الوجـوه، فهـذا برهـان على تنزهـه اللـه عن كـل شريك في ألوهيته، لأنـه المتفـرد بكـل كمـال، ومتـنزه عن كل نقص، فيجب إفراده بالعبادة وتنزيهـه عن الشـريك في العبادة.

وﭧ ﭨ ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ التوبة: ٣١, وﭧ ﭨ ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ يونس: ١٨, وﭧ ﭨ ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ النحل: ١ – ٣, وﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ المؤمنون: ٩١ – ٩٢, وﭧ ﭨ ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ النمل: ٦٣, وﭧ ﭨ ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ القصص: ٦٨ – ٧٠, وﭧ ﭨ ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ الروم: ٤٠, وﭧ ﭨ ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ الزمر: ٦٧, وﭧ ﭨ ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الطور: ٤٣, وﭧ ﭨ ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الحشر: ٢٣, ففي كل هذه الآيات نـزه الله نفسه عن الشـريك في الألوهيـة، لتفـرده بصفات الكمال وتنزهه عن النقائص والعيـوب، وأن كل ما يعبد من دونه يجمعهم مثل السـوء من العجز والفقر والعيـوب، وهي كلها صـفات نقص تبطل ألـوهيتهم

المزعومة، وتحيل أن يكونوا شركاء، أو نظراء لمن انفــرد بالأسـماء الحسـنى، واختص بصـفات الكمـال، وتـنزه عن صـفات النقص والعيب[1]، فلـذلك يجب تنزيـه اللـه تعـالى عن الشـريك في العبـادة كمـا يجب تنزيهـه عن النقـائص والعيوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كـان تسـبيح الـرب يتضـمن تنزيهه وتعظيمه جميعا فقول العبد: "سبحان الله" يتضمن تنزيه الله وبراءته من الســوء، وهــذا المعــنى يتضــمن عظمته في نفسه ليس هو عدما محضا لا يتضـمن وجـودا، فإن هذا لا مدح فيه ولا تعظيم. وكذلك سائر ما تنزه الرب عنه من الشركاء والأولاد وغير ذلك كقوله تعـالى: ﭽﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ - إلى قوله - ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الإسراء: ٤٠ - ٤٤. وقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ الصافات: ١٨٠ – ١٨١, وغير ذلك . فنفي العيـوب والنقـائص يسـتلزم ثبوت الكمال، ونفي الشـركاء يقتضي الوحدانيـة، وهو من تمام الكمال. فإن ما له نظير قد انقسمت صفات الكمـال وأفعال الكمـال فيه وفي نظـيره، فحصل له بعض صـفات الكمال لا كلها. فالمنفرد بجميع صفات الكمال أكمل ممن له شريك يقاسمه إياها. ولهذا كـان أهل التوحيد والإخلاص أكمل حبا لله من المشـركين الـذين يحبـون غـيره الـذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه, ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ البقرة: ١٦٥.

وهـذا مبسـوط في غـير هـذا الموضع قد بين فيه أن هـذا من الشـرك الأكـبر الـذي لا يغفـره الله تعـالى، وفي الصحيحين: "عن ابن مسعود قال: قلت يا رسـول الله أي الــذنب أعظم؟ قــال: "**أن تجعل لله نــدا وهو خلقك**". قلت: ثم أي؟ قــال: "**أن تقتل ولــدك خشــية أن يطعم معك**". قلت: ثم أي؟ قـال: "**أن تـزاني بحليلة جـارك**"[2].

---

[1] انظر الفتاوى الكبرى 6/ 452.

[2] متفق عليه؛ صحيح البخاري 3/ 190 – 191، (ح: 4477)، وصحيح مسلم ص: 102، (ح: 257).

وأنزل الله تعالى تصديق ذلك: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭼ الفرقان: ٦٨، الآية. فمن جعل لله نـــدا يحبه كحب الله فهو ممن دعا مع الله إلها آخـــر، وهـذا من الشـرك الأكـبر. والمقصـود هنا أن الشـيء إذا انقسم ووقعت فيه الشـــركة نقص ما يحصل لكل واحـــد، فــإذا كــان جميعه لواحد كــان أكمــل، فلهــذا كــان حب المؤمنين الموحدين المخلصين لله أكمل"[1].

وقـــال ابن القيم: "فســـبحان الله رب العـــالمين، تنزيها لربوبيته وإلهيته وعظمته وجلاله عما لا يليق به من كل ما نســـبه إليه الجـــاهلون الظـــالمون. فســـبحان الله كلمة يحاشى الله بها عن كل ما يخـالف كماله من سـوء ونقص وعيب، فهو المنزه التنزيه التام من كل وجه، وبكل اعتبـار عن كل نقص متوهم. وإثبات عموم حمــده وكماله وتمامه ينفي ذلك، واتصافه بصـفات الإلهية الـتي لا تكـون لغـيره، وكونه أكبر من كل شـيء في ذاته وأوصـافه وأفعاله ينفي ذلك لمن رسخت معرفته في معنى "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"[2].

فتبين مما سـبق أن من أقر بتـنزه الله عن النقـائص والعيوب، وأثبت له صفات الكمال يلزمه أن يـنزه الله عن الشـريك في العبـادة، لأنه تعـالى متـنزه عن الشـريك في الألوهية كما تنزه عن النقائص والعيوب.

*******

---

[1] مجموع الفتاوى 17/ 144.

[2] شفاء العليل ص: 374.

# الباب الثاني

# الدلائل الشرعية على توحيد الألوهية,

وفيه أربعة فصول:

## الفصل الأول:

دلالة بعثة الرسل على توحيد الألوهية

## الفصل الثاني:

**دلالة الكتب المنزلة على توحيد الألوهية**.

## الفصل الثالث:

دلالة شهادة الله تعالى على توحيد الألوهية.

## الفصل الرابع:

دلالة الحكمة من خلق الجن والإنس على توحيد الألوهية

# الفصل الأول

## دلالة بعثة الرسل على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: الحكمة من بعثة الرسل الدعوة إلى توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: أول دعوة الرسل الدعوة إلى توحيد الألوهية.**
**المطلب الثاني: الخصومة بين الرسل وأممهم على توحيد الألوهية.**
**المطلب الثالث: مناظرات الأنبياء مع أممهم حول توحيد الألوهية.**

**المبحث الثاني: العواقب الحميدة للرسل وأتباعهم, والعواقب الوخيمة للمشركين, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: إكرام الله للرسل وأتباعهم الذين قاموا بالتوحيد.**
**المطلب الثاني: إهلاك الله المشركين المستكبرين عن عبادته وتوحيده.**

## المبحث الأول: الحكمة من بعثة الرسل الدعوة إلى توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:

### **المطلب الأول**: أول دعوة الرسل الدعوة إلى توحيد الألوهية:

قد تقـدم أن الله تعـالى فطر عبـاده على التوحيـد، وعبادة الله تعـالى ومحبتـه، والحاجة إليها أمر مركـوز في الفطر، ثم أرسل الله رسـله مـذكرين عن هـذه الفطـرة. وقد أقـام الله الـدلائل الكثـيرة القاطعة في كتابه على استحقاقه للعبادة وتفرده بهـا، ووجـوب إفـراده بهـا. ومن ذلك أنه تعـالى قد بين أنه أرسل رسـله لـدعوة أقـوامهم إلى عبادته وحـده لا شـريك لـه، وتحـذيرهم عن الشـرك، وأنه ما من أمة إلا أرسل إليها رسولا، يـدعوها إلى إخلاص العبادة لله، ويحذرها عن الشـرك بـه في العبـادة. وكـذلك بين أنه ما أرسل رسولا إلا بالدعوة إلى التوحيد، والنـذارة عن الشرك. ﭧ ﭨ ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ النحل: ٣٦، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الأنبياء: ٢٥ ، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ الزخرف: ٤٥.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "فـبين سـبحانه أنه بهـذا التوحيد بعث جميع الرسـل، وأنه بعث إلى كل أمة رسـولا به، وهذا هو الإسلام الـذي لا يقبل الله من الأولين ولا من الآخرين دينا غيره"[1].

وقد قرر القرآن هذا الـدليل، وصـور لنـا حالـة دعـوة الرسل قومهم، وفصله تفصيلا. وذلك أنه منذ أن خلق الله آدم عليه السـلام كـان النـاس أمة واحـدة - وذلك عشـرة قرون - كلهم على التوحيد، إلى أن حدث الشرك في قوم نـــوح عليه الســـلام، فأرسل الله الرسل للتحـــذير عن الشرك[2]. وقد كان أول دعوة هـؤلاء الرسـل الـدعوة إلى عبـادة اللـه وحـده لا شـريك لـه، فكـانوا يبـدأون دعـوتهم قومهم بالدعوة إلى التوحيد، فكـان ذلـك مفتـاح دعـوتهم،

---

[1] الفتاوى الكبرى 6/ 565.

[2] ينظر صحيح قصص الأنبياء (ص: 55 – 57).

وذلك لأنه الأساس في دعوتهم، وهو الغرض الأساسي لإرسالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الأعراف: ٥٩ ، وهذا أول دعوة الرسل وآخرها، قال النبي  في الحديث الصحيح المشهور: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله".** وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا: **"من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة"**، وقال: **"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"**. والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به"[1].

وقال العلامة ابن القيم "مفتاح دعوة المرسلين كلهم، وهو أول ما دعا إليه فاتحهم نوح، فقال: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ الأعراف: ٥٩ ، وهو أول ما دعا إليه خاتمهم محمد"[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل"[3].

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ: "وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله. فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة"[4].

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن أول دعوة الرسل هو الدعوة إلى التوحيد، منذ أن بدأ الله بإرسال

---

[1] منهاج السنة النبوية 5/ 346 – 347.

[2] مدارج السالكين 1/ 450.

[3] شرح العقيدة الطحاوية 1/ 21.

[4] تيسير العزيز الحميد 1/ 124 - 125.

الرسل بعد وقوع الشرك في بـني آدم. وذلك كـان النـاس أمة واحدة على التوحيد، من آدم إلى نوح عليهما السـلام، فوقع الشرك في قوم نوح، فأرسل الله نوحا ليـدعو قومه إلى التوحيد، فكـان أول ما بـدأ به الـدعوة إلى عبـادة الله وحـده لا شـريك لـه، وقد وردت أدلة من الكتـاب والسـنة على ذلك:

**أولا: الأدلة من القرآن:**

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الأعراف: ٥٩.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ هود: ٢٥ – ٢٦.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ نوح: ١ – ٣.

فدلت هذه الآيات على أن نوحا هو أول الرسـل، وأن أول ما بـدأ به دعـوة قومه إليه هو عبـادة الله وحـده وترك الشرك به تعالى في العبادة. فكـان أول دعوته على التوحيد. ثم تتابع الرسل بعده تترا، وكلهم يـدعو إلى توحيد الله وحده بالعبادة واجتناب الشرك.

ثم أرسل الله بعـده هـودا عليه السـلام، وكـان أول دعوته الدعوة إلى التوحيد:

4- قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الأعراف: ٦٥.

5- ثم جـاء من بعـده صـالح عليـه السـلام، فبـدأ بـدعوة قومه إلى عبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الأعراف: ٧٣.

6- وكذلك أول ما بدأ به إبراهيم عليه السلام لما أرسـل إلى قومه هو الدعوة إلى عبادة الله وحده، قال اللــه تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ العنكبوت: ١٦ – ١٧.

-7 وقال الله تعالى عن دعوة لـوط عليـه السـلام: ﭽ 
ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ
ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الشعراء: ١٦٠ - ١٦٣.

فـدعاهم إلى تقـوى اللــه، وذلــك بـإفراده بالتوحيـد والتوبة مما يرتكبونه من الفاحشة، وأمـرهم بطاعتـه هو لأنه رسول الله.

قال الحافظ ابن كثير: "فدعاهم إلى اللـه، عز وجـل، أن يعبدوه وحده لا شريك لـه، وأن يطيعـوا رسـولهم الــذي بعثه الله إليهم، ونهــاهم عن معصــية اللـــه، وارتكــاب ما كــانوا قد ابتــدعوه في العــالم، مما لم يسـبقهم الخلائق إلى فعلـه، من إتيـان الـذكران دون الإناث"[1].

-8 وقال الله تعالى عن شعيب عليه السلام: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ
ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الأعراف: ٨٥.

-9 وقال الله عن يوسف عليه السلام يدعو الفتــيين إلى التوحيد في السجن: ﭽ       
ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ
ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ
ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ
ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ
ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ يوسف: ٣٧ – ٤٠.

-10 وقال عيسى عليه السلام: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ
ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ
المائدة: ٧٢. و ﭧ ﭨ ﭽ ﮩ       ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ
ﭼ المائدة: ١١٧. فنفى أن يكون قال لهم شـيئا غـير مـا أمر به، وهو أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.

في هـذه الآيـات المتقدمـة بين اللـه تعـالى أنـه بعث الرسل في الأمم، وكل رسول يبدأ قومه بالدعوة إلى توحيد الله وتـرك عبـادة غـيره، إلى أن ختم اللـه الرسـالة والنبـوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي كسر الأصنام التي نحتها قوم نوح.

---

[1] تفسير القرآن العظيم 6/ 157.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "فاتحة دعـوة الرسل الأمر بالعبادة، ﭨ ﭩ ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البقرة: ٢١ ، وقال ﷺ: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا اللـه، وأن محمـدا عبـده ورسـوله**"(1)، وذلك يتضـمن الإقرار به وعبادته وحده، فإن الإله هو المعبود. ولم يقــل: حـتى يشـهدوا أن لا رب إلا اللـه؛ فـإن اسم الله أدل على مقصــود العبــادة له الــتي لها خلق الخلــق، وبها أمــروا. وكـذلك قوله لمعـاذ: "**إنك تـأتي قوما من أهل الكتـاب، فليكن أول ما تـدعوهم إليه شـهادة أن لا إله إلا اللـه، وأن محمدا رسول الله**"(2)، وقال نوح عليه السلام: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ نوح: ٣، وكذلك الرسل في سورة الأعراف وغيرها"(3).

وقال العلامة ابن القيم: "التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منـازل الطريـق، وأول مقـام يقـوم فيه السـالك إلى الله تعالى، ﭨ ﭩ ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ الأعراف: ٥٩ ، وقال هود لقومه: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الأعراف: ٦٥ ، وقال صالح لقومه: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الأعراف: ٧٣، وقال شعيب لقومه: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الأعراف: ٨٥، و ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ النحل: ٣٦.

فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهـذا قـال النـبي لرسـوله معـاذ ابن جبل رضي الله عنـه، وقد بعثه إلى اليمن: "**إنك تــأتي قوما أهل كتــاب، فليكن أول ما تــدعوهم إليــه؛ عبـادة الله وحـده. فـإذا شـهدوا أن لا إله إلا اللـه، وأن محمدا رسول اللـه، فـأخبرهم أن الله قد فـرض عليهم خمس صــلوات في اليــوم والليلة**..."، وذكر الحــديث. وقال: "**أمـرت أن أقاتل النـاس حـتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**"(4).

---

(1) متفق عليه، صحيح البخاري 1/ 24، (ح: 25)، وصحيح مسلم ص: 85، (ح: 129).

(2) متفق عليـه، صـحيح البخـاري 4/ـ 378 (ح: 7372)، وصـحيح مسلم ص: 84 (ح: 123).

(3) مجموع الفتاوى 2/ 13 – 14.

وقال الإمام الصنعاني: "إن رسل الله وأنبياءه ـ من أولهم إلى آخـرهم ــ بعثـوا لـدعاء العبـاد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة. وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ الأعراف: ٥٩ ، ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ هود: ٢٦ ، ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ نوح: ٣ ، وهذه الذي تضمنه قول "لا إله إلا الله". فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجـرد قولها باللسـان. ومعناهـا: هو إفـراد الله بالإلهية والعبـادة، والنفي لما يعبد من دونه والـبراءة منه. وهـذا الأصل لا مرية فيما تضـمنه، ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمـــــان أحد حــــتى يعلمه ويحققه"[1].

**ثانيا: الأدلة من السنة:**

1- روى ابن خزيمة وابن حبان والحـاكم بسـند صـحيح عن طـارق المحـاربي قـال: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه و ســـلم مر في ســـوق ذي المجـــاز وعليه حلة حمراء، وهو يقول: "**يا أيهـا النـاس قولـوا: لا إلـه إلا اللـه تفلحـوا**". ورجل يتبعه يرميه بالحجـارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها النـاس لا تطيعـوه، فإنه كـذاب فقلت: من هـذا ؟ قـالوا: غلام بـني عبد المطلب فقلت: من هذا الـذي يتبعه يرميه بالحجـارة؟ قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب"[2].

2- وكذلك كان النـبي ﷺ يوصـي رسـله أن يبـدؤوا دعـوتهم بالـدعوة إلى التوحيـد. فقد روى البخـاري ومسـلم عن ابن عباس يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: "**إنك تقـدم على قوم من أهل الكتـاب، فليكن أول ما تـدعوهم إلى أن يوحـــدوا الله تعـــالى، فـــإذا عرفـــوا ذلك فـأخبرهم أن الله قد فـرض عليهم خمس صـلوات**

---

(?)4 مدارج السالكين 5/ 3814 ـ 3815، وانظر طريق الهجرتين 2/ 643.

(?)1 تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص: 49).

2(?) صحيح ابن خزيمة 1/ 82، (ح: 159)، و صحيح ابن حبان 14/ 517، (ح: 6562)، والمستدرك 2/ 668، (ح: 4219)، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

**في يـومهم وليلتهم، فـإذا صـلوا فـأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أمـوالهم؛ تؤخذ من غـنيهم فـترد على فقـيرهم، فـإذا أقـروا بـذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس**"[1].

قال بدر الدين العيـني: "قوله: فليكن أول ما تـدعوهم إلى أن يوحــدوا الله أي: فليكن أول الأشـياء دعــوتهم إلى التوحيد وكلمة: ما، مصدرية"[2].

إذا تقرر أن الله أرسل رسولا في كل أمة، وأنه أمـرهم أن يدعوا قومهم إلى عبادة الله وحده، واجتنـاب المعبـودات من دونه، وأن أول دعوة كل رسول هـو الـدعوة إلى توحيـد الله بالعبـادة، يـدل دلالـة واضـحة على تفـرد اللـه بالألوهيـة واسـتحقاقه للعبـادة، ووجـوب إفـراده تعـالى بـذلك، وتـرك عبادة غيره، لأن بداية الرسل دعوتهم بالدعوة إلى التوحيــد، وافتتـاح الـدعوة بـه يـدل على أنـه أوجب الواجبـات، فيجب على كل أحد أن يُفرد الله تعالى بالعبادة، ويجتنب الشرك.

********

[1] متفق عليه، صـحيح البخـاري 4/ـ 378 (ح: 7372)، وصـحيح مسلم ص: 84 (ح: 123).

[2] عمدة القاري 25/ 123.

**المطلب الثاني**: الخصومة بين الرسل وأممهم على توحيد الألوهية:

لقد أرسل الله رسـله إلى أقـوام قد اجتـالتهم الشياطين، وزينت لهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها من المعبودات من دون اللـه، بعد أن وجـدوا آبـاءهم على ذلك، وقد نشأوا على ذلك واعتـادوه. فلما دعتهم رسـلهم إلى حصر العبـادة في عبـادة الله وحـده، وتخصيصه بها عظم ذلك في قلوبهم، فـدخلوا في الخصـومة مع رسـلهم على ذلك. فخاصموهم فيما جاؤوا به، وأنكروا عليهم حصر العبـادة في إله واحـد، وهـددوهم وآذوهم بـالقول والفعل حتى حل بهم العذاب والعقاب، فـأهلكهم الله تعـالى على شركهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

وقد بين الله تعالى ذلك في عدة مواضع من القـرآن ما يدل على أن الأمم خاصموا رسلهم من أجل أن دعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنمـاذج على ذلك في الكتاب والسنة كثيرة، نذكر طرفا منها:

**أولا: الخصومة بين نوح  وقومه:**

نوح  هو أول الرسل، وأن أول شـرك وقع في قومه لشـبهة تعظيم الصـالحين من البشـر، فقد دعـاهم إلى التوحيد ليلا ونهارا، وسرا وجهرا، ونـوّع لهم الأسـاليب في الدعوة في حالات مختلفة في أعوام عديـدة، ومع ذلك لم يؤمنـوا بـه، بل كـذبوه وخاصـموه، وفي ذلك قـال تعـالى حاكيا عنه عليه السـلام يشـتكي عصـيانهم له وتمـردهم وتكذيبهم إياه في دعوته: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ... ﭼ نوح: ٢١ – ٢٨.

فبين الله تعالى أن قوم نوح  ما قبلوا دعوته، بل كـذبوه وعارضـوه، حيث أوصـى بعضـهم إلى بعض الآخـر، أن لا يدَعوا عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

قال الحافظ ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام، أنه أنهى إليه، وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء، أنه مع البيان المتقدم ذكره، والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى: أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام"[1].

فهذا يدل على أن نوحا عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد، ونوع لهم الأساليب والأوقات كي يقبلوا دعوته، ولكن جادلوه وخاصموه وكذبوه وشتموه، وكل هذا يدل على شدة خصومتهم دفعا للحق، وثباتا على الباطل.

[illegible] هود: ٣٢ – ٤٤.

وكذلك في هذه الآيات الكريمة يقص الله تعالى لنا ما جرى بين نوح عليه السلام وقومهم من أخذ ورد، وخصومة وجدال، حيث اتهموه بكثرة الجدال، وجداله لإثبات الحق، وهم يجادلونه بالباطل، حتى جاءهم العذاب فأهلكهم الله لأجل تكذيبهم وخصومتهم بالباطل.

قال ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في عداتك، ودعواك أنك لله رسول. يعني بذلك أنه لن يقدر على

---

[1] تفسير القرآن العظيم 8/ 234، وانظر تيسير الكريم الرحمن (ص: 789).

شيء من ذلك"[1]. فروى عن مجاهد: "ﭽ ﮕ ﭼ قال: ماريتنا"[2].

فدل على أن قوم نوح عليه السلام قد خاصموه خصومة شديدة من أجل أن دعاهم إلى ترك ما يعبد آباؤهم، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ هود: ٣٢، أي خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها. والجدل في كلام العرب المبالغة في الخصومة، مشتق من الجدل وهو شدة الفتل، ويقال للصقر أيضا أجدل لشدته في الطير، وقد مضى هذا المعنى في "الأنعام" بأشبع من هذا. وقرا ابن عباس: "فأكثرت جدلنا" ذكره النحاس. والجدل في الدين محمود، ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبله أنجح وأفلح، ومن رده خاب وخسر"[3].

فدل هذا على أن الخصومة وقعت بين نوح عليه السلام وقومه فيما دعاهم إليه، وهو توحيد الله وحده بالعبادة. وكذلك وقعت مثل هذه الخصومة بين سائر الرسل وأممهم:

**ثانيا: الخصومة بين هود  وقومه:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ
ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ
ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ
ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ الأعراف: ٧٠ – ٧٢.

في هذه الآيات يخبر الله تعالى عن قوم هود عليه السلام حين خاصموه وجادلوه على ما جاء به من الأمر بعبادة الله وحده، وترك عبادة الآلهة من دونه مما يعبد آباؤهم، فأبوا أن يتبعوه، وتمادوا على شركهم حتى جاءهم العذاب.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود: أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي

---

[1] جامع البيان في تفسير القرآن 12/ 388.

[2] المصدر نفسه.

[3] الجامع لأحكام القرآن 9/ 27.

نعبد الله وحـــده ونـــدين له بالطاعة خالصا ونهجر عبـــادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها؟ فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا إليه، فأتنا بما تعـدنا من العقـــاب والعـــذاب على تركنا إخلاص التوحيد للـــه، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثــــــان إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد"[1].

وقال أيضا: "وأما قوله: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ، فإنه يقول: أتخاصمونني في أسماء سـميتموها أصـناما لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ ، يقول : ما جعل الله لكم في عبــادتكم إياها من حجة تحتجــون بها ولا معــذرة تعتـذرون بهـا، لأن العبـادة إنما هي لمن ضر ونفـع، وأثـاب على الطاعة وعـــاقب على المعصـــية، ورزق ومنـــع، فأما الجمـاد من الحجـارة والحديد والنحـاس فإنه لا نفع فيه ولا ضر، إلا أن تتخذ منه آلة، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه، لأن الله يأذن بـذلك، فيعـذر من عبـده بأنه يعبــده اتباعا منه أمر الله في عبادته إيــاه، ولا هو إذ كــان الله لم يــأذن في عبادته مما يــرجى نفعه أو يخـاف ضـره في عاجل أو آجل ، فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضره"[2].

ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﭼ الأحقاف: ٢١ – ٢٥.

قال ابن جرير: "يقـول تعـالى ذكـره: قـالت عـاد لهـود، إذ قـال لهم لا تعبـدوا إلا الله إني أخـاف عليكم عـذاب يـوم عظيم: أجئتنا يا هود لتصـرفنا عن عبـادة آلهتنا إلى عبـادة ما تدعونا إليه، وإلى اتباعك على قولك"[3].

**ثالثا: الخصومة بين صالح ﴿ وقومه:**

---

[1] جامع البيان في تفسير القرآن 10/ 279.

[2] المصدر نفسه 10/ 281، وانظر تيسير الكريم الرحمن (ص: 271).

[3] جامع البيان في تفسير القرآن 21/ 154.

ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ
ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ
ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ
ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ
ﯓ ﯔ ﭼ الأعراف: ٧٥ – ٧٩.

في هذه الآيات يقص الله تعالى لنا الخصومة الـتي جـرت بين صـالح عليه السـلام وقومـه، من أجل أن دعـاهم إلى عبادة الله وحده، وتـرك عبـادة ما سـواه، من الآلهة الـتي كـانوا يعبــدونها، كما وجــدوا عليها آبــائهم. فــدعاهم إلى التوحيد فاســتكبروا وقــالوا إنهم كــافرون بما أرسل بــه. فطغـوا وتمـادوا في طغيـانهم حـتى طلبـوا منه أن يـأتيهم بالعذاب الذي وعدهم بـه، فأخـذهم الله أخذ عزيز مقتـدر، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ تقدم معناه. ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ قال مجاهد: أي مـؤمن وكـافر، قـال: والخصـومة ما قصه الله تعـالى في قوله: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ إلى قوله: ﭽ ﮐ ﮑ ﭼ الأعراف: ٧٦"[1].

وﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ
ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ
ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ
ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ
ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ
النمل: ٤٥ – ٥٣.

وكذلك في هذه الآيات قصة لما دار بين صالح وقومه من الخصـومة من أجل أن دعـاهم إلى عبـادة الله وحـده. فصار القوم فريقين يختصون، فريق مؤمن به وبما جاء به من التوحيــد، وفريق كــافر بما جــاء به وهم معظمهم. ثم تبادروا فعل السيئات وحرصـوا عليها قبل فعل الحسـنات، ثم زعمــوا - قبّحهم الله - أنهم لم يــروا على وجه صــالح خـيرا، وأنه هو ومن معه من المؤمـنين صـاروا سـببا لمنع بعض مطـالبهم الدنيويـة، وكـان في المدينة الـتي يسـكنها

[1] الجامع لأحكام القرآن 13/ 214.

صـالح عليه السـلام تسـعة رهط يفسـدون في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصـلاح، قد اسـتعدوا لمعـاداة صـالح والطعن في دينه ودعـوة قـومهم إلى ذلـك. حـتى آل بهم الأمر إلى أن دبـــروا أمـــرهم على قتل صـــالح وأهله على وجه الخفية حتى من قـومهم خوفا من أوليائـه، فنصر الله نبينه صالحا  ويسّر أمره وأهلك قومه المكذبين[1].

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى ثمـود أخـاهم صـالحا بـأن اعبـدوا الله وحـده لا شـريك لـه، ولا تجعلوا معه إلها غيره. ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ، يقول: فلما أتاهم صـالح داعيا لهم إلى الله صـار قومه من ثمـود فيما دعـاهم إليه فـريقين يختصـمون، ففريق مصـدق صـالحا مؤمن به، وفريق مكذب به كافر بما جاء به"[2].

**رابعا: الخصومة بين إبراهيم  وقومه:**

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ الأنبياء: ٥١ – ٧١.

قال ابن جرير: "وقوله: ﭽ ﮞ ﮟ ﭼ يقول: قبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، فتـتركوا عبادتـه، وتعبـدوا الله الـــذي فطر الســـماوات والأرض، والـــذي بيـــده النفع والضر؟"[3].

---

[1] انظر تيسير الكريم الرحمن (ص: 606).

[2] جامع البيان في تفسير القرآن 18/ 85، وانظر تفسير القرآن العظيم 6/ 197.

[3] جامع البيان 16/ 304.

ثم قــال: "وهــذه القصة الــتي قص الله من نبأ إبــراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قــريش, أنهم قد ســلكوا في عبــادتهم الأوثــان، وأذاهم محمــدا على نهيه عن عبادتهــا، ودعــائهم إلى عبــادة الله مخلصــين له الــدين، مســلك أعــداء أبيهم إبــراهيم, ومخــالفتهم دينــه، وأن محمــدا في براءته من عبادتها, وإخلاصه العبــادة للــه، وفي دعــائهم إلى الــبراءة من الأصــنام، وفي الصــبر على ما يلقى منهم في ذلك ســالك منهــاج أبيه إبــراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهــرهم كما أخــرج إبــراهيم من بين أظهر قومه حين تمــادوا في غيهم إلى مهــاجره من أرض الشــام، ومسل بــذلك نبيه محمــدا صــلى الله عليه وســلم عما يلقى من قومه من المكــروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبــراهيم من كفرة قومه"[1].

وٹ ٹ چ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ العنكبوت: ١٦ – 18.

إلى قوله تعالى: چ  ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڎ ڎڈ چ العنكبوت: ٢٤ – ٢٦.

في هذه الآيات بيــان لما لاقــاه إبــراهيم عليه الســلام من الأذى والتكــذيب من قبل قومــه، وما قــاموا به من محاولة قتله، حيث قاموا بإلقائه في النار لإحراقــه، فنجّــاه الله تعالى منهــا. وكل ذلك من أجل أن دعــاهم إلى عبــادة الله وحده.

قال ابن جرير: "يقول تعــالى ذكــره: فلم يكن جــواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلــوه أو حرقوه بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنــار، فأضــرموا له

---

[1] المصدر الســابق 16/ـ 310 – 311، وانظر تيســير الكــريم الرحمن ص: 526.

النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه، بل جعلها عليه بردا وسلاما"[1].

وقــال ابن عطية: "وأخــبر الله تعــالى عنهم أنهم لما بين إبــراهيم الحجج وأوضح أمر الــدين رجعــوا معه إلى الغلبة والقهر والغشم وعــدوا عن طريق الاحتجــاج حين لم يكن لهم قبل به فتآمروا في قتله أو تحريقه بالنار، وأنفذوا أمر تحريقه حسبما قد اقتص في غـير هـذا الموضـع، «وأنجـاه الله» تعالى من نارهم بأن جعلها عليه بردا وسلاما"[2].

ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ الصافات: ٨٣ – ٩٨.

في هذه الآيات وغيرها التي وردت ببيان قصة دعـوة إبراهيم عليه السـلام قومـه، فيهـا تصـوير لمـا جـرى بينـه وقومــه من الخصــومة والجــدال حــول موضــوع دعوتــه؛ الدعوة إلى عبادة الله وحده.

قـــال الحافظ ابن كثـــير: "لما قـــامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سـورة الأنبيـاء، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها؛ ولهذا قال تعالى: ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ"[3].

**خامسا: الخصومة بين شعيب ﷺ وقومه:**

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ

---

[1] جامع البيان 18/ 380.

[2] المحـرر الوجـيز 4/ـ 312، وانظر تفسـير القـرآن العظيم 6/ 271.

[3] المصدر نفسه 7/ 26.

ۈ ۇ ۆ ۋ ۅ ۉ ې ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ الأعراف: ٨٨ – ٩٣.

في هذه الآيات يخبر الله تعالى عن خصومة قوم شعيب عليه السلام، حيث خاصموه بعد أن دعاهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده، فقال أشرافهم والكبراء منهم لشعيب ومن معه من المؤمنين المستضعفين: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا. فقال لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجبا من قولهم: أنتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها؟ فاشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما نجانا الله منها وأنقذنا من شرها، أننا كاذبون مفترون على الله الكذب، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل لله شريكا، وهو الواحد الذي لا إله إلا هو. ويمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال [1].

**سادسا: الخصومة بين قريش وبين النبي ﷺ:**

فقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أقوام يعبدون الأصنام المعبودات من عند الله فطلب منهم أن يؤمنوا بالله وحده ويخلعوا عبادة غير الله، فردوا دعوته ولم يقبلوا منه، وكذبوه وشتموه وخاصموه، فآذوه وقالوا: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ ص: ٤ - ٨.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الصافات: ٣٥ – ٣٦.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعجبهم من بعثة الرسول بشرا، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ يونس: ٢، وقال هاهنا: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ أي: بشر مثلهم، ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك - قبحهم الله تعالى - وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة

[1] انظر تيسير الكريم الرحمن (ص: 296).

الأوثان وأشربته قلوبهم. فلما دعـاهم الرسـول صـلى الله عليه وســـلم إلى خلع ذلك من قلـــوبهم، وإفـــراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: ﭽ ﮋ ﮌ ﭼ أي: استمروا على دينكم ﭽ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﭼ ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد.

وقوله: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ قال ابن جرير: إن هذا الذي يـــدعونا إليه محمد صـــلى الله عليه وســـلم من التوحيد لشـيء يريد به الشـرف عليكم والاسـتعلاء، وأن يكـون له منكم أتباع ولسنا مجيبيه إليه"[1].

وكـــان صـــلى الله عليه وســـلم يطـــوف عليهم في محافلهم وأسواقهم يدعوهم إلى التوحيد، ويقول: "**يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحـوا**"[2]، ولكن ما قـابلوه به إلا التكـذيب والإيـذاء إلى أن هـاجر ومن آمن معه إلى المدينة.

روى ابن خزيمة وابن حبـــان والحـــاكم عن طـــارق المحـاربي قـال: "رأيت رسـول الله ﷺ مر في سـوق ذي المجـاز وعليه حلة حمـراء، وهو يقـول: "**يا أيها النـاس قولــــوا: لا إله إلا الله تفلحــــوا**"، ورجل يتبعه يرميه بالحجـــارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقـــول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب. فقلت: من هذا؟ قـالوا: غلام بـــني عبد المطلب. فقلت: من هـــذا الـــذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب"[3].

وروى ابن حبان بإسناده عن عبد الله بن عمرو، قال: "قلت: ما أكـثر مـا رأيت قريشـا أصـابت من رسـول اللـه

---

[1] تفسير القرآن العظيم 7/ 53.

[2] سيأتي تخريجه، وهو الحديث المذكور بتمامه الآتي ذكره.

[3] صحيح ابن خزيمة 1/ 82، (ح: 159) وقال الأعظمي: إسناده صحيح، و صحيح ابن حبان 14/ 517 ـ 519، (ح: 6562) وقال محققه: إسناده صحيح، والمستدرك 2/ 668، (ح: 4219)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال: "صحيح".

صلى الله عليه وسلم، فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: قـد حضـرتهم وقـد اجتمـع أشـرافهم في الحجـر، فـذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل مـا صـبرنا عليـه من هـذا الرجـل قـط، سـفه أحلامنـا، وشـتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كمـا قـالوا، فبينـا هم في ذلـك، إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي حتى استلم الـركن، فمـر بهم طائفـا بـالبيت، فلمـا أن مـر بهم غمزوه ببعض القـول، قـال: وعـرفت ذلـك في وجهـه، ثم مضى صلى الله عليه وسلم، فلما مـر بهم الثانيـة غمـزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى صـلى اللـه عليـه وسـلم، فمـر بهم الثالثـة، غمـزوه بمثلهـا، ثم قـال: «**أتسـمعون يـا معشـر قـريش أمـا والـذي نفس محمـد بيده، لقد جئتكم بالذبح**» قال: فأخذت القوم كلمته حـتى ما منهم رجل إلا لكأنما على رأسـه طـائر واقـع، حـتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلـك يتوقـاه بأحسـن مـا يجيب من القول، حتى إنه ليقول: انصـرف يـا أبـا القاسـم، انصـرف راشدا، فوالله ما كنت جهولا، فانصرف رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجـر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم مـا بلـغ منكم، ومـا بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، وبينا هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولـون لـه: أنت الـذي تقـول كـذا وكـذا - لمـا كـان يبلغهم عنـه من عيب آلهتهم ودينهم؟ قال: «**نعم، أنـا الـذي أقـول ذلك**» قـال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائـه، وقـال وقـام أبـو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط"[1].

---

[1] صحيح ابن حبان (ح: 6567)ـ 14/ـ 525 –ـ 527، وقـد رواه البخاري مختصرا في باب: ما لقي النبي - صـلى الله عليه وسـلم - وأصحابه من المشركين (ح: 3856).

وهكذا كان النبي  عانى من قومه، والأمثال في ذلك كثيرة، وهي موجودة في كتب الحديث والسير والمغـازي، وكانت الخصومة بينهم وبينه هـو من أجـل أن دعـاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده وترك عبادة غيره من الأصنام.

وبهذا السرد تبين لنا أن الخصومة وقعت بين الرسـل وأممهم لأجل دعوتهم إلى توحيـد الألوهيـة. فهـذا مـا يـدل على أهمية هـذا التوحيـد ووجوبـه على العبـاد، لأن الأنبيـاء كلهم جاءوا بالدعوة إليه حتى وقعت الخصومة بينهم وبين أممهم.

قال الشيخ ابن باز رحمه اللـه: "إنما المقصـود أن نعـرف ما هو التوحيد الـذي بعث الله به الرسل وأنـزل به الكتب, ووقعت فيه الخصـــــومة بين الرسل وأممهم, وهو توحيد العبادة"[1].

وكون الخصومة وقعت بين الرسل وأممهم في توحيـد الألوهية يدل دلالة واضحة على وجوبه، إذ الخصومة لا تكون إلا في الأمر الواجب اللازم، الذي يجب إقامتـه والإتيـان بـه والدفاع عنه.

*******

---

[1] مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز 2/ 71.

**المطلب الثالث**: مناظرات الأنبياء مع أممهم حول توحيد الألوهية:

لما دعا الأنبياء أممهم إلى توحيد الألوهيـة، بينـوا لهم الأدلة الـتي تـبين اسـتحقاق الله تعـالى بالألوهية وتفـرده بالعبـادة، وأقـاموا عليهم الحجـة، ومن ذلك المنـاظرات والمجـادلات الـتي جـرت بينهم، بيانا للحق ودحضا للباطل وإقامة للحجة على المبطلين. وفيما يـــأتي ذكر تلك المناظرات التي وقعت فيما بينهم وبين أممهم.

**أولا: مناظرة نوح مع قومه:**

لقد كان نوح عليه السلام أول رسـول إلى أهل الأرض بعد ما وقع الشـرك، فكـان يـدعو قومه بأسـاليب متنوعـة، وحـاورهم ونـاظرهم من أجل أن يقنعهم على تفـرد الله بالألوهية ووجوب إفراده بالعبادة.

ﭧ ﭨ ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ
ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ
ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ
ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ نوح: ١٠ – ٢٠.

فلما ابتلاهم الله تعـــالى في أمـــوالهم وأولادهم، وانقطع المطر عنهم بسـبب شـركهم، أمـرهم نـوح عليه السـلام أن يتوبـوا من الشـرك ويسـتغفروا الله تعـالى، ويوحـدوه بالعبـادة. واسـتدل لهم على توحيد الله بـذكر ربوبية الله لجميع المخلوقات، وأنه هو الذي خلقها.

قال البغوي: "وذلك أن قوم نـوح لمـا كـذبوه زمانـا طـويلا حبس اللـه عنهم المطر، وأعقم أرحـام نسـائهم أربعين سـنة، فهلكت أمـوالهم ومواشـيهم، فقـال لهم نـوح: اسـتغفروا ربكم من الشـرك، أي اسـتدعوا المغفـرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا"[1].

ﭧ ﭨ ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ
ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ
ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ هود: ٢٥ – ٢٧.

---

[1] معالم التنزيل 8/ 230، وانظر زاد المسير 8/ 370 – 372.

بين الله في هذه الآيات أن نوحا عليه السـلام لمـا دعـا قومـه إلى التوحيـد وعبـادة اللـه وحـده، اعترضـوا عليـه بشبهات مما يمنهم من قبول دعوته، ومنها:

1- أنه بشر مثلهم، ولم يك ملَكـا. والمفـروض أن يكـون الرسول من الله ملَكا لا بشرا.
2- أن من استجاب لـه وتبعـه على دينـه إنمـا هم أراذل الناس وفقراؤهم دون العظماء والأغنيـاء. فلـو كـانت دعوته صادقة لاتبعه أشراف الناس وأغنياؤهم.
3- وأنهم إنما اتبعوه من غير تفكر ورَوِيّـة، بل بمجـرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك، أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم.
4- زعمهم أن نوحا عليه السلام ومن معـه ممن آمن بـه ليسوا أفضل منهم في الخلق والرزق فينقادون لهم.
5- ظنهم أنه كاذب في دعوى الرسالة[1].

ثم قـام نـوح عليـه السـلام بـالرد عليهم والإجابـة على دعاواهم، وتفنيد شبههم. ﭧ ﭨ ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □
□ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ
ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ
ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ
ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ
ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ هود: ٢٨ – ٣١.

وملخص إجابته لهم كالآتي:

1- بين لهم أنه على يقين وجزم بأنه هو الرسول الكامل القدوة، الذي ينقـاد له أولو الألبـاب، وذلك من رحمة الله وفضــله عليــه، وذلك أيضا من رحمة الله عليهم أن أرسل إليهم بشرا رسولا من جنسهم.
2- بين لهم أنه لا يطلب منهم الأجر وجزاء دعوته، وإنمـا جزاؤه عند الله.

---

[1] انظر جامع البيان 12/ 379 – 381، معالم التنزيل 4/ 171، المحرر الوجيز 3/ 163 – 164، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 316 – 317.

3- وأنه لا ينبغي له أن يطرد الضعفاء الذين آمنوا به، ولا يليق به ذلك. وطلبهم ذلك منه يدل على جهلهم حيث يأمرونه بطرد أولياء الله.

4- بين لهم أنه بشر، ويدل على ذلك أنه لا يملك خـزائن الله، ولا يعلم الغيب، وليس بملك بل هو بشر يـوحى إليه[1].

هكذا جرت المناظرة بين نوح عليـه السـلام وقومـه، حتى دعوا على أنفسهم، ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ هود: ٣٢، فحق عليهم العذاب فأهلكهم الله بالطوفان.

فدخول نـوح مـع قومـه في المنـاظرة على التوحيـد يـدل على أن التوحيد هو أوجب الواجبات، لـذا أصـر نـوح عليـه لإقناعهم.

**ثانيا: مناظرة هود ‌مع قومه:**

لقـد دعـا هـود عليـه السـلام قومـه إلى توحيـد اللـه وعبادتـه وحـده لا شـريك لـه، وجـرت بينـه وبين قومـه مناظرات ومحاورات ليقنعهم على ما يدعوهم علية. وقـد قص الله تعالى ذلك في كتابه. ﭧ ﭨ ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الأعراف: ٦٥ – ٦٩.

فـبين تعـالى أن عـادا اتهمـوا هـودا عليه السـلام بالسـفاهة، وكـذبوه في دعـوى الرسـالة. فنـاظرهم ورد عليهم في دعواهم الباطلـة، وكشف عن شـبهاتهم، فقـال ليس بي سـفاهة بوجه من الوجـوه، بل هو الرسـول المرشد الرشيد. وأنه رسول الله الواجب أن يتلقى دعوته بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد. وشـبهتهم في ذلك هو اعتقـادهم أن الله لا يرسل بشـرا رسـولا، وكيف تعجبـون من أمر لا يُتعجب منـــه، وهو أن الله أرسل إليكم رجلا

[1] انظر جامع البيان 12/ 381 – 386، معالم التنزيل 4/ 171 – 172، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 317 ـ 318 ، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد 1/ 531 – 533.

منكم تعرفون أمـره، يـذكركم بما فيه مصـالحكم، ويحثكم على ما فيه النفع لكم، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين؟[1].

ثم ذكّـــــــرهم بنعم الله عليهم إقامة للحجة ولعلهم يقبلون دعوته فيؤمنون به. ولكن حق عليهم كلمة العـذاب فأهلكهم الله لعنادهم وكفرهم.

**ثالثا: مناظرة صالح عليه السلام مع قومه:**

وكـــذلك أرسل الله صـــالحا عليه الســـلام إلى قومه يـــدعوهم إلى عبـــادة الله وحـــده، وجـــرت بينه وبينهم المناظرة كما كانت عادة الأمم مع رسلهم.

ٹ ٹ ڇ ى ى ې
ۑ
ٻ ٻ ڀ ڀ
ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڇ

هود: ٦١ – ٦٣.

فلما دعا صالح قومه إلى التوحيد وعبادة الله وحـد لا شـريك لـه، نـاظره قومـه وبينـوا لـه أنهم كـانوا يرجونه ويؤملـون فيه العقل والخـير، وأنه ما زال معروفا بمكـارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيـار قومه. ولكنـه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قـالوا هـذه المقالـة، الـتي مضـمونها، أنك قد كنت كـاملا والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير[2].

وقد غيروا موقفهم منه لأنه نهاهم عن عبادة غير الله ممـا كـان يعبـد آبـاؤهم. فـرد عليهم عليـه السـلام ونقض حجتهم وبين أنه على يقين وبرهـان من ربـه على أن اللـه من عليه برحمته وآتاه الرسالة. إذًا فكيف يتبعهم على مـا يدعونه إليه؟ فمن ينقذه من عذاب الله وغضبه إن تـابعهم على دينهم؟

**رابعا: مناظرة إبراهيم عليه السلام مع قومه:**

---

[1] انظر جامع البيان 10/ 264 – 266، معالم التنزيل 3/ 242 – 243، تيسير الكريم الرحمن ص: 293 - 294.

[2] انظر جامع البيان 12/ 454 – 455، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 331 – 332، تيسير الكريم الرحمن ص: 384 - 385.

لقد كان إبراهيم عليه السلام إماما وقـدوة في الـدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشـــــرك، وقد دعا أبيه وقومه إلى توحيد الله وعبادته وحـده لا شـريك لـه، ودخل معهم في مناظرات عديدة، منها المنـاظرة مع أبيـه، ومع قومه ومع الملك. وقد حكى الله كل ذلك في القرآن:

**أولا: مناظرته عليه السلام مع أبيه:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ
ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ
ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ
ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ
ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ مريم: ٤١ – ٤٨.

ناظر إبراهيم عليه السلام أبـاه وأقـام عليه الحجة على بطلان عبـــادة الآلهة من دون اللـــه، وجـــرت المنـــاظرة كالآتي:

1- أن إبراهيم عليه السلام قرر لأبيـه أن آلهتـه لا تسـمع ولا تبصر ولا تغني لأنفسها شيئا فضـلا عن عابـدها، لا تنفعه ولا تدفع عنه الضر.

2- وأنـه جـاءه علم من اللـه ووحي منـه تعـالى الـذي يتضمن الهدى، ما يدل على أن ما عليه أبـوه وقومـه باطل وضلال، وموجب للعذاب الأليم، وأن ذلك عبادة الشيطان.

3- فـــأمره أن يتبعه لأنه على هـــدى من اللـــه، ولا يتبع الشيطان فيكون له قرينا في النار.

4- وبعد أن ألزم أباه الحجة وأفحمه لم يكن له سبيل إلا التهديـد بـالرجم إذا لم ينتـه عن دعوتـه إلى التوحيـد ومناظرته فيه.

5- فأمره بأن يعتزل عنه ويبتعد عنه زمنا طـويلا قبل أن يصيبه منه عقوبة.

6- ومع ذلك ما زال إبــراهيم عليه الســلام يرجو الهداية لأبيه، حتى وعده بالاستغفار له، وأن يدعو الله لـه أن يهديك للإسلام[1].

هكذا انتهت هذه المناظرة بين إبـراهيم عليه السـلام وأبيه في التوحيد واجتناب الشرك.

**ثانيا: مناظرته مع قومه في عبادة الأصنام:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﮱ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ الأنبياء: ٥١ – ٦٧.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ
ﭼ الشعراء: ٦٩ - ٨٩.

في هـذه الآيـات يقص الله تعـالى عن المنـاظرة الـتي جـــرت بين إبـــراهيم عليه الســـلام وقومه في عبـــادتهم الأصنام، وجرت المناظرة كالتالي:

1- سـألهم إبـراهيم عليه السـلام عن حقيقة هـذه العبـادة التي يفعلونها عند هذه الأصنام.

2- فأجــابوه بأنها عبــادة ورثوها عن آبــائهم، فلا حجة لهم على ذلك إلا أنهم قلـــدوا آبـــاءهم الأولين على هــــذا الشرك.

---

[1] انظر معالم التنزيل 5/ 234 – 235، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 234 – 235، تيسير الكريم الرحمن ص: 494 – 495.

3-ثم بين لهم أنهم وآبـــائهم كلهم على ضـــلال بيّن، لأنهم على شـــرك بالله تعـــالى، ولم يـــنزل الله على ذلك سلطانا.
4-ثم استغربوا هذا القـول منـه، فقـالوا لـه: أجئتنا بـالحق فيما تقوله أم أنت هازل لاعب؟
5-ثم بـدأ يـذكرهم لهم الحجج والـبراهين على اسـتحقاق الله تعالى بالألوهية ووجوب توحيـده، وأن عبـادة غـيره شرك وكفر بالله تعالى.
6-فــاحتج عليهم بــأن الله تعــالى هو الــرب الــذي خلق الســموات والأرض وجميع المخلوقــات. فــاحتج عليهم بتفــرد الله بالربوبية على اسـتحقاقه للألوهية ووجــوب إفراده بالعبادة.
7-فأقام عليهم الحجـة، ولم يكن لهم جـواب، لـذلك عـزم على كسر هــذه الأصــنام، لأنها لا تسـتحق العبــادة فلا فائدة لها، من باب إزالة المنكر.
8-فلما كسر الأصــنام إلا كبــيرا لهم، جــاؤوا إليه للمــرة الثانيــة، فنــاظرهم منــاظرة انقطعــوا فيهــا، وأفحمهم بالحجج والبراهين العقلية، التي تُقنع كل عاقل.
9-ومن الحجج الــتي ألــزمهم بهــا؛ طلب مهم أن يســألوا الآلهة عمن كسرها إن كانوا ينطقون. وهم يعرفـون أنها لا تنطق، فلا ترجع إليهم قولا. فاعترفوا بأنها لا تنطق.
10- وسألهم؛ هل هذه الأصنام يسـمعونهم إذا دعـوهم، أو ينفعــونهم بشــيء من حــوائجهم، أو يســتطيعون أن يضروهم ويصيبوهم بالعقوبة إذا عصوهم؟
11- ثم أقام عليهم الحجة؛ فقال لهم: ﭼ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭽ، فدلهم على أنها ناقصة، لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع الدعوى فكيف يعبدها عاقل؟ لذلك قال لهم: ﭼ ﮬ ﮭ ﮮ ﭽ؟
12- ثم تـبرأ منها وأخلص لله الحي القـادر الغـني النـافع الضار، الخـالق الهـادي، الـذي يطعم ويسـقي، ويشـفي المرضــى، ويميت ويحــيي، ويجيب المضــطر ويكشف السـوء، المتصف بصـفات الكمـال، لأنه الـذي يسـتحق العبــادة دون الآلهة الناقصة الجامــدة. لأنه تقــرر في

العقــول والفطر الســليمة، أنه لا يُــرجى ولا يخــاف إلا الحي القادر الغني النافع الضـار. لـذلك فلا تـدعى هـذه الأصنام ولا تُعبد لأنها جماد ميتة ناقصة[1].

**ثالثا: مناظرة إبراهيم لقومه في عبادة الكواكب:**

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ
ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ
ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ
ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ
ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ
ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ
ﰕ ﰖ ﭼ الأنعام: ٧٤ – ٨٣.

أخـــبر تعـــالى أنه كما وفّق نوحا عليه الســـلام للتوحيد والدعوة إليه كذلك أراه الآيات المخلوقـات في السـموات والأرض لـــيزداد علما ويقينـــا. فلما أظلم الليل رأى كوكبا فقـال – على وجه التـنزل مع الخصم – هـذا ربي، فتعـالوا لننظر هل يسـتحق الربوبيـة؟ فلما غـاب الكـوب قـال: لا أحب ربا يغيب ويختفي عن عابديـــه، فمن أين يســـتحق العبادة؟!

فلما رأى القمر طالعا قال: - تنزلا مع الخصم – هـذا ربي. فلما غاب تبين أنه لا يسـتحق الربوبية فضلا أن يكـون إلها معبودا. ثم سأل الله ربه الهداية.

فلما رأى الشمس طالعة قال – تنزلا – هذا ربي، هذا أكبر من الكـوكب والقمـر. فلما غـربت تـبين أنها لا تسـتحق الربوبية والألوهية، فتـبرأ مما يشـركون به لقيـام البرهـان الواضح على بطلان عبادتهـا. فوجّه وجهه إلى الله الـذي خلق السموات والأرض وحده لا شريك له، لأنه المسـتحق للعبادة[2].

---

[1] انظر جامع البيان 16/ 292 – 303، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 347 – 351، تيسير الكريم الرحمن ص: 525 – 527.

[2] انظر تيسير الكريم الرحمن ص: 262.

هكـذا جـرت المنـاظرة بينه عليه السـلام وقومـه، فأقـام عليهم الحجة على بطلان عبادة الكواكب.

قال الإمام ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: وجادل إبــراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصـنام، وكـان جـدالهم إياه قولهم: إن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه. ﭽ ﭾ ﭼ إبراهيم: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ يقول: أتجادلونني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة؟ ﭽ ﯝ ﯞ ﭼ يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته، وبصــرني طريق الحق حتى ألفت أن لا شيء يستحق أن يعبد سواه"[1].

**خامسا: مناظرة شعيب عليه السلام مع قومه:**

**قال تعالى:** ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ هود: ٨٤ - ٩٣.

في هذه الآيات يقص الله تعالى ما جرى بين شــعيب عليه الســـلام وقومه من المنـــاظرة في إثبــــات توحيد العبادة. ويتلخص ما جرى بينهم في النقاط التالية:

1- دعـاهم وأمـرهم بعبـادة الله وحـده، وأمـرهم بإيفـاء الكيل والميزان بالقسـط، ونهـاهم عن نقصـهما وعن بخس الناس أشياءهم، وعن الفساد في الأرض.

2- فما كان جوابهم إلا أن اعترضوا عليـه، وقـالوا لـه: لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله، وتتعبد لـه، أفـإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لــــك، فكيف نتبعــــك، ونـــترك آباءنا الأقـــدمين أولي العقـــول والألبـــاب؟! وكـذلك لا يـوجب قولك أن نتصـرف في أموالنا كيف

---

[1] جامع البيان 9/ 364.

نشـاء، بل لا نـزال نفعل فيها ما شـئنا، لأنها أموالنـا، فليس لك فيها تصرف.

3- ثم بين لهم أنه كــان على علم ويقين وعلى بصـــيرة فيما يدعو إليه، وأعطاه الله من الرزق، فلا يخالفهم، فينهاهم عن بخس الكيل والميزان ثم هو يفعل.

4- وبين لهم أنه ما أراد بــذلك إلا إصـلاح أحـوالهم، وأن تستقيم منـافعهم، وليس له مصـالح خاصة في ذلـك، وكل ذلك بتوفيق من الله تعــالى، عليه يتوكل ويرجع إليه بالتقرب إليه.

5- ثم حذرهم أن تحملنهم مخالفته ومشاقته أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح من العقوبات، وليسوا ببعيد عن قـوم لـوط في الـدار ولا في الزمان.

6- ثم أمرهم أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه من شـركهم ومعاصيهم.

7- ثم لما تضجروا من نصائحه ومواعظه ومناظرته لهم، قالوا له: ما نفهم كثيرا مما تقول، وذلك لبغضـهم لما يقول، ونفـرتهم عنـه. ثم بـدأوا يهددونـه، لما عجـزوا عن الإتيان بحجة على شركهم وفسادهم في الأرض، وأكلهم أموال الناس بالباطل[1].

**سادسا: مناظرة موسى عليه السلام مع قومه:**

ٹ ڑ چ ڀ ڊ ٮ ڪ

ى ى ي ٻ

ٻ ٻ ڀ ڀ ٻ ڀ ٺ ٺ ٻ ٿ ٿ ٿ ٽ ٺ ٺ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ

ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ

ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک

گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڻ ڻ ڻ ڻ ڻ

ھ ھ ھ ھ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ

ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۋ ې ې ې ې ٮ ڀ

ى ى ي ي

ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ

[1] انظر جامع البيان 12/ 538 – 554، تفسير القرآن العظيم 4/ 342 – 347، تيسير الكريم الرحمن ص: 387 - 388.

ٹ ٺ ٽ ٿ ڀ ڤ ڦ ڦ ڄ ڃ ڄ ڄ ڃ ڇ ڇ ڇ
ڇ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڎ ڏ ڑ ڑ ڈ ڈ ژ ژ
ڑ ڑ ک ک ک ڭ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڻ ڻ
ڼ ڽ ڽ ہ ہ ہ ۀ ۀ ۀ ۂ ۂ ۃ ۄ ۄ ۅ ۆ
ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۋ ې ې ۍ ۍ ۓ ۓ
ې ې ى ى ې ى
چ طه: ٤٧ – ٧٦.

في هذه الآيات يقص الله تعـالى ما جـرى بين موسى عليه السـلام وفرعـون، وما جـرى بينه عليه السـلام وسـحرة فرعـون، الـذين آمنـوا بالله وصـدقوا موسى عليه السـلام وتابوا عن السحر أخيرا. وتتلخص المناظرة فيما يأتي:

1- أن موسى وأخـاه هـارون عليهما السـلام أتيا فرعـون يدعوانه إلى التوحيد وإلى الإيمـان بالله تعـالى، وأن يرسل معهما بني إسرائيل الذين يعذبهم فرعون.
2- فسألهما فرعون عن رب العـالمين منكـرا لـه، لأنه كـان من المعطلين، ويدعي الربوبية.
3- فأجابه موسى عليه السلام بـأن ربهما هو الـذي خلق كل شيء وهدى.
4-ثم سأله عن القرون الغـابرة من قبلهم الـتي لم تقر بما جاء به، ولم تصدق بما يدعو إليه، ولم تخلص لله العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما يصف من أن الأشياء كلها خلقه؟
5-ثم أجابه موسى عليه السـلام بـأن علم هـذه الأمم الـتي مضت من قبلهم فيما فعلت من ذلـك، عند ربـه في كتاب، ولا يضل ربي ولا ينسى.
6-ثم ذكر له الحجج والـبراهين على تفـرد الله بالربوبية واسـتحقاقه للألوهيـة، فقـال هو الله مهّد لكم الأرض، وجعل لكم فيها السـبل الـتي تمشـون فيهـا، وأنـزل من السماء ماء، وأخرج النبـات من الأرض، ليأكل النـاس هم وأنعـامهم. إن في ذلك عـبرة ودليل على تفـرد الله بالربوبية، واسـتحقاقه الألوهيـة، لمن كـان عـاقلا وبصـيرا بالأمور.

7-أقــام موسى عليه الســلام الحجة على فرعــون، ولكنه كذب وعصى وتمرد واستكبر.

8-ثم اتهم موسى عليه الســلام بالســحر، ثم لجأ إلى جمع السحرة كي ينـاظروا موسى عليه السـلام، بعد مشـورة مع وزرائه وملئـه، فحقق الله الحق وزهق الباطـل، بـأن آمن الســـحرة أجمعين، لما رأوا أن ما عند موسى عليه السـلام من الآيـات ليس بسـحر، وأنه تلقف ما جـاءوا به من السحر، فخروا سجدا لله تعالى مؤمنين به[1].

قال ابن سعدي رحمه الله: "قـال فرعـون لموسى على وجه الإنكار: ﭽ □ □ □ □ ﭼ فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ أي: ربنا الـــذي خلق جميع المخلوقـــات، وأعطى كل مخلــوق خلقه اللائق بــه، الــدال على حسن صــنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسـطه، وجميع صـفاته، ﭽ □ □ ﭼ كل مخلوق إلى ما خلقه له"[2].

ﮋ ﭢ ﭣ □ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ
ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ
ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ
ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ □
□ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ □ ﯟ
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ
□ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ ﮊ الشعراء: ١٨ – 37.

وكـذلك في هـذه الآيـات يقص الله تعـالى لنا ما جـرى بين موسى عليه السـلام وفرعــون من المنــاظرة، في إثبــات ربوبية الله تعالى واستحقاقه للألوهية، وهي ما يلي:

1- قال فرعون لموسى عليه السلام: ألم تكن صبيا عندنا لما كنت في صغرك، ولبثت فينا سـنين عديـدة، حـتى ارتكبت جريمة قتل؟

---

[1] انظر جامع البيان 16/ـ 78 – 112، الوسـيط للواحـدي، 3/ 209 – 214،

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 507.

2- فأجـاب له موسى عليه السـلام: بأنه صـدر منه ذاك الفعل على الضلال والخطـأ. ففـررت منكم لما خفت أن تقتلوني، فـوهب لي الله ربي الحكمة واصـطفاني وجعلني من المرسلين.

3- ثم قال له فرعون على وجه الإنكار: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ ؟ لأن فرعـون كـان معطلا لله تعـالى، لم يـؤمن بربوبيته استكبارا.

4- فأجابه موسى عليه السلام بأن الله هو رب السموات والأرض، الذي تفرد بخلقهما وملكهما وتدبيرهما.

5- فقـال فرعـون لمن حوله معجبا عن الجـواب: ألا تستمعون إلى ما يقول، يعترف برب غيري؟!

6- ثم زاد عليه موسى عليه السـلام واسـتمر في إقامة الحجة والبرهان فقال: هو ربكم وخالقكم ورب آبائكم الأولين، فلا رب غيره.

7- ثم قال فرعون معاندا للحق، قادحا في من جاء به: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ حيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما نذهب إليه.

8- ثم زاد موسى عليه السـلام الجـواب وبيـان الحجة فقـال: هو رب المشـرق والمغـرب وما بينهمـا، الـذي جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب، والمغـرب مغربا تغرب فيه الكواكب، أنتم تدركون ذلك بعقولكم إن كنتم تعقلون.

9- فلما أفحمه موسى عليه السلام بالحجة والبرهـان لجأ فرعون إلى التهديد بالسجن، فلا سبيل له إلا التهديد.

10- ثم ألزمه بالحجة العيانية بعد أن أفحمه بالحجة البيانية العقلية، فألقى عصاه فإذا هي ثعبـان تسـعى، وأخـرج يـده فـإذا هي بيضـاء تضـيء للنـاظرين، فـاتهموه بالسحر.

هكذا تمت هذه المناظرة، حتى دعوا السحرة، وأخيرا تـابوا وأسلموا وآمنوا برب العالمين، رب موسى وهـارون، وعاند فرعون واستكبر حتى أدركه الغرق، فكان من الهالكين[1].

---

[1] انظر جامع البيان 17/ 554 – 566، زاد المسير 6/ 119 – 123، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 137 – 139، تيسير

كل هـذه المنـاظرات الـتي جـرت بين الأنبيـاء وأممهم ممـا يـدل على أن جميـع الرسـل إنمـا جـاءوا للـدعوة إلى التوحيد، وقد قاموا حق القيـام في الـدعوة إلى ذلـك، حيث بينـوا لأقـوامهم الحجج والـبراهين، ونـاظروهم إثباتـا للحـق ودحضـا للباطـل، كـل ذلـك من أجـل أن يُعبـد اللـه وحـده، ويُـترك عبـادة مـا سـواه. فـدل هـذا على وجـوب التوحيـد، ووجوب الدعوة إليه وبيانه بالحجج والبراهين.

*******

---

الكريم الرحمن ص: 589 – 591.

**المبحث الثاني: العواقب الحميدة للرسل وأتباعهم, والعواقب الوخيمة للمشركين, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: إكرام الله للرسل واتباعهم الذين قاموا بالتوحيد:

لما بعث الله تعالى رسله للدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وعدهم بالنصر والتعزيز والتمكين لهم ولأتباعهم. وقد قص الله تعالى لنا في كتابه العزيز؛ أنه أكرم رسله وأتباعهم ونصرهم على المشركين المعاندين المكذبين للرسل، وبين لنا أن النصر الموعود لهم يكون من طريقتين:

الأولى: إنجاؤهم من عدوهم، ومن الهلاك إذا حل بأعدائهم العذاب.

والثانية: إهلاك عدوهم.

ففي إكرام الله تعالى للرسل وأتباعهم؛ بإنجائهم ونصرهم على أعدائهم وتمكينهم في الأرض، دليل وبرهان على صحة ما دعا إليه الرسل أقوامَهم من توحيد الله وعبادته وحده، وتحذيرهم من الشرك. فدل ذلك على وجوب توحيد الله في الألوهية والعبادة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وفيما قصه الله تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عبرة"[1].

فبين رحمه الله أن فيما قصه الله من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصره لهم وإهلاكه لأعدائهم آية وبرهان يدل على صحة ما يدعون إليه من التوحيد، وصدق الرسل في دعواتهم.

وقد بين الله تعالى أنه أرسل رسله للدعوة إلى التوحيد والنذارة عن الشرك، ووعدهم الله بالنصر والنجاة من إيذاء أقوامهم المكذبين بهم، والنجاة من العذاب عند إهلاك المشركين، وذلك في آيات كثيرة من كتابه، منها:

**أولا: وعْد الله للرسل وأتباعهم بالنصر والنجاة:**

---

[1] مجموع الفتاوى 18/ 299.

1- قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ
ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ
ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الأنبياء: ٧ – ٩.

بين تعالى أنه أرسل رسله، ووعدهم بالنصر، ثم صدقهم ما وعدهم، لأنه تعالى لا يخلف الميعاد. والوعد الذي وعدهم إياه هو إنجاؤهم من العذاب عند إهلاك أعدائهم، ونصرهم عليهم عند إيذائهم ومحاولة قتلهم، وإهلاك أولئك الكافرين.

قال الإمام القرطبي: " ﭽ ﮜ ﮝ ﭼ يعني الأنبياء، أي بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم"[1].

فبين رحمه الله أن ما وعد الله به المرسلين هو النصر الذي يكون بإنجائهم من العذاب، زمن إيذاء أعدائهم، وإهلاك أعدائهم المكذبين بما جاؤوا به من توحيد الله في العبادة.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ يوسف: ١١٠.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ
ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ غافر: ٥١ – ٥٢.

قال الإمام الطبري: " ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ إما بإعلائناهم على من كذبنا وإظفارناهم بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم

[1] الجامع لأحكام القرآن 14/ 180، وانظر البحر المحيط 6/ 277.

كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به وبجنده من قتلته له، وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم.
فهذا أحد وجهيه وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه...
ثم روى عن السدي: "في قول الله : ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم"[1].
فبين رحمه الله أن نصر الله لأوليائه من الأنبياء والمؤمنين نوعان:
**الأول**: النصر الذي يكون بإعلائهم وإظهار أمرهم.
**والثاني**: ما يكون بإنجائهم وإهلاك أعدائهم، كما فعل الله بأكثر أعداء الرسل.
وقد أكد الحافظ ابن كثير رحمه الله هذا المعنى، فقال:
"يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعياء، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأما الذين راموا صلب المسيح، عليه السلام، من اليهود، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم، وأظهرهم الله عليهم. ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم إماما عادلا وحكما مقسطا، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام. وهذه نصرة عظيمة، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه: أنه ينصر عباده المؤمنين في

[1] جامع البيان 20/ 344 – 345.

الدنيا، ويقر أعينهم ممن آذاهم، ففي صحيح البخـاري عن أبي هريـــرة، رضي الله عنـــه، عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**يقول الله تعالى: من عـادى لي وليا فقد بـارزني بـالحرب**"[1]، وفي الحديث الآخر: "**إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب**"[2]؛ ولهذا أهلك تعالى قوم نوح وعـاد وثمود، وأصـحاب الـرس، وقـوم لـوط، وأهل مـدين، وأشـــباههم وأضـــرابهم ممن كـــذب الرسل وخـــالف الحق. وأنجى الله من بينهم المؤمـــــــنين، فلم يهلك منهم أحـــــدا وعـــــذب الكـــــافرين، فلم يفلت منهم أحدا...."،

إلى أن قـال: "وهكـذا نصر الله سـبحانه نبيه محمـدا صـــلى الله عليه وســـلم وأصـــحابه على من خالفه وناوأه، وكذبه وعـاداه، فجعل كلمته هي العليـا، ودينه هو الظـاهر على سـائر الأديـان. وأمـره بـالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارا وأعوانا، ثم منحه أكتاف المشركين يـوم بـدر، فنصـره عليهم وخـذلهم لـه، وقتل صـناديدهم، وأسر ســراتهم، فاســتاقهم مقــرنين في الأصــفاد، ثم من عليهم بأخـــذه الفـــداء منهم، ثم بعد مـــدة قريبة فتح [عليه] مكـة، فقـرت عينه ببلـده، وهو البلد المحـرم الحـرام المشـرف المعظم، فأنقـذه الله به مما كـان فيه من الشـــرك والكفـــر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيـرة العـرب بكمالهـا، ودخل النـاس في دين الله أفواجا. ثم قبضه اللـه، تعـالى، إليه لما له عنـده من الكرامة العظيمـة، فأقـام الله أصـحابه خلفـاء بعـده، فبلغـــوا عنه دين اللـــه، ودعـــوا عبـــاد الله إلى الله. وفتحوا البلاد والرساتيق والأقـاليم والمـدائن والقـرى والقلـــوب، حـــتى انتشـــرت الـــدعوة المحمدية في

---

[1] صحيح البخاري 4/ 192، (ح: 6502) .

[2] لم أقف عليه بهذا اللفـظ، وقد رواه أبو نعيم موقوفا على ابن عباس: "وأنا الثائر لأوليائي يـوم القيامة"، حلية الأوليـاء (1/10 - 11).

مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الــدين قائما منصورا ظاهرا إلى قيام الساعة؛ ولهذا قال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل"[1].

إن نصر الله للأنبيـاء وأتبـاعهم من الآيـات والـدلائل على الله والإيمـان به وتوحيـده. وذلك لأنه يـدل على صـدق رسـله فيما جـاءوا به ودعـوا النـاس إليـه، من الإيمـان بالله وتوحيـده في عبادتـه. لأنه لما تقـرر أن الأنبيــاء جــاءوا للــدعوة إلى التوحيد والتحــذير عن الشرك، وكان ذلك أول دعوتهم، فـإذا نصـرهم اللـه، وأنجــاهم من أعــدائهم، وأظهر كلمتهم، وأعطــاهم الغلبة عليهم دل ذلك على صـحة كل ما جـاءوا بـه، ووجوب التوحيد الذي هو أول دعوتهم.

قــال شــيخ الإســلام رحمه اللــه: "ومن آياته: نصر الرسل على قومهم. وهذا على وجهين:

الوجه الأول: بإهلاك الأمم وإنجاء الرسل وأتباعهم.

تارة: يكون بـإهلاك الأمم، وإنجـاء الرسل وأتبـاعهم ؛ كقوم نوح، وهود، وصالح، وشـعيب، ولـوط، وموسى. ولهــذا يقــرن الله بين هــذه القصص في ســورة الأعــراف، وهــود، والشــعراء، ولا يــذكر معها قصة إبراهيم. وإنما ذكر قصة إبـراهيم في سـورة الأنبيـاء، ومريم، والعنكبوت، والصافات؛ فـإن هـذه السـور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم. بل في سـورة الأنبيـاء كـان المقصـود ذكر الأنبيـاء، ولهـذا سميت سورة الأنبياء؛ فذكر فيها إكرامه للأنبيـاء، وإن لم يــذكر قــومهم؛ كما ذكر قصة داود، وســليمان، وأيوب، وذكر آخر الكل: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼالأنبياء: ٩٢ ، وبدأ فيها بقصة إبراهيم؛ إذ كان المقصود ذكر إكرامه للأنبياء قبل محمد وإبراهيم؛ أكرمهم على الله تعالى، وهو خير البرية، وهو أبو أكـثرهم، إذ ليس هو أبا نـوح ولوط، لكن لوط من أتباعه، وأيوب من ذريته؛ بـدليل قوله في سورة الأنعام: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼالأنعام: ٨٤.

[1] تفسير القرآن العظيم 7/ 151.

وأما سورة مريم: فـذكر الله تعـالى فيها إنعامه على الأنبيـاء المـذكورين فيهـا؛ فـذكر فيها رحمته زكريـا، وهبته يحـــيى، وأنه ورث نبوتـــه، وغيرها من علم آل يعقوب، وأنه آتاه الحكم صبيا؛ وذكر بدء خلق عيسى، وما أعطاه الله تعالى من تعليم الكتاب؛ وهو التوراة، والنبوة، وأن الله تعالى جعله مباركا أينما كان، وغــير ذلـك؛ وذكر قصة إبـراهيم، وحسن خطابه لأبيـه، وأن الله تعـالى وهبه إسـحاق ويعقـوب نبـيين، ووهبه من رحمته، وجعل له لسان صدق عليـا؛ ثم ذكر موســى، وأنه خصصه الله تعـــالى بـــالتقريب والتكليم، ووهبه أخاه، وغـير ذلـك؛ وذكر إسـماعيل، وأنه كـان صـادق الوعد وكأنه والله أعلم من ذلك أو أعظمه صـــــدقه فيما وعد به أباه من صبره عند الذبح، فـوفى بـذلك؛ وذكر إدريس، وأن الله تعـــــالى رفعه مكانا عليا. ثم قال: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼمريم: ٥٨.

وأما ســــــورة العنكبـــــوت: فإنه ذكر فيها امتحانه للمؤمنين، ونصره لهم، وحاجتهم إلى الصبر والجهـاد، وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر، وعاقبة من كـذب الرسـل؛ فـذكر قصة إبـراهيم لأنها من النمط الأول، ونصرة الله له على قومه.

وكذلك سورة الصافات قال فيها: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼالصافات: ٧١ - ٧٣. وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئـة؛ إما بكـونهم غلبـوا وذلـوا، وإما بكــونهم أهلكــوا. ولهــذا ذكر فيها قصة إلياس، ولم يذكرها في غيرها، ولم يذكر هلاك قومه، بل قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼالصافات: ١٢٧ - ١٢٨. وإليــاس قد روي أن الله تعــالى رفعــه، وهــذا يقتضي عذابهم في الآخرة؛ فإن إلياس لم يقم فيهم، وإلياس المعروف بعد موسى من بني إسرائيل، وبعد موسى لم يهلك المكـذبين بعـذاب الاستئصـال. وبعد نـــوح لم يهلك جميع النـــوع. وقد بعث في كل أمة نذيرا، والله تعالى لم يذكر قط عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا، كما ذكر ذلك عن غيرهم، بل ذكر أنهم ألقـوه

في النـار، فجعلها الله عليه بـردا وسـلاما، وأرادوا به كيدا، فجعلهم الله الأسفلين الأخسرين.
ظهـور برهانـه، وآيتـه، وأنه أظهـره عليهم بالحجة والعلم، وأظهـره أيضا بالقـدرة؛ حيث أذلهم ونصـره. وهذا من جنس المجاهد الذي هـزم عـدوه، وتلك من جنس المجاهد الذي قتل عدوه.
وإبـراهيم بعد هـذا لم يقم بينهم، بل هـاجر وتـركهم. وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين ظهراني قومهم حـتى هلكـوا، فلم يوجد في حق قـوم إبـراهيم سـبب الهلاك؛ وهو إقامته فيهم، وانتظـار العـذاب النـازل. وهكذا محمد مع قومه لم يقم فيهم، بل خـرج عنهم، حتى أظهره الله تعالى عليهم بعد ذلك"[1].
وقـال أيضـا: "كـذلك سـنته في الأنبيـاء الصـادقين، وأتبـاعهم من المؤمـنين، وفي الكـذابين والمكـذبين بالحق: أن هـؤلاء ينصـرهم، ويبقي لهم لسـان صـدق في الآخـــرين، وأولئك ينتقم منهم، ويجعل عليهم اللعنة. فبهذا وأمثاله يعلم أنه لا يؤيد كذابا بمعجـزة لا معارض لها؛ لأن في ذلك من الفساد والضرر بالعبـاد ما تمنعه رحمتـه، وفيه من سـوء العاقبة ما تمنعه حكمتـه، وفيه من نقض سـنته المعروفة وعادته المطردة ما تعلم به مشيئته"[2].
وقد تقرر أن اللـه وعـد رسـله وأتبـاعهم بالنصـر في الدنيا والآخرة.

**ثانيـا: سـبقت كلمة الله الكونية بنصر المرسـلين وأتباعهم:**

1- قوله تعالى: ﭽ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﭼ الصافات: ١٧١ – ١٧٣.

قال الإمام الطبري: "يقول تعـالى ذكـره: ولقد سـبق منا القول لرسـلنا إنهم لهم المنصـورون: أي مضى بهـذا منا

(?) النبوات 1/ 205 – 209، 2/ 959 – 960.
(?) شرح الأصفهانية (ص: 701).

القضـــاء والحكم في أم الكتــاب، وهو أنهم لهم النصـــرة والغلبة بالحجج"[1].

وقال الشيخ الشنقيطي: "هـذه الآية الكريمة تـدل على أن الرسل صـــــلوات الله وســــلامه عليهم وأتبـــاعهم منصورون دائما على الأعـداء بالحجة والبيـان، ومن أمر منهم بالجهاد منصور أيضا بالسيف والسنان"[2].

والكلمات هنا هي كلمـات اللـه القدرية الكونيـة الـتي لا يتخلف فيها مـــراد الله تعــالى، وهي الـــتي كتبهـــا في الكتاب الأول:

---

[1] جـامع البيـان في تفسـير القـرآن 19/ـ 657، وانظر تفسـير القرآن العظيم 7/ 45.

[2] أضواء البيان 6/ 760، وانظر أيضا 7/ 884.

**ثالثا: كتب الله الغلبة للرسل وأتباعهم:**

1- قال تعالى: ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ المجادلة: ٢١.

وغلبة الرسل على نـوعين: من بعث منهم بـالحرب فهو غــالب بــالحرب، ومن لم يــؤمر بــالحرب فهو غــالب بالحجة. قاله الزجاج[1].

وقد قرر الشيخ الشنقيطي أن النصر الموعود في الآيـة السـابقة أعم من الغلبـة المـذكور في هـذه الآيـة، لأن الغلبـة أحـد إفـراد النصـر، فتكـون هـذه الآيـة هي في الرسـل الـذين أمـروا بالجهـاد فقـال: "أنه نصر غلبة بالسيف والسنان للذين أمروا منهم بالجهـاد, لأن الغلبة الـــتي بين أنها كتبها لهم أخص من مطلق النصر; لأنها نصر خـــــــاص، والغلبة لغة القهر والنصر لغة إعانة المظلوم، فيجب بيان هذا الأعم بذلك الأخص"[2].

فتبين أن الله كتب عنده في الكتاب أنه سينصر رسـله، وأن جنده - وهم الرسل والمؤمنين بمـا جـاؤوا بـه - هم الغالبون على المكذبين بما جاءت به الرسل.

**رابعا: جعل الله نصر الرسل وأتباعهم حقا عليه:**

وقد جعل الله نصـر المرسـلين والمؤمـنين وإنجـائهم حقـا واجبـا عليـه، أوجبـه على نفسـه ووعـده لهم، فهـو ينصـرهم على أعـدائهم فيغلبـون عليهم بالحجـة والبيـان وبالسيف والسنان:

1- قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ الروم: ٤٧.

2- وقال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ يونس: ١٠٣.

فبين تعالى أنه أوجب على نفسه نصر المؤمـنين الـذين آمنوا بما جاءت بـه الرسـل من التوحيـد، واتبعـوهم في كل ما جاؤوا بـه، وأنـه تعـالى ينجيهم من أعـدائهم ومن

---

[1] انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج 5/ 141، ومعالم التنزيل 8/ 62، وفتح القدير 5/ 256, وانظر الجامع لأحكام القرآن 20/ 328.

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 1/ 343.

عقابه إذا أراد إهلاك أعـدائهم. وهـاتين الآيـتين تتنـاولان الرسل والمؤمنين بهم.
قال الإمام الشوكاني: " ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ من عذابنا للكفـار، والمـراد بـالمؤمنين: الجنس، فيـدخل في ذلك الرسل وأتباعهم، أو يكون خاصا بـالمؤمنين، وهم أتبـاع الرسل؛ لأن الرسل داخلون في ذلك بالأولى"[1].
والإنجـاء يكـون من العـذاب إذا حل بالمشـركين، ومن إيذائهم للرسل، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ غافر: ٥.
فبين تعالى أن كل أمة حرصت أن تأخذ برسولها لينالوا منـه، إمـا بالقتـل أو الحبس والتعـذيب أو الإخـراج من البلد.
قـال الإمـام الطـبري: "وهمت كل أمة من هـذه الأمم المكذبة رسلها، المتحزبة على أنبيائها، برسـولهم الـذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه"[2].
وقال الحافظ ابن كثير: " ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ أي: حرصـــــــــــوا على قتله بكل ممكن، ومنهم من قتل رسوله"[3]. كما أراد قـوم إبـراهيم عليه السـلام إحراقه في النـــار، وإيـــذاء المشـــركين لنبينا محمد ﷺ من أكـــبر شاهد.

**خامسـا: وعْد الله للمؤمـنين أتبـاع الرسل بالاسـتخلاف في الأرض والتمكين:**

وقد وعـد اللـه المؤمـنين الموحـدين بالنصـر والتمكين، وكتب لهم وراثة الأرض.
ﭧ ﭨ ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ النور: ٥٥.
في هذه الآية بيان أن اللـه تعـالى وعـد المؤمـنين بالنصـر والتمكين والتأييـد والاسـتخلاف في الأرض مـا قـاموا على

[1] فتح القدير 2/ 666.
[2] جامع البيان 20/ 281.
[3] تفسير القرآن العظيم 7/ 129.

التوحيد والإيمان والعمل الصالح. فدل على أن التوحيد هو عنوان السعادة وأنه سبب النصر والتمكين في الأرض.

قال ابن سعدي رحمه الله: "فوعدهم الله هذه الأمور وقت نـــزول الآيـــة، وهي لم تشـــاهد الاســـتخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشـــارق الأرض ومغاربهـــا، وحصل الأمن التـــام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح"[1].

**سادسا: كتب الله في كتبه أنه يورث الأرض لعباده الصالحين:**

1- ٹ ٹ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڇ الأنبياء: ١٠٥.

قال الحافظ ابن كثير: "يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة.... وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة"[2].

وقال الإمام الطبري: "وقد ذكرنا قول من قال: ڃ ڍ ڍ ڌ ڎ ڎ ڈ ڇ أنها أرض الأمم الكافرة، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة"[3].

ففي هذه الآية بيان لما وعد الله به وقضاه في الكتاب الأول وبينه في الكتب المنزلة من إكرام الله

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 573).

[2] تفسير القرآن العظيم 5/ 384.

[3] جامع البيان 16/ 437.

للرسل وأتباعهم من التمكين والنصــر والسـعادة في الدنيا والآخرة.

**2-** وقال تعالى: ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الأعراف: ١٢٨.

فتـبين أن العاقبة المحمـودة للأنبيـاء والمؤمـنين من سننه تعالى، الـتي سـبقت بها كلمته الكونيـة، وكـذلك بيّنه في كلماته الشــــرعية، وأن ذلك دليل على الله تعــــالى وبرهـان عليـه، لأن ذلك يـدل على علمه وقدرتـه، وكـذلك يـدل على وجـوب توحيـده وعبادته وحـده، كما يـدل على صدق رسله.

*********

**المطلب الثاني**: إهلاك الله المشركين المستكبرين عن عبادته وتوحيده:

إن من نصر الله لرسله وأتباعهم الذي وعده لهم وكتبه على نفسه؛ إهلاكه المشركين المكذبين للرسل، الجاحدين دعوتهم إلى التوحيد. كما أن الله وعد رسله وأتباعهم بالنصر كذلك أوعد المشركين المكذبين بالرسل بالهلاك والعذاب العظيم في الآخرة، وذلك في مواضع كثيرة من كتابه، ما يدل على تحريم الشرك ووجوب التوحيد وإخلاص الدين لله وحده.

وقد أهلك الله المشركين المكذبين بالرسل الجاحدين لما جاءوا به من التوحيد، وجعل ذلك آية على الإيمان به وتوحيده وصدق رسله، فأبقى آثارهم ليسير العباد في الأرض فينظروا كيف كان عاقبتهم، فيكون ذلك عبرة لهم وآية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن الله سبحانه وتعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، وذلك أيضا معلوم بالتواتر كتواتر الطوفان وإغراق فرعون وجنوده"[1].

وقال أيضا: "وكذلك ما يفعله الله من الآيات، والعقوبات بمكذبي الرسل؛ كتغريق فرعون، وإهلاك قوم عاد بالريح الصرصر العاتية، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وأمثال ذلك؛ فإن هذا جنس لم يعذب به إلا من كذب الرسل. فهو دليل على صدق الرسل.

وقد يميت الله بعض الناس بأنواع معتادة من البأس؛ كالطواعين، ونحوها. لكن هذا معتاد لغير مكذبي الرسل. أما ما عذب الله به مكذبي الرسل، فمختص بهم"[2].

فبين أن إبقاء الله آثار إهلاكه للمشركين المكذبين لرسله آية وعبرة وبرهان على توحيده وصدق رسله، لأنها ليست من جنس ما اعتاده الناس، لأن الآية بخلاف الأمر المعتاد.

---

[1] شرح الأصبهانية (ص: 561 – 562).

[2] النبوات 1/ 494، 1/ 509 – 510.

ويدل على أن إهلاك المشـركين آية على توحيد الله أدلـة، منها:

**أولا: الإرشــاد إلى الســير في الأرض للنظر في عاقبة المكذبين للرسل:**

وقد أرشد الله أمة محمد صلى الله عليه وســلم إلى الســـير في الأرض لينظـــروا كيف كـــان عاقبة من قبلهم الذين خالفوا رسلهم بالشرك والتكذيب. وقد وردت آيــات كثيرة بذلك، منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ الحج: ٤٢ – ٤٦.

أخبر تعالى أن الأمم قد كذبت رسلها لما دعوهم إلى التوحيد، فأهلكهم الله تعالى، ثم قال تعــالى مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ.

قــال الإمــام ابن جريــر: "يقــول تعــالى ذكــره: وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظـــالمون؛ يقـــول: وهم يعبدون غير من ينبغي أن يعبــد، ويعصــون من لا ينبغي لهم أن يعصوه"[1].

قال القاسمي: " ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ أي فكم من أهالي قرية ﭽ ﯖ ﭼ أي بالعذاب ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ أي مشركة كافرة، ﭽ ﯙ ﯚ ﭼ أي ساقطة ﭽ ﯛ ﯜ ﭼ أي سقوفها، ﭽ ﯝ ﯞ ﭼ أي وكم من بئر متروكة لا يستقى منها، لهلاك أهلها ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ أي مرفوع"[2].

فبين الإمام الطبري والقاســمي رحمهما الله تعــالى؛ أن ســـبب إهلاكهم هو شـــركهم بالله في عبادتـــه، وتركهم التوحيد الذي جاءت به رسلهم. ثم أرشد الله مشركي قريش بأن يســيروا في الأرض لينظــروا في عاقبة المشركين الأولين، لأن ذلك آية وبرهــان ودليل على توحيد الله في ألوهيته. فقال تعالى: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ.

---

[1] جامع البيان 16/ 590.
[2] محاسن التأويل 12/ 4348.

قـال الإمـام ابن جريـر: "يقـول تعـالى ذكـره: أفلم يسيروا هؤلاء المكذبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكـذبي رسل الله, الذين خلوا من قبلهم، كعاد, وثمود, وقوم لوط, وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكـروا فيها, ويعتبروا بها, ويعلموا بتدبرهم أمرها, وأمر أهلها سـنة الله فيمن كفر, وعبد غيره, وكذب رسله، فينيبوا من عتـــوهم, وكفـــرهم، ويكـــون لهم إذا تـــدبروا ذلك, واعتبروا به, وأنابوا إلى الحق. ﭽ ﭼ حجج الله على خلقه , وقدرته على ما شاء. ﭽ ﭼ يقـول: أو آذان تصـغي لسـماع الحق فتعي ذلك, وتميز بينه وبين الباطل"[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ غافر: ٢١ – ٢٢.

قد بين الله تعالى أن في إهلاك المشركين المكذبين للرسل ذكرى لمن كان له عقل سليم.

وهناك آيات كثـيرة في ذلـك، أكتفي بهـذا ليـدل على المقصود.

---

[1] جامع البيان 16/ 595، وانظر تيسير الكريم الرحمن (ص: 540).

**ثانيا: بيان إهلاك الله للمشركين:**

وقد وردت بذلك آيات كثيرة، وقد قص الله قصص الأنبياء في كتابه في مواضع كثيرة، وفي كلها يبين الله أنه أهلك المشركين المكذبين للرسل[1]، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ إبراهيم: ١٣ – ١٤.

أي لما كذّبِ الرسلَ أممُهم أوحى الله إلى الرسل أنه لا محالة لَيهلكنّهم، لأنهم أشركوا بالله في العبادة، وكذبوا الرسل في دعوتهم إلى توحيد الله تعالى, وإفراده بالعبادة.

قال الإمام الطبري: "وقوله: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الذين ظلموا أنفسهم، فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم، وقد يجوز أن يكون قيل لهم: الظالمون لعبادتهم، من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة، فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها إذ كان ظلما سموا بذلك"[2].

فبين رحمه الله أن الله أوجب عليهم الهلاك لكفرهم وشركهم بالله تعالى. وذلك يدل على وجوب توحيد الألوهية. وقوله تعالى: ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ يدل على أن ذلك دليل على التوحيد، لأن الخوف يستلزم فعل الواجب.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ ق: ٣٦ – ٣٧.

فبين تعالى أن إهلاكه للمشركين المكذبين للرسل آية وبرهان واضح على توحيد الله وصدق رسله لمن كان له عقل سليم. لأن ذلك برهان ودليل حسي مباشر في دلالته، يدل إلى المدلول مباشرة.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ الفرقان: ٣٧.

---

[1] ارجع إلى ذلك مثلا في سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة الأنبياء، وسورة الشعراء، وسورة العنكبوت، وسورة الصفات، وسورة القمر وغيرها.

[2] جامع البيان 13/ 613.

وكما وعد الله الرسل وأتباعهم بالنجاة كذلك وعدهم بإهلاك أعدائهم المشركين المكذبين بهم.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الأنبياء: ٧ – ٩.

فبين تعالى أنه صدق رسله الوعد الذي وعدوهم بــه، الذي هو الإنجاء وإهلاك أعدائهم المشركين المكذبين بهم وبما جاءوا بهم وبما جاءوا به من التوحيد.

قال الإمام الطبري: "يقـول تعـالى ذكـره: ثم صـدقنا رسلنا الذين كذبتهم أممهم وسألتهم الآيات، فأتينـاهم ما سـألوه من ذلك, ثم أقـاموا على تكـذيبهم إياهـا، وأصـروا على جحـودهم نبوتها بعد الـذي أتتهم به من آيـات ربها ، وعـدنا الــذي وعــدناهم من الهلاك على إقـامتهم على الكفر بــربهم بعد مجيء الآيـات الــتي سألوها وذلك كقوله جل ثناؤه : ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ وكقوله : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ ونحو ذلك من المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات"[1].

5- وقوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ الشعراء: ٨ – ٩.

فدل ذلـك على أن إهلاك اللـه للمشـركين المكـذبين للرسل دليل على وجوب توحيد اللــه وعبادتــه وحــده وترك الشرك، وعلى صدق رسله فيما جـاءوا بــه من اللــه تعـالى، لأن اللــه جعـل ذلـك آيـة، أي دليلا على استحقاقه للألوهية ووجوب إفراده بالعبـادة، وتحـريم الشرك به، لأن الأمم إنما أهلكت بسبب الشرك بالله في العبادة.

قـــال ابن القيم: "وهو ســـبحانه يـــذكر في ســـورة الشــعراء ما أوقع بالمشــركين من أنــواع العقوبــات، ويذكر إنجاءه لأهل التوحيد ثم يقول: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ الشعراء: ٨ - ٩ . فيذكر شرك هؤلاء الـذين اسـتحقوا به الهلاك، وتوحيد هـؤلاء

---

[1] المصدر السابق 16/ 231.

الــذين اســتحقوا به النجــاة، ثم يخــبر أن في ذلك آية وبرهانا للمؤمنين، ثم يـذكر مصـدر ذلك كلـه، وأنه عن أسمائه وصفاته. فصدور هذا الإهلاك عن عزتــه، وذلك الإنجاء عن رحمته"[1].

**ثالثا: إخبار الله عن كيفية إهلاك الأمم:**

قد أخبر الله تعالى في كتابه كيف أهلك الأمم المكذبة للرسل فيما جاءوا به من توحيد الله واجتناب الشرك:

1- قال تعالى يخبر عن قوم نوح عليه السلام: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الأعراف: ٦٤.

فبين تعالى أنه أهلكهم بالغرق، وهو الطوفان.

2- وقال تعالى في قوم هود عليه السلام: ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ... ﭼ الحاقة: ٦ - ٧.

فبين الله تعالى أن عادا أُهلكـوا بـريح ومعه صـاعقة، كما قال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ فصلت: ١٣.

3- وقال تعالى عن قوم صالح عليه السلام: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ الأعراف: ٧٧ – ٧٨.

وبين تعالى أن ثمود أُهلكوا بالصيحة، وهي الرجفة.

4- وقال تعالى في قوم لوط عليه السلام: ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ الحجر: ٧٣ - ٧٤.

وأما قوم لوط فـأهلكهم الله بالصـيحة وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود.

5- وقال تعالى في قوم شعيب: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ هود: ٩٤.

6- ثم أجمل الله ذكـر الأمم المشـركة المكذبـة للرسـل وذكر عقوباتهم، فقال تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ

[1] مدارج السالكين 5/ 3905، وانظر جامع البيان 17/ 601.

ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ العنكبوت: ٣8 – ٤٣.

في هذه الآيات إخبار منه تعالى عن كيفية إهلاكه للأمم المشركة المكذبة لرسلهم، كي يكون عبرة للمعتبرين، وتذكرة للمؤمنين، وموعظة للعاقلين، وآية لأولي الألباب. والسبب في إهلاكهم هو شركهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسله فيما جاءوا به من عنده. لذلك ضرب لهم مثلا في شركهم بالعنكبوت، وأن آلهتهم كمثل بيت العنكبوت في الضعف والعجز، ولذلك كانت آلهتهم عاجزة عن نصرتهم لما جاءهم العذاب ﭧ ﭨ ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الأحقاف: ٢٧ – ٢٨.

فهذه الآيات من أعظم الآيات التي تبين دلالة إهلاك الله الأمم الكافرة على توحيد الألوهية، بحيث لو كانت الآلهة من دون الله آلهة حقا تستحق الألوهية لكانت قادرة وقوية ومتصفة بصفات الكمال ما يجعلها تنصر عابديها، فعدم نصرتها لعابديها دل على بطلان عبادتها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فهو سبحانه يذكر ما ظهر للموحدين من مساكنهم التي كانت حول أهل مكة، فإن عامة من قص الله نبأه من الرسل وأممهم بعثوا حول مكة كهود باليمن وصالح بالحجر من ناحية الشام وإبراهيم وموسى وعيسى ويونس ولوط وأنبياء بني إسرائيل بأرض الشام ومصر والجزيرة وما يليها من العراق"[1].

**رابعا: السبب الأساسي لإهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب هو الشرك بالله:**

قد جاء تنصيص سبب إهلاك الأمم في بعض الآيات، وأنها أهلكت بسبب ظلمها، وقد فسر بعض أهل العلم بأن المراد بالظلم الذي من أجله أهلك الله الأمم هو الشرك

---

[1] شرح الأصبهانية (ص: 564).

به في العبادة[1]، لأن الشـرك هو الظلم العظيم، كما قـال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼلقمان: ١٣، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼهود: ١٠٢ – ١٠٣.

بين تعالى أنه أهلـك القـرى في حـال كونهـا ظالمـة، فجعل هذا الظلم هو سبب الإهلاك، والمـراد بـالظلم هنا هو الشرك. وقد جعل ذلك آية لمن يخـاف عـذاب الآخـرة، أي أن ذلـك دليـل على وجـوب توحيـد اللـه بالعبادة، لمن يخاف أن يصـيبه العـذاب يـوم القيامـة على الشرك بالله تعالى في عبادته.

قـال الطـبري: "يقـول تعـالى ذكـره: وكما أخـذت أيها الناس أهل هذه القرى الـتي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخـــذتهم به من العـــذاب، على خلافهم أمـــري، وتكـذيبهم رسـلي، وجحـودهم آيـاتي، فكـذلك أخـذي القـــرى وأهلها إذا أخـــــذتهم بعقـــــابي، وهم ظلمة لأنفسهم، بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله"[2].

وقال السمعاني[3]: "قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ وجه التشبيه أن أخذه هؤلاء في حال الظلم والشـرك كأخـذه أهل القـرى حين كـانوا في مثل حالهم من الظلم والشرك"[4].

---

[1] وقد فسر ذلك بعضهم بالكفر كما هو مـروي عن ابن عبـاس، فيفسر الكفر بالشرك، لأنه من جملة كفرهم، وهو الأكــبر. (انظر زاد المسير 4/ 157، الجامع لأحكام القرآن 14/ 414).

[2] جـامع البيـان 12/ـ 571، وانظر الجـامع لأحكـام القـرآن 11/ 208.

[3] منصـــور بن محمد بن عبد الجبــــار المـــروزي أبو المظفر السـمعاني، الإمـام العلامة المفسر مفـتي خراسـان، من العلمـاء بالحديث، المولود سنة 426 هـ. له (تفسـير القـرآن)، و(الانتصـار لأصحاب الحديث)، و(قواطع الأدلة) في أصول الفقـه، و(المنهـاج لأهل السنة)، وغير ذلـك. وهو جد السـمعاني صـاحب (الأنسـاب) عبد الكـريم بن محمـد. تـوفي سـنة 489 هــ. (انظر سـير أعلام النبلاء 19/ 114، الأعلام للزركلي 7/ 303).

[4] تفسير القرآن للسمعاني 2/ 457.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ الحج: ٤٨.

وكــذلك هنا بين تعــالى أن ســبب أخــذه للقرية هو الظلم الذي بمعنى الشرك.

قال الطبري: "يقول: أمهلتهم , وأخرت عذابهم، وهم بالله مشركون, ولأمره مخـالفون وذلك كـان ظلمهم الــــذي وصــــفهم الله به جل ثنــــاؤه فلم أعجل بعذابهم"[1].

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ١١٣.

وكــذلك في هــذه الآيــة، بين الله تعــالى حــالهم لما أخــذهم العــذاب، وهم في حالة كــونهم ظــالمين، والمراد أنهم مشركون.

قال الطبري: " ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ يقول: وهم مشركون، وذلك أنه قتل عظمــاؤهم يــوم بــدر بالســيف على الشرك"[2].

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ                 ﭼ العنكبوت: ١٤.

وكذلك هنا بين الله تعـالى أنه أخـذهم الطوفـان وهم ظالمون، والمراد وهم مشركون.

قــال الواحــدي: "وهم ظــالمون قــال ابن عبــاس: مشركون"[3].

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﭽ    ﭼ، يريد بالشرك"[4].

فـدلت الآيـات على أن الشـرك بالله في العبـادة هو الســبب الأساسي لإهلاكهم وأخــذهم بالعــذاب في الــدنيا كي يكــون ذلك آية وعــبرة ودليلا على وجــوب توحيد الله تعالى بالعبادة، وتحريم الشرك به.

---

[1] جامع البيان 16/ 599.

[2] المصدر السابق 14/ 387.

[3] الوسيط للواحدي 3/ 415، معالم التنزيل 6/ 236.

[4] المحرر الوجيز 4/ 310.

وبهذا يتبين لنا أن فيما قصه الله تعالى لنـا في كتابـه من أخبـــار رســـله وأتبـــاعهم وأخبـــار أممهم الـــذين كـذبوهم فيمـا جـاءوا بـه من التوحيـد دليـل واضـح وبرهان قاطع، على وجوب توحيد الله وعبادته وحـده واجتناب الشرك، لأن عاقبـة أهـل التوحيـد محمـودة، وأن عاقبة المشركين سيئة مذمومة، وفي ذلك عبرة لألي الألباب. ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ [illegible] ﭼ يوسف: ١٠٩ – ١١١.

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ما سـرد الآيـات في إهلاك الأمم: "ومثل هذا في القـرآن متعـدد في غـير موضع يذكر الله تعالى قصص رسـله، ومن آمن بهم، وما حصل لهم من النصر والسـعادة وحسن العاقبـة، وقصص من كفر بهم وكـــــذبهم، وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبـة. وهـذا من أعظم الأدلة والـــبراهين على صـــدق الرسل وبـــرهم وكـــذب من خالفهم وفجوره...

إلى أن قـال: "وبالجملة فـالعلم بأنه كـان في الأرض من يقول بأنهم رسل اللـه، وإن أقواما اتبعـوهم، وأن أقواما خـــالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمـــنين، وجعل العاقبة لهم، وعـــاقب أعـــداءهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها"[1].

وقال أيضا معـددا طـرق العلم بالرسـالة: "ومن ذلك أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم، وإهلاك عـدوهم، إذا عـرف الوجه الـذي حصل عليـه، كحصـول الغـرق لفرعـــــــون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى وقومه كـــان هـــذا مما يـــورث علما ضـــروريا أن الله تعالى أحدث هذا نصرا لموسى عليه السلام وقومـــه، ونجـــاة لهم، وعقوبة لفرعـــون وقومه ونكـــالا لهم،

---

[1] شرح الأصبهانية (ص: 565 – 567).

وكذلك أمر نوح والخليل عليهما السلام وكــذلك قصة الفيل وغير ذلك"[1].

*********

# الفصل الثاني

## دلالة الكتب المنزلة على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: توحيد الألوهية أعظم ما قررته الكتب المنزلة واتفقت عليه,**
**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: اتفاق جميع الكتب المنزلة على تقرير توحيد الألوهية.**
**المطلب الثاني: تقرير توحيد الألوهية أعظم ما في الكتب المنزلة.**

**المبحث الثاني: تقرير القرآن الكريم لتوحيد الألوهية,**
**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: بيان أن القرآن أنزل لتفصيل توحيد الألوهية**
**المطلب الثاني: تنوع الأدلة النقلية في القرآن على توحيد الألوهية**
**المطلب الثالث: تنوع الأدلة العقلية الشرعية في القرآن على توحيد الألوهية**

---

[1] المصدر نفسه (ص: 570 – 571).

## المبحث الأول: توحيد الألوهية أعظم ما قررته الكتب المنزلة واتفقت عليه, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: اتفاق جميع الكتب المنزلة على تقرير توحيد الألوهية:

قد أنــزل الله الكتب على رســله ليــبينوا للنــاس ما أوجب الله عليهم من عبادته وحـده وطاعتـه، وبيـان جميع ما شرعه لهم. فهذه الكتب كلها متفقة على أصول الدين؛ التوحيد، والنبوات، والمعاد[1]. وأصل هذه الأصـول كلها هو الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة، فكـان جميع الكتب المنزلة على الرسل متفقة على تقرير توحيد الألوهية وبيانه والدعوة إليه.

قـــال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية في كلامه عن قوله تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ المائدة: ٤٨:

"فقد أمر نبيه محمدا أن يحكم بما أنزل الله إليـه، وحـذره اتباع أهـوائهم وبين أن المخـالف لحكمه هو حكم الجاهلية حيث قال تعالى: ﭽ ﯾ ﯿ ... ﭼ المائدة: ٥٠، وأخبره تعـالى أنه جعل لكل من أهل التـوراة والإنجيل والقرآن شرعة ومنهاجـا، وأمـره تعـالى بـالحكم بما أنـزل الله أمر عـام لأهل التـوراة والإنجيل والقــرآن، ليس لأحد في وقت من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل اللـه، والـذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسـل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج بين ناسخ ومنسوخ فهو شبيه بتنوع حال الكتاب الواحد"[2].

فــبين رحمه الله أن جميع رسل الله وكتبه المنزلــة، متفقون في أصول الدين وقواعد الشـريعة، فتضـمن هـذا الكلام أن جميع كتب الله المنزلة متفقة على تقرير توحيد الألوهيــة، لأن الإيمــان بالله وتوحيــده بالعبــادة هو أصل أصول الدين وقواعده.

---

[1] انظر إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعـاد والنبوات للشوكاني ص: 4.

[2] الجواب الصحيح 2/ 438.

وقال العلامة ابن القيم: "الغاية الحميدة الـتي يحصل بها كمـال بـني آدم وسـعادتهم ونجـاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له، وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا اللــه، وبها بعث الرسل ونــزلت جميع الكتب، ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك"[1].

نستخلص مما سبق أمرين:

1- أن جميع كتب الله المنزلة على رســــله متفقة في أصــول الــدين وقواعــده، لأن الــذي أنزله الله دين واحـــد، وأعظم أصل الـــدين هو معرفة الله تعـــالى وتوحيــده بالعبــادة، فــدل ذلك على أن جميع الكتب المنزلة متفقة على تقرير توحيد الألوهية.

2- نــزلت جميع كتب الله بما هو الغاية الحميــدة، الــتي يحصل بها كمال بـني آدم ونجـاتهم وسـعادتهم، وذلك هو معرفة الله تعـالى وتوحيـده بالألوهيـة، فـدل ذلك على اتفــــاق جميع الكتب المنزلة على تقرير توحيد الألوهية[2].

وقد وردت أدلة من القـرآن الحكيم تـدل على اتفـاق كتب الله المنزلة على تقرير توحيد الألوهية, ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ  ﭼ النحل: ٢.

بين الله تعالى أنـه يـنزل الملائكـة بـالروح من أمـره على رسـله، والـروح هـو الـوحي، والمـوحى بـه هـو: الإنذار بأنه لا إله إلا الله.

هكذا فسر الآية البغوي[3] وابن كثير[4] وروى ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله: " ﭽﮔ ﮕ

---

[1] مفتاح دار السعادة 2/ 1160.

[2] انظر المصدر نفسه.

[3] انظر معالم التنزيل 4/ 8.

[4] انظر تفسير القرآن العظيم 4/ 556.

ڳ  ڇ  يقول: بالوحي"[1], ونحـوه عن قتـادة[2]. وقـال مجاهد: "بالنبوة"[3], وعن الحسن مثله[4].

والذي فسـره بـالنبوة فهو من التفسـير بـاللازم، لأن النبوة تستلزم الوحي، ولا تكون النبوة إلا بالوحي.

قال الواحدي: " ڇ  ڳ  ڳ  ڳ  ڇ بالوحي، وهو كلام الله، سمي روحا لأنه حياة من موت الكفر"[5].

وذكر ابن عطية عن الربيع بن أنس قـــال: "كل كلام الله روح"[6].

وقال الشنقيطي: "ومما يدل على أن المـراد بـالروح الوحي; إتيانه بعد قوله: ڇ ڳ ڳ  ڳ  ڇ بقوله: ڇ ڳ  ں ڇ; لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: ڇ  ٻ ٻ  ٻ  ڇالأنبياء: ٤٥"[7].

وإذا تقرر أن الروح هو الوحي، فإن من جملة الوحي كُتب الله المنزلة على الأنبياء والرسل.

قال القاسمي: "والروح هو الـوحي، الـذي من جملته القرآن"[8].

ومعــنى الآيــة: يــنزل الله الملائكة بـــالوحي – ومن جملته كتب الله المنزلة – أن أعلموا الناس أنه لا إله إلا أنا أي: مــــروهم بتوحيـــدي وأعلمــــوهم ذلك مع تخويفهم[9]

---

[1] جـامع البيـان 14/ـ 162، تفسـير ابن أبى حـاتم 7/ـ 2276، وانظر الدر المنثور 9/ 8.

[2] المصدر نفسه 14/ 163، تفسير ابن أبى حاتم7/ 2276.

[3] جامع البيان14/ 163.

[4] تفسير ابن أبى حاتم 7/ 2276، الدر المنثور 9/ 9.

[5] الوسيط 3/، 55، وانظر معالم التنزيل 4/، 8، المحرر الوجيز 3/ 378، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 556.

[6] المحرر الوجيز 3/ 378.

[7] أضواء البيان 3/ 256.

[8] محاسن التأويل 10/ 3778.

[9] الوسيط للواحدي 3/، 56، زاد المسير 4/، 428، فتح القدير للشوكاني 3/ 204.

فتــبين بهــذا أن الآية تــدل على أن جميع كتب الله المنزلة على رسله متفقة على تقرير توحيد الألوهية، بل هو أعظم ما قررتـــه، لأنه أصل أصـــول الـــدين المتفق عليها بين الرســـل. ولأنه من أجله خلق الله الخلـــق، وأرسل الرســـل، فيجب أن تتضـــمن جميع الكتب المنزلة على تقرير هذا التوحيد.

2- قوله تعالى: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ الأنبياء: ٢٤–٢٥.

في هذه الآيات يـذكر الله تعـالى الـدليل النقلي على تفرده بالألوهية واستحقاقه وحده بالعبادة، بعد ذكـره للـدليل العقلي، حيث تحـدى المشـركين بـأن يـأتوا بالبرهـان على شـركهم، وألـزمهم النـبي صـلى الله عليه وســـلم الحجة البرهانية والـــدليل النقلي حيث طالبهم بالحجة على شركهم في الكتـاب الـذي كـان معه - أي القـــــرآن -، والكتب المنزلة على الرسل قبلـــــه، ثم أثبت لهم أن الموجـــــود في جميع كتب الرسل كلهم هو الأمر بعبادة الله وحده وأنه لا إله إلا هو. وبيّن تعالى أنه أوحى إلى جميع الرسل أنه لا إله إلا هو، والنقل عن جميع الأنبياء موجود في كتبهم.

روى ابن جرير عن قتادة، قوله: "ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنبياء: ٢٥ ، قال: أرســلت الرسل بــالإخلاص والتوحيــد، لا يقبل منهم - قــال أبو جعفر: أظنه أنا قــال - عمــلٌ حــتى يقولــوه ويقــروا به, والشــرائع مختلفة, في التــوراة شــريعة, وفي الإنجيل شـــريعة, وفي القـــرآن شـــريعة حلال وحرام. وهذا كله في الإخلاص لله, والتوحيد له"[1].

وقــال اللالكــائي: "فــأخبر الله نبيه صــلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله التوحيد"[2].

---

(?)[1] جامع البيان 16/ 250.

(?)[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 2/ 218.

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ وقرا حفص وحمزة والكسائي:" نـوحي إليه" بالنون، لقوله: "أرسلنا". ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ أي قلنا للجميع لا إله إلا الله، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شـــريك لـــه، والنقل عن جميع الأنبيـــاء موجـــود، والدليل إما معقول وإما منقول"[1].

فـــدلت الآية على أن تقرير توحيد الألوهية والأمر به موجـود في جميع كتب الله المنزلة على رسـله، لأنه أوحى الله به إلى جميع الرسل، وهو موجـود منقـول في كتبهم.

قال العلامة ابن القيم: " ﭽ □ □ □ □ □□ □ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ □ □ □ □ □ □ □□ ﭼ الأنبياء: ٢٤. أي هذا الكتاب الذي أنزل علي، وهذه كتب الأنبيـاء كلهم هل وجـدتم في شـــيء منها اتخـــاذ آلهة مع الله أم كلها ناطقة بالتوحيد آمرة به؟"[2].

وقال الحافظ ابن كثير: "يقول تعالى: بل ﭽ □ □ □ □□ □ ﭼ يا محمد: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ أي: دليلكم على ما تقولون، ﭽ ﮡ □ □ □ □ ﭼ يعني: القرآن، ﭽ □ □ □□ ﭼ يعـــني: الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولـــون وتزعمـون، فكل كتـاب أنـزل على كل نـبي أرسـل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه؛ ولهـذا قـال: ﭽ □ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنبياء: ٢٥ "[3].

فدلت الآية على أن تقرير توحيد الألوهية موجـود في جميع الكتب المنزلـة؛ والقـرآن وما قبلـه، وهو ممن اتفقت عليه كتب الله المنزلة على رسله.

وقد قـرر شـيخ الإسـلام ابن تيمية هـذا المعـنى في مواضع كثـيرة جـدا في كتبـه، كما في قولـه: "فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشـرك به شـيئا ، وهـذا هو

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 14/ 192.
[2] مدارج السالكين 5/ 3887.
[3] تفسير القرآن العظيم 5/ 337.

أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، قال الله تعالى ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ الزخرف: ٤٥, وقال تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنبياء: ٢٥"[1].

وقــال الشــيخ ابن ســعدي:" فكل الرسل الــذين من قبلك مع كتبهم، زبـدة رسـالتهم وأصـلها، الأمر بعبـادة الله وحده لا شريك له، وبيـان أنه الإله الحق المعبـود، وأن عبادة ما سواه باطلة"[2].

3- ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ المائدة: ٤٨.

في هذه الآية بيـان أن الشـرائع اختلفت في الأحكـام، واتفقت في التوحيــد، والشـــرائع هي وحي الله على أنبيائــه، ومن جملته الكتب المنزلة عليهم، وبيــان ذلك من وجهين:

**الوجه الأول: بيان أن الإسلام هو ملة جميع الأنبيــاء والرسل:**

قـــال القرطـــبي: "فالشـــرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد، وإنما اختلفت في الأوامر والنواهي"[3].

وقال ابن كثير: "والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم"[4].

وقال أيضـا: "هـذا إخبـار عن الأمم المختلفة الأديـان، باعتبــار ما بعث الله به رســله الكــرام من الشــرائع

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم، 2/ 393، وانظر الاستقامة 1/ 92، 2/ 31، الصفدية 2/ 228، 339، الرد على المنطقيين 1/ 521، الجواب الصحيح 1/ 349، منهاج السنة النبوية 5/ 346، بيـان تلبيس الجهمية 3/ 16، الفتاوى الكبرى 1/ 161، 1/ 142، 5/ 287، جامع الرسائل 2/ 215، 260، جامع المسائل 6/ 146 – 147، مجموع الفتاوى 2/ 461، 464، 3/ 118، 397، 4/ 150، 8/ 345، 554، 10/ 336، 13/ 200، 17/ 352، 19/ 278، 22/ 308، 35/ 214.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص:521.

[3] الجامع لأحكام القرآن 14/ 190 – 191.

[4] تفسير القرآن العظيم 1/ 447.

المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيـد، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريـرة أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال: "**نحن معاشر الأنبيـاء إخـوة لعلات، ديننا واحد**"[1]، يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله"[2].

وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "ما جعله الله لكل كتـاب من الشـرعة والمنهـاج والمنسك لا يمنع أن يكون الدين واحد، فالـذين كـانوا يتمسـكون بـالتوارة والإنجيل قبل النسخ والتبديل كانوا على دين الإسلام، وإن كان لهم شريعة تختص بهم. وكذلك المتمسكون بالإنجيل قبل النسخ والتبديل على دين الإسـلام، وإن كان المسيح قد نسخ بعض ما في التوراة، وأحل لهم بعض الذي حرم عليهم. وكذلك محمد صلى الله عليه وسـلم بعث بـدين الإسـلام، وإن نسخ الله ما نسـخه كالقبلـة. ومن لم يتبع محمـدا لم يكن مسـلما بل كـافرا، ولا ينفعه بعد أن بلغه دعـوة محمد التمسك بما يخالف ما أمر به فإن ذلك لا يقبل منه"[3].

فدلت الآية على أن كتب الله تعالى كلها متفقـة على توحيد الألوهية لأنه هـو حقيقـة الإسـلام، وهـو المـراد بالتوحيد عند الإطلاق.

**الوجه الثاني: بيان أن القـرآن قـرر مـا في الكتب المتقدمة من أصول الدين، لأنه المهيمن عليها:**

قد وصف الله القرآن في هذه الآية بأنه مصـدق ومهيمن على الكتب المنزلة المتقدمة عليـه، ومعـنى المهيمن هو الشـاهد والحـاكم والمـؤتمن، فـدل ذلـك على توافـق بين القـرآن والكتب المنزلـة قبلـه في مضامينها. فاشتمال القرآن على تقرير التوحيد وبيان

---

[1] متفق عليه، ولفظه في الصـحيحين: «أنا أولى النـاس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شـتى ودينهم واحد» صـحيح البخـاري 2/ـ 489، (ح: 3443)، وصـحيح مسلم ص: 989، (ح: 6132).

[2] تفسير القرآن العظيم 3/ 129.

[3] الصفدية 2/ 308.

وجوبه والدعوة إليه يدل على اشتمال الكتب المتقدمة على ذلك.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة...."،
إلى أن قال: "وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزاد ذلك بيانا وتفصيلا. وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم. وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضا ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة؛ فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات"[1].

فوصْف القرآن بالتصديق للكتب المتقدمة والهيمنة عليها يدل على اتفاق الكتب على أصول الدين وقواعد الشريعة، وأن ما جاء به القرآن يشهد على ما جاءت به الكتب قبله، فدل ذلك على اتفاقها على أصل أصول الدين الذي هو الإيمان بالله وتوحيده.

ولما كان القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شاهدا وحاكما على الكتب المتقدمة عليه، وأن أعظم ما تضمنه الكتاب المنزل عليه صلى الله عليه وسلم هو توحيد الله تعالى بالعبادة،

---
1(?) مجموع الفتاوى 17/ 42 – 44، وانظر الجواب الصحيح 2/ 270 – 272.

دل ذلــك على تضــمن تلــك الكتب على هــذا الأمــر العظيم، الذي هو توحيـد اللـه في عبادتـه وحـده، لأن القــرآن متضــمن لآيــات كثــيرة فيهــا الأمــر بتوحيــد الألوهية، ومنها:

1- قوله ﮋ ﭼ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﭼ الأنبياء: ١٠٨.

2- وﭧ ﮋ ﭼ    ﭼ الكهف: ١١٠.

قال السـجزي[1]: "قـال الله سـبحانه لنبيه صـلى الله عليه وسلم: ﭽ    ﭼ الكهــف: ١١٠, فــأمر جل جلاله نبيه عليه الســلام أن يدعو إلى إثبات الوحدانية بالوحي وقال ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ الأنبياء: ٢٥ ، فــبين أن من تقــدم من الرسل كــانوا يحتجــون على الكفار في الوحدانية بالوحي ولم يؤمروا إلا بذلك"[2].

فـدل ذلـك على تضـمن الكتب المتقدمـة على ذلـك، لأنــه الشــاهد عليهــا المهيمن عليهــا، فحصــلت اتفــاق بينها على تقرير توحيد الألوهية.

4- وكذلك أن جميع الكتب المنزلـة على الرســل متفقــة على تحريم الشرك، والنهي عنه والتحــذير منــه أشــد التحذير, ﭧ ﭨ ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ الزمر: ٦٥ – ٦٦.

فبيّن تعالى أنه أوحى إلى كل نبي أنه إن أشرك بالله تعالى ليحبطن عملـه، وليكـونن من الخاسـرين، ومن جملة الوحي الكتب المنزلة. فدل ذلك على اشــتمال

---

[1] عبيــد اللــه بن ســعيد بن حــاتم بن أحمــد الــوائلي أبــو نصــر الســجزي (نســبة إلى سجســتان، وهو على غــير قيــاس)، الإمــام العالم الحافظ المجود شيخ السنة، شيخ الحرم، ومصنف (الإبانــة الكبرى) في أن القــرآن غــير مخلــوق، قــال الــذهبي "وهــو مجلــد كبير، دال على سعة علم الرجل بفن الأثر"، وله رسالة إلى أهــل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت. ســكن مكة وتــوفي بها ســنة 444 هـــ. (انظر ســير أعلام النبلاء 17/ـ 654، والأعلام للزركلي 4/ 194).

[2] الرد على من أنكر الحرف والصوت ص: 91.

الكتب المتقدمة على التحذير من الشرك، مما يدل على وجوب التوحيد، وتحريم الشرك، وأنه أكبر الذنوب[1].

-5 ومما يدل على اتفاق الكتب المنزلة على تقرير توحيد الألوهية، أن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بينه وبينهم وهي كلمة توحيد الألوهية، فدل على وجود تقرير التوحيد في كتب أهل الكتاب, ﭧ ﭨ ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [آل عمران: ٦٤].

قال الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل: ﭽ ﭬ ﭼ هلموا ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ يعني إلى كلمة عدل ﭽ ﭰ ﭱ ﭼ والكلمة العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا"[2].

في هذه الآية بيان أن دعوة النبي صلى الله هي متفقة مع دعوة غيره من الأنبياء، لذلك أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى الأمر المتفق عليه فيما بينهما، وهو توحيد الله بالعبادة. لأن الكتب المتقدمة والرسل السابقة كلها متفقة على الدعوة إلى التوحيد واجتناب الشرك والتحذير منه. لذلك أمر الله تعالى نبيه بأن يدعوهم إلى الأمر المتفق عليه فيما بينه وبينهم. لأن الله تعالى قد أخبرنا بأنه أمر أهل الكتاب بالتوحيد في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم؛ أن يخلصوا العبادة لله وحده وأن لا يشركوا به شيئا, ﭧ ﭨ ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ التوبة: ٣٠ – ٣١. وقال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البينة: ٥.

---

[1] انظر الجامع لأحكام القرآن 18/ 307، فتح القدير للشوكاني 4/ 623.

[2] جامع البيان 5/ 473.

قـال ابن سـعدي رحمه اللـه: "فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله تعالى، ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البينة: ٥"[1].

وبهذا يتبين لنـا أن جميـع الكتب المنزلـة متفقـة على تقرير التوحيد.

6- وقوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الشورى: ١٣.

في هذه الآية بيان أن جميع الرسـل على دين واحـد، وأن اللــه أوحى إليهم وأمــرهم بالاجتمــاع على هــذا الدين الحنيف، الذي هو توحيد اللـه وعبادتـه وحـده لا شريك له.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: "ولم يشـرع الله لنـبي من الأنبياء أن يعبد غير الله البتة"[2].

وقال أيضا: "ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ القصص: ٥٣، ويعلمون المعاني الـتي فيه أنها موافقة لأقـوال الرسل قبله في الخـبر والأمــر، فإنه أخــبر عن توحيد الله وصــفاته وعرشه وملائكته وخلقه الســماوات والأرض وغــير ذلك بمثل ما أخـــبرت به الرسل قبله وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وبالعدل والصدق والصلاة والزكـاة ونهى عن الشــرك والظلم والفــواحش كما أمــرت ونهت الرسل قبلـه. والســور المكية نـزلت بالأصـول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل التي لا بد منها وهي الإسـلام العـام الـذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينا غيره.

وأما الســـور المدنية ففيها هـــذا وفيها ما يختص به محمد من الشرعة والمنهـاج، فـإن دين الأنبيـاء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: "**إنا معشر الأنبياء ديننا واحد**"[3]. قال الله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 691.

[2] اقتضاء الصراط المستقيم 2/ 849.

[3] متفق عليه، ولفظه في الصـحيحين: «أنا أولى النـاس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شــتى

ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ
ﮑ ﭼ الشورى: ١٣, وقال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮨ
ﮩ ﮪ ﮫ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ
ﯦ ﭼ المؤمنون: ٥١ – ٥٣، وقال تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ
ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ
ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ
ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﭼ الروم: ٣٠ – ٣٢. وأما الشرعة والمنهاج فقد قـــال عن أهل التـــوراة والإنجيل والقـــرآن لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"[1].

وقال ابن كثير: "والدين الذي جـاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الأنبياء: ٢٥.

وفي الحديث: "**نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**"[2]، أي: القــدر المشــترك بينهم هو عبـادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ المائدة: ٤٨"[3].

يتـبين مما سـبق أن جميع الكتب المنزلة متفقة على تقرير توحيد الألوهيـــة، لأنه مما أوحـــاه الله إليهم، وأوحى إليهم التحـذير والإنـذار عن الشـرك، وكُتب الله من جملة الـوحي المـنزل إليهم، فـدل ذلك على اتفـاق جميع الكتب كلها على تقرير توحيد الألوهيــة، وذلك يــدل على وجــوب توحيد الله بالألوهية وعبادته وحـده لا شـريك لـه، والحـذر من الشرك به في العبادة، لأن الكتب المنزلة اتفقت على وجوب التوحيد وتحريم الشرك والتحذير منه.

********

---

ودينهم واحد» صـحيح البخـاري 2/ـ 489، (ح: 3443)، وصـحيح مسلم ص: 989، (ح: 6132).

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 5/ 341 – 343.

[2] سبق تخريجه في حاشية رقم (1) من هذه الصفحة.

[3] تفسير القرآن العظيم 7/ 194 – 195.

**المطلب الثاني**: تقرير توحيد الألوهية أعظم ما في الكتب المنزلة:

ســبق في مطلع الفصل الأول من هــذا البــاب؛ أن جميع رسل الله إنما جاؤوا للدعوة إلى التوحيـد، والتحـذير عن الشـرك، وتقـرر في المطلب الأول من هـذا المبحث؛ أن جميع الكتب المنزلة على الرسل اتفقت على تقرير التوحيـد، وذلك لأن التوحيد هو أعظم ما جـاء به الرسـل، وهو السـبب من إرسـالهم إلى النـاس بعد وقـوع الشـرك في بني آدم في قوم نوح عليه السلام، ولذلك كـان أعظم ما في الكتب المنزلة هو تقرير التوحيد وبيانـــــه، لأنه هو الهدف الأساسي من الرسـالة. وقد وردت نصـوص كثـيرة تدل على ذلك، منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ □ □ □ □□ □ □□ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ □ □□ □ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ □ ﯜ ﯝ □ □ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □□ □ □ □ □ﭼ التوبة: ٣٠ – ٣١ .

فقوله تعالى: ﭽ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □□ﭼ التوبة: ٣١, يدل على أن الله أمر أهل الكتاب بالتوحيد ونهاهم عن الشـــرك، وذلك على ألســـنة رســـله، وفي كتبه المنزلة عليهم.

قال السـيوطي: "وأخـرج أبو الشـيخ عن قتـادة رضي الله عنه: ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ اليهود ﭽ ﯚ ﭼ النصارى ﭽ □ □ ﭼ في الكتاب الذي أتاهم وعهد إليهم ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ سبح نفسه أن يقال عليه البهتان"[(1)].

وقال الواحدي: "وما أمروا في التوراة والإنجيل، ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ، وهو الذي ﭽ ﯨ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ تنزيها له عن شركهم"[(2)].

وقال أبو حيان: "ﭽ □ □ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □□ □ □ □ ﭼ التوبة: ٣1، الظاهر أن الضمير عائد على من عاد عليه في اتخذوا، أي: أمـروا في التـوراة والإنجيل

---

(?)1 الدر المنثور 7/ 324.

(?)2 الوسيط للواحدي 2/ 491.

على ألسـنة أنبيـائهم. وقيل: في القـرآن على لسـان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم. وقيل: في الكتب الثلاثة. وقيل: في الكتب المنزلـة، وعلى لسـان جميع الأنبياء"[1].

وقال الألوسي: " ﭽ ﮱ ﯓ ﭼ أي والحـال أن أولئك الكفـــرة ما أمـــروا في الكتب الإلهية وعلى ألســـنة الأنبياء عليهم السلام ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ جليل الشأن وهو الله سبحانه ويطيعوا أمره، ولا يطيعوا أمر غـيره، بخلافه فإن ذلك مناف لعبادته جل شأنه"[2].

فتـبين من تفسـير المـروي عن قتـادة للآيـة، أن أمْر الله أهلَ الكتاب للتوحيد كان في كتبهم، وكـذلك نص على ذلك من المفسـرين أبو حيـان والألوسـي. ومن المعلـوم أن توحيد الله هو أعظم ما شـرائع الأنبيـاء، وهو أساس الدين والملـة، فتـبين أن أعظم ما قررته الكتب المنزلة هو توحيد الألوهية.

2- ﮋ ﮌ ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ البينة: ٥.

وكذلك هذه الآية مثل الآيـة السـابقة، أن اللـه تعـالى يخبر بأنه ما أمر أهل الكتاب إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، فدل ذلك على أن الأمر بالتوحيد هـو أعظم مـا في شـرائع أهـل الكتـاب، لأن اللـه تعـالى حصـر المـأمور بـه في شـرائعهم في توحيـد اللـه بالعبـادة، وذلك في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، فدل ذلك على أن التوحيد هو أعظم ما قررته الكتب المنزلة.

قال الواحدي: "ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم، فقال: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ قال ابن عباس: وما أمروا في التـــوراة، والإنجيـــل إلا بـــإخلاص العبـــادة للـــه، موحدين لا يعبدون معه غيره"[3].

---

[1] البحر المحيط 5/ 33.

[2] روح المعاني 10/ 84.

[3] الوسيط للواحدي 4/ 539، وانظر معالم التنزيل 8/ 496، زاد المسير 9/ 198، فتح القدير 5/ 639.

وقال ابن جزي[1]: " ﭼ [illegible] ﭼ الآية هنا معناها: ما أمـروا في التـوراة والإنجيل إلا بعبـادة اللـه، ولكنهم حرفوا أو بـدلوا، ويحتمل أن يكـون المعـنى ما أمـروا في القــرآن إلا بعبــادة اللـــه، فلأي شـــيء ينكرونه ويكفرون به"[2].

وفي هاتين الآيـتين دلالة واضـحة على أن الله تعـالى أمر أهل الكتـــاب بتوحيد الألوهية في الكتب المنزلة على رسلهم، وتـدلان أيضا على أن التوحيد هو أعظم ما قررته الكتب المنزلـــــــة. لأن التوحيد هو أعظم الواجبـــات في جميع الشـــرائع، كما أن الشـــرك هو أعظم المحرمـــات، لـــذلك لما ســـأل عبد الله بن مســـعود رضي الله عنه الرســـول صـــلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنب عند الله قال «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**»[3].

فـدل الحـديث على أن الشـرك هو أعظم الـذنوب، ويستلزم ذلك أن التوحيد هو أعظم الواجبات، والأدلة على ذلك كثيرة.

وجـــاء التعبـــير عن الأمر بالتوحيد في كلا الآيـــتين بأســـلوب الحصـــر، ليـــدل على أن التوحيد هو أعظم المأمورات في كتب أهل الكتـاب، لا لأنه هو المـأمور به فقط فيهـا، لأن حصر الأمر في هـاتين الآيـتين في توحيد العبادة حصر له في أصـله الأعظم الـذي يرجع إليه جميع الفروع; لأن شرائع الأنبياء كلهم داخلة في ضمن معـنى «**لا إله إلا الله**» لأن معناها خلع جميع

---

[1] محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللـه، ابن جـزي الكلـبي، أبو القاسم الأندلسي، من أهل غرناطة، المولود سنة 693. فقيه من العلماء بالأصـول واللغـة. من كتبه "القـوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" و"التسهيل لعلوم التنزيـل" في التفسـير، تـوفي سنة 741 هـ. (انظر الدرر الكامنة 3/ 356، والأعلام للزركلي 5/ 325).

[2] التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 597، الجامع لأحكام القرآن 22/ 411.

[3] متفق عليه؛ صـحيح البخـاري 3/ـ 190 – 191، (ح: 4477)، وصحيح مسلم ص: 102، (ح: 257).

المعبـــودات غـــير الله جل وعلا في جميع أنـــواع العبــادات، وإفــراده جل وعلا وحـــده بجميع أنـــواع العبـادات، فيــدخل في ذلك جميع الأوامر والنــواهي القولية، والفعلية، والاعتقادية[1].

فـدل ذلك على أن التوحيد هو أعظم المـأمورات في شرائع الأنبيـاء، لـذلك كـان هو أعظم ما قررته كتبهم المنزلة عليهم.

3- قوله تعالى: ﭽ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ﭼ البقرة: ٨٣.

بين الله تعالى في هذه الآية أنه أخذ الميثاق من بني إسـرائيل على كثـير من الواجبـات والطاعـات، فبـدأ بالتوحيـــد، وهـــذا يـــدل أن توحيد الألوهية هو أكـــبر المواثيق الـتي أخـذها الله منهم، لأنه بـدأ بـذكره ثم ذكر بعده بقية الواجبات المأخوذة عليها الميثاق.

قـال ابن كثـير: "وهـذا هو أعلى الحقـوق وأعظمهـا، وهو حق الله تعالى، أن يعبد وحـده لا شـريك لـه، ثم بعــده حق المخلــوقين، وآكــدهم وأولاهم بــذلك حق الوالــدين، ولهــذا يقــرن الله تعــالى بين حقه وحق الوالدين"[2].

فـــبين رحمه الله أن توحيد الألوهية هو أعلى هـــذه المواثيق، وهو أعظم الحقـوق الـتي أوجبها الله على بني إسرائيل، لأنه حقه، وحق الله هو أعظم الحقـوق وأعلاها. وهذا الميثـاق كـان في كتـابهم التـوراة، كما نص على ذلك الإمـــام البغـــوي وابن الجـــوزي في تفسيريهما.

قال الإمام البغوي: "قوله تعالى: "ﭽ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ﭼ في التوراة، والميثاق العهد الشديد ﭽ ۋ ۅ ۅ ۉ ﭼ"[3].

---

[1] انظر أضواء البيان 3/ 11.

[2] تفسير القرآن العظيم 1/ 316.

[3] معالم التنزيل 1/ 117.

وقال ابن الجوزي: "قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ، هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة"[1].

فــدل ذلك على أن أعظم ما قررته الكتب المنزلة هو توحيد الألوهيـــة. كما ذكر الله ذلك في آية الحقـــوق العشرة: ﮝ ﮞ ﭽ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ النســاء: ٣٦. وهــذه الآيــة كســابقتها تــدل على أن أعظم الحقــوق الــتي أوجبهــا اللــه على الأمم كلهــا هــو حقــه تعالى وهو توحيده في الألوهية والعبادة، وأن لا يشرك معه أحد، وأنه حرم الشرك في جميع الشرائع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الأنعــام: ٢٠، فالمقصــود بيــان أن أهل الكتــاب عنــدهم ما يصــدقك فيما كــذبك فيه الكــافرون وذلك من وجوه:

**أحدها** أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وغــيره دعوا إلى عبادة الله وحده ونهــوا عن الشــرك، فكــان في هـــذا حجة على من ظن أن الشـــرك دين, ومثل هذا قوله تعالى: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الزخرف: ٤٥ . وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ الأنبياء: ٢٥"[2].

4- وقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الزمر: ٦٥ – ٦٦.

فــدلت هــذه الآية على أن الشــرك محــرم في جميع الكتب المنزلـــة، لأن الكتب من جملة الـــوحي، وأن أوجب الواجبات وأعظمها هو توحيد الألوهيــة، كما أن الشــرك هو أعظم الــذنوب والمحرمــات. فــدلت الآية على أن توحيد الألوهية هو أعظم ما قررته الكتب المنزلة.

5- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ النساء: ٦٠.

---

[1] زاد المسير 1/ 108.

[2] الجواب الصحيح 2/ 359 – 360.

دلت هــذه الآية على أن الــذين يزعمــون أنهم آمنــوا بجميع الكتب المنزلة يريـــــدون أن يتحـــــاكموا إلى الطـــــاغوت، وقد أمـــــروا في كتبهم أن يكفـــــروا بالطـــاغوت. فـــدل ذلك على أن الكفر بالطـــاغوت مأمور به في كل كتاب أُنزل، وعلى لسان كل رسول أرسل، فإذا كان الكفر بالطاغوت مأمور به في جميع الكتب فيستلزم أن يكون إفراد الله بالألوهية مـأمورا به كذلك. كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﭼ النحل: ٣٦.

روى ابن جرير في تفسير الآية: "عن عامر الشـعبي, في هذه الآية: ﭽ [illegible] ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ فذكر نحوه, وزاد فيه: فأنزل الله ﭽ [illegible] ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ يعني المنافقين ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ يعني اليهود ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ يقول: إلى الكاهن ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ أمر هــذا في كتابه, وأمر هــذا في كتابه أن يكفر بالكاهن"[1].

وقال الشوكاني: "وقد أمـروا فيما أنـزل على رسـول الله، وعلى من قبله أن يكفروا به"[2].

فتــبين مما ســبق أن توحيد الألوهية أعظم ما قررته الكتب المنزلة على الرسل، فيسـتلزم ذلك وجـوب إفـراد الله تعالى بالعبادة، وتحريم الشرك به. فكل من ادعى أنه يؤمن بكتاب منزل، التوراة أو الإنجيل أو القــرآن يلزمه أن يفـــرد الله تعــالى بالعبـــادة، ويجتنب الشـــرك بالله في العبادة، لأن ذلك هو أعظم ما قررته هذه الكتب المنزلة.

********

[1] جامع البيان 7/ 190.

[2] فتح القدير 1/ 770.

## المبحث الثاني: تقرير القرآن الكريم لتوحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** بيان أن القرآن أُنزل لتفصيل توحيد الألوهية:

قد تقـــدم في المبحث الســـابق أن الكتب المنزلة متفقة على تقرير توحيد الألوهيــة، وأنه أعظم ما تضــمنته تلك الكتب كلها، وأعظمها الشاهد المهيمن عليها القــرآن، فهو أعظم تلك الكتب في تقرير التوحيد وبيانه، لذلك كان أفضل الكتب، لاشـتماله على أعظم بيـان لأعظم حق الله على العبيد، ولذلك أنزل على أفضل الأنبياء، المرسَل إلى خـير أمة أخـرجت للنـاس. فاشـتمال القــرآن على أعظم بيان للتوحيد من الوجــوه الدالة على أفضـليته على سـائر الكتب، ومن الوجوه الدالة على أفضلية النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل، فهو إمــام الموحــدين، وذلك دال على أفضلية أمته على بقية الأمم[1]. لذلك كـان ما فيه من تقرير توحيد الألوهية، وتفصيل أحكامــه، وبيــان حقوقه وجزائه، وبيان عقوبة تاركه أعظم ما في غيره من الكتب المنزلة.

قــال شــيخ الإســلام ابن تيميــة: "والقــرآن كله يثبت توحيد الإلهية ويعيب عليهم الشرك"[2].

ﮋ ﭑﭒﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ هود: ١ – ٢.

قال ابن كثير: " ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ أي: نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له"[3].

وقال الشنقيطي: "قوله تعالى: ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ هود: ٢، هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنـزل القـرآن من أجلها: هي أن يعبد الله جل وعلا وحده، ولا يشــرك به في عبادته شيء ; لأن قوله جل وعلا: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ، صريح في أن آيات هذا الكتاب فصـلت من عند الحكيم الخبــير لأجل أن يعبد الله وحــده،

---

[1] انظر الرد على المنطقيين ص: 336.

[2] مجموع الفتاوى 20/ 456.

[3] تفسير القرآن العظيم 4/ 303.

ســـــواء قلنا إن «أن» هي المفســـــرة، أو أن المصـــــدر المنسـبك منها ومن صـلتها مفعـول من أجله; لأن ضـابط «أن» المفسرة أن يكون ما قبلها متضـمنا معـنى القـول، ولا يكــون فيه حــروف القــول, ووجهه في هــذه الآية أن قوله: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ، فيه معنى قول الله تعالى لذلك الإحكام والتفصيل دون حروف القول ، فيكون تفسير ذلك هو : ألا تعبدوا إلا الله .

وأما على القــول بــأن المصــدر المنســبك من «أن» وصــلتها مفعــول له ، فــالأمر واضــح، فمعــنى الآية : أن حاصل تفصــيل القــرآن هو أن يعبد الله تعــالى وحــده ولا يشرك به شيء، ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الأنبيــاء: ١٠٨، ومعلــوم أن لفظة «إنما» من صــيغ الحصر ، فكـــأن جميع ما أوحي إليه منحصر في معـــنى «لا إله إلا الله» وقد ذكرنا في كتابنا «دفع إيهـــام الاضـــطراب عن آيـات الكتـاب» أن حصر الـوحي في آية الأنبيـاء هـذه في توحيد العبـادة حصر له في أصـله الأعظم الـذي يرجع إليه جميع الفـروع ; لأن شـرائع الأنبيـاء كلهم داخلة في ضـمن معــنى «لا إله إلا الله» لأن معناها خلع جميع المعبــودات غير الله جل وعلا في جميع أنواع العبـادات ، وإفـراده جل وعلا وحده بجميع أنواع العبـادات ، فيـدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية، والفعلية، والاعتقادية"[1].

فقرر رحمه الله أنما أنزل القرآن كله لتفصيل توحيد الألوهية وبيانه، وهو الحكمة العظمى من تنزيله، لأن جميع الأوامر والنواهي إنما هي حقوق التوحيد.

وقد أنزل الله القرآن لبيـان التوحيد وتقريـره، ما من سورة من سوره إلا ويقرر بها سـبحانه التوحيـد. وأنه أول واجب على عبـــــاده، وأعظم حقوقه عليهم. وذكر العلامة ابن القيم أن القـرآن كله يـدل على توحيد الألوهيـة، وبين وجه ذلك:

---

(?)1 أضـواء البيـان 3/ـ 11، ودفع إيهـام الاضـطراب ص: 219 – 220.

فقال رحمه الله: "النوع الثاني – من نوعي التوحيد الذي دعت إليه الرسل - مثل ما تضمنته سورة ﭽ ﭑ ﭒ ﭓﭼ وقوله: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ الآية، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولا كليا؛ إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[1].

وهذا ما سنبينه – بحول الله وقوته – في المطلبين التاليين:

*******

---

[1] مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية 5/ 3828 – 3829.

**المطلب الثاني**: تنوع الأدلة النقلية في القرآن على توحيد الألوهية:

قـال ابن سـعدي رحمـه الله: "واعلم أن هـذا الأصل الذي هو توحيد الله وإفـراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية والأدلة العقلية، حتى صار لذوي البصـائر أجلى من الشمس، فأما الأدلة النقلية فكل ما في كتـاب الله وسـنة رسـوله، من الأمر به وتقريـره، ومحبة أهله وبغض من لم يقم به وعقوبـاتهم، وذم الشـرك وأهلـه، فهو من الأدلة النقلية على ذلـك، حـتى كـاد القـرآن أن يكـون كله أدلة عليـه، وأما الأدلة العقلية الـتي تـدرك بمجـرد فكر العقل وتصـوره للأمـور فقد أرشد القـرآن إليها ونبه على كثـير منها، فمن أعظمها: الاعتراف بربوبية الله، فإن من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولما كان هـذا من أوضح الأشياء وأعظمها أكثر الله تعـالى من الاسـتدلال به في كتابه"[1].

وسأسـوق في هـذا المطلب بعض الأدلة من القـرآن الدالة على ذلك:

**الدليل الأول: الأمر بالتوحيد:**

قد جـاءت آيـات كثـيرة جـدا في القـرآن فيها الأمر بتوحيد الألوهية، في أساليب متنوعة، منها:

1- **تصريح الأمر بالعبادة:**

ﭧ ﭨ ﭽ ڈ ڎ ژ ڑ ڑ ک ڪ ک ګ ګ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڲ ﭼ يوسف: ٤٠.

بين الله تعـالى أنـه أمـر بتوحيـده بالعبـادة، إذ حصَـر المأمور في عبادته وحده، لأنـه الـدين القيم، الـذي لا يقبل الله من أحد سواه.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﭼ المائدة: ١١٧.

وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الرعد: ٣٦.

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 125).

وقال تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ النمل: ٩١.

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الزمر: ١١ – ١٢.

في هذه الآيات بيان أن الله قـد أمـر عبـاده بتوحيـده بالعبادة على ألسنة رسله، وفي كتبه المنزلة.

2- **ومنهـا: الأمر بعبـادة الله المتفـرد بـالخلق والملك والتدبير:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ البقرة:٢١.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ النساء: ٣٦.

وقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ الزمر: ٢.

وقال تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الزمر: ٦٦.

وقال تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ طه: ١٤.

وقال تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ الأنبياء: ٩٢.

وﭧ ﭨ ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ العنكبوت: ٥٦.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [آل عمران: ٥١].

وﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الأنعام: ١٠٢.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ [يونس: ٣].

وﭧ ﭨ ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ [مريم: ٣٦].

وﭧ ﭨ ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [الزخرف: ٦٤].

وﭧ ﭨ ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ هود: ١٢٣.

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ مريم: ٦٥.

كل هذه الآيات يأمر اللـه تعـالى فيهـا عبـاده بعبادتـه وحده لا شريك له.

3- **ومنها: الأمر بدعاء الله مخلصا له الدين:**

قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الأعراف: ٢٩.

وقال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ الأعراف: ٥٥.

وﭧ ﭨ ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ غافر: ١٤.

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ
ﮠﭼ غافر: ٦٥.

وفي هذه الآيات الأمر بإخلاص العبادة لله تعالى، لأن الدعاء هو العباد، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**الدعاء هو العبادة**"[1].

فثبت أن الله تعالى يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وهي توحيد الألوهية.

4- **ومنها: العهد بأن لا يعبد غير الله:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ يس: ٦٠ – ٦١.

فبين أنه أوصى بأن لا يعبد الشيطان، وأمر بعبادته وحده لا شريك له، وذلك الصراط المستقيم.

5- **ومنها: التصريح بالوحي بتوحيد الألوهية:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ
ﭞ ﭼ الأنبياء: ٢٥.

وقال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﭼ الأنبياء: ١٠٧ – ١٠٨.

وقال تعالى: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ
ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﭼ فصلت: ٦.

في هذه الآيات بيان أن الله تعالى أوحى إلى رسله بأن لا إله إلا هو، فلا يعبد إلا هو وحده لا شريك له, وغير ذلك من الآيات التي تفيد الأمر بتوحيد الألوهية.

**الدليل الثاني: بيان حقوق التوحيد:**

وحقوق التوحيد هي الأوامر والنواهي المتضمنة في القرآن، وهي الأحكام الشرعية التي أوجب الله على عباده الامتثال بها. ومن أهما الصلاة والزكاة.

ﭧ ﭨ ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ البقرة: ٤٣.

ﭧ ﭨ ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ
ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﭼ التوبة: ٥.

في هاتين آيتين بيان أن الصلاة والزكاة من أهم حقوق التوحيد، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم

[1] أخرجه أبو داود 2/ 109، (ح: 1479)، والترمذي 5/ 316، (3372) وابن ماجه 2/ 1258، (ح: 3828)، وصححه الألباني في الصحيحة 6/ 326.

عن عبد الله بن عمر قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسـول الله ويقيمـوا الصـلاة ويؤتـوا الزكـاة فـإذا فعلـوا عصـموا مـنى دمـاءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[1].

فإقامة الصـلاة وإيتـاء الزكـاة من أعظم حقـوق التوحيـد، الذي أمر الله بقتال من امتنع عن القيام بهمـا. فـدل على أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أهمها.

وكـذلك سـائر واجبـات الإسـلام من حقـوق التوحيـد، فأداء الفرائض والواجبات والمستحبات كلها، وتـرك الكفر والشرك والفسوق والمحرمات والمعاصي كلها من حقوق التوحيـد. وقد جـاءت آيـات كثـيرة في القـرآن ببيـان هـذه الحقوق، وتفصيل أحكامها، وهي أحكام الشريعة الـتي أمر الله عباده بالقيام بهـا، وإخلاص الـدين لله فيهـا، وصـرفها لله وحـــده لا شـــريك لـــه. وكلها تـــدل على أن الله هو المستحق أن يتوجه إليه بها خالصا له الدين دون غيره.

**الدليل الثالث: ذكر محاسن التوحيد وجزائه ومدح أهله:**

قد وعد الله الموحدين بجزيل الثواب، وكريم النعيم في الدنيا والآخرة، ووعدهم بالنصـر والتمكين في الـدنيا، وقـد وردت نصوص كثيرة ببيان ذلك جملة وتفصيلا, ومنها:

1- قوله تعالى: ڇ ... ڇ الكهف: ١١٠.

2- وقوله تعالى: ڇ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڇ الأنعام: ٨٢.

في هذين النصين بيان جزاء التوحيد وذكـر محاسـنه، لأنه كان من محاسـنه وجزائـه أن اللـه تعـالى يجـزي الموحد خـير الجـزاء يـوم لقائـه، وأن لـه الأمن التـام والاهتداء التام.

**الدليل الرابع: النهي عن الشرك:**

---

[1] متفق عليه؛ صحيح البخاري 1/ 24، (ح: 25)، وصحيح مسلم ص: 85، (ح: 129).

وردت آيــات كثــيرة جــدا فيها النهي عن الشــرك، لأن الشرك هو أعظم ذنب عصي الله به، وأن الرسل أرسـلوا للنذارة عنه، لذلك كان أعظم ما نهى الله عنه في القرآن هو الشرك, ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ النحل: ٥١.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ النساء: ٣٦.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الأنعام: ١٥١.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ الأعراف: ٣٣.

5- وقوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الحج: ٢٦.

6- وقوله تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ لقمان: ١٣.

7- وقوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ لقمان: ١٥.

8- وقوله تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ يس: ٦٠ – ٦١.

9- وقوله تعالى: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ غافر: ٦٦.

والآيات في ذلك كثيرة، وكلها فيها النهي عن الشـرك المستلزم عبادة الله وحده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا المعـنى كثـير في القرآن: يبين سبحانه أنه لم يشــرع عبـادة غـيره، ولا أذن في ذلك، بل يبين أنه ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الأنبياء: ٢٢ ، فإنه كما يمتنع أن يكـون غـيره ربا فاعلا يمتنع أن يكون إلها معبودا"[1].

**الـدليل الخـامس: ذكر مسـاوئ الشـرك وعقوبته وذم أهله:**

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 7/ 392.

كما ذكر الله تعالى محاسن التوحيد وجزائه، كـذلك ذكر مسـاوئ الشـرك وعقوبته في مواضع عديـدة من كتابـه، ومن ذلك:

1- أن الشرك هو الـذنب الـذي لا يغفـره الله إذا مـات العبد ولم يتب, ﭐﭑﭽﭒ ﭓ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ النساء: ٤٨.

2- وأن مات مشركا بالله فقد حـرم اللـه عليـه الجنـة، ومأواه النار خالدا فيها أبدا, ﭐﭑﭽﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ المائدة: ٧٢.

3- وأن مثل من أشرك مـع اللـه أحـدا في الهلاك كمثـل من خـر من السـماء فيتمـزق في الهـواء، وتخطفـه الطير، وتلقيه الريح في المكان البعيد، فيهلك, ﭐﭑ ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الحج: ٣١, فهذا في غاية البيان عن سوء عاقبة الشرك.

4- والشرك يؤدي بصاحبه إلى الخـذلان ويكـون مـذموما عند الله تعالى، فيلقى في جهنم يوم القيامة, ﭐﭑﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الإسراء: ٢٢.
وﭐﭑﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الإسراء: ٣٩.

5- الشرك يحبط العمل: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الأنعام: ٨٨. وقال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ الزمر: ٦٥.

هـذه بعض الأدلة النقلية في كتـاب الله تعـالى الدالة على وجــوب توحيد الألوهيــة، والنهي عن الشــرك، وهي كثيرة جدا يصعب استقصاؤها.

********

**المطلب الثالث**: تنوع الأدلة العقلية الشرعية في القرآن على توحيد الألوهية:

قد وردت آيات كثيرة تدل على توحيد الألوهيــة، وهي تخاطب العقــل، فــدلالتها دلالة عقليــة، لكنها شــرعية لأنها وردت في النصوص الشرعية، لذلك تســمى الأدلة العقلية الشــرعية. فهي عقلية من جهة أنها تخــاطب العقــل، وهي شرعية من جهة ورود نصوص الشرع بها.

قال ابن القيم: "إنه ســبحانه يحتج على فســاد مــذهب من عبد غـــيره بالأدلة العقلية الـــتي تقبلها الفطر والعقـــول، ويجعل ما ركبه في العقول من حسن عبادة الخالق وحده، وقبح عبــادة غــيره من أعظم الأدلة على ذلــك، وهــذا في القــرآن أكــثر من أن يــذكر هاهنــا. ولــولا أنه مســتقر في العقــول والفطر حسن عبادته وشــكره، وقبح عبــادة غــيره وترك شكره لما احتج عليهم بذلك أصلا، وإنما كانت الحجة في مجرد الأمر"[1].

وقال ابن سعدي رحمــه الله: "واعلم أن هــذا الأصل الــذي هو توحيد الله وإفــــــــراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية والأدلة العقلية، حتى صار لذوي البصــائر أجلى من الشمس"[2].

وســأورد في هــذا المطلب بعض الأدلة من القــرآن الدالة على هذه الأدلة العقلية:

**الدليل الأول: الاعتراف بربوبية الله:**

سبق في البــاب الأول بيــان دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وأن الاعــتراف بالربوبية هو أمر أجمع عليه الخلق، حتى الكفار المشركين الذين بُعث النبي صــلى الله عليه وسلم فيهم يعترفون بربوبية الله تعالى لخلقه، لــذلك أثبت الله لهم الإيمــان والشــرك، فكــان إيمــانهم مختلطا بالشرك الــذي منعهم من الاســتفادة من ذلك الإيمــان. لأن إيمــانهم هو الاعــتراف بالربوبيــة، وشــركهم في العبــادة والألوهيــة، فلا ينفع الاعــتراف لله بالربوبية مع الشــرك به

---

[1] مفتاح دار السعادة 2/ 878 – 881، وانظر مدارج السالكين 5/ 3902 – 3904.

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: 125).

في الألوهية, ﭧ ﭨ ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ يوسف: ١٠٦,

فـأثبت لهم الإيمـان والشـرك معـا، إيمـانهم هو الاعـتراف بالربوبيــة، وشــركهم هو الشــرك في العبــادة، لــذلك مــا نفعهم هذا النوع من الإيمان.

وقـد وردت آيـات كثـيرة في القـرآن الحكيم تـدل على اعـتراف المشــركين للــه بالربوبيــة، على وجــه إلــزامهم بالألوهية, ومنها:

1- ﮋ ﭨ ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ العنكبوت: ٦١.

في هــذه الآية بيــان اعــتراف المشــركين بتفــرد الله تعــالى بخلق الســموات والأرض، وتســخير الشــمس والقمــر، فــدل ذلك على أنهم مقــرون لله بالربوبيــة، فألزمهم الله بذلك بالإقرار بتوحيد الألوهيــة، فيعبــدوا الله مخلصين له الدين.

قال الواحدي: " ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ أي: الله خلقها، يقررن بأنه خالق السموات والأرض، ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ العنكبوت: ٦٣، أي: احمد الله على إقــرارهم، لأن ذلك يلــزمهم الحجة، ويوجب عليهم التوحيد"[1].

2- ﮋ ﭨ ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الزخرف: ٨٧.

في هــذه الآية يــذكر الله تعــالى أنه إذا ســأل النــبي صـــلى الله عليه وســـلم المشـــركين عمن خلقهم، ســيعترفون بــأن الله هو الــذي خلقهم دون آلهتهم، فكيف يصرفون عن خالقهم ويعبدون غيره؟

قـــال الحافظ ابن كثــير: "أي: ولئن ســألت هــؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئا ولا يقدر على شيء"[2].

3- ﭧ ﭨ ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ المؤمنون: ٨٤ – ٨٩.

---

[1] الوسيط للواحدي 3/ 425، وانظر جامع البيان 18/ 438، زاد المسير 6/ 283.

[2] تفسير القرآن العظيم 7/ 243.

وكذلك إذا سُئل المشـركين عمن تفـرد بملك الأرض ومن فيها سيعترفون بأنها لله تعالى وحـده لا شـريك له.

في هــذه الآيــات بيــان أن المشــركين مقــرين لله بالربوبيــة، فـألزمهم الله الإقـرار له بالألوهيـة، فـإن الاعتراف لله بالربوبية يستلزم الإقـرار له بالعبوديـة، يدرك ذلك كل عاقل بعقله. فهذا دليل عقلي شـرعي على توحيد الألوهية.

والآيات في هذا المعـنى كثـيرة، ولعله بالمثـال يتضح الحال.

**الدليل الثاني: تفرد الله بالنعم ودفع النقم:**

وردت آيات كثيرة تدل على أن الله هو المتفرد بالإنعام ودفع المضــار، كما هو المتفــرد بـالخلق والملك والتـدبير. فتفرده بالربوبية متضـمن لتفـرده بالإنعـام ودفع المضـار، لأن الله هو المتفرد بتدبير الخلق، وذلك منــه, ما من نعمة بأحد إلا هي من الله تعــالى، فهو مــولي النعم وحـــده لا شريك له.

قـال ابن سـعدي رحمه اللــه: "ومن الأدلة العقلية على أن الله هو الــذي يؤله دون غــيره انفــراده بــالنعم ودفع النقم، فـإن من عـرف أن النعم الظـاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الـذي ينفـرد بـدفعها وإن أحـدا من الخلق لا يملك لنفسه - فضلا عن غــيره- جلب نعمة ولا دفع نقمــة، تيقن أن عبودية ما سـوى الله من أبطل الباطل وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصـالح ودفع المضـار، فلهـذا أكثر الله في كتابه من التنبيه على هذا الدليل جدا"[1].

ومن الآيات على هذا الدليل:

1- قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ النحل: ٥٣ – ٥٤.

في هـذه الآيـة يـبين اللـه تعـالى تفـرده بـالنعم، وأن المشركين كانوا يعترفون بذلك، ولـذلك يلجئـون إليـه عند الضر، ويستغيثون به.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 125).

قال الواحدي: " ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ أي: ما أعطاكم من صحة جسم، أو سعة في رزق، أو إمتـاع بمال وولد فكل ذلك من الله عز وجل...

وقوله: ﭽ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ قال ابن عباس: يريد الأسقام والأمراض والحاجة. فإليه ترفعـون أصـواتكم بالاستغاثة، وتتضرعون بالدعاء"[1].

-2 وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الإسراء: ٦٧.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشـدة والجهد في البحر ضل من تدعون: يقـول فقـدتم من تـدعون من دون اللـه من الأنـداد والآلهـة، وجـار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه، فلمـا دعوتمـوه وأغـاثكم، وأجـاب دعـاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد والبراءة من الآلهـة، وإفراده بالألوهية كفرا منكم بنعمته"[2].

فهذا يدل على أن الله تعالى هو المتفرد بالنعم ودفـع الضـرر والنقم، فهـو الـذي يسـتحق العبـادة، لأنـه لا يُرجى إلا القـادر على إيصـال النعم ودفـع الضـرر، فلا يُدعى إلا هو. فكل هـذه النعم المحيطـة بـالخلق يقـر كل عاقل بأن الله هو المتفـرد بهـا وحـده دون غـيره، فيستلزم ذلك الإقرار لله بالتوحيد في الألوهية، وأن لا يعبد إلا هو وحده[3].

والآيات في هذا كثيرة جدا، سأكتفي بهذين المثالين.

**الدليل الثـالث: ما أخـبر الله به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة:**

إن مما يـــدل على تفـــرد الله بالألوهية واســتحقاق العبادة وحده لا شريك لـه، هو اتصـافه بالكمـال المطلـق.

---

[1] الوسيط للواحدي 3/ 66، وانظر معالم التنزيل 5/ 24، زاد المسير 4/ 456 – 457.

[2] جامع البيان 14/ 668، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 96.

[3] فتح الـرحيم الملك العلام (ضـمن مجمـوع مؤلفـات الشـيخ السعدي) 3/ 726 – 729.

فالله تعـالى متصف بالكمـال من كل وجـه، كمـال الـذات وكمال الأسماء وكمال الصفات وكمال الأفعـال، وهـذا مما أجمع عليه العقلاء، ولم يخالف في ذلك إلا الملحدين الذين يلحدون في أسمائه وصفاته وكماله. لأنه لا يتفرد بالربوبية إلا من اتصف بالكمال المطلـق. فمن عـرف ذلك يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له.

قـال ابن سـعدي - رحمه اللـه- ذاكـرا الأدلة العقلية على توحيد الألوهيـــة، ومنهـــا: "ما أخـــبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعـال الجميلـة، والقـدرة والقهـــر، وغـــير ذلك من الصـــفات الـــتي تعـــرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبـــادة لا تليق ولا تحسن إلا بـــالرب العظيم الـــذي له الكمـال كلـه، والمجد كلـه، والحمد كلـه، والقـدرة كلهـا، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات المـدبرات الناقصـات الصم البكم الذين لا يعقلون"[1].

فتفرد الله تعـالى بصـفات الجمـال والجلال والكمـال يستلزم تفرده بالألوهية فيجب توحيده بالعبادة.

وقد وردت آيـات كثـيرة جـدا يصف الله تعـالى نفسه بصـفات كماله ويسـمي نفسه بأسـمائه الحسـنى، وينزهها عن صـفات النقص والعيـوب، فكل ذلك يـدل على تفـرده بالألوهية عقلا وشرعا:

1- ﭧ ﭨ ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﮛ ﮜ ﭼ النحل: ٦٠.

فتفـرده بالمثـل الأعلى هـو تفـرده بصـفات الكمـال، لذلك كان مستحقا للألوهيـة، فلا يعبـد إلا هـو، لأنـه لا يكون إلهـا إلا من كـان ربـا، ومتصـفا بكمـال القـدرة وكمال العلم وكمال الغنى، ومتصفا بكمـال الصـفات العليا، ولم يتصف بشيء من ذلك إلا اللـه وحـده، فلا يُعبد إلا هو.

قال البغوي: " ﭽ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﭼ الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صـفات الجلال

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 125)، وانظر فتح الرحيم الملك العلام (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي) 3/ 732 – 734.

والكمـال، من العلم، والقـدرة، والبقـاء، وغيرهـا من الصفات"[1].

وقال ابن كثير: " ﭽ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﭼ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه"[2].

2- ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ الروم: ٢٧.

قال ابن الجوزي: "قولـه تعـالى: ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﭼ قـال المفسـرون: أي: لـه الصـفة العليـا في السـماوات والأرض وهي أنه لا إله غيره"[3].

والآيـات في بيـان صـفات اللـه تعـالى، وأنـه متصـف بصفات الكمال وتفرَّدَ بها دون غـيره كثـيرة جـدا في القرآن، فلذلك لا يستحق العبادة إلا هو.

**الدليل الرابـع: ما أخـبر به تعـالى عن المعبـودات الـتي عبدت من دونـه، من الصـفات الدالة على نقصـها غاية النقص:**

إذا تقـرر أنه لا يسـتحق الألوهية والعبـادة إلا المتصف بالكمال، وأن الله هو المتفرد بالكمال، فتكون عبادة غـيره من أبطل الباطل، لأنها عبادة للناقص الذي لا يستحق شيئا من العبوديـــة. لـــذلك بين الله تعـــالى في القـــرآن نقص المعبـودات من دونـه، ليـدل على أنها لا تسـتحق العبـادة. وقد عاب الله على من يعبد من دون الله ما لا يملك ضـرا ولا نفعا، ويترك عبادة السميع العليم المتصف بالكمال.

قال ابن سعدي رحمه الله: "ومن الأدلة العقلية أيضا على ذلك: ما أخـبر به تعـالى عن المعبـودات الـتي عبـدت من دونه، بأنها لا تملك نفعا ولا ضـرا، ولا تنصر غيرها ولا تنصر نفســها، وســلبها الأســماع والأبصــار، وأنها على فــرض سماعها لا تغني شيئا، وغـير ذلك من الصـفات الدالة على نقصها غاية النقص"[4].

---

[1] معالم التنزيل 5/ 25.

[2] تفسير القرآن العظيم 4/ 578.

[3] زاد المسير 6/ 298، وانظر جامع البيان 13/ 552.

[4] تيسير الكريم الرحمن (ص: 125)، وانظر فتح الرحيم الملك العلام 3/ 729 – 730 (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي).

ومن الآيـــــات الدالة على أن المعبـــــودات من دون الله متصفة بصفات النقص ما يلي:

-1 قوله تعالى: ﭽ ﭾ ڍ ڍ ڌڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ﭼ فاطر: ١٣ – ١٤.

في هــذه الآيــات بيــان مــا اتصــفت بهــا معبــودات المشـركين من صـفات النقص، مـا يـدل على أنهـا لا تستحق العبادة. فـبين اللـه أنهـا لا يملكـون شـيئا، ولا يستجيبون لعابديهم دعاءهم.

قال ابن سعدي: " ﭽ ڎ ڎ ڈ ڈ ﭼ من الأوثان والأصنام ﭽ ژ ژ ڑ ڑ ک ﭼ أي: لا يملكون شيئا، لا قليلا ولا كثـيرا، حـتى ولا القطمـير الـذي هـو أحقـر الأشـياء، وهـذا من تنصـيص النفي وعمومـه، فكيـف يدعون، وهم غير مالكين لشيء من ملـك السـماوات والأرض؟

ومع هذا ﭽ ک ک ﭼ لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. ﭽ گ گ ﭼ على وجه الفرض والتقدير ﭽ ڳ ڳ ڳڳ ﭼ لأنهم لا يملكون شيئا"[1].

-2 وقوله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى □ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ﭼ الأحقاف: ٥ - ٦.

قال الواحـدي: "يعـني: الأصـنام لا تجيب عابـديها إلى شيء يسألونه، ﭽ □ □ □ ﭼ يعني: أبدا ما دامت الدنيا، ﭽ □ □ □ ى ى ﭼ لأنها جماد لا تسمع. ثم إذا قامت القيامـة، صـارت الآلهـة أعـداء لمن عبـدها في الدنيا"[2].

فبين الله تعالى أن هذه المعبودات من دونـه لا تجيب من يــدعوها، فــدل على أنهــا ناقصــة، فلا تســتحق العبادة.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 686 – 687.

[2] الوسيط للواحدي 4/ 103، انظر معالم التنزيل 7/ 249 – 250، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 7/ 275.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥.

في هذه الآيات بيان جملة من صفات المعبــودات من دون الله ما يدل على أنها ناقصة، فوصـفها اللـه بأنهـا عبــاد للــه مخلوقــة مربوبــة أمثــال عابــديها، وأن لا تستجيب من يدعوها، وأنهـا ناقصـة حـتى عن صـفات المخلــوقين؛ فليس لهــا أرجــل تمشــي بهــا، ولا أيــد تبطش بهـا، ولا أعين تبصـر بهـا، ولا آذان تسـمع بهـا، فهي ناقصة عن عابدين، فكيف تستحق العبادة؟

قال ابن كثـير: "هـذا إنكـار من اللـه على المشـركين الــذين عبــدوا مــع اللــه غــيره، من الأنــداد والأصــنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصـنوعة، لا تملـك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصــر ولا تنتصــر لعابديها، بل هي جماد لا تتحـرك ولا تسـمع ولا تبصـر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم"[(1)].

فتبين أن هذه الصفات التي وصف الله بها المعبودات من دونه في الآيات السابقة تدل كل عاقل على أنه لا يستحق أن يُعبد أحد غيره تعـالى، فتبطـل عبـادة كـل معبود سواه. فدل ذلك على وجوب عبادة اللـه وحـده لا شريك له.

والآيات على هذا الدليل كثيرة جدا، واتضـح المقصـود بهذه الأمثلة.

**الــدليل الخــامس: ما شــاهده العبــاد من الإكــرام لأهل التوحيد، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك:**

ومما يــــــــدل على توحيد الألوهية من الأدلة العقلية الشرعية في القرآن ما ذكـره الله تعـالى من الإكـرام لأهل التوحيد، من النصر والإنجاء والتمكين، وما أخــبر به مما حل للمشركين من الإهلاك والعقوبة في الدنيا وما يصيرون إليه في الآخرة، فهذا يدل دلالة عقلية على وجوب التوحيـد، لأنه

---

[(?)1] تفسير القرآن العظيم 3/ 529، وانظر جامع البيان10/ 635 – 636، زاد المسير 3/ 306.

يجلب للعبد سعادة الـدارين، وأن تركه يسـبب له الشـقاوة والخسارة الأبدية.

قـــال ابن القيم: " ومن بعض الأدلة العقلية ما أبقـــاه الله تعالى من آثار عقوبات أهل الشرك وآثـار ديـارهم، وما حل بهم، وما أبقاه من نصر أهل التوحيد وإعـزازهم، وجعل العاقبة لهم، ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ العنكبوت: ٣٨ ، وقال في ثمود: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ النمل: ٥٢ - ٥٣ ، وقال في قوم لوط: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ العنكبوت: ٣٤ - ٣٥ ، ﯠ ﯡ ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ الحجر: ٧٥ - ٧٩ ، وقال تعالى في قوم لوط: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ الصافات: ١٣٧ - ١٣٨ . وهو سبحانه يذكر في سورة الشـعراء ما أوقع بالمشـركين من أنـواع العقوبـات، ويـذكر إنجاءه لأهل التوحيد ثم يقول: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الشعراء: ٨ - ٩ . فيذكر شرك هؤلاء الذين استحقوا به الهلاك، وتوحيد هؤلاء الذين استحقوا به النجـاة، ثم يخبر أن في ذلك آية وبرهانا للمؤمنين، ثم يـذكر مصـدر ذلك كله، وأنه عن أسمائه وصفاته. فصدور هذا الإهلاك عن عزته، وذلك الإنجاء عن رحمتـه، ثم يقـرر في آخر السـورة نبوة رسوله بالأدلة العقلية أحسن تقريـر، ويجيب عن شـبه المكـذبين له أحسن جـواب. وكـذلك تقريـره للمعـاد بالأدلة العقلية والحسية، فضرب الأمثال والأقيسـة، فدلالة القـرآن سمعية عقلية"[1].

وقـــــال ابن ســــعدي: "ومن الأدلة العقلية على ذلك ما شـاهده العبـاد بأبصـارهم من قـديم الزمـان وحديثـه، من الإكرام لأهل التوحيد، والإهانة والعقوبة لأهل الشـرك، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلا إلى كل خــــير دافعا لكل شر ديـني ودنيـوي، وجعل الشـرك به والكفر سـببا للعقوبـات الدينية والدنيويـة، ولهـذا إذا ذكر تعـالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصـين، وأخـبر عن عقوبـات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة: ﭽ

[1] مدارج السالكين 5/ 3904 – 3906.

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮎ ﭼالشعراء: ٨ ، أي: لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمـــون أن توحيـــده هو المـــوجب للنجـــاة، وتركه هو المــوجب للهلاك، فهــذه من الأدلة الكبــار العقلية النقلية الدالة على هـــذا الأصل العظيم، وقد أكـــثر الله منها في كتابه وصرفها ونوعها ليحـيى من حي عن بينـة، ويهلك من هلك عن بينة فله الحمد والشكر والثناء"[1].

وقد وردت آيات كثـيرة في كتـاب الله حـول هـذا الـدليل، حيث يـــبين الله تعـــالى إكرامه لأهل التوحيد ونصـــره لهم وإنجـــائهم من الهلاك وتمكينهم في الأرض، ويـــبين ســـوء عاقبة المشـــركين، وأخـــذه وإهلاكه لهم، كي يكـــون ذلك عـبرة للعـاقلين، فيحملهم ذلك على إفـراد الله بالعبـادة، واجتناب الشرك بـه. وسـأكتفي بمثـالين على ذلك للدلالة على المقصود.

**أولا: إكرام الله لأهل التوحيد:**

قد قص الله تعـــالى في مواضع كثـــيرة من كتابه قصص إكرامه لرسـله وأتبـاعهم، وأنه نجّـاهم من الهلاك لما حل العـذاب بالمشـركين المكـذبين بهم، ومكّنهم في الأرض، ومن ذلك قوله تعالى في نوح عليه السلام وأتباعه:

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ
ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼالصافات: ٧٥ - ٨١ .

في هذه الآيات بيان إكـرام الله تعـالى لأهل التوحيـد، وهو ما قصه الله تعــالى عن أول رســول أُرسل للــدعوة إلى التوحيد والتحــذير عن الشــرك، وهو نــوح عليه الســلام. فذكر تعالى أنه أكرمه ومن تبعه بأمور آتية:

1-أن الله تعـــالى أجـــاب له دعوته في أن ينصـــره على قومه، وينجيه من الغرق.

2-أنجاه الله تعالى وأهله من الغرق ومن أذى قومه، ومن الكرب العظيم.

3-جعل الله ذريته هم البــاقين في الــدنيا، فكــان النــاس كلهم من نسله وولده.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 125)، فتح الرحيم الملك العلام (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي) 3/ 730 – 731.

4-تـرك الله عليه ذكـرا جميلا في الـذين جـاءوا بعـده إلى يوم القيامة[1].

هذا مثال لإكرام الله تعـالى لأهل التوحيـد، من أنه ينجيهم من العـــذاب والهلاك، ويمكّنهم في الـــدنيا، ويجعل لهم لسـان صـدق في الآخـرين، لـذلك قـال تعـالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ الصافات: ٧٥.

**ثانيا: سوء عاقبة المشركين:**

قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ العنكبوت: ٤٠.

في هــذه الآية بيــان ســوء عاقبة المشــركين من الأمم المختلفــة، فكلهم أخــذهم الله تعــالى بــذنبهم، ليعتــبر به المعتـــبرون. فـــذكر تعـــالى أربعة أنـــواع من الإهلاك للمشركين:

1- منهم من أرسل الله عليهم حاصـــبا فـــأهلكهم، وهم قوم لوط، الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود[2].

2- ومنهم من أهلكهم بالصيحة، وهم ثمود وقوم شــعيب من أهل مــدين، لأن الله قد أخــبر عنهما في كتابه[3] أنه أهلكهم بالصيحة[4].

3- ومنهم من خسف الله به الأرض، وهو قـــــــــارون وأصحابه[5].

4- ومنهم من أغــرقهم اللــه، وهم قــوم نــوح، وفرعــون وقومه[6].

---

[1] زاد المسير 7/ 65 – 66.

[2] انظر جامع البيان 18/ 400.

[3] قال تعالى عن ثمود: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ هود: ٦٧ – ٦٨، وقال عن أهل مدين: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ هود: ٩٤.

[4] المصدر السابق 18/ 402.

[5] المصدر نفسه.

[6] قال تعالى عن نوح عليه السلام وقومه: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الشعراء: ١١٩ – ١٢٠، وقال عن موسى عليه السلام وقومه: ﭽ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الشعراء: ٦٥ – ٦٦،

فكل هــؤلاء أهلكهم الله تعــالى وعــاقبهم في الــدنيا لشركهم بالله تعالى، وتكذيبهم رسلهم كي يكــون ذلك آية لمن خلفهم، وعــبرة للنــاس بعــدهم، كي يعرفــوا وجــوب توحيد الله بالعبادة، وتحريم بالشرك به.

وقد سبق بيان دلالة هذا النوع من الــدليل عند تقرير دلالة بعثة الرسل على توحيد الألوهية في الفصل الأول من هذا الباب.

*******

---

وانظــر جــامع البيــان 18/ـ 403، زاد المســير 6/ـ 272، الجــامع لأحكام القرآن 16/ 362 - 363، فتح القدير للشوكاني 4/ 267.

# الفصل الثالث

# دلالة شهادة الله تعالى على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: معنى شهادة الله,**
**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: معنى الشهادة في اللغة والشرع**
**المطلب الثاني: معنى شهادة الله**

**المبحث الثاني: دلالة شهادة الله على توحيد الألوهية,**
**وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: شهادة الله لنفسه بتوحيد الألوهية.**

**المطلب الثاني: العمل بالأمر المشهود به وهو توحيد الله في الألوهية.**

**المطلب الثالث: قيامه تعالى بالقسط في هذه الشهادة.**

**المطلب الرابع: اقتران شهادة خيار الخلق بشهادته تعالى على توحيد الألوهية**

**المبحث الأول: معنى شهادة الله, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول:** معنى الشهادة في اللغة والشرع:

**أولا: معنى الشهادة في اللغة:**

الشهادة مصدر شهد يشهد شهادة، ويرجع معنـاه إلى الحضور والعلم والإعلام. والشـهادة جمعت هـذه المعـاني الثلاثة. قال ابن فارس: "الشين والهـاء والـدال أصل يـدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخـرج شـيء من فروعه عن الــذي ذكرنــاه. من ذلك الشــهادة، يجمع الأصــول الــتي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام. يقـال شـهد يشـهد شهادة. والمشهد: محضر الناس... إلى أن قال: "أما قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [آل عمران: ١٨]، فقال أهل العلم: معناه أعلم الله عز وجل، بين الله، كما يقــال: شــهد فلان عند القاضــي، إذا بين وأعلم لمن الحق وعلى من هو"[1].

فــدل كلام ابن فــارس على أن معــنى الشــهادة هو مجموع معاني الحضور والعلم والإعلام.

وتـأتي الشـهادة بمعـنى الخـبر القـاطع، أي الجـازم، الذي لا شك في كونه صـدقا. قـال الجـوهري: "الشـهادة: خبر قاطع. تقول منه: شهد الرجل على كـذا، وربما قــالوا شهد الرجل، بسكون الهاء للتخفيف"[2].

والإعلام يتضمن الإخبار، فتكون الشهادة إعلاما بخــبر وبيانه على وجه القطع بــه. وقد يكــون هنــاك فــرق بين الشهادة والخبر، لأن الشهادة خـبر وزيـادة، لأنه إعلام عن خبر على وجه القطع بـه، فتكـون الشـهادة آكد من مجـرد الإخبار. وقد يكون الفرق بينهما من وجه آخر.

وقد تقدم أن الشهادة بمعنى العلم، ويفرقــون بينهما بأن الشهادة أخص من العلم، لأن كل شــهادة علم، وليس كل علم شـهادة. فقد يعلم شـيئا وقد لا يُعلم بـه، ولا يبينه

---

[1] معجم مقـاييس اللغة 3/ـ 221، وانظر الصـحاح في اللغة للجوهري 1/ 371، والمحكم والمحيط الأعظم 4/ 130، وتهذيب اللغة 6/ 72 - 73.

[2] الصـحاح في اللغة 1/ـ 371، وانظر القـاموس المحيط ص: 292.

ولا يخبر به. ومن جهة أخرى أن الشهادة تتناول الموجود فقط، والعلم يتناول الموجود والمعدوم. قال العسكري: "الفرق بين الشهادة والعلم: أن الشهادة أخص من العلم وذلك أنها علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها، والشاهد نقيض الغائب في المعنى ولهذا سمي ما يدرك بالحواس ويعلم ضرورة شاهدا، وسمي ما يعلم بشيء غيره وهو الدلالة غائبا كالحياة والقدرة،.... فالشهادة علم يتناول الموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم"[1].

ومما سبق يتبين أن معاني كلمة "الشهادة" في اللغة تدور حول العلم والحضور والإعلام، والإخبار والبيان. وهذه المعاني مجتمعة في معنى الشهادة، وهو قول يتضمن إخبارا وإعلاما عن شيء معلوم مشاهد بالحس.

**ثانيا: معنى الشهادة في الشرع:**

وإذا نظرنا في النصوص التي وردت فيها لفظ "الشهادة" ومشتقاتها يتبين لنا أن معناها في الاصطلاح مبني على المعنى اللغوي، فلم يخرج عنه. لذلك إذا تتبعنا بعض النصوص الواردة فيها لفظ "الشهادة" نرى أن المعنى يرجع إلى معنى الحضور، والعلم، والإعلام.

قال الراغب: "الشهادة: قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر"[2]. ثم ذكر رحمه الله شواهد من القرآن التي تدل على أن الشهادة هي بمعنى الحضور، سواء حضور مع المشاهدة بالبصر أو بالبصيرة. وقد يقال للحضور المجرد شهادة، كما قال الله تعالى: ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼالسجدة: ٦، وقال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼالحج: ٢٨ ، وقال تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭼالنور: ٢، وقال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼالنمل: ٤٩، أي: ما حضرنا، وقال تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ الفرقان: ٧٢، أي: لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهممهم وإرادتهم، في كل هذه النصوص معنى الشهادة هو الحضور. وأما قوله تعالى: ﭽﯘﯙﭼ الزخرف: ١٩، يعني مشاهدة البصر. ثم أورد نصوصا تدل أن معنى الشهادة هو العلم، قال تعالى: ﭽ     ﭼ[آل عمران: ٧٠]، أي: تعلمون، وقوله:

---

[1] الفروق اللغوية (ص: 95 – 96).
[2] المفردات في غريب القرآن ص: 268.

ﭽ ﯛ ﯜ  ﯝ  ﯞ   ﭼ الكهف: ٥١، أي: ما جعلتهم ممن اطلعوا ببصـــيرتهم على خلقهـــا. ثم قـــال: "شـــهدت يقـــال على ضربين: أحدهما: جار مجرى العلم، وبلفظه تقام الشهادة، ويقال: أشهد بكذا، ولا يرضى من الشاهد أن يقول: أعلم، بل يحتاج أن يقول: أشهد. والثاني: يجري مجـرى القسـم، فيقول: أشهد بالله أن زيدا منطلق، فيكون قسما"[1].

وقد ذكر العلامة ابن القيم أن الشـــــــــهادة لها أربع مراتب، فقال: "فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته. وثانيها: تكلمه بـذلك ونطقه به وإن لم يعلم به غـيره، بل يتكلم به مع نفسه ويـذكرها وينطق بها أو يكتبهـا. وثالثهـا: أن يعلم غـيره بما شـهد به ويخـبره به ويبينه له. ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به"[2].

فيتـبين فيما سـبق أن معـنى الشـهادة في نصـوص الشـــرع هي بمعـــنى الحكم والقضـــاء، والبيـــان والإعلام والإخبار، والإقرار، وكلها معـاني صـحيحة. وعليه فلا بد أن تتضمن الشهادة كلام الشاهد وقوله وإخباره عما شهد به، وأن الشهادة لها أربع مراتب:

**الأولى**: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

**وثانيها**: تكلمه بذلك ونطقه به وإن لم يعلم به غـيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها وينطق بها أو يكتبها.

**وثالثها**: أن يُعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له.

**ورابعها**: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به[3].

وتأتي الشهادة بمعنى الحكم، قال تعالى: ﭽ ﮉ  ﮊ  ﮋ  ﮌ  ﭼ[يوسف:٢٦]، ويأتي بمعنى الإقرار: ﭽ ﯚ  ﯛ  ﯜ  ﯝ  ﯞ  ﯟ  ﯠ  ﯡ  ﯢ  ﯣ ﭼ [النور: ٦]، وقال تعالى: ﭽ ﮋ  ﮌ  ﮍ  ﮎ ﮏ ﭼ[التوبة: ١٧]، أي : مقرين. وتأتي الشهادة بمعـنى الإخبـار كما قـال تعالى:  ﭽ ﮐ  ﮑ  ﮒ  ﮓ  ﮔ  ﮕ ﭼ يوسف: ٨١ ، أي:  ما أخبرنا[4]، وعليه فإن الشهادة في الشرع تأتي على هذه المعاني:

---

[1] المصدر السابق ص: 268.

[2] مدارج السالكين 5/ 3831.

[3] انظر المصدر نفسه 5/ 3831.

[4] انظر المصدر نفسه ص: 267 – 268، والنهاية في غـريب الأثر 2/ 513، الكليات (ص: 831 – 832).

أولا: الحضور.
ثانيا: العلم والاقرار.
ثالثا: الإعلام والإخبار والبيان.
رابعا: الحكم والقضاء.

********

**المطلب الثاني**: معنى شهادة الله:

من خلال ما سبق من المعنى اللغوي والشرعي للفظ الشهادة، فإن معنى شهادة الله يأتي على هذه المعاني؛ العلم، والحكم، والقضاء، والإعلام، والإخبار، والبيان.

قال البغوي: "قوله: ﭿ ﮀ ﮁ ﭾ أي بين الله لأن الشهادة تبين. وقال مجاهد: حكم الله [وقيل: علم الله]، وقيل: أعلم الله أنه لا إله إلا هو...، إلى قوله: "وقوله: ﭿﮆ ﭾ أي: وشهدت الملائكة قيل: معنى شهادة الله الإخبار والإعلام، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار"[1].

وقال الحَمِيدي[2]: وقوله: "أشهد أن لا إله إلا الله"، معناه: أعلم أنه لا إله إلا الله، وأبين أنه لا إله إلا الله والدليل عليه قوله: ﭿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﭾ التوبة: ١٧، أي مبينين لنا ذلك ومعلمين لنا به، وقوله: ﭿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭾ [آل عمران: ١٨]، معناه بين ذلك وأعلمنا بذلك، ومنه قولهم شهد الشاهد عند الحاكم، أي: أعلمه بما عنده، وبين له ذلك. وقيل: معنى شهد الله أي: قضى الله أنه لا إله إلا هو"[3].

وقال ابن الجوزي: "قوله تعالى ﭿ ﭢ ﭣ ﭾ أي قضى وحكم، وقيل بيّن"[4]. الحكم والقضاء يتضمن العلم

---

[1] معالم التنزيل 2/ 17 – 18.

[2] محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي أبو عبد الله الحميدي، الإمام، القدوة، الأثري المتقن، الحافظ، شيخ المحدثين، مؤرخ، أندلسي. من أهل جزيرة ميورقة، وأصله من قرطبة. كان ظاهري المذهب، وهو صاحب (ابن حزم) وتلميذه. ولد سنة قبل سنة 420 هـ، رحل إلى مصر ودمشق ومكة (سنة 448 هـ) وأقام ببغداد وتوفي فيها سنة 488 هـ. من كتبه (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) و(الجمع بين الصحيحين) في الحديث، و(تفسير غريب ما في الصحيحين). (انظر سير أعلام النبلاء 19/ 120، والأعلام للزركلي 6/ 327 - 328).

[3] تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم ص: 464.

[4] تذكرة الأريب في تفسير الغريب ص: 43.

والإعلام والبيـــان، كما فسر أبو عبيـــدة معـــنى القضـــاء بالإعلام.
قال القرطبي: "قوله تعالى: ﭽ ﭨ ﭨ ﭽ أي بين وأعلم، كما يقال: شهد فلان عند القاضي إذا بين وأعلم لمن الحق، أو على من هو. قال الزجاج: الشـاهد هو الـذي يعلم الشـيء ويبينــه، فقد دلنا الله تعـالى على وحدانيته بما خلق وبين. وقال أبو عبيدة: ﭽ ﭧ ﭨ ﭽ بمعنى قضى الله، أي أعلم"[1].
وقال شيخ الإسلام: "قد تنـوعت عبـارات المفسـرين في لفظ ﭽ ﭨ ﭽ، فقالت طائفة منهم مجاهد والفراء وأبو عبيـــــدة: أي حكم وقضى. وقـــــالت طائفة منهم ثعلب والزجاج: أي بين. وقـالت طائفة: أي أعلم. وكـذلك قـالت طائفة معنى شهادة الله الإخبـار والإعلام، ومعـنى شـهادة الملائكة والمؤمـنين الإقـرار، وعن ابن عبـاس: "أنه شـهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كـــــان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر"، فقال: ﭽ ﭨ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭽ وكل هذه الأقوال وما في معناها صحيحة؛ وذلك أن الشهادة تتضمن كلام الشـاهد وقوله وخـبره عما شهد به، وهذا قد يكون مع أن الشـاهد نفسه يتكلم بـذلك ويقوله ويـذكره وإن لم يكن معلما به لغـيره ولا مخـبرا به لسواه. فهذه أول مـراتب الشـهادة. ثم قد يخـبره ويعلمه بذلك فتكون الشهادة إعلاما لغيره وإخبارا لـه. ومن أخـبر غيره بشيء فقد شهد به سواء كـان بلفظ الشـهادة أو لم يكن..."،
إلى أن قال: "فالشهادة تضمنت مرتبـتين: إحـداهما: تكلم الشـاهد وقوله وذكـره لما شـهد في نفسه به. والثـاني: إخباره وإعلامه لغيره بما شهد به"[2].
فمعـنى شـهادة الله هو علمه وقضـاؤه بأنه لا إله إلا هو، وقد تكلم بـذلك وبيّنه في كتبه المنزلـة، وأخـبر عبـاده بـــذلك وأعلمهم عن طريق كتبه ورســـله، وألـــزمهم بمضمونها وأمرهم بأن يعبدوه وحده لا شريك له.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن 5/ 66، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 385.
[2] مجموع الفتاوى 14/ 168 – 171.

*******

**المبحث الثاني: دلالة شهادة الله على توحيد الألوهية, وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول**: شهادة الله لنفسه بتوحيد الألوهية:

مما يــدل دلالة واضــحة على توحيد الألوهية شــهادة الله تعالى لنفسه بالتوحيد، فقد شهد الله أنه لا إله إلا هو، كما قال: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ [آل عمران: ١٨]، فشهد الله تعالى لنفسه بالتوحيد، وأنه المستحق بالعبادة وحده لا شريك له.

**بيان معنى شهادة الله لنفسه بالتوحيد:**

فشــــهادة الله هي علمه وتكلمه بأنه لا إله إلا هـــو، وبيانه وإخبــاره وإعلام عبــاده بــذلك، وقضــاؤه وحكمه به وأمره وإلزامهم به. فقد شـهد الله أنه المسـتحق للعبـاده لكماله، وقد قال ذلك في كتبه المنزلة، وأخــبر عبــاده عن ذلك وأعلمهم به وأقام عليه الدلائل والحجج، وقضى وأمر عباده به. قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ الإسراء: ٢٣.

قال البغوي: "قوله: ﭽ ﭡ ﭢ ﭼ أي بين الله لأن الشهادة تبين، وقال مجاهد: حكم الله وقيل: علم الله] وقيل: أعلم الله أنه لا إله إلا هو"[1].

**الأنواع التي تتضمنها شهادة الله بالتوحيد:**

وشـهادة الله لنفسه بالتوحيد تتضـمن أمـرين؛ الأول: علمه وقوله بأنه لا إله إلا هـــو، والثـــاني: إخبـــار عبـــاده وإعلامهم بأنه لا إله إلا هـو، وأمـرهم به وإلـزامهم. ثم أن إعلامه وإخباره بذلك نوعان:

الأول يكون بالقول. والثاني يكون بالفعل.

**النوع الأول: إعلامه وإخباره بأنه لا إله إلا هو بقوله:**

فهذا النوع من شـهادة الله لنفسه بالتوحيـد، يتضـمن بيـــان دلائله وحججه في كتابه وعلى ألســـنة رســـله، وما أقامه على عباده من الحجج والبراهين في كتبه التي تـدل على صحة التوحيد ووجوبـه، وبطلان الشـرك وقبحـه، من أمــره بالتوحيد وبيــان وجوبــه، ونهيه عن الشــرك وبيــان تحريمه.

---

[1](?) معالم التنزيل 2/ 17.

قـال شـيخ الإسـلام: "وشـهادة الـرب وبيانه وإعلامه يكـون بقوله تــارة وبفعله تــارة. فــالقول هو ما أرسل به رســله وأنزل به كتبه وأوحاه إلى عباده كما قال: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ النحل: ٢ إلى غير ذلك من الآيــات. وقد علم بــالتواتر والاضــطرار أن جميع الرسل أخــبروا عن الله أنه شــهد ويشــهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه؛ وهـذا معلـوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه ولهذا قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ الأنبياء: ٢٤ "[1].

**النوع الثاني: إعلامه وإخباره بأنه لا إله إلا هو بفعله:**

وأما هذا النوع فهو بيانه تعالى وإعلامه وإخباره بأنه لا إله إلا هو بفعلـــه، ويشـــتمل ذلك أنه فطر عبـــاده على التوحيـد، وما خلقه من الشــواهد الكونيـة، وما يـدل عليه بالعقل من دلائل التوحيــــد، كنصر الموحــــدين وإهلاك المشـركين وغـير ذلـك. وفي ذلك قـول ابن عبـاس رضي الله عنهما: "خلق الله الأرواح قبل الأجســـاد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سـنة، فشـهد بنفسه لنفسه قبل أن خلق الخلق حين كـــــان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر، فقال: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [آل عمران: ١٨]"[2].

وقال ابن الجوزي: "وفي معنى ﭽ ﭩ ﭪ ﭼ قولان: أحـدهما: أنه بمعـنى قضى وحكم، قاله مجاهـد، والفـراء، وأبو عبيـدة. والثـاني: بمعـنى بين، قاله ثعلب والزجـاج[3]، قــال ابن كيســان: شــهد الله بتــدبيره العجيب، وأمــوره المحكمات عند خلقه، أنه لا إله إلا هو"[4].

وقال شيخ الإسلام: "أما شـهادته بفعله فهو ما نصـبه من الأدلة الدالة على وحدانيته الـــتي تعلم دلالتها بالعقل، وإن لم يكن هنـاك خـبر عن الله، وهـذا يسـتعمل فيه لفظ

---

[1] مجمـوع الفتـاوى 14/ 173 – 174، مـدارج السـالكين 5/ 3836.

[2] معالم التنزيل 2/ 18.

[3] انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 385.

[4] زاد المسير في علم التفسير 1/ 362.

الشهادة والدلالة والإرشاد، فإن الدليل يبين المـدلول عليه ويظهره، فهو بمنزلة المخبر به الشاهد به كما قيـل: "سل الأرض من فجر أنهارها وغـرس أشـجارها وأخـرج ثمارها وأحيا نباتها وأغطش ليلها وأوضح نهارهـا؛ فـإن لم تجبك حـوارا أجابتك اعتبـارا". وهو سـبحانه شـهد بما جعلها دالة عليـه؛ فـإن دلالتها إنما هي بخلقه لها، فـإذا كـانت المخلوقـات دالة على أنه لا إله إلا هو، وهو سـبحانه الـذي جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه وبين ذلك؛ فهو الشاهد المبين بها أنه لا إله إلا هو، وهـذه الشـهادة الفعلية ذكرها طائفة. قال ابن كيسان: ﭽ … ﭼ بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أنه لا إله إلا هو"[1].

وقال العلامة ابن القيم: "أما بيانه وإعلامه بفعله فهو ما تضـمنه خـبره تعـالى عن الأدلة الدالة على وحدانيتـه، الـتي تعلم دلالتها بالعقل والفطـرة...، إلى أن قـال: "قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ، وقد يسمى شـاهد الحـال نطقا وقـولا وكلاما لقيامه مقامه وأدائه مـؤداه...، إلى أن قـال: "والمقصـود أن الله سـبحانه يشـهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليـه، فـإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعلـه، ويشـهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شـهدت به آياته الخلقية، فتتطابق شهادة القول وشـهادة الفعـل، كما قال تعالى: ﭽ … ﭼ فصلت: ٥٣، أي أن القـرآن حق فـأخبر أنه يـدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية، وهذه الشهادة الفعلية قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية والتفسير قال ابن كيسـان شـهد الله بتـدبيره العجيب وأمـوره المحكمة عند خلقه أنه لا إله إلا هو"[2].

**شـهادة الله لنفسه بالتوحيد تتضـمن مـراتب الشـهادة الأربعة:**

---

[1] مجموع الفتاوى 14/ 174 – 175، وشرح العقيدة الطحاوية 1/ 44 - 45.

[2] مدارج السالكين 5/ 3837 – 3838، تيسير الكريم الرحمن ص:124.

شهادة الله لنفسه بالتوحيد يتضمن أربع مراتب، التي أجملها شيخ الإسلام في مرتبتين، وفصلهما ابن القيم، فصارت أربعة، وهي: 1- علم الله سبحانه بأنه لا إله إلا هو، 2- وتكلمه به، 3- وإعلامه وإخباره لخلقه به، 4- وأمرهم وإلزامهم به.

لأن الله تعالى علم أنه لا إله إلا هو، وتكلم بذلك في كتبه وعلى ألسنة رسله، وأخبر بذلك وأعلم عباده به، ثم أمرهم بتوحيده بالعبادة وألزمهم به.

قال شيخ الإسلام: "فالشهادة تضمنت مرتبتين: إحداهما: تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به. والثاني: إخباره وإعلامه لغيره بما شهد به؛ فمن قال: حكم وقضى فهذا من باب اللازم، فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر. ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم فقال: ﴿ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ﴾ الإسراء: ٢٣ ، وقال: ﴿ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ النحل: ٢ ، وقال: ﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾ النحل: ٣٦ الآية، وقال تعالى: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾ النحل: ٥١ ، وقال: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ﴾ التوبة: ٣١، ﴿ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ﴾ البينة: ٥ ، وهذا كثير في القرآن يوجب على العباد عبادته وتوحيده، ويحرم عليهم عبادة ما سواه فقد حكم وقضى أنه لا إله إلا هو. ولكن الكلام في دلالة لفظ الشهادة على ذلك؛ وذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبين وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة وهذا يتضمن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه فإن النفي والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر والنهي"[1].

وهاتان المرتبتان هما اللتان فصّلهما العلامة ابن القيم فصارت أربع مراتب، وكلها متضمنة في شهادة الله لنفسه بالتوحيد، فقال: "شهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربعة؛

---

[1] مجموع الفتاوى 14/ 170 – 171، وانظر مدارج السالكين 5/ 3832، وشرح العقيدة الطحاوية 1/ 44 - 45.

علم الله سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به"[2].

فتبين أن معنى شـهادة الله لنفسه بالتوحيد هو علمه بأنه لا إله إلا هـــو، وتكلمه بـــذلك في كتبه المنزلة على رسـله، وإخبـاره عبـاده وإعلامهم بأنه المسـتحق للعبـادة، وأنه لا إله إلا هـو، وأمـره إيـاهم بـذلك ونهيهم عن ضـده. وإعلامه يتضمن إخباره بقوله وكلامه الشرعيين، وهو أمره عبـــاده بالتوحيد ونهيه عن الشـــرك، وبيانه حسن التوحيد وجزائه وحسن عاقبته، وبيان قبح الشـرك وعقوبته وسـوء عاقبتـــه. ويتضـــمن إعلامه بفعلـــه، وذلك في دلالته على التوحيد بالدلائل الفطرية والعقلية، في الآيـات الكونية في الأنفس والآفاق.

*******

[2] مدارج السالكين 5/ 3831.

**المطلب الثاني**: العمل بالأمر المشهود به وهو توحيد الله في الألوهية:

أخبر الله تعالى أنه شهد لنفسه بالتوحيد، وشهد معه ملائكته وأهل العلم من البشر، من الرسل والأنبياء وأتباعهم؛ أهل العلم والإيمان، ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ[آل عمران: ١٨].

فمقتضى هذه الشهادة أن يقوم العباد بالعمل بالأمر المشهود وهو توحيد الله في ألوهيته وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له. ففي هذه الشهادة التي هي أكبر شهادة على أكبر مشهود دلالة واضحة على وجوب التوحيد، وقبح الشرك، فيجب على العباد أن يلتزموا مقتضى هذه الشهادة، فيفردوا الله تعالى بالعبادة، ولا يشركوا به شيئا.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "أما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه والعمل به"[1].

عدد الشيخ رحمه الله ما يستفاد من الآية، وبيان أنها تدل على فضل أهل العلم، قال: "ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[2].

فبين أن هذه الشهادة حجة على الناس، فيلزمهم العمل بالمشهود به، لأن هذه الشهادة تقتضي ذلك، فوجب على الناس أن يعبدوا الله وحده لا شريك له.

وقد سبق أن من مراتب الشهادة مرتبة القضاء والحكم، والأمر والإلزام، كما سبق بيانه في المبحث السابق، وذلك أن الأمر يقتضي العمل بالمأمور به.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 124 - 125).

[2] المصدر نفسه ص:125.

قــال العلامة ابن القيم: "أما المرتبة الرابعــة: وهي الأمر بذلك والإلزام به، وإن كان مجرد الشهادة لا يستلزمه لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه، فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عبـاده بـه، كما قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الإسراء: ٢٣ ، وقال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ النحل: ٥١ ، وقال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البينة: ٥ ، وقال تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ الإسراء: ٢٢، وقال الله سبحانه وتعالى ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ القصص: ٨٨ ، والقرآن كله شاهد بذلك.

ووجه استلزام شـهادته سـبحانه لـذلك؛ أنه إذا شـهد أنه لا إله إلا هو فقد أخـــبر وبين وأعلم وحكم وقضــــى؛ أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهـا، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها. وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبـــات، كما إذا رأيت رجلا يســـتفتى أو يستشــــهد أو يســـتطب من ليس أهلا لـــذلك، ويـــدع من هو أهل لـــه، فتقـول: هـذا ليس بمفت، ولا شـاهد، ولا طـبيب. المفـتي فلان، والشـاهد فلان، والطـبيب فلان. فـإن هـذا أمر منك ونهي.

وأيضا فــــإن الأدلة قد دلت على أنه ســــبحانه وحـــــده المسـتحق للعبـادة، فـإذا أخـبر أنه هو وحـده المسـتحق للعبادة تضمن هـذا الإخبـار أمـرَ العبـاد وإلـزامَهم بـأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم، وأن القيـام بـذلك هو خـالص حقه عليهم. فإذا شـهد سـبحانه أنه لا إله إلا هـو، تضـمنت شهادته الأمر والإلزام بتوحيده.

وأيضا فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبريـة، فيقـال للجملة الخبرية قضـية وحكم، وقد حكم فيها بكيت وكيت، قال تعالى: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ الصافات: ١٥١ - ١٥٤، فجعل هذا الإخبـار المجـرد منهم حكمـا، وقـال في موضع آخـر: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ القلم: ٣٥ - ٣٦ ، لكن هذا حكم لا إلزام

معـــــه، والحكم والقضـــــاء بأنه لا إله إلا هو متضـــــمن للإلزام"[1].

فتــبين أن شــهادة الله تعــالى لنفسه بتوحيد الألوهية تســتلزم العمل بالمشــهود بــه، لأن مرتبة القضــاء والأمر تســتلزم العمل بالمشــهود بــه، وأن مقتضى الأمر بالتوحيد هو الامتثال بــه، ومقتضى النهي عن الشــرك هو الاجتنــاب عنه.

********

[1] مدارج السالكين 5/ 3839 – 3840.

**المطلب الثالث**: قيامه تعالى بالقسط في هذه الشهادة:

لما أخبر الله تعالى أنه شهد بتوحيد الألوهية لنفسه أخبر أنه قائم بالقسط، والقسط هو العدل، قال ابن جرير: "وأما قوله: ﭼ ﭬ ﭭﭮ ﭼ [آل عمران: ١٨]، فإنه بمعنى أنه الذي يلي العدل بين خلقه. والقسط هو العدل، من قولهم: هو مقسط، وقد أقسط، إذا عدل"[1].

وهذا التفسير مروي عن مجاهد؛ قال: "ﭼﭬﭭﭮ ﭼ بالعدل"[2].

واختلف العلماء في توجيه هذا اللفظ، حيث جاء منصوبا، فقال بعضهم هو منصوب على القطع، وقال آخرون هو منصوب على الحال. والقائلون بالحال فريقان؛ فريق يقوا بأنه حال من قوله ﭼ ﭢ ﭢ ﭼ، وقال الآخر هو حال من الضمير ﭼ ﭪ ﭼ، والتقيدير "لا إله إلا هو قائما بالقسط". فرجح الإمام الطبري القول بأنه منصوب على القطع حالا، فقال: "وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعا على أنه من نعت الله جل ثناؤه، لأن الملائكة وأولي العلم معطوفون عليه، فكذلك الصحيح أن يكون قوله: قائما حالا منه"[3].

والصحيح أنه حال من لفظ الجلالة أو من الضمير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقوله: ﭼ ﭬ ﭭﭮ ﭼ هو نصب على الحال، وفيه وجهان: قيل: هو حال من ﭼ ﭢ ﭼ: أي شهد قائما بالقسط. وقيل: من ﭼ ﭪ ﭼ أي: لا إله إلا هو قائما بالقسط، كما يقال: لا إله إلا هو وحده، وكلا المعنيين صحيح. وقوله: ﭼ ﭬ ﭭﭮ ﭼ يجوز أن يعمل فيه كلا العاملين على مذهب الكوفيين، في أن المعمول الواحد يعمل فيه عاملان....

"وسيبويه وأصحابه يجعلون لكل عامل معمولا، ويقولون حذف معمول أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقول الكوفيين أرجح كما قد بسطته في غير هذا الموضع. وعلى المذهبين فقوله: ﭼ ﭬ ﭼ يخرج على هذا إما كونه يشهد

---

[1] جامع البيان 5/ 278.
[2] جامع البيان 5/ 280.
[3] جامع البيان 5/ 278.

قائما بالقسط؛ فإن القائم بالقسط هو القائم بالعدل، كما في قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ النساء: ١٣٥ ، فالقيام بالقسط يكون في القول وهو القول العدل ويكون في الفعل"[1].

إذا تبين أن معنى ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ في الآية حال، فيكون معنى الآية أن الله تعالى شهد أنه لا إله إلا هو قائم بالقسط في الشهادة، وأنه المستحق بالعبادة. فتكون شهادة الله تعالى بالتوحيد شهادة عدل.

قال شيخ الإسلام: "فإذا قيل: شهد ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ، أي: متكلما بالعدل مخبرا به آمرا به: كان هذا تحقيقا لكون الشهادة شهادة عدل وقسط، وهي أعدل من كل شهادة، كما أن الشرك أظلم من كل ظلم، وهذه الشهادة أعظم الشهادات...، "ولفظ "القيام بالقسط" كما يتناول القول يتناول العمل، فيكون التقدير: بشهد وهو قائل بالقسط عامل به لا بالظلم؛ فإن هذه الشهادة تضمنت قولا وعملا، فإنها تضمنت أنه هو الذي يستحق العبادة وحده فيعبد، وأن غيره لا يستحق العبادة، وأن الذين عبدوه وحده هم المفلحون السعداء، وأن المشركين به في النار. فإذا شهد قائما بالعدل المتضمن جزاء المخلصين بالجنة، وجزاء المشركين بالنار، كان هذا من تمام تحقيق موجب هذه الشهادة وكان قوله: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ تنبيها على جزاء المخلصين والمشركين، كما في قوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ الرعد: ٣٣، قال طائفة من المفسرين منهم البغوي نظم الآية شهد الله قائما بالقسط ومعنى قوله: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ أي بتدبير الخلق كما يقال: فلان قائم بأمر فلان أي يدبره ويتعاهد أسبابه وقائم بحق فلان أي مجاز له فالله تعالى مدبر رزاق مجاز بالأعمال. وإذا اعتبر القسط في الإلهية كان المعنى: "لا إله إلا هو قائما بالقسط" أي هو وحده الإله قائما بالقسط فيكون وحده مستحقا للعبادة مع كونه قائما بالقسط كما يقال: أشهد أن لا إله إلا الله إلها واحدا أحدا صمدا وهذا الوجه أرجح؛ فإنه يتضمن أن الملائكة وأولي العلم

---

[1] مجموع الفتاوى 14/ 175 – 176، وانظر مدارج السالكين 5/ 3844 - 3845.

يشهدون له مع أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط. والوجه الأول لا يدل على هذا"[1].

وقال العلامة ابن القيم: "وقوله تعالى: ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﭿ القسط هو العدل، شهد الله سبحانه أنه قـائم بالعـدل في توحيده وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جمـاع صـفات الكمـال؛ فـإن التوحيد يتضـمن تفـرده سـبحانه بالكمـال والجلال والمجد والتعظيم الـذي لا ينبغي لأحد سـواه، والعـدل يتضـمن وقـوع أفعاله كلها على السـداد والصـواب وموافقة الحكمـة. فهـذا توحيد الرسل وعـدلهم إثبـات الصـفات، والأمر بعبـادة الله وحـده لا شـريك لـه، وإثبات القدر والحكم والغايات المطلوبة المحمـودة بفعله وأمـره، لا توحيد الجهمية والمعتزلة والقدرية الـذي هو إنكار الصفات، وحقائق الأسـماء الحسـنى، وعـدلهم الـذي هو التكـذيب بالقـدر، أو نفي الحكم والغايـات والعـواقب الحميـدة الـتي يفعل الله لأجلها ويـأمر، وقيامه سـبحانه بالقسط في شهادته يتضمن أمورا:

**أحـدها**: أنه قـائم بالقسط في هـذه الشـهادة الـتي هي أعـدل شـهادة على الإطلاق، وإنكارها وجحودها أعظم الظلم على الإطلاق، فلا أعـدل من التوحيد ولا أظلم من الشرك، فهو سبحانه قائم بالعدل في هـذه الشـهادة قـولا وفعلا، حيث شهد بها وأخبر وأعلم عباده وبين لهم تحقيقها وصـحتها، وألـزمهم بمقتضـاها وحكم بـه، وجعل الثـواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها؛ فالدين كله من حقوقها، والثواب كله عليهـا، والعقـاب كله على تركها..."[2].

فـإذا تـبين أن هـذه الشـهادة كـانت شـهادة قائمة بالقسط من الله تعـالى، صـارت هي أعـدل الشـهادات على أعظم مشـهود وهو توحيد الله تعـالى في ألوهيته وإفراده بالعبـادة، من أعظم موجـود وهو البـاري سـبحانه وتعـالى، فيـدل ذلك دلالة واضـحة على وجـوب توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة والخضوع له.

---

[1] المصدر نفسه 14/ 176 – 177.

[2] مدارج السالكين 5/ 3841 – 3842.

********

**المطلب الرابع**: اقتران شهادة خيار الخلق بشهادته تعالى على توحيد الألوهية:

مما يدل على شرف هذه الشهادة وأهميتها، ووجـوب العمل بمقتضاها هو أن الله تعـالى قرنها بشـهادة أشـرف خلقه وأفضل عباده؛ وهم الملائكة وأهل العلم من الأنبيـاء والرسل وأتبـائهم ممن اتصف بـالعلم والإيمـان، فكلهم شهدوا بأنه لا إله إلا الله تعـالى، وأنه المسـتحق بـأن يُعبد وحـده، وذلك لعلمهم بتفـرده بخصـائص الألوهيـة؛ من الربوبية وصفات الكمال. فهم يعلمون بـأن الله تعـالى هو الرب، فلا رب غيره، وهو المتفرد بالكمال، ويعلمون أنه لا يكون إلها إلا من اتصف بالربوبية والكمال، فلما علموا أنه لم يتصف بذلك إلا الله وحده، علموا وأقـروا وشـهدوا بأنه لا إله إلا الله تعالى وحده لا شـريك لـه، فلـذلك قـرن الله تعالى بين شهادته وشهادتهم بالتوحيد في هذه الآية فقال: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ [آل عمران: ١٨]. فدلت هذه الآية على أن كل من شهد بذلك علما وإقرارا فهو من أهل العلم. لمـا روى ابن ابي حاتم عن سفيان بن عينية قوله: "ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ فكل من علمها فهو من أولي العلم"[1].

وشهادة الملائكة وأولي العلم هي العلم والإقرار بأنه لا إله إلا الله تعـالى. والمـراد بـأولي العلم هم الأنبيـاء والمرسلين، وأهل العلم من المؤمنين.

قال الإمـام البغـوي: "وقوله: ﭽ ﭦ ﭼ أي وشـهدت الملائكة. قيل: معنى شهادة الله الإخبـار والإعلام، ومعـنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار. قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭼ يعـني الأنبيـاء عليهم السـلام. وقـال ابن كيسـان يعـني: المهـاجرين والأنصـار. وقـال مقاتل: علمـاء مؤمـني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه. قال السدي والكلـبي: يعني جميع علماء المؤمنين"[2].

---

[1] تفسير ابن أبى حاتم 2/ 617.

[2] معالم التنزيل 2/ 18، وانظر الجامع لأحكام القرآن 5/ 63، فتح القدير 1/ 542.

وقد تتضـــمن شـــهادة الملائكة وأولي العلم الإعلام والإخبار بالمشهود، لأن الله تعـالى اختـار رسلا من الملائكة ومن النـــاس، ومهمة الرسل هو الإعلام والإبلاغ والإخبـــار، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الحج: ٧٥، فكان من الملائكة رسلا إلى الأنبياء، ومن النـاس رسـلا إلى أقـوامهم، ليخبروهم ويُعلموهم بشرع الله وأمـره وحكمـه، ومن أعظم ذلك توحيده في الألوهية وإفراده بالعبادة.

قــال أبو حيــان: "ومشــاركة الملائكة وأولي العلم لله تعــالى في الشــهادة من حيث عطفا عليه لصــحة نســبة الإعلام، أو صحة نسبة الإظهـار والبيـان، وإن اختلفت كيفية الإظهار والبيان من حيث أن إظهـاره تعـالى بخلق الـدلائل، وإظهار الملائكة بتقريرها للرسل، والرسل لأولي العلم"[1].

ونقل عن الواحدي قوله: "شـهادة الله بيانه وإظهـاره، والشـاهد هو العـالم الـذي بين ما علمـه، والله تعـالى بين دلالات التوحيد بجميع ما خلــق، وشــهادة الملائكة بمعــنى الإقرار كقوله: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﭼ الأنعام: ١٣٠، أي: أقررنا. فنسق شــهادة الملائكة على شــهادة اللــه، وإن اختلفت معــنى، لتماثلهما لفظا, كقوله: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭻ ﭼ الأحزاب: ٥٦، لأنها من الله الرحمــة، ومن الملائكة الاســتغفار والــدعاء. وشـهادة أولي العلم يحتمل الإقــرار ويحتمل التبـيين، لأنهم أقروا وبينوا. انتهى"[2].

فتـبين أن شـهادة الله تعـالى وشـهادة ملائكته وأولي العلم متفقة ومتطابقة في المعــنى، لأن على الرسل البلاغ والبيان للناس، وهو متضمَّن في معنى الإعلام والإخبار.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "فهو سـبحانه يشـهد لنفسه بالوحدانيــة، والملائكة يشــهدون وأولــوا العلم من عباده يشهدون، والشهادات متطابقة متوافقة"[3].

وقـال أيضـا: "وإثبـات شـهادة أولي العلم يتضـمن أن الشـهادة له بالوحدانية يشـهد بها له غـيره من المخلـوقين

---

[1] البحر المحيط 2/ 419.

[2] المصدر نفسه 2/ 419.

[3] منهاج السنة النبوية 5/ 374، تفسير القرآن العظيم 2/ 24.

الملائكة والبشر. وهذا متفق عليه يشهدون أن لا إله إلا الله ويشهدون بما شهد به لنفسه"[4].

فثبت أن اقــتران شــهادة الله تعــالى بشــهادة أولي العلم مما يـــدل على أهمية ما يقـــوم به أولو العلم من الأنبياء والرسل وأتباعهم من الـدعوة إلى توحيد الألوهيـة، وإخبـار النـاس بحقـوق الله تعـالى من إفـراده بالعبـادة، فيقتضي ذلك امتثال العباد بـأمر الله الـواجب في إفـراده بالعبادة.

********

---

[4](?) مجموع الفتاوى 14/ 184.

# الفصل الرابع

## دلالة الحكمة من خلق الجن والإنس على توحيد الألوهية

**وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: بيان الحكمة من خلق العباد
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان أن الله لم يخلق شيئا عبثا

المطلب الثاني: بيان أن الله خلق العباد لعبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته وطاعته

المبحث الثاني: كمال غنى الله تعالى عن جميع خلقه,
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اتصاف الله تعالى بالغنى المطلق

المطلب الثاني: افتقار الخلق إلى الله يلزمهم الإنابة

**المبحث الأول:** بيان الحكمة من خلق العباد وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: بيان أن الله لم يخلق شيئا عبثا:

إن الله تعـــالى خلق الخلق كله لحكمة عظيمة وغاية جليلة، وخلق الإنس والجن لحكمة شـرعية، وذلك لأن الله تعــالى لم يخلق شــيئا عبثا ولعبا وبــاطلا، بل خلق الخلق بالحق وللحق، لذلك بين في كتابه في كثير من الآيـات أنه ما خلق الخلق لعبا وعبثا وبـاطلا, بل لحكمة وغاية يريـدها ويحبها، وردت بذلك أدلة كثيرة، منها:

1- **الدليل الأول:** قوله تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ المؤمنون: ١١٥ – ١١٧,ـــ في هـــذه بين الله أنه ما خلق عبـــاده وأوجـــدهم عبثـــا، لأن العبث لا يليق بمقـــام البـــاري سبحانه، لأن العبث هو اللعب والباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال المفسرون: العبث أن يعمل عملا لا لحكمة، وهو جنس من اللعب"[1].

لذلك نزه الله نفسه عن أن يكـون خلق عبـاده عبثـا، لأنه الملك الحق الحكيم، فلا يفعل شيئا باطلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "فـنزه نفسه أن يكـون فعله كفعل اللاعب العــــابث، الــــذي لا يقصد غاية محمـودة يريد سـوق الوسـائل إليهـا، فـإن هـذا فعل الجاد الذي يجيء بالحق"[2].

وقال ابن كثير: "وقوله: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ أي: تقدس أن يخلق شيئا عبثا"[3].

فدل ذلك على أنه خلقهم بالحق، والآيتـان الأخيرتـان تدلان على أن المراد بـالحق المشـار إليـه، الـذي هو علة خلق العباد هو توحيد الألوهية، والدلالة على ذلك ظـــــاهرة، لأن الأولى منهما دلت على إفـــــراد الله بالألوهيـــة، والثانية تـــدل على نفي الشـــريك لله في الألوهية.

---

[1] مجموع الفتاوى 17/ 174.

[2] جامع الرسائل 1/ 20.

[3] تفسير القرآن العظيم 5/ 500.

وقد روى ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ المؤمنون: ١١٥، قال: ما خلقتكم لعبا، ولكن خلقتكم للعبادة"[1].

وقال ابن القيم:" ﭧ ﭨ ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ المؤمنون: ١١٥ - ١١٦، فنزه سبحانه نفسه عن ذلك كما نزهها عن الشريك والولد والصاحبة، وسائر العيوب والنقائص؛ من السنة والنوم، واللغوب والحاجة، واكتراثه بحفظ السموات والأرض، وتقدم الشفعاء بين يديه بدون إذنه، كما يظنه أعداؤه المشركون يخرجون عن علمه جزئيات العالم أو شيئا منها، فكما أن كماله المقدس، وكمال أسمائه وصفاته يأبى ذلك ويمنع منه. فكذلك يبطل خلقه لعباده عبثا، وتركهم سدى؛ لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يردهم إليه، فيثيب محسنهم بإحسانه، ومسيئهم بإساءته. ويعرف المبطلون منهم أنهم كانوا كاذبين، ويشهدهم أن رسله وأتباعهم كانوا أولى بالصدق والحق منهم، فمن أنكر ذلك فقد أنكر إلهيته وربوبيته وملكه الحق، وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه"[2].

2- **الدليل الثاني:** قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ الأنبياء:١٦–١٧.

بين تعالى أنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما لعبا، والمراد باللعب هو العبث والباطل، وهو ما لا فائدة فيه, روى ابن أبي حاتم والطبري عن قتادة في قوله: "ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ الأنبياء: ١٦، يقول: ما خلقناهما عبثا ولا باطلا"[3].

فدل على أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا وباطلا، وإنما خلق الخلق للحق وهي الحكمة الشرعية في خلقه.

---

[1] تفسير ابن أبى حاتم 8/ 2512.

[2] عدة الصابرين ص: 312 – 313.

[3] تفسير ابن أبى حاتم 8/ 2447، وجامع البيان 16/ 238.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: ﭽﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄﭼ الأنبياء: ١٦, إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبـره, وخلقه لا يشـبهه شـيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبـادة لشـيء غيره، ولم يخلق ذلك عبثا ولعبا"[1].

فبين رحمه الله أنه تعـالى خلق السـماء والأرض وما بينهما لتـــدل على الخـــالق الإله الحـــق، المســـتحق للعبادة، وأن العبادة لا تصلح لشيء غيره.

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﭼ الأنبيــــاء: ١٦، أي عبثا وبــــاطلا، بل للتنبيه على أن لها خالقا قادرا يجب امتثال أمره"[2], فبين رحمه الله أن اللعب هو العبث والباطل، والباطل هو ضد الحق.

وقال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "فـالحق ضد الباطـل، واللهو باطل، ولهذا تنزه سبحانه عن أن يخلقهما باطلا ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﭼ الأنبياء: ١٦، فاللاعب صاحب باطل، لا صاحب حق. ولهذا لما دخل عمر على النــبي صلى الله عليه وسلم، وعنده الأسود بن سريع ينشده فأسكته مرتين أو ثلاثـا، قـال: من هـذا الـذي تسـكتني لـه؟ قـال: "**هـذا رجل لا يحب الباطل**"[3]. فـإن عمر كان لا يحبه ولا يصبر على صـاحبه، والنـبي صـلى الله عليه وسـلم كـان أحلم وأصـبر من عمـر, فهو أيضا لا يحب الباطل لكنه يصـــــــبر، ويحتمل منه ما لم يكن محرمـــا. ولكن هو لا منفعة فيه لفاعلـــه، فـــإذا فعله احتمله عليه. فهذا بيان قول من فسر اللاعب بالعابث، وله نظائر. والذين فسـروا بالولد والزوجـة، قـالوا ذلك لأن من المشركين من جعل لله ولدا وصاحبة، وقــالوا إنه ضاهى الحق، وهم يسمون المرأة لهوا والولد لهوا.

---

[1] جامع البيان 16/ 237.

[2] الجامع لأحكام القرآن 14/ 184.

[3] أخرجه أحمد في المسند 24/ 351 ، (ح: 15585) والبخاري في الأدب المفـرد 1/ـ 177، (ح: 342)، وضـعفه الألبـاني في الضعيفة 6/ 469 ـ 470، والصحيحة 7/ 544 – 545، وضعيف الأدب المفرد ص: 45.

وقال ابن قتيبـة: أصل اللهو الجمـاع وكـنى عنه بـاللهو كما كنى عنه بالسر. والنبي صـلى الله عليه وسـلم قد يجعل ملاعبة الرجل امرأته من اللهو الـــــــذي ليس بباطـل، والـرب تعـالى مـنزه عن اللعب مطلقـا. فـإن الذي يلاعب امرأته إنما يفعل ذلك لحاجته إلى المرأة، وحكمة ذلك بقـــاء النســـل، والله تعـــالى مـــنزه عن الـولادة. فتضـمنت هـذه الآية تنزيهه عن الخلق عبثا لا لحكمة، فإن ذلك لعب وعبث. وتضمنت تنزيهه عن أن يتخذ ما يلهى به كـالمرأة والولـد. ولهـذا بين بعد ذلك أنه إنما خلق ذلك بالحق، وأنه منزه عن الأولاد, وقال: ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﭼ الأنبياء: ١٨, واللهو كله باطل في حق الله تعـــالى، وإن كـــان بعضه من الحق في حق العباد"[1].

فـدلت الآية على أنه تعـالى لم يخلق السـموات والأرض وما بينهما لعبـــا، بل خلقهما بـــالحق، لأنه كما سبق أن اللعب هو الباطل، والباطل ضد الحق، فدلت الآية على أنه خلقهما بالحق لأنه نفى أن يكون خلقهما باطلا، فإذا نفى الباطل ثبت الحق لأنهما نقيضـين. وقد جاء التصريح بذلك في موضع واحد، حيث نفى الله أن يكـــون خلقهما لعبـــا، وأثبت أنه خلقهما بـــالحق قـــال تعالى: ﭽ ﯾ     ﭼ الـدخان: ٣٨ – ٣٩، فـبين تعـالى أنه إنما خلقهما بـالحق، فدل على أنه لم يخلق شيئا عبثا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمـراد هنا أنه سـبحانه بين أنه إنما خلق المخلوقـات لحكمتـه، وهـذا معـنى قوله: ﭽــ ﭼﭽ، وقد ذم من ظن أنه خلق ذلك بـــاطلا وعبثا فقال: ﭽ    ﯓ ﯔﯕ ﯖﯗﭼ المؤمنون: ١١٥، وقال: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ القيامة: ٣٦ ، وقال: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١ ]"[2].

---

[1] جامع الرسائل 1/ 20 – 21.

[2] مجموع الفتاوى 17/ 99.

وقال ابن القيم: "وقوله: ﭽ ﯾ

ﭼ [الدخان: ٣٨ – ٣٩]، والحق هو الحِكم والغايات المحمودة، التي لأجلها خلق ذلك كله، وهو أنواع كثيرة منها: أن يُعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته، ومنها أن يُحب ويُعبد ويُشكر ويُذكر ويُطاع، ومنها أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع"[1].

فبين رحمه الله أن الحق الذي خلق الله الخلق لأجله أنواع، ومنها - وهو أكبرها وأهمها - أن يعرف العباد ربهم وخالقهم، وذلك بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وآياته، ويعبدوه بالحب والذكر والشكر، ويخضعوا له بالطاعة، وامتثال ما شرع, وبين أنه هو الغايات المحمودة له تعالى في خلقه.

3- **الدليل الثالث:** ومما يدل على أن الله لم يخلق شيئا عبثا؛ نفيه أن يكون خلق الخلق باطلا، والباطل ضد الحق كما تقدم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، والله منزه عن الباطل، لأنه إله الحق، فهو الحكيم، له الحكمة البالغة في خلقه وأمره، فيستحيل أن يفعل الحكيم فعلا مجردا عن الحكمة والغاية. ﭧ ﭨ ﭽ

ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ

ﭼ [آل عمران: ١٩١], فبين تعالى أنه ما خلق السموات والأرض باطلا، فدل على أنه خلقهما بالحق، لأن الحق هو ضد الباطل ونقيضه، فإذا انتفى الباطل في علة خلق السموات والأرض، لزم أن يثبت الحق في علة خلقهما، لأن الحق والباطل نقيضان لا يجتمعان، ولا يرتفعان معا، فإذا انتفى الباطل لا بد أن يثبت الحق. فدلت الآية على أن الله خلقهما بالحق. و ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ

ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ ص: ٢٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد أخبر أنه إنما خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق، وأنه لم يخلقهما باطلا، وأن ذلك ظن الذين كفروا. وقال: ﭽ

[1] شفاء العليل ص: 399.

[2] ينظر جامع الرسائل 1/ 20.

چ المؤمنون: ١١٥، وقال: چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ القيامة: ٣٦ ، أي مهملا لا يؤمر ولا ينهى. وهذا استفهام إنكار على من جوز ذلك على الرب"[1].

فنفي خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا يستلزم كون خلقهما بالحق.

4- **الدليل الرابع:** ومما يدل على أن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثا، بيان أنه بعد ما خلق الإنسان وأوجده من العدم، لم يتركه مهملا بلا شرع، بل شرع عليه الشرائع، فأمره ونهاه, ﭬ ﭭ چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ القيامة: ٣٦, فبين أنه تعالى لم يترك الإنسان مهملا, والمراد بالسدى أي المهمل، الذي لا تكليف عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ چ القيامة: ٣٦، قال المفسرون وأهل اللغة: السدى: المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى؛ كالذي يترك الإبل سدى مهملة"[2].

فأنكر الله أن يكون ترك الإنسان مهملا خاليا عن الشرع، لأن هذا يخالف حكمته البالغة. لأن ذلك لا يليق بالحكيم الذي كمل في حكمته.

قال ابن القيم: "ومن هذا أيضا إنكاره سبحانه على من جوز أن يترك عباده سدى؛ فلا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأن هذا الحسبان باطل، والله متعال عنه لمنافاته لحكمته وكماله، كما ﭬ ﭭ چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ القيامة: ٣٦، قال الشافعي رضي الله عنه: "أي مهملا؛ لا يؤمر ولا ينهى". وقال غيره: "لا يثاب ولا يعاقب". والقولان واحد، لأن الثواب والعقاب غاية الأمر والنهى. فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهى في الدنيا، والثواب والعقاب في الآخرة، فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدى، إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه.

---

[1] مجموع الفتاوى 16/ 299.

[2] مجموع الفتاوى 17/ 174، وينظر أيضا مجموع الفتاوى 11/ 258.

وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحـــــاكمين. ومثله قوله تعالى: ﭼ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭽ المؤمنون: ١١٥- ١١٦، فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هـذا الحسـبان، وأنه يتعـالى عنه ولا يليق به لقبحه ولمنافاته لحكمته وملكه وإلهيتـــه. أفلا ترى كيف ظهر في العقل الشهادة بدينه وشرعه وبثوابه وعقابه؟ وهذا يدل على إثبات المعاد بالعقـل، كما يدل على إثباته بالسمع. وكـذلك دينه وأمـره وما بعث به رسـله هو ثـابت في العقـول جملـة، ثم علم بـالوحي. فقد تطـابقت شـهادة العقل والـوحي على توحيـده وشـرعه، والتصـديق بوعـده ووعيـده، وأنه سبحانه دعا عباده على ألسنة رسله إلى ما وضع في العقـول حسـنه، والتصـديق به جملـة، فجـاء الـوحي مفصلا مبينا ومقررا ومذكرا لما هو مركوز في الفطر والعقول. ولهـذا سـأل هرقل أبا سـفيان في جملة ما سأله من أدلة النبوة وشـواهدها، عما يـأمر به النـبي صـلى الله عليه و سـلم فقـال: "بم يـأمركم؟ قـال: يأمرنا بالصلاة والصدق والعفـاف". فجعل ما يـأمر به من أدلة نبوته"[1].

فذكر رحمه الله أن الظن بـأن الله تعـالى تـرك الإنسـان سـدى مهملا، مما أنكـره الله تعـالى، لأن نسـبة ذلك إلى أحكم الحـاكمين، هو نسـبة ما لا يليق به إليه، وتنقّص رب العالمين مما نزه نفسه عنه.

وفي الآيات السابقة نفى الله أن يكون في فعله وخلقه عبث ولعب وباطل وسـدى، لأنها صـفات نقص وعيب، فلا تليق بأحكم الحاكمين، ذي الحكمة البالغـة، فهي من المستحيلات في حق الباري سبحانه وتعالى، وقد نزه الله نفسه عنهـا، ونفى أن يكـون شـيء منها في فعله وخلقه.

5- **الـدليل الخـامس:** بعد أن نفى الله في خلقه وفعله العبث واللعب والباطل والسدى، الذي يـدل على أنه يخلق ويفعل بحكمة وحـــق، صـــرح بأنه يفعل ذلك

---

[1] مفتاح دار السعادة 2/ 887 – 888.

بالحق. فجاءت آيات عديـدة صـريحة بـأن الله تعـالى إنما خلق بــــالحق، ويفعل بحكمــــة، ومن ذلك قوله تعال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ يونس: ٥, وﭷ ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الحجر: ٨٥ – ٨٦, وﭷ ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ الروم: ٨, وﭷ ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ الأحقاف: ٣, وﭷ ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ الجاثية: ٢٢, في كل هذه الآيات يبين الله تعالى أنه ما خلق الخلــق إلا بالحق، فهي آيات صـريحة تـبين أن خلقـه السـموات والأرض وما بينهما بالحق، فـدلت جميـع الآيـات على نفي العبث واللعب والباطــــل والســـدى في خلقــــه وإثبات أنه خلق بالحق.

والله تعالى هو الحكيم وهو إله الحـق، فلا بد أن تكون أفعاله وخلقه بالحق وفيها حكمة.

قال العلامة ابن القيم: "خلق مخلوقاته بســبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بـــــالحق وهو في نفسه حق فمصدره حق وغايته حق وهو متضمن للحق"[1].

فبين أن الله تعالى هو الحق، وخلقه وأفعاله بــالحق، وشـرعه بـالحق، وجـزاؤه بـالحق، فهو إله الحق رب العـالمين، فتعـالى أن يخلق العبـاد بلا حكمة وغايــة، وتنزه أن يتركهم مهملين.

**المراد بالحق الذي من أجله خلق الله الخلق:**

قد تقرر أن الله تعالى لم يخلق شيئا من المخلوقات عبثا ولا لهوا ولا لعبا ولا باطلا، بل خلقهـا بـالحق، والمـراد بهـذا الحـق هـو عبادتـه وحـده لا شـريك لـه، المتضـمنة لمعرفته ومحبته والخضوع له وامتثال أوامره ونواهيه.

قـــــال العلامة ابن القيم: "الحق الـــــذي خلقت به السـموات والأرض وما بينهما هو إلهية الــرب المتضــمنة لكمــال حكمته وملكه وأمـــره ونهيه المتضــمن لشــرعة

---

[1] شفاء العليل ص: 400، وانظر بدائع الفوائد 4/ 1595، مفتاح دار السعادة 2/ 1072 – 1074.

وثوابه وعقابه المتضمن لعدله وفضله ولقائه فالحق الـذي وجد به العـالم كـون الله سـبحانه هو الإله الحق المعبـود والآمر الناهي المتصرف في الممالك بالأمر والنهي...

إلى أن قال: "وهو سبحانه خلق العـالم العلـوي والسـفلي بسـبب الحق ولأجل الحق وضـمنه الحـق، فبـالحق كـان وللحق كـــان وعلى الحق اشـــتمل. والحق هو توحيـــده وعبادته وحده لا شريك له ومـوجب ذلك ومقتضـاه. وقـام بعدله الذي هو الحـق، وعلى الحق اشـتمل، فما خلق الله شيئا إلا بالحق وللحق. ونفس خلقه له حق وهو شاهد من شـواهد الحـق. فـإن أحق الحق هو التوحيد كما أن أظلم الظلم هو الشرك. ومخلوقات الرب تعالى كلها شاهدة له بأنه الله الـذي لا إله إلا هـو، وإن كل معبـود باطل سـواه. وكل مخلـوق شـاهد بهـذا الحق إما شـهادة نطـق، وإما شـهادة حـال، وإن ظهر بفعله وقوله خلافهـا؛ كالمشـرك الذي يشهد حال خلقه وإبداعه وصنعه لخالقه وفـاطره أنه الله الذي لا إله إلا هو، وإن عبد غيره وزعم أن له شريكا، فشاهد حاله مكذب له مبطل لشهادة فعله وقاله"[1].

وقال أيضا: "لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بـاطلا، ولا تـرك الإنسـان سـدى عـاطلا، بل خلق الخلق لقيـام توحيده وعبادته"[2].

بهـذا يتـبين أن الله تعـالى لم يخلق شـيئا من المخلوقـات عبثا ولا لهـوا ولا بـاطلا، بل خلقه بـالحق. وهـذا الحق هو عبادة الله وحده لا شريك لـه، وأنه الإله الحق الـذي لا إله إلا هو. فدل ذلك على وجوب توحيد الله بالألوهية وإفراده بالعبـادة، وعلى تحـريم الشـرك به في العبـادة تحريما عظيمـا، لأن الشـرك هو أظلم الظلم كما أن التوحيد هو أحق الحق.

*********

---

[1] مفتاح دار السعادة 3/ 1391 – 1393.

[2] مدارج السالكين 1/ 427.

**المطلب الثاني**: بيان أن الله خلق العباد لعبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته وطاعته:

قد تـــبين مما ســـبق أن الله تعــالى لم يخلق الخلق عبثـــا، ولا بـــاطلا، بل خلقه بـــالحق، المتضـــمن لمعرفته وتوحيده بالعبادة، وهذه هي الحكمة الشـرعية لخلق الجن والإنس. فالحكمة من خلق العباد تتضمن أمرين:

**الأول**: معرفة الله تعالى بأسـمائه وصـفاته وأفعاله وآياته الشرعية والكونية.

**والثاني**: عبادته وحـده بحبه والخضـوع له ورجائه وخوفه وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قـــــــــال العلامة ابن القيم: "كل من العلم والعمل ينقسم قسمين؛ منه ما يكون وسيلة، ومنه ما يكون غايــة. فليس العلم كله وسـيلة مـرادة لغيرهـا، فـإن العلم بالله وأسـمائه وصـفاته هو أشـرف العلـوم على الإطلاق، وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الطلاق: ١٢، فقد أخـــبر ســـبحانه أنه خلق الســـموات والأرض ونـــزّل الأمر بينهن ليعلم عبـــاده أنه بكل شـــيء عليم، وعلى كل شــيء قــدير. فهـذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، و ﭧ ﭨ ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ محمد: ١٩ ، فالعلم بوحدانيته تعـالى، وأنه لا إله إلا هو مطلـوب لذاتـه، وإن كان لا يكتفي به وحده، بل لا بد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمـران مطلوبـان لأنفسـهما؛ أن يعـرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن يعبـده بموجبها ومقتضاها. فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لـذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته"[1].

فـــبين رحمه الله أن الغاية من الخلق أمــران، وبيـان ذلك ما يلي:

**الأمر الأول: العلم بالله بأســـمائه وصـــفاته وأفعاله وآياته الشرعية والكونية:**

وهـــذا هو العلم بالله المتضـــمن معرفته بأســـمائه الحسـنى، وصـفاته العلى، وأفعاله وآياته المنزلة في كتابه

---

[1] مفتاح دار السعادة 1/ 511 – 512.

وآياته المخلوقة في الكون. وهذا العلم غاية ووسـيلة. وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ الطلاق: ١٢.

فـبين الله تعـالى أنه خلق الخلق ليعلم العبـاد ما هو متصف به من صفات الكمال[1]، لأنه وصف نفسه في هذه الآية بكمال القدرة وكمال العلم، وبين أنه خلق السـموات والأرض من أجل العلم بذلك، لأن اللام لام "كي"، هي لام التعليل، التي هي لبيان السبب.

قال الطبري: "وقوله: ﭽ ... ﭼ، يقول تعالى ذكره: يتنزل قضاء الله وأمـره بين ذلك كي تعلمـوا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعـذر عليه شـيء أراده، ولا يمتنع عليه أمر شاءه، ولكنه على ما يشاء قدير. ﭽ ... ﭼ يقول تعالى ذكره: ولتعلموا أن الله بكل شيء من خلقه محيط علما، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في الســـماء، ولا أصـــغر من ذلك ولا أكبر"[2].

واللام في قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ الطلاق: ١٢ لام تعليل متعلق بــالخلق أو التنزيــل، أو بفعل مقــدر كما ذهب إليه بعض المفســرين وجــزم بعضـــهم بأنه متعلق بالخلق[3].

قال الشوكاني: "واللام في ﭽ ... ﭼ الطلاق: ١٢، متعلق بـ ﭽ ... ﭼ ، أو بـ ﭽ ... ﭼ، أو بمقدر، أي: فعل ذلك؛ لتعلموا كمال قدرته، وإحاطته بالأشياء"[4].

قـــال العلامة ابن القيم:"وأما الحق الــــذي هو غاية خلقها فهو غاية تراد من العباد، وغاية تراد بهم. فالتي تراد منهم أن يعرفوا الله تعالى وصفات كماله عز و جــل، وأن يعبــدوه لا يشــركوا به شــيئا، فيكــون هو وحــده إلههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم، قال تعالى: ﭽ ...

---

[1] ينظر مجموع الفتاوى 8/ 56.

[2] جامع البيـان 23/ـ 82، وانظر تيسـير الكـريم الـرحمن ص: 872.

[3] التحرير والتنوير 28/ 341، وانظر أضواء البيان 7/ 392.

[4] فتح القدير 5/ 329، وانظر محاسن التأويل 16/ 5849.

ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ
ﯻ ﯼ ﭼ ، فأخبر أنه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته وإحاطة علمــه، وذلك يســتلزم معرفته ومعرفة أســمائه وصفاته وتوحيده. وﭧ ﭨ ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ الذاريات: ٥٦، فهذه الغاية هي المـرادة من العبـاد وهي أن يعرفـوا ربهم ويعبدوه وحده"[1].

وقد قــرر العلامة ابن القيم – رحمه الله - هــذا الأصل في مواضع كثيرة من كتبه.

**الأمر الثاني: عبادة الله وحده لا شريك له:**

وأما الأمر الثاني من الغاية من الخلق، هو عبادة الله وحـده لا شـريك لـه، المتضـمنة لكمـال حبه والخضـوع له وطاعته بامتثال أمـره واجتنـاب نهيـه. وهـذه الغاية هي ما دل عليها قوله تعالى: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ الذاريات: ٥٦, فــبين الله تعــالى أن علة خلق الجن والإنس هي العبــادة الشــرعية، المتضــمنة لمعرفته بأســمائه وصــفاته وأفعاله وآياتــه، وعبادته المتضــمنة لمحبته وطاعته والخضــوع لــه، فخلقهم ليأمرهم وينهاهم ويمتثلوا أمره[2].

وهذه العبـادة هي حق له تعـالى على عبـاده، الحق الـذي استحق لذاته، لا لحاجة إليه، لأن الله تعالى غـني بذاتـه، لا يحتاج إلى شيء من غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "عبادته وحـده حق اسـتحقه عليهم لذاته، كما قال: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الذاريات: ٥٦- ٥٨، فأخبر أنه إنما خلق الخلق لعبادتــه، وأخــبر أن الــذي خلقه لهم وأمـــره بهم ورضـــيه وأحبه وأراده بـــأمره منهم هو عبادته، لم يرد منهم رزقا ولا أن يطعموه، والرزق يعم كل ما ينتفع به الحي ظـاهرا وباطنـا، فلم يـرد منهم ما يريـده

---

[1] بدائع الفوائد 5/ 1593 ، وانظر شفاء العليل ص: 518 – 519، الداء والدواء ص: 295 – 296، مفتاح دار السعادة 1/ 139، 190، 511 – 512، الفوائد ص: 186 – 187.

[2] جامع المسائل 6/ 104.

السادة والمخلوقون من عبــادهم، من جلب المنفعة إليهم التي هي الرزق"[1].

وقال أيضا: "ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ الذاريات: ٥٦، وعبــادة الله تتضــمن معرفته ومحبته والخضــوع لــه، بل تتضـــمن كل ما يحبه ويرضـــاه. وأصل ذلك وأجله ما في القلوب: الإيمـان، والمعرفـة، والمحبة للـه، والخشـية لـه، والإنابة إليه، والتوكل عليـه، والرضى بحكمـه، مما تضـمنه الصلاة، والذكر، والدعاء، وقراءة القــرآن، وكل ذلك داخل في معـنى ذكر الله والصـلاة، وإنما الصـلاة وذكر الله من باب عطف الخاص على العام..."[2].

فـــــبين رحمه الله أن الله تعـــــالى إنما خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، وهو حقه على عبـاده، اسـتحقه لذاته لا لحاجة إليه. وهذه العبـادة هي المتضـمنة لمعرفته والإيمـان بـه، وكمـال محبته والخضـوع لـه، والخشـية لـه، والإنابة إليــه، والتوكل عليــه، والرضى بحكمــه، والصــلاة، والذكر، والدعاء، وقـراءة القـرآن، بل تتضـمن كل ما يحبه ويرضاه.

**كمال العبد وصلاح نفسه وسـعادتها ونجاتها في عبـادة الله وحده وكمال محبته والخضوع له:**

وقال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "إن النفس ليس لها نجــاة ولا سـعادة ولا كمــال إلا بــأن يكــون الله معبودها ومحبوبها الــذي لا أحب إليها منــه، ولهــذا كــثر في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده. ولفظ العبادة يتضمن كمال الـــذل بكمــــال الحب، فلا بد أن يكـــون العابد محبا للإله المعبود كمال الحب، ولا بد أن يكون ذليلا له كمـال الـذل، فمن أحب شـيئا ولم يـذل له لم يعبـده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده. وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحــده، فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هــو، وذلك

---

[1] المصدر نفسه 6/ 236 – 237.

[2] مجموع الفتاوى 32/ 232، والفتاوى الكبرى 4/ 467 – 468، تيسير الكريم الرحمن ص: 813.

يتضــمن كمــال الحب والــذل والإجلال والإكــرام والتوكل والعبادة"[1].

**المراد بالعبادة في الآية:**

العبادة الواردة في نصوص الشرع نوعان؛ عبـادة شـرعية المتضمنة لمحبة الله والخضوع له طوعـا، المتعلقة لطاعة الله تعالى في أمـره وشـرعه، المتناولة لعبـاده الطـائعين في أمره ونهيه. وعبادة كونية، المتضمنة للتذلل لله تعالى طوعا أو كرهــا، المتعلقة بخلقه وقــدره، الشــاملة لجميع خلقه.

والعبادة المـرادة بها في الآية هي العبـادة الشـرعية، المتعلقة بــــالإرادة الشــــرعية، المتضــــمنة للأمر والنهي الشــرعيين, قــال علي بن أبي طـالب رضي الله عنه: "إلا ليعبـــدون" أي إلا لآمـــرهم أن يعبـــدوني وأدعـــوهم إلى عبادتي"[2].

وقال ابن كثير: "ثم قال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ الذاريات: ٥٦ أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبـادتي، لا لاحتيـاجي إليهم"[3].

فتبين أن المـراد بالعبـادة في هـذه الآية هي العبـادة الشرعية، لا العبادة الكونية الشـاملة لجميع الخلـق، الـتي تتضمن التذلل لله طوعا وكرها, فخلق الله العبـاد ليبتليهم بالأمر والنهي، فمن أطاعه فاز فـوزا عظيمـا، ومن عصـاه خسر خسرانا مبينا.

هذا هو الصحيح في تفسـير الآيـة؛ أن المـراد بالعبـادة هي العبـادة الشـرعية. وهو أحد أقـوال المفسـرين في معـنى الآية، وبيان مقتضى اللام الواردة فيها[4].

---

[1] الجواب الصحيح 6/ 31 – 32.

[2] معالم التنزيل 7/ 380، وينظر زاد المسير 8/ 42.

[3] تفسير القرآن العظيم 7/ 425، وانظر الجامع لأحكام القرآن 15/ 98.

[4] ويرجع إلى بقية الأقوال في تفسير الآية في زاد المسـير في علم التفسير لابن الجوزي 8/ 42 – 43، مجموع الفتاوى 8/ 51 – 53، ورسالة بعنوان: دراسة لقول الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) لشيخنا أ. د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف

قــال شــيخ الإســلام ابن تيميــة: "مقتضى اللام في قوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ الذاريات: ٥٦ ، هذه الإرادة الدينية الشـــرعية، وهـــذه قد يقع مرادها وقد لا يقـــع، والمعــنى أن الغاية الــتي يحب لهم ويرضى لهم، والــتي أمروا بفعلها هي العبادة، فهو العمل الذي خلق العبــاد له: أي هو الــذي يحصل كمـالهم وصـلاحهم الـذي به يكونـون مرضـيين محبـوبين، فمن لم تحصل منه هـذه الغاية كـان عادما لما يحب ويرضى، ويراد له الإرادة الدينية الـتي فيها سعادته ونجاته، وعادما لكماله وصـلاحه العـدم المسـتلزم فساده وعذابه"[1].

فـــبين رحمه الله أن اللام الـــواردة في الآية هي لام التعليل لا لام العاقبة والصيرورة، وأن مقتضاها هو الإرادة الشرعية لا الكونية. فمعنى الآية أن الله تعـالى خلق الجن والإنس بسبب أن يريد منهم العبـادة الشـرعية المتضـمنة للامتثال الأمر والنهي الشرعيين.

فتــبين أن العبــادة الشــرعية المتضــمنة لطاعة الله ورسوله[2]، بامتثال الأوامر والنواهي هي الحكمة الشرعية في خلق العبــاد؛ الجن والإنس, والغاية المحمــودة الــتي يحصل بها العبد الكمال والسعادة والنجاة في الدارين[3].

قال عبد الرحمن بن حسن آل الشـيخ:"ومعـنى الآية: أن الله تعــالى أخــبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته فهذا هو الحكمة في خلقهم, قلت: وهي الحكمة الشـرعية الدينية"[4].

---

الجهني (ص: 24 – 27).

[1] مجموع الفتاوى 8/ 189 – 190، وانظر أيضا مجموع الفتاوى 4/ 236.

[2] مجمـوع الفتـاوى 1/ـ 4، وينظر أيضا مجمـوع الفتـاوى 10/ 456، وجامع الرسائل 2/ 75.

[3] الجواب الصحيح 6/ 29، وينظر مجموع الفتاوى 10/ 150، والفتاوى الكبرى 5/ـ 155، مدارج السـالكين 1/ـ 372 – 375، الفوائد ص: 176.

[4] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص: 15.

فبين رحمه الله أن هذه العبادة هي الحكمة الشـرعية في خلق الجن والإنس.

وبهـذا يتـبين لنا أن الله تعـالى خلق عبـاده لغـايتين عظيمتين، وحكمـتين شـرعيتين، وهمـا؛ العلم به ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته وأحكامه، وعبادته وحـده لا شـريك لـه، عبـادةً تتضـمن كمـال محبته والخضـوع له وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

******

**المبحث الثاني:** كمال غنى الله تعالى عن جميع خلقه, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: اتصاف الله تعالى بالغنى المطلق:

إن الله تعالى غني متصف بالغنى المطلق، فإنه غني لذاته، وغني عن غيره، فلا يحتاج إلي شيء عند أحد من خلقه، فهو القيوم القائم بنفسه، المقيم لغيره.

فلما خلق الله العباد لعبادته، ليس ذلك لحاجة، بل لأنها حقه عليهم الذي استحقه لذاته، لأنه غني من جميع الوجوه والاعتبارات، فلذلك لا يحتاج إلى غيره طرفة عين.

قال ابن القيم:"فهو الخالق، وهو الحكيم، وهو الغني من كل وجه أكمل الغنى وأتمه. وكمال الغنى والحمد في كمال القدرة والحكمة. ومن المحال أن يكون سبحانه وتعالى فقيرا إلى غيره، فأما إذا كان كل شيء فهو فقير إليه من كل وجه، وهو الغنى المطلق عن كل شيء"[1].

وقال أيضا: "إن الله سبحانه غني كريم عزيز رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا. فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه، كما ﭱ ﭲ ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ
ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ
ﭼ الذاريات: ٥٦ - ٥٨ ، و ﮱ ﯓ ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الإسراء: ١١١ . فهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوقُ المخلوقَ، وإنما يوالي أولياءه إحسانا ورحمة ومحبة لهم"[2].

وقد وردت أدلة كثيرة تبين أن الله تعالى غني عن الخلق، فخلقه الخلق لعبادته ليس لحاجة إليهم، ومنها ما يلي:

1- **الدليل الأول:** قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الأنعام: ١٣٣.

---

[1] مفتاح دار السعادة 2/ 1026.

[2] إغاثة اللهفان 1/ 64 – 65.

فــبين تعــالى أنــه الغــني عن جميع خلقه من جميع الوجوه [1].

2- **الدليل الثاني:** والله تعالى غني قـد كمـل في غنـاه، لذلك كان له ملك كل شيء، فكل شـيء تحت ملكـه خلقه وربوبيته، و ﭽ ... ﭼ الحج: ٦٤، و ﭽ ... ﭼ لقمان: ٢٦.

فبين أن جميع ما في السموات وما في الأرض ملــك له، فهو غني عن كل شيء، وكل شيء فقير ومحتاج إليه.

3- **الدليل الثالث:** قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ فاطر: ١٥ – ١٧.

فــبين تعــالى أنه الغـني، فله الغـنى التـام من جميع الوجوه.

قــال العلامة لبن القيم: "فهو – ســبحانه وتعــالى - الغـــنى بالـــذات، وهي – أي الأرواح - الفقـــيرة إليه بالذات، فلا يشاركه سبحانه في غناه مشـارك، كما لا يشـــــاركه في قدمه وربوبيته وملكه التـــــام، وكماله المقـدس مشـارك. فشــواهد الخلق والحـدوث على الأرواح كشواهده على الأبدان. ﭽ ... ﭼ فاطر: ١٥ ، وهذا الخطاب بالفقر إليه للأرواح والأبـــدان ليس هو للأبـــدان فقط وهـــذا الغنى التام لله وحده لا يشركه فيه غيره" [2].

فتـــبين أن الله تعـــالى متصف بكمـــال الغـــنى، ولم يشـــاركه أحد فيـــه. وهو المتصف بـــالغنى المطلق لكمال غناه، فهو الغني من كل وجـه، فهو الغـني ذاتا وقدرا وصفاتا وأفعالا.

4- **الدليل الرابع:** ونظير الآية السابقة قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ محمد: ٣٨.

---

[1] ينظر تفسير القرآن العظيم 3/ 342.

[2] الروح 2/ 435 – 436، وانظر طريق الهجرتين 1/ 12، تيسير الكريم الرحمن ص: 687، أضواء البيان 6/ 701.

فـبين الله تعـالى أنه غـني عن النـاس، وعما ينفقونه من المــال، وإن كــان أمــرهم بإنفــاق أمــوالهم في سبيل الله فلم يأمرهم بذلك حاجة إلى ما عندهم من المــال، لأنه الغــني، فلا يحتــاج إلى شــيء مما عند الخلق مطلقــا، بل الخلق كلهم محتــاجون إليــه، ولا يستغنون عنه طرفة عين.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكـره: ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم، لأنه الغني عن خلقه والخلق الفقراء إليه، وأنتم من خلقه، فـأنتم الفقـراء إليه، وإنما حضكم على النفقة في سـبيله، ليكسـبكم بـذلك الجزيل من ثوابـه..., وروي عن ابن زيد قـال: ليس بالله تعـــالى ذكـــره إليكم حاجة وأنتم أحـــوج إليه"[1].

فدلت الآية إلى كمال غنى الله تعالى، وأن عباده هم الفقـراء إليـه، وأن غنـاه صـفة لازمة له تعـالى، وأن الفقر صفة لازمة لخلقه. فلـذلك كل من بخل بمالـه، فلا يضر الله ببخلـــه، وإنما يضر به نفســـه, لأن الله غني بذاته، لم يشرع العبادة للخلق لحاجة إليها.

5- **الدليل الخامس:** قوله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ ﭼ الحديد: ٢٤.

في هذه الآية والتي قبلها بيان أن من تمام غـنى الله تعـالى عن عبـاده وعما عنـدهم، أنه لا يضـره بخلهم بأموالهم، وذلك لكمال غناه.

6- **الـدليل السـادس:** ومن كمـال غنـاه تعـالى لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه، وذلك لكما غناه، وأنه الغني غـنى مطلقـا، فلم يخلق العبـاد لعبادته لحاجة إليها. ﭢ ﭣ ﭽ ﮬ ﮭ ﮪ ﮫ □□ □ □ □ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ النمل: ٤٠.

فبين الله تعالى أن من شكر الله وأطاعه فلا يستفيد تعــالى من طاعته وشــكره، وإنما يســتفيد منه العبد

---

[1] جامع البيان 21/ 232، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 7/ 324.

المطيع، وكـذلك من كفر فلا يضر الله بكفـره شـيئا، وذلك لكمال غناه تعالى.

قال الطبري: "وقوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ يقول: ومن شكر نعمة الله عليه وفضـله عليـه، فإنما يشــكر طلب نفع نفســه، لأنه ليس ينفع بــذلك غــير نفســـه، لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقـــه، وإنما دعاهم إلى شـكره تعريضا منه لهم للنفـع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه، ولا دفع ضر عنهــا, ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ يقول: ومن كفر نعمه وإحســانه إليــه، وفضـــله عليه لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غــني عن شــكره، لا حاجة به إليــه، لا يضـره كفر من كفر به من خلقـه. كـريم، ومن كرمه إفضـاله على من يكفر نعمـه، ويجعلها وصـلة يتوصل بها إلى معاصيه"[1].

-7 **الدليل السابع:** قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ لقمان: ١٢, ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الزمر: ٧.

قـــال الشـــنقيطي: "قد بين جل وعلا في هـــذه الآية الكريمـة، أنه غـني عن خلقه الغـنى المطلـق، وأنه لا يضره كفرهم به"[2].

-8 **الدليل الثامن:** قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ [آل عمران: ٩٧].

قـال ابن سـعدي رحمـه الله: " ﭽ ﯓ ﯔ ﭼ أي: لعـدم التزامه هـذا الــواجب وتركـه. ثم عظم الشـأن وأكد الوعيد بإخبـاره ما يسـتغنى به عنـه، والله تعـالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد"[3].

-9 **الدليل التاسع:** قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الممتحنة: ٦.

فبين تعالى أن من أعرض عنه وتول فلا يضره ذلــك، كما لا تنفع طاعته إن أطاعـــه. في هـــذه الآيـــات

---

[1] جامع البيان 18/ 75.

[2] أضواء البيان 7/ 49.

[3] تيسير الكريم الرحمن ص:140.

المتقدمة بين تعــالى أنه لا ينفعه طاعة من أطاعـــه، ولا شــكر من شــكره، ولا يضــره كفر من كفــر، ولا عصـيان من عصـاه، وذلك لكمـال غنـاه. فمن أطاعه فلنفسه، ومن كفر فعليها.

10- **الدليل العاشر:** قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ الذاريات: ٥٦- ٥٨.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "والعبـادة هي الغاية الـــتي خلق الله لها العبـــاد من جهة أمر الله ومحبته ورضاه، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ الذاريات: ٥٦، وبها أرسل الرسل، وأنــزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمـال الـذل لله ونهايتــه. فــالحب الخلي عن ذل، والــذل الخلي عن حب، لا يكــون عبـادة، وإنما العبـادة ما يجمع كمــال الأمرين. ولهـذا كـانت العبـادة لا تصـلح إلا للــه، وهي وإن كــانت منفعتها للعبد والله غــني عن العــالمين، فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها"[1].

فبين رحمه الله أن العبـادة الـتي أمر الله بها عبـاده، إنما هي لمنفعتهم، لا لنفع يرجع إليه، ولا لحاجة إليها.

11- **الدليل الحادي عشر:** روى مسلم في صحيحه[2] عن أبى ذر عن النــبي صــلى الله عليه وســلم فيما روى عن الله تبــارك وتعــالى، أنه قــال: «**يا عبــادي إني حـــــرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظـالموا. يا عبـادي كلكم ضـال إلا من هديتـه، فاسـتهدوني أهـدكم. يا عبـادي كلكم جـائع إلا من أطعمتـه، فاسـتطعموني أطعمكم. يا عبـادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئــون بالليل والنهــار، وأنا أغفر الــذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغـــوا ضـــري فتضـــروني، ولن تبلغـــوا نفعي فتنفعـــوني. يا عبـــادي لو أن أولكم وآخـــركم، وإنسـكم وجنكم كـانوا على أتقى قلب رجل واحد**

---

[1] مجموع الفتاوى 10/ 19، جامع المسائل 6/ 236 – 237.

[2] صحيح مسلم ص: 1072، (ح: 6572).

**منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبـادي لو أن أولكم وآخـركم، وإنسـكم وجنكم كـانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شــيئا. يا عبــادي لو أن أولكم وآخــركم، وإنســكم وجنكم قــاموا في صـعيد واحد فسـألوني فـأعطيت كل إنســان مسـألته ما نقص ذلك مما عنــدي، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحـر. يا عبـادي إنما هي أعمالكم أحصـيها لكم ثم أوفيكم إياهـا، فمن وجد خـيرا فليحمد اللـه، ومن وجد غـير ذلك فلا يلـومن إلا نفسه»**.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "والتقـرب إلى الله بالأعمــــــال وطاعته منها ليس من جنس طاعة المخلوق المملـوك لمالكه من وجـوه كثـيرة؛ أحـدها: أن الأمر كما قال قتادة: "إن الله لم يـأمر العبـاد بما أمرهم به حاجة إليـه، ولا نهـاهم عما نهـاهم عنه بخلا بـه، وإنما أمـرهم بما فيه صـلاحهم ونهـاهم عما فيه فسادهم. وأما السيد والملك فهو يأمر عبده وجنــوده بما هو محتـاج إليـه". وفي الحـديث الصـحيح الإلهي يقــول الله: "**يا عبــادي إنكم لن تبلغــوا ضــري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعـوني**". وفيه: "**يا عبـادي إنما هي أعمـالكم أحصـيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد اللـه، ومن وجد غـير ذلك فلا يلــومن إلا نفسه**". وقد قــال ســبحانه وتعالى: ﭽ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨﯩ ﭼ فصلت: ٤٦، وقال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﭼ الإسراء: ٧، قال لقمان: ﭽﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ لقمان: ١٢، وقال: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [آل عمران: ٩٧], فهو سـبحانه يـبين غنـاه عن أعمـال خلقــه، وأنهم إنما يعملون لأنفسـهم، وإنما هو سـبحانه لكمـال إحسـانه وإنعامه على عباده المؤمنين أمرهم بالجهاد، وأمرهم بالصدقة، وأخبر أن ذلك نصر له، وإقراض منه، فقال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ [البقــرة: ٢٤٥]، وهم إنما يجاهــدون ويتصــدقون بإعانته لهم، وهو المحسن بـــــــالأمر إليهم، وهو المحسن

بالإعانة لهم، وهو المحسن بالجزاء لهم، وقد ﭢ ﭣ ﭤ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ محمد: ٤, وكذلك لو شاء أن يغني الفقراء فلا يقترض لهم من الأغنيــاء ما يثابون عليه إذا أعطوه لهم، وهذا النصر له والقــرض بحكم إلهيته المتضــمنة لعبادته وحــده لا شــريك له وطاعته طاعة رســـــوله، ثم الــــذي هو يخلق ذلك وييشـــــره بحكم ربوبيتـــــه، فله الحمد في الأولى والآخـرة، وله الحكم وإليه يرجعـون. لا رب غـيره ولا إله إلا هـــو، كما أنه هو المنعم بالنعمـــــة، والمنعم بالشكر عليها، والمنعم بجزاء الشاكرين"[1].

وقال ابن رجب: "وقوله: "**يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضـري فتضـروني، ولن تبلغـوا نفعي فتنفعـوني**" يعني: أن العبـاد لا يقـدرون أن يوصـلوا إلى الله نفعا ولا ضـرا، فـإن الله تعـالى في نفسه غـني حميـد، لا حاجة له بطاعـات العبـاد، ولا يعـود نفعها إليـه، وإنما هم ينتفعــون بهــا، ولا يتضــرر بمعاصــيهم، وإنما هم يتضررون بها، قال الله تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [آل عمران: ١٧٦], وقال: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [آل عمران: ١٤٤].

وكــان النــبي - صــلى الله عليه وســلم - يقــول في خطبته: "**ومن يعص الله ورســوله فقد غــوى، ولا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شــيئا**". قـــال الله عز وجل: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ [النساء: ١٣١]، وقال حاكيا عن موسى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ إبراهيم: ٨ ، وقال: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [آل عمران: ٩٧ ]، وقال: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الحج: ٣٧]، والمعنى: أنه تعالى يحب من عبــاده أن يتقــوه ويطيعــوه، كما أنه يكــره منهم أن يعصوه، ولهذا يفرح بتوبة التــائبين أشد من فــرح من ضــلت راحلته الــتي عليها طعامه وشــرابه بفلاة من الأرض، وطلبها حــتى أعــيى وأيس منهــا، واستســلم

[1] جامع المسائل 4/ 281 – 283، وانظر مجموع الفتاوى 8/ 71 – 72.

للمـــوت، وأيس من الحيـــاة، ثم غلبته عينه فنـــام، فاسـتيقظ وهي قائمة عنـده، وهـذا أعلى ما يتصـوره المخلـوق من الفـرح، هـذا كله مع غنـاه عن طاعـات عباده وتوباتهم إليه، وإنه إنما يعود نفعها إليهم دونــه، ولكن هــذا من كمــال جــوده وإحســانه إلى عبــاده، ومحبته لنفعهم، ودفع الضـــــرر عنهم، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخـافوه ويتقـوه ويطيعـوه ويتقربوا إليه"[1].

فتبين مما سبق أن الله متصف بالغنى المطلق، وأنه غني بذاته، فلا يحتاج إلى شيء عند أحد من خلقه، وأنه لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه، فكل من أحسن فإنما أحسن لنفسه، ومن أساء فعليها. فلــذلك يتــبين أن الخلق فقــراء محتــاجون إليــه، وأنه إنما خلقهم ليأمرهم بعبادته وطاعته، لحـاجتهم إلى عبادته بالضـرورة، لأنها بها صلاحهم، وبعـدمها فسـادهم، لا لحاجة الله تعـالى إليهــــا. وإنما أمـــــرهم بالعبـــــادة وأحبها لهم ورضي بها لصلاحهم، وهم المنتفعون بها دونه.

*******

---

[1] جامع العلوم والحكم 2/ 667 - 668.

**المطلب الثاني**: افتقار الخلق إلى الله يلزمهم الإنابة إليه:

قد سبق تقرير أن الله تعالى غني لذاتـه، وأن الغـنى المطلق صـفة لازمة له تعـالى، فلما كـان تعـالى غنيا عن الخلق، فهم فقراء محتاجون إليه من جميع الوجـوه. الفقر وحاجة الخلق إلى الله صـفة لازمة لهم، وذلك لأن الله هو المتصف بالغنى المطلق المتفرد بكمـال الغـنى، فلا بد أن يكون غيره مفتقر ومحتاج إليه تعالى. والخلق كلهم فقراء إلى الله، وهو الذي يرزقهم ويمدهم بما يحتاجون إليـه في حياتهم وشؤونهم كلها, ﭠ ﭡ ﭢ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ فاطر: ١٥ – ١٧, وﭠ ﭡ ﭢ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩﯪ ﭼ محمد: ٣٨.

فبين تعالى أن الناس فقـراء إلى اللـه، محتـاجون إليه في جميع ســكناتهم وحركـــاتهم، فلا يســتغنون عنه في كل تقلبـاتهم وجميع حيـاتهم وشـؤونهم في حيـاتهم ومـمـاتهم، فهم محتاجون إليه من جميع الوجوه.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكـره: يا أيها النـاس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم، فإياه فاعبـدوا، وفي رضـاه فسارعوا، يغنيكم من فقـركم، وتنجح لديه حـوائجكم. ﭽ ﮪ ﮫ ﮬﭼ عن عبادتكم إياه، وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم"[1].

فـبين رحمـه اللـه أن جميـع النـاس ذووا حاجـة إلى ربهم وخـالقهم ورازقهم ومـدبر شـؤونهم، وأن اللـه غـني عنهم وعن عبادتهم.

وقال الحافظ ابن كثير: "أي: هم محتــاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات"[2].

ففي هــذه الآيــة بين اللــه تعـالى أن النــاس فقــراء محتاجون إليه من جميع الوجوه، فأجمل ذلك في قولـه: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ فدلت الآية على أنهم فقراء إلى الله ومحتاجون إليه في جميع الوجوه.

وقد فصل ذلـك ابن سـعدي رحمـه الله عند تفسـيره للآية فقـال: "يخـاطب تعـالى جميع النـاس، ويخـبرهم بحـالهم

---

[1] جامع البيان 19/ 352.

[2] تفسير القرآن العظيم 6/ 541.

ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجـوه: فقـراء في إيجادهم، فلولا إيجـاده إيـاهم، لم يوجـدوا, فقـراء في إعدادهم بـالقوى والأعضـاء والجـوارح، الـتي لـولا إعـداده إياهم بها، لما استعدوا لأي عمل كان, فقراء في إمـدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنـة، فلـولا فضـله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل لهم من الرزق والنعم شـــيء, فقـــراء في صـــرف النقم عنهم، ودفع المكـــاره، وإزالة الكـــروب والشـــدائد. فلـــولا دفعه عنهم، وتفريجه لكربـــاتهم، وإزالته لعســـرهم، لاســـتمرت عليهم المكـــاره والشدائد, فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربيـة، وأجنـاس التدبير., فقراء إليه، في تألههم لـه، وحبهم لـه، وتعبـدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يـوفقهم لـذلك، لهلكـوا، وفسـدت أرواحهم، وقلـوبهم وأحـوالهم, فقـراء إليـه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصـلحوا, فهم فقـراء بالـذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سـواء شـعروا ببعض أنـواع الفقر أم لم يشـعروا، ولكن الموفق منهم، الـذي لا يـزال يشاهد فقره في كل حال من أمـور دينه ودنيـاه، ويتضـرع لـــه، ويســـأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هـذا المعـنى في كل وقت، فهذا أحـرى بالإعانة التامة من ربه وإلهـه، الـذي هو أرحم به من الوالدة بولدها"[1].

**وجوه افتقار العباد وشدة حاجتهم إلى الله تعالى:**

فيما سبق فصّل الشيخ ابن سعدي رحمه اللـه وجـوه افتقار الخلق إلى اللـه خـالقهم ورازقهم ومـدبر أمـورهم، وإلههم ومعبودهم في الأوجه الآتية:

1- فالعبـاد فقـراء إلى الله في إيجـادهم، فلـولا إيجـاده إياهم لم يوجدوا.
2- فهم فقـــراء إليه في إعـــدادهم بـــالقوى والأعضـــاء والجوارح، التي لولا إعـداده إيـاهم بهـا، لما اسـتعدوا لأي عمل كان.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 687.

3- فهم فقـــراء إليه في إمـــدادهم بـــالأقوات والأرزاق والنعم الظـاهرة والباطنـة، فلـولا فضـله وإحسـانه وتيسـيره الأمـور، لما حصل لهم من الـرزق والنعم شيء.

4- فهم فقـــــراء إليه في صـــــرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكربـــاتهم، وإزالته لعســرهم، لاســتمرت عليهم المكاره والشدائد.

5- فهم فقراء إليه في تربيتهم بـأنواع التربيـة، وأجنـاس التدبير.

6- فهم فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم لـه، وتعبـدهم، وإخلاص العبـادة له تعـالى، فلو لم يـوفقهم لـذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم.

7- فهم فقراء إليـه، في تعليمهم ما لا يعلمـون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقـه، لم يصلحوا ولم يهتدوا[1].

ومما يدل على هذه الوجوه التي تـبين افتقـار الخلـق إلى الله خالقهم إلههم الحديث القدسـي السـابق الـذي رواه مسلم في صحيحه[2] عن أبى ذر عن النـبي صـلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى.

فدل الحـديث على أن الخلق كلهم فقـراء محتـاجون إلى الله تعالى من كل وجه؛ ودل على أن العبـاد ضـلال فهم محتـاجون إلى هداية الله تعـالى لهم، وأنهم جيـاع محتـــاجون إلى إطعـــام من الله تعـــالى، وأنهم عـــراة محتـاجون إلى أن يكسـوهم اللـه، وأنهم مخطئـون فهم محتـاجون إلى مغفرته تعـالى، ثم دل على كمـال غنـاه عنهم وأنهم عـــاجزون عن نفعـــه، لكمـــال غنـــاه، وأنهم عاجزون عن ضـره لكمـال عزتـه، وأنهم عبـاده كلهم لا ينفعونه بتقـــواهم لكمـــال ملكه وغنـــاه، وكـــذلك أنهم لا يضـرونه بفجـورهم لكمـال عزته وملكه وغنـاه، وأنهم لا

---

[1] انظر تيسير الكريم الرحمن ص: 687.

[2] صــحيح مســلم ص: 1072، (ح: 6572)، وقد ســبق ذكر الحديث في ص: 323.

ينقصونه شيئا بسؤالهم حاجاتهم إياه وإعطائه لهم إياها، لكمال ملكه وغناه، وأن جميع أعمال العباد إنما هي لمنفعتهم ومصلحتهم، لا لمنفعته هو سبحانه، وذلك لكماله ملكه وغناه. فدلالة الحديث على شدة افتقار العباد إلى الله ربهم ظاهرة.

قال ابن رجب: "قوله: "**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم**", هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، وإن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئا من ذلك كله، وإن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق فإنه يحرمهما في الدنيا. ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوبقته خطاياه في الآخرة"[1].

**افتقار العباد إلى الله في التأله له أفضل وجوه افتقارهم إليه:**

فالعبد فقير محتاج إلى الله، وأن فقره وحاجته صفتان متلازمتان له، لا تنفكان عنه، وأن العبد يحتاج إلى ربه في ألوهيته لأجل منفعته ومصلحته. لأن منفعة العبادة إنما ترجع إليه لا إلى الله تعالى، كما كان ذلك في المخلوق، لأن المخلوق هو الذي ترجع إليه منفعة أمره ونهيه لمملوكه. وأما الله الخالق الغني فلا ينفعه طاعة الطائعين، ولا عبادة العباد، وإنما هي راجعة إليهم دونه سبحانه وتعالى[2].

وأهم وجوه افتقار العباد إلى الله تعالى هو افتقارهم إليه في التأله له وعبوديتهم له، وأن يكون هو إلههم ومعبودهم وحده لا شريك له. لأنهم مفطورون على التأله إلى الله تعالى، وهم مضطرون إلى الخضوع إليه، فلا

---

[1] (?) جامع العلوم والحكم 2/ 660 – 661.

[2] (?) إغاثة اللهفان 1/ 65 – 66.

تصــلح نفوســهم ولا تحصــل على الســعادة والكمــال والطمأنينة والسكينة إلا بأن تتأله إلى الله تعالى، محبة له وخشية إليه وخضوعا له.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "فـالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودهــا ومنتهى مرادها وبغيتهــا، ومن حيث هو ربها وخالقهـــا. فمن آمن بالله رب كل شـــيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده، بحيث يكـون الله أحب إليه من كل ما سواه، وأخشى عنده من كل ما سـواه، وأعظم عنده من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سـواه، بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب اللـــه، ويخشـــاه مثل ما يخشى اللـــه، ويرجــوه مثل ما يرجو اللــه، ويــدعوه مثل ما يــدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله"[1].

فبين رحمه الله أنه كما أن العبد محتــاج إلى ربه في كونه خالقا ورازقا ومــدبرا، كـذلك هو محتــاج ومفتقر في عبوديته إلى الله في كونه إلها له ومعبـــــودا، بحيث يحبه ويخضع له ويخافه ويرجوه، ويدعوه ويستعين به، ويخشاه، فيحتاج العبد أن يكون عبدا لله محبا لـه، ذليلا خاضـعا لـه، خائفا راجيا إياه.

وقال شيخ الإسلام أيضا: "ألا تـرى أن النـاس يعرفـون من أحـوال من تتعلق به منـافعهم ومضـارهم، كـولاة أمـورهم وممالكيهم وأصـدقائهم وأعـدائهم مـالا يعلمونه من أحـوال من لا يرجونه ولا يخافونه، ولا شـيء أحـوج إلى شـيء من المخلوق إلى خالقه، فهم يحتاجون إليه من جهة ربوبيته، إذ كان هو الذي خلقهم، وهو الذي يأتيهم بالمنافع ويدفع عنهم المضار: ﭽ [illegible] ﭼ النحل: ٥٣، وكل ما يحصل من أحد فإنما هو بخلقه وتقــديره وتســبيبه وتيسـيره. وهـذه الحاجة الـتي تـوجب رجـوعهم إليه حـال اضطرارهم، كما يخـاطبهم بـذلك في كتابه وهم محتـاجون إليه من جهة ألوهيتـه، فإنه لا صـلاح لهم إلا بـأن يكـون هو معبـودهم الـذي يحبونه ويعظمونـه، ولا يجعلـون له أنـدادا يحبــونهم كحب اللـــه، بل يكـــون ما يحبونه ســواه كأنبيائه

[1] الجواب الصحيح 6/ 31 – 32.

وصالحي عباده إنما يحبونهم لأجله، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سـلم أنه قـال: "**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كـان يكــره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقــذه الله منــه، كما يكره أن يلقى في النار**"[1].

ومعلــوم أن الســؤال والحب والــذل والخــوف والرجــاء والتعظيم والاعتراف بالحاجة والافتقار ونحو ذلك مشروط بالشـعور بالمسـؤول المحبـوب المرجو المخـوف المعبـود المعظم الذي تعترف النفوس بالحاجة إليه والافتقار، الذي تواضع كل شيء لعظمته واستسلم كل شيء لقدرته وذل كل شيء لعزته"[2].

فــــبين رحمه الله أن العبد محتــــاج إلى الله في ألوهيته وعبادته وطاعته كما أنه محتاج إليه في ربوبيته وتدبيره.

---

[1] متفق عليه؛ صحيح البخاري 1/ 22، (ح: 16)، وصحيح مسلم ص: 90 – 91، (ح: 165).

[2] درء تعارض العقل والنقل 3/ 135 – 136.

**كمال العبد في افتقاره الاختياري إلى الله:**

لما كان العبد محتاجا ومفتقرا إلى الله تعالى افتقـارا اضطراريا أو اختياريا، وأن الافتقار لا ينفك عنه، لأنه صـفة ملازمة له[1]. كان كماله في افتقـاره الاختيـاري إلى اللـه، وهو الافتقار المتضمن محبته والخضوع لـه، الـذي هو عين غناه وفلاحه وسعادته[2]. فكلما كان العبد أشد افتقـارا إلى الله، كان أكمل وأفضل.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "أما العبد فكماله في حاجته إلى ربه وعبوديته وفقــره وفاقتــه، فكلما كــانت عبوديته أكمل كان أفضل. وصدور ما يحوجه إلى التوبة والاستغفار مما يزيده عبودية وفقرا وتواضعا"[3].

بهـذا يتـبين لنا أن الخلق كلهم فقـراء محتـاجون إلى ربهم في ربوبيته وفي ألوهيته وعبادتــــه، لأن صـــــلاحهم وسعادتهم وفلاحهم وطمأنينتهم في عبادته وحده لا شريك لــه، وذلك يســتلزم أن يعبــدوا الله وحــده لا شــريك لــه، محـبين له وخاضـعين لطاعتـه، ومنيـبين إليه مقبلين عليه بالتوبة والطاعة والخضوع والخشية.

*******

---

[1] مدارج السالكين 4/ 2574.
[2] طريق الهجرتين 1/ 13 – 19.
[3] منهاج السنة النبوية 2/ 407.

# الباب الثالث

# الدلائل العقلية على توحيد الألوهية,

وفيه أربعة فصول:

## الفصل الأول:
دلالة الآيات المخلوقة على توحيد الألوهية.

## الفصل الثاني:
دلالة الأمثال المضروبة على توحيد الألوهية

## الفصل الثالث:
دلالة دليل التمانع على توحيد الألوهية

## الفصل الرابع:
دلالة أوصاف الآلهة الباطلة على توحيد الألوهية

**تمهيد: المراد بالأدلة العقلية:**

الدلائل العقلية هي التي تُفهم وتُدرك بالعقل بمجرد تفكر الإنسان وتصوره للأمور، قال ابن سعدي – رحمه الله - : "الدلائل العقلية هي التي تدرك بمجرد فكر العقل وتصوره للأمور"[1].

فإذا تفكر الإنسان عن الشيء وصوّره في ذهنه يصل إلى معرفة حقيقته والعلم به، فإذا وصل إلى معرفة هذا الشيء بعقله، صار العقل دليلا إلى هذا الأمر.

ومن رحمة الله تعالى للإنسان ولطفه به أن ميّزه عن الأنعام بالعقل، لأن الإنسان محل تكليف، فأعطاه الله العقل كي يتفكر ويصل به إلى معرفة الحقائق. فصار العقل دليلا من الدلائل الموصلة إلى حقائق الأمور، ولذا كان الله تعالى يخاطب الكفار في كثير من الآيات بقوله: ﭼﮪ ﮫ ﭼ البقرة:44. فدل على أن العقل يدل على المطلوب ويرشد إلى الحقائق ويوصل إلى العلم بالشيء.

ومن الدلائل العقلية التي تدل على توحيد الألوهية الآيات المخلوقة، لأن المخلوقات نفسها إذا تفكر فيها الإنسان يصل بها إلى العلم بأن الله تعالى هو خالقها وموجدها فيستحق أن يعبده وحده، وإن كان ذلك مركوز في الفطر من قبل، لكن لكونه قد يطرأ عليه النسيان أو الشك أقام الله هذه الدلائل تذكيرا للفطرة الأولى.

وهذه الآيات الكونية المخلوقة دلالتها حسية، لأن الإنسان يباشرها، وتدله على الحقائق، ومن أعظم ما تدل عليه هو تفرد الله تعالى ووحدانيته في أفعاله وربوبيته، وفي كماله وأسمائه وصفاته، وفي ألوهيته واستحقاقه لأن يُعبد وحده لا شريك له، وفي ذلك قول الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل عل أنه وحد[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالآيات الدالة على الرب تعالى؛ آياته القولية التي تكلم بها كالقرآن، وآياته الفعلية التي خلقها في الأنفس والآفاق تدل عليه، وتحصل بها التبصرة والذكرى. وإن كان الرب تعالى قد عرفتْه

---

[1] (?) انظر تيسير الكريم الرحمن ص: 125.

[2] (?) ديوان أبي العتاهية (ص 122).

الفطرةُ قبل هذا، ثم حصل له نـوع من الجهل أو الشك أو النسيان ونحو ذلك"[1].

ولما كـان في نفس خلق الإنسـان وخلق السـموات والأرض آيــات ودلائل تــدل على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته دلالة عقلية حسية، أخبر تعالى أنه سـيري عبـاده هذه الآيات الموجـودة المودعة في أنفسـهم وفي الآفـاق، رحمة بعباده كي يتوصلوا بها إلى معرفة استحقاق خـالهم للألوهية والعبودية. ﭨ ﭩ ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﭼ النمل: ٩٣، فـبين تعـالى أنـه تعـالى سـيري عبـاده آياتـه الكونيـة الخلقيـة ليعرفـوا بهـا أن خـالقهم هـو المسـتحق للعبوديـة وحده لا شريك له.

وهــذه الآيــات المشــار إليها هي الآيــات الأفقية والنفسية، كما بين تعالى في آية أخرى، فقال: ﭽ ... ﭼ فصلت: ٥٣، فاشتملت هذه الآية بيان أنواع الآيات التي سيريها اللـه عبـاده كي تكـون أدلـة عليه وعلى دينه الذي جاءت به رسله[2].

وقوله تعالى: ﭽ ... ﭼ فصلت: ٥٣، يبين أن هذه الآيات علامات ودلائـل تـبين وتـدل على أن الـذي جـاء بـه الرسول صلى الله عليه وسلم حـق من عنـد ربـه، والـذي جاء بـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم هـو القـرآن [3]، وأعظم ما تضمن عليه القرآن هـو توحيـد اللـه تعـالى في ألوهيتــه وعبوديتــه، فهــذا وجــه دلالــة هــذه الآيــة على المقصود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"ﭽ ... ﭼ فصلت: ٥٣ ، ثم قال: ﭽ ... ﭼ فصلت: ٥٣ ، فأخبر أنه سيري الناس في أنفسهم وفي الآفــاق من الآيــات العيانية المشــهورة المعقولة ما يبين أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق، فيتطــابق العقل والسـمع ويتفق العيـان والقـرآن وتصـدق المعاينة

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 8/ 533 – 534.

[2] انظر معالم التنزيل 7/ـ 179، والجـامع لأحكـام القـرآن 16/ 226، 18/ 436 - 438.

[3] انظر زاد المسير 7/ 268.

للخبر. وإذا كان القرآن حقا لزم كون الرسـول الـذي جـاء به صـادقا، وأن الله تعـالى أنزلـه، وأنه يجب التصـديق بما أخبر به والطاعة لما أوجبه وأمر بـه، وذلك يتضـمن إثبـات الصانع وتوحيده وأسماءه وصفاته، وإثبات النبوات، وإثبات المعـاد، وهـذه هي أصـول العلم والإيمـان الـتي علقت بها السعادة والنجاة"[(1)].

---

[1(?)] الجواب الصحيح 6/ 378 – 379، وانظر أيضا مجموع الفتاوى 3/ 331 – 332، 7/ 236، الصواعق المرسلة 2/ 763 – 764.

# الفصل الأول

## دلالة الآيات المخلوقة على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

### المبحث الأول: دلالة آيات الأنفس على توحيد الألوهية,

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة ما في نفس العبد من العبر والحكمة

المطلب الثاني: دلالة خلق الإنسان أطوارا بعد أطوار

المطلب الثالث: دلالة نعم الله على العبد

### المبحث الثاني: دلالة آيات الآفاق على توحيد الألوهية,

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة آيات الآفاق في العظمة والسعة، وانتظام الحركة على عظمة خالقها

المطلب الثاني: دلالة آيات الآفاق في الإحكام والإتقان على حكمة الله، وسعة علمه

المطلب الثالث: دلالة آيات الآفاق وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله

## المبحث الأول: دلالة آيات الأنفس على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: دلالة ما في نفس العبد من العبر والحكمة:

الآيــات النفســية هي نفس خلق الإنســان، فــإن ما أودعه الله تعالى في نفس الإنسان من خلقه آيات بيِّنــات تدل على كمال صـنع الله تعـالى، وأنه ما خلق هـذا الخلق عبثــا، وإنما خلقه لغاية عظيمـــة، وهي عبـــادة خـــالقهم ومــالكهم ومــدبرهم، ففي خلق الإنســان دلائل تدله على خالقه ومعبــوده ومألوهــه. فالإنســان نفسه دليل لنفسه على خالقه المستحق لأن يعبـده وحـده. وهـذا دليل عقلي شرعي صحيح لأن القرآن دل عليه.

قال شيخ الإسلام: "إن الاستدلال على الخــالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاســتقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى النـاس إليها وبينها، وأرشد إليها، فإن الإنسان هو المستدل وهو الدليل والبرهان. قال تعالى: ﴿ ﴾ الذاريات: ٢١ "[1].

وقد دل على هذا آيات في كتاب الله منها:

**أولا:** قوله تعالى: ﴿ ﴾ الذاريات: ٢١.

فــذكر الله تعــالى أن في نفس الإنســان آيــات دالة عليه تعالى، وهي دلالتها على أن الخـالق الموجد هو المسـتحق بأن تخضع له وتذعن له وتعبده وحده دون غيره.

قال قـوام السـنة الـتيمي[2] – رحمه الله -: "قـال أبو يوسف[3]: "لم يقل الله تعـــالى: انظر كيف أنا العـــالم،

---

[1] النبوات ص: 48.

[2] إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي أبو القاسم التيمي قوام الســنة الأصــبهاني، المولــود 457 هـ، الحافظ الكبــير من أعلام الحفاظ. كـان إماما في التفسـير والحـديث واللغـة. وهو من شـيوخ الســمعاني في الحــديث. من كتبه (الجــامع) في التفســير، و(دلائل النبوة)، و(سـير السـلف)، و(شـرح الصـحيحين)، و(الحجة في بيـان المحجة)، وتوفي 535 هـ. (انظر سير أعلام النبلاء20/ 80 – 88، وشذرات الذهب 6/ 174، والأعلام للزركلي 1/ 323).

[3] يعقوب بن إبراهيم بن حـبيب بن حـبيش بن سـعد بن بجـير بن معاوية الأنصاري، القاضي أبو يوسف الكوفي، هو الإمام، المجتهـد، العلامة، المحدث، قاضي القضاة، قاضي القضاة، صاحب أبي حنيفة، المولـود 113 هـ، وقال الذهبي: "بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه،

وكيف أنا القـادر وكيف أنا الخـالق ولكن قـال: انظر كيف خلقت، ثم قال: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﯨ ﭼ النحل: ٧٠ ، وقال: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ الذاريات: ٢١ ، أي: تعلم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها ويبدئها وأنه مكون ذلك (مني) كونـك، وإنما دل الله خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم ربا يعبدوه ويطيعوه ويوحـدوه وليعلموا أنه مكونهم لا هم كانوا"[1].

فتبين أن الغاية من اسـتدلال بخلق الإنسـان على الخـالق هو أن يعرف العباد أنه معبودهم فيعبدوه وحـده لا شـريك له، ليس مجرد أن يعرفوا أنه خالقهم فقط. فـدل على أن خلق الإنسان دليل على توحيد الألوهية.

**ثانيا:** قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼالتين: ٤.

بين تعـالى أنـه خلـق الإنسـان في أعـدل قامـة، وأحسـن صورة وشكل [2]، وفي ذلـك من الآيـات والعـبر والحكم[3]، والإتقـان ولطف الله تعـالى ورحمته ما يـدل على أن وراء خلقه غاية عظمى، وأنه ما خلقه سـدى، وأن الخـالق هو الأحد الفرد الصـمد، الـذي تقصد إليه في قضـاء الحـوائج، فلا يدعى إلا هو ولا يستعان به ولا يعبد إلا هو وحده.

قـال العلامة ابن القيم -رحمه اللـه-: "إن الـذي كمّل خلقك في أحسن تقويم بعد أن كنت نطفة من ماء مهين، كيف يليق به أن يتركك سدى لا يكمِّل ذلك بـالأمر والنهي، وبيان ما ينفعك ويضرك، ولا يبعثك لدار هي أكمل من هذه الـدار، ويجعل هـذه الـدار طريقا لك إليهـا، فحكمة أحكم الحاكمين تأبى ذلك وتقضي خلافه"[4].

---

وكان الرشيد يبالغ في إجلاله"، وتوفي يـوم الخميس، خـامس ربيع الأول، سـنة اثنـتين وثمـانين ومائـة. (انظر سـير أعلام النبلاء ط الرسالة (8/ 535 ـ 538)، وأخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص: 97 ـ 108)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (3/ 611 ـ 613)، أخبار القضاة (3/ 254 - 264).

[1] الحجة في بيان المحجة 1/ 123.

[2] انظر معالم التنزيل 8/ 472، تفسير القرآن العظيم 8/ 435، التبيان في أيمان القرآن (ص: 72 – 73).

[3] التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 371.

[4] التبيان في أيمان القرآن (ص: 81).

في ذلـك آيـات تـدل على أن اللـه لم يخلـق الإنسـان سدى، بل لا بد أن يُؤمر ويُنهى، ويعبد الله وحده لا شـريك له، لأن تفرد الله تعالى بخلق الإنسـان من أعظم الـدلائل على توحيد الله في ربوبيته، وفي أسـمائه وصـفاته، وعلى استحقاقه للألوهية والعبودية.

**ثالثا:** قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ يس: ٧٧. أنكر الله على الإنسان عـدم تـدبره في خلقـه، لأنه لو تــدبر في الحكم والعــبر الــتي في خلقه لما كــان خصــيما للرسل في ما جــاؤوا به من وجــوب إفــراد الله تعالى بالعبادة، وتصديق الرسل والإقرار بالمعاد.

قال العلامة ابن القيم –رحمه اللـه- : "خلق الإنسـان فإنه من أعظم الأدلة على التوحيد والمعــــــاد، وأي دليل أوضح من تـركيب هـذه الصـورة الآدمية بأعضـائها وقواها وصفاتها، وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصــاب والرباطـــــــات والمنافذ والآلات والعلـــــــوم والإرادات والصــناعات، كل ذلك من نطفة مــاء فلو أنصف العبد ربه لاكتفى بفكـره في نفسه واسـتدل بوجـوده على جميع ما أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته"[1].

**رابعا:** قوله تعالى: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ التغابن: ٣، وقال ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ الانفطار: ٦ – ٨، وقال ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ غافر: ٦٤ – ٦٥.

في هذه الآيات بيان أن الله تعالى أحسن صـورة الإنسـان وأحسن خلقه فجعله في أحسن تقويم، وأنه تعالى يستدل بــذلك على ألوهيته واســتحقاقه للعبــادة. فيجب عبادته وحده لا شريك له.

قال الحافـظ ابن كثـير –رحمـه اللـه- :"أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقــويم، ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ أي: من المآكل والمشارب في الدنيا. فذكر أنه خلق الدار، والسـكان، والأرزاق -فهو الخـالق الـرازق،

[1] الفوائد (ص 12)، وانظر العظمة 1/ 271 – 280، التبيان في أيمان القرآن (ص: 457 – 490).

كما قال في سورة البقرة: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ
ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ
ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼالبقرة: ٢١ - ٢٢ ، وقال هاهنا
بعد خلق هذه الأشياء: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ أي:
فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم . ثم قال: ﭽ ﮱ ﯓ
ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ أي: هو الحي أزلا وأبدا، لم يزل ولا
يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ
ﯘ ﭼ أي: لا نظير له ولا عديل له، ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ أي:
موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ"[1].

وقد وردت آيات كثيرة تدل أن خلق الإنسان فيه الحكم والعبر التي تدل على أن الله تعالى هو الأحد الصمد، هو المتفرد في ربوبيته وأسمائه وصفاته وهو المستحق للألوهية، الذي يجب على الخلق أن يقصدوه تألها وعبادة وخضوعا وطلبا لقضاء الحوائج، ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ المؤمنون: ٧٨ – ٧٩، و ﭧ ﭨ ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الأنعام: ٩٨.

فبين الله تعالى في هذه الآيات أنه بدأ خلق الإنسان من نطفة، وذلك من نفس واحدة، ثم أسبغ عليه من نعم السمع والبصر والفؤاد وذلك بلطفه ورحمته، وكل ذلك يتطلب شكر الله على هذه النعم، وذلك بعبادته وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ ليدل على وجوب شكره على هذه النعم، الذي يكون بتوحيده في الألوهية وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له[2].

*********

---

[1] تفسير القرآن العظيم 7/ 156.

[2] انظر تيسير الكريم الرحمن ص: 556.

**المطلب الثاني**: دلالة خلق الإنسان أطوارا بعد أطوار:

إن الله تعـالى لم يخلـق الإنسـان صـدفة، بـل خلقـه أطوارا، فجعله معتدل الخلق، متناسب الأعضـاء، منتصـب القامـة حـتى تم خلقـه، ليـدل على حكم عظيمـة وغايـات جليلة، ومنها؛ ليعرف العباد عظمة الله خـالقهم فيوحدونـه بالعبادة، ويعرفون عظم نعمه عليهم، حيث تكفل بتربيتهم ورعايتهم منذ بداية خلقهم لمـا كـانوا نطفـة (مـاء مهينًـا)، إلى أن كانوا خلقا ضعيفا، ومر بمراحل في حالـة الضـعف حتى تم خلقهم، إلى أن أخرجهم إلى الدنيا.

وهـــذه النعمـــة تســـتدعي شـــكر اللـــه المنعِم على الإنسان، وذلك بالانقياد له وطاعته وعبادته وحده لا شريك لـه، فكـان ذلـك دليـل على توحيـد اللـه تعـالى بالعبـادة، واستحقاقه للألوهية وحده لا شريك له.

وقد وردت آيات كثيرة في تصوير خلق الإنسان وأنـه خلق أطـوارا، في مراحـل عديـدة، ليـدل على كمـال اللـه تعالى وتوحيده، ومنها:

**أولا:** قوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼنوح: ١٣ – ١٤.

قد روى الإمـام الطـبري عبـارات السـلف في تفسـير هـذه الآية، منهم من قـال: "مـا لكم لا تـرون للـه عظمة"، ومنهم من قـــال: "لا تبـــالون لله عظمـــة"، ومنهم من قـــال: "لا تعظمـون اللـه حـق عظمته"، ومنهم من قـال: "مـا لكم لا تعلمون لله عظمة"، ومنهم من قال: "ما لكم لا تخافون لله عظمة"[1]، وكلها عبارات متقاربة في المعـنى تـدل على أن الله تعالى يذم الذين لا يعظمونه، وقد خلق النـاس أطـوارا، أي حالا بعد حال، فدلت الآية على أن كل من لم يُعظِّم اللـه تعالى ويخافه فهو مذموم عند الله تعالى، لأن خلقه الإنسان أطوارا يستوجب تعظيم الله تعـالى، وذلـك بعبادتـه وحـده لا شريك له، وطاعته والانقياد له.

ورُوي عن الحسن: "لا تعرفون لله حقا، ولا تشكرون له نعمـة"[2]، فـدل على أن لله حقا على الإنسـان، الـذي خلقه أطـوارا، وأنه يجب عليه شـكر هـذه النعمـة، وذلك

---

[1] انظر جامع البيان 23/ 294 – 297.

بعبادته وحده لا شـريك لـه، وهـذا هو حق الله الـذي كـان عليه.

قال الواحدي: "المعنى: لا تعلمون حق عظمته فتوحـــدوه، وتطيعــــوه، وقد جعل لكم في أنفســـكم آية تــــدل على توحيــده: من خلقه إيــاكم، ومن خلق الســموات والأرض، وهو قوله: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼنوح: ١٤"[1].

وقال ابن الجوزي: "قوله: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼنوح: ١٤، أي: وقد جعل لكم في أنفســكم آية تــدل على توحيــده من خلقه إيــاكم من نطفــة، ثم من علقة شــيئا بعد شــيء إلى آخر الخلق"[2].

وقــال القرطــبي: "ومعنــاه ما لكم لا تثبتــون وحدانية الله تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه، قاله ابن بحر. ثم دلهم على ذلك فقال: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼنوح: ١٤، أي جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده"[3].

فتـــبين دلالة الآية على التوحيـــد، وأن خلق الإنســـان أطــوارا دليل على وجــوب إفــراد الله بالألوهية وتوحيــده بالعبادة.

**ثانيا:** وقوله تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ الروم: ٥٤.

في هذه الآية بيان مراحل خلق الإنسان من الضعف؛ من نطفة وماء مهين فأنشأه الله بشرا سويا، ثم جعل لــه قوة على التصرف من بعد خلقه إياه من ضعف، ومن بعد ضـعفه، بالصـغر والطفولة ثم أحـدث لـه الضـعف بـالهرم والكبر وشيبة عما كان عليه قويا في شـبابه[4]، فيـدل ذلك على عظمة الله فيقتضي توحيده بالعبادة.

---

(?)[2] انظر معـالم التنزيل 8/ـ 231، الجـامع لأحكـام القـرآن 21/ 256، الدر المنثور 14/ 708.

(?)[1] الوسيط 4/ 358.

(?)[2] زاد المسير في علم التفسير 8/ 371.

(?)[3] الجامع لأحكام القرآن 21/ 256.

(?)[4] انظر جامع البيان 18/ 525، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 327، تيسير الكريم الرحمن ص: 644 – 645.

**ثالثا:** وقال أيضا: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ
ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ
ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ المؤمنون: ١٢ – ١٤.
ﭧ ﭨ ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ
ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الكهف: ٣٧ – ٣٨.

قال ابن كثير: "وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحـود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعـالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ البقرة: ٢٨، أي: كيف تجحدون ربكم، ودلالتـه عليكم ظـاهرة جليـة، كـل أحـد يعلمهـا من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنــه كـان معدوما ثم وجد، وليس وجوده من نفسـه ولا مسـتندا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجـاده إلى خالقه، وهو الله، لا إله إلا هو، خالق كل شيء؛ ولـذا قـال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ الكهف: ٣٨، أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ الكهف: ٣٨، أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له"[1].

وقال تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ
ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ
ﯧ ﭼ السجدة: ٧ – ٩.

وقال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ
ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ القيامة:
٣٦ – 39.

وقال تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ
ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﭼ عبس: ١٧ – ٢٣.

في هذه الآيـات بيـان مراحـل خلـق الإنسـان، وتنقلـه في أطـوار الخلـق حـالا بعـد حـال، فأصـله من تـراب، ثم من نطفـة، ثم من علقـة، ثم من مضـغة، ثم يصـير عظامـا ثم يكسـى لحمـا، وينفخ فيـه الـروح، ثم يخـرج من بطن أمـه ضعيفا حتى يكون رجلا قويا ذا سمع وبصر وإدراك وعقـل, فهـذا يـدل على عظمــة اللــه تعـالى وعظيم مننـه على

---

[1] تفسير القرآن العظيم (5/ 158)، تيسير الكريم الرحمن ص: 477.

الإنســان فيســتحق التعظيم، فيعظم ويشــكر بتوحيــده بالعبادة والطاعة[1]، لذلك قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ المؤمنون: ١٤، أي تعاظم، فاستحق التعظيم.

قال البغوي: " ﭽ ﯗ ﯘ ﭼ أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال"[2].

والإمام البيهقي –رحمه الله- يبين دلالة خلق الإنسان على كمـال الله وعظمته واسـتحقاقه للألوهية فقـال: "قد بين الله تعــالى في كتابه العزيز تحــول أنفســنا من حالة إلى حالة وتغيرها ليستدل بذلك على خالقها ومحولها فقـال: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ نوح: ١٣ - ١٤ ، وقال: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ المؤمنــون: ١٢ – ١٥، فالإنســان إذا فكر بنفسه رآها مدبَّرة، وعلى أحوال شتى مصرَّفة، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظما فيعلم أنه لم ينقل نفسه من حــال النقص إلى حال الكمال، لأنه لا يقدر أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي كمـال عقله وبلـوغ رشـده عضـوا من الأعضاء، ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة، فيدله ذلك على أنه في حــال نقصه وأوان ضـعفه عن فعل ذلك أعجز. وقد يرى نفسه شابا ثم كهلا ثم شيخا وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى الشيخوخة والهرم، ولا اختــاره لنفسه ولا في وســعه أن يزايل حــال المشــيب ويراجع قوة الشباب، فيعلم بـذلك أنه ليس هو الـذي فعل هذه الأفعال بنفسه، وأن له صـانعا صـنعه ونـاقلا نقله من حــال إلى حــال. ولــولا ذلك لم تتبــدل أحواله بلا ناقل ولا مدبر، ثم يعلم أنه لا يتأتى الفعل المحكم المتقن ولا يوجد الأمر والنهي، ممن لا حيــاة له ولا علم ولا قــدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام، فيستدل بـذلك على أن صـانعه حي عــالم قــادر ســميع بصــير متكلم. ثم يعلم اســتغناء المصنوع بصانع واحد وعلو بعضـهم على بعض، وما يـدخل

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم (5/ 466)، تيسير الكريم الرحمن ص: 548 - 549.

[2] معالم التنزيل (5/ 412، وانظر زاد المسير 5/ 463.

من الفساد في الخلق أن لو كان معه آلهة، فيستدل بذلك على أنه إله واحد لا شريك لـه، كما قـال عز من قائـل: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ المؤمنون: ٩١ - ٩٢ ، وقال: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭽ الأنبياء: ٢٢"[1].

مما سبق تبين لنا أن كل من نظر في خلـق الإنسـان في أطـوار ومراحـل إلى أن تم خلقـه في أحسـن تقـويم، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، حـتى يصـير رجلا قويـا، يدلـه على معرفـة عظمة الخـالق وكمـال قدرتـه تعـالى وكمال علمه وحكمته، وحسن خلقه وتصويره، فيدله ذلــك على كمال اللـه تعـالى، وأنـه المسـتحق للألوهيـة، لأنـه لا يسـتحق العبـادة والألوهيـة إلا المتصـف بصـفات الكمـال. فيدل العبدَ على تعظيم اللـه تعـالى والانقيـاد لـه وعبادتـه وحــده لا شــريك لــه، فيجب عليه تعظيمه وشــكر نعمــه، وذلك يكون بتوحيد بالعبادة والانقياد له بالطاعة [2].

********

[1] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص 36 – 37.

[2] انظر مفتاح دار السعادة 2/ 539 – 542.

**المطلب الثالث**: دلالة نعم الله على العبد:

سبق في المطلب السابق أن الله تعالى خلق الإنسان أطوارا، وفي أحسن تقويم، وفي ذلك من نعم الله تعالى ومننه التي لا تحصى، لأن الله تعالى تكفل برعاية الإنسان منذ أن كان نطفة إلى أن صار جنينا، وهو تعالى يرزقه ويطعمه ويفيض إليه كل ما يحتاجه في تلك المراحل التي كان فيها من أضعف الخلق، حتى تم خلقه في أحسن تقويم، رباه ورزقه وقوّاه، فهذه نعم كثيرة، ومنن جليلة على الإنسان يمتن الله بها عليه ويرزقه من حيث لا يحتسب، وقد وردت آيات كثيرة ببيان ذلك، ومنها:

**أولا:** ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ التين: ٤.

خلق الإنسان في أحسن تقويم وأعدل خلق وأحسن صورة، يمشي قائما منتصبا على رجليه، ويأكل بيديه، من أعظم نعم الله عليه، حيث لم يجعله منكبا على وجهه كالبهائم، التي تمشي على اليدين والرجلين وتأكل بفمه، بل خلقه منتصب القامة متناسب الأعضاء، فهذه نعمة تستوجب الشكر بمحبة الله تعالى وتوحيده بالعبادة وطاعته وحده لا شريك له[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "إنه سبحانه ذكر نعمته على الإنسان بخلقه في أحسن تقويم، وهذه النعمة توجب عليه أن يشكرها بالإيمان وعبادته وحده لا شريك له، فينقله حينئذ من هذه الدار إلى أعلى عليين، فإذا لم يؤمن به وأشرك به وعصى رسله، نقله منها إلى أسفل سافلين، وبدله بعد هذه الصورة التي هي في أحسن تقويم صورة من أقبح الصور في أسفل سافلين، فتلك نعمته عليه، وهذا عدله فيه وعقوبته على كفران نعمته"[2].

---

[1] جامع البيان 24/ 510 – 512، الوسيط للواحدي 4/ 524، معالم التنزيل 8/ 472، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 97.

[2] التبيان في أيمان القرآن (ص: 76 – 77)، وانظر تتمة أضواء البيان 2/ 70 - 71.

**ثانيا:** قوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼغافر: ٦٤ – ٦٥.

وقال تعالى: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼالتغابن: ٣.

يعدد الله تعالى نعمه، ومن ذلك نعمته على الإنسان بأن صوّر خلقه فأحسن صورته وشكله، في أعضاء متناسبة، وحسن الوجه وبهائه وجمال الجوارح وتنسيقها.

قال ابن عطية: "وهذا تعديد النعمة في حسن الخلقة، لأن أعضاء ابن آدم متصرفة لجميع ما تتصرف به أعضاء الحيوان، وبزيادات كثيرة فضل بها ثم هو مفضل بحسن الوجه، وجمال الجوارح، وحجة هذا قوله تعالى: ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼالتين: ٤"[1].

فبين أن خلق الإنسان في أحسن صورة فضل من الله ونعمة من نِعَمه عليه، التي تقتضي الشكر بالتوحيد والطاعة.

**ثالثا:** قوله تعالي: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼالسجدة: ٧ – ٩.

وقال تعالى: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼالنحل: ٧٨.

وقال تعالى: ﭽ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼالإنسان: ٢.

في هذه الآيات يبين الله تعالى نعمه على الإنسان، بأن أخرجه من بطن أمه إلى الدنيا، وخرج لا يعلم شيئا، ولا يدري عن الحياة الدنيوية شيئا، فأعطاه آلات الإدراك وعلمه الله تعالى؛ فجعل له السمع والبصر والفؤاد، كل هذه نعم الله على الإنسان وإحسانه وبره عليه، التي تقتضي شكر الله على هذه النعم، لما تقرر في الفطر، وأقره العقل أن الإحسان والإنعام يتطلب الشكر ويوجبه، لذلك قال تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ﭼ النحل: ٧٨، لأنه مما يدركه العقل أن الإنعام يقتضي الشكر، وهذا الشكر يكون بتوحيد الله تعالى بالألوهية وإفراده بالعبادة، لذلك استدل

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 318.

بتصوير الإنسان في أحسن صـورة على الألوهيـة وإخلاص الدين له في آية سورة غافر[1]، كما في قوله تعـالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ الزمر: ٦، فاستدل بإنعامه على الإنسـان في بطن أمـه على توحيـده في الربوبيـة والألوهيـة، وإفـراده بالعبـادة لا شريك له.

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله-: "ذكر تعـالى منته على عبــاده، في إخراجه إيــاهم من بطــون أمهــاتهم لا يعلمون شيئا، ثم بعد هذا يـرزقهم تعـالى السـمع الـذي به يدركون الأصوات، والأبصار اللاتي بها يحسـون المرئيـات، والأفئـــدة - وهي العقـــول - الـــتي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضـارها ونافعهـا. وهـذه القـوى والحـواس تحصل للإنسـان على التدريج قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حـتى يبلغ أشده.

وإنما جعل تعـالى هـذه في الإنسـان، ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيسـتعين بكل جارحة وعضو وقـوة على طاعة مولاه"[2].

وقـال ابن القيم -رحمه اللــه-: "إن الله سـبحانه في القرآن يعدد على عباده من نعمه عليهم؛ أن أعطاهم آلات العلم، فيذكر الفؤاد والسمع والأبصار، ومرة يذكر اللسـان الذي يترجم به عن القلب، فقال تعـالى في سـورة النعم؛ وهي سـورة النحل الـتي ذكر فيها أصـول النعم وفروعها ومتمماتها ومكملاتها، فعدد نعمه فيها على عباده، وتعـرف بها إليهم، واقتضـــاهم شـــكرها، وأخـــبر أنه يتمها عليهم ليعرفوها ويـــذكروها ويشــكروها. فأولها في أصــول النعم وآخرها في مكملاتها قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ النحل: ٧٨، فذكر سبحانه نعمته عليهم بـــأن أخـــرجهم لا علم لهم، ثم أعطــاهم الأســماع والأبصار والأفئـدة الـتي نـالوا بها من العلم ما نـالوه، وأنه

---

[1] انظر جامع البيان 20/ 357، المحرر الوجيز 4/ 566.

[2] تفسير القرآن العظيم 4/ 589 – 590.

فعل بهم ذلك ليشكروه، وقال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ
ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الأحقاف: ٢٦، وقال تعالى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ
ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ البلد: ٨ – ١٠، فذكر هنا العينين
الـتين يبصر بهما فيعلم المشـاهدات، وذكر هداية النجـدين
وهما طريقا الخـــير والشر، وفي ذلك حـــديث مرفـــوع
ومرسل، وهو قــول أكــثر المفســرين، وتــدل عليه الآية
الأخرى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الإنسان: ٣.
والهداية تكون بالقلب والسمع، فقد دخل السـمع في ذلك
لزوما، وذكر اللســان والشــفتين اللــتين هما آلة التعليم،
فـــــذكر آلات العلم والتعليم، وجعلها من آياته الدالة عليه
وعلى قدرته ووحدانيته ونعمه الـــــتي تعـــــرف بها إلى
عباده"[1].

فنعم الله تعـــالى على الإنســـان كثـــيرة، لا تعد ولا
تحصـى؛ في خلقه وإيجـاده، وتربيته ورزقـه، فيقتضي كل
ذلك شكره بتوحيده بالعبادة، لذلك كـانت النعم من أعظم
دلائل توحيد الألوهيــة، ولــذلك يســتدل تعــالى بنعمه على
عباده على توحيده في الألوهية والعبادة، ﭑ ﭒ ﭽ ﭓ ﭔ ﭕ
ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ
ﭼ فاطر: ٣.

*******

[1] مفتاح دار السعادة 1/ 293 – 294.

**المبحث الثاني: دلالة آيات الآفاق على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: دلالة آيات الآفاق في العظمة والسعة وانتظام الحركة على عظمة خالقها:

قد سبق في مطلع هـذا الفصل أن آيـات الآفـاق هي الآيـــات المخلوقة في الأقطـــار المحيطة بالإنســـان؛ كالسـموات والأرض والشـمس والقمر والنجـوم وغيرهـا، وهي مخلوقـات عظيمـة، خلقها الله تعـالى للحكم الجليلة والغايـات النبيلـة، لتـدل على معرفة خالقها ومبـدعها رب كل شيء فيعبده العباد مخلصين له الدين، قـال تعـالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼالبقرة: ١٦٤، و قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼإبراهيم: ٣٢ – ٣٣.

وهذه الآيات المخلوقة تدل على الله تعالى وتوحيـده، وهي من الدلائل التي تدل على ألوهية الله تعالى ووجـوب عبادته وحـــده لا شـــريك لـــه، لـــذلك وعد الله عبـــاده أنه سيريهم إياها، قال تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼالنمل: ٩٣، وهي هذه الآيات الكونية؛ النفسية والأفقية، ومن الدلائل العقليـة، ترشـد كـل عاقـل إلى المطالب العالية، قال تعـالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼالبقرة: ٧٣.

وفيما يلي تفصيل هذه الآيات ودلالتها على توحيد الألوهية:

**أولا: خلق السموات والأرض:**

إن الله تعـــالى خلق الســـموات والأرض وجعلهما من أعظم المخلوقـــات وأوســـعها، وجعل الســـموات طباقـــا، وطرائـــق، وجعل الأرض فراشا مبســـوطا، فـــإن في ذلك آيات بيِّنات تـدل على عظمة الخـالق وقدرتـه، ويـدل على أنه ما خلق هذا باطلا، بل خلقها بالحق، قال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]. وجعل فيهما آيات كثيرة لعباده تدلهم على ربهم وخالقهم ومعبودهم، لـــذلك أرشد إلى النظر والتفكر فيهما

وعظمة خلقهما وسـعته، ووبخ من يمر عليهما ولا يتفكر في آياتهما، قال تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﭽ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الأعراف: ١٨٥]، وقال تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼيوسف: ١٠٥.

وقـد جـاء بيـان عظمـة خلـق السـموات والأرض في آيات من كتاب الله لتـدل على عظمـة الخـالق، وأنهـا مـا خلقها باطلا، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ غافر: ٥٧. في هذه الآية ينبه الله تعـالى على قدرتـه من إعادته الخلائق يوم القيامة وأن ذلك سهل عليـه، لأنه خلق السـموات والأرض، وخلقهمـا أعظم وأكـبر من خلـق النـاس بـداءة وإعـادة، فإن من بـدأ الخلق فقدرته على إعادتهم أسـهل من ذلك. فعظمـة خلـق السموات والأرض دليل على توحيد خالقهما لعظمتـه وقدرته[1].

قال البغوي: "ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ مع عظمهما، ﭽ ﯗ ﭼ أعظم في الصدور، ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ أي: من إعادتهم بعد الموت، ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ يعني الكفار، ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها"[2].

2- قوله تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ النازعات: ٢٧ – ٢٨، قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ الطور: ٥، وقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الأنبياء: ٣٢.

في هذه الآيات بيان أن اللـه تعـالى خلـق السـموات وبناها وأحكم بناءها، وجعلها سقفا للعالم، وهو سقف محفوظ مرتفع، فهـذا يـدل على عظمتهـا، وفي ذلـك آيــات تــدل على عظمــة خالقهــا وقدرتــه وتوحيــده بالعبادة، ولكن أكثر الناس عن آياتها معرضون.

قال القرطبي: "بين أن المشـركين غفلـوا عن النظر في السموات وآياتها، من ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها،

---

[1] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 487، 7/ 152.
[2] معالم التنزيل (7/ 153)، وانظر أيضا زاد المسير 7/ 234.

وأفلاكها ورياحها وسحابها، وما فيها من قـدرة الله تعـالى، إذ لو نظـروا واعتـبروا لعلمـوا أن لها صـانعا قـادرا واحـدا فيستحيل أن يكون له شريك"[1].

وقال العلامة ابن القيم: "قال ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ الأنبياء: ٣٢ ، وتأمل خلق هذا السـقف الأعظم مـع صـلابته وشدته ووثاقته من دخان وهو بخار الماء قال الله تعالى ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ النبأ: ١٢ ، وقال تعالى ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ النازعات: ٢٧ - ٢٨ ، وقال ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الأنبيـاء: ٣٢ . فانظر إلى هـذا البنـاء العظيم الشـديد الواسـع الذي رفع سمكه أعظم ارتفاع وزينه بأحسن زينة وأودعــه العجـائب والآيـات وكيـف ابتـدأ خلقـه من بخـار ارتفـع من الماء وهو الدخان.

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره *** ومن هو فوق العرش فرد موحد[2]

لقد تعرف إلى خلقه بأنواع التعريفات ونصب لهم الدلالات وأوضح لهم الآيات البينات ليهلك من هلـك عن بينـة ويحيـا من حيي بينة وان الله يسمع عليم"[3].

3- قوله تعالى: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ الذاريات: ٤٧ – ٤٨.

في هذه الآيـات بيـان عظم خلـق السـموات والأرض وسـعتهما، فـإن اللـه ذكـر أنـه خلـق السـماء ووسّـع أرجاءها، وأنه خلق الأرض وجعلها فراشا للمخلوقات، وجعلها مهدا لأهلها، ما يـدل على سـعتهما، كـل ذلـك دليـل على عظمـة الخـالق وقدرتـه وأنـه مـا خلقهمـا باطلا، بل خلقهمـا بـالحق، لأن يعبـد وحـده لا شـريك له[4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 341.

[2] الـبيت لأمية بن أبي الصـلت في "الزهـرة" (497)، وديوانه المجموع (42).

[3] مفتاح دار السعادة 2/ 563 – 564.

[4] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 7/ 424، تيسير الكريم الرحمن ص: 811.

**ثانيًا: الشمس والقمر والنجوم:**

وكــذلك الشــمس والقمر والنجــوم من آيــات الله العظيمة الدالة على كماله وربوبيته وألوهيته واســتحقاقه بأن يفرد بالعبـادة. وقد وردت آيـات في كتـاب الله تعـالى تبين دلالة هذه الآيـات الكونية على اسـتحقاقه تعـالى لأن يعبد وحده لا شريك له، زمنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ فصلت: ٣٧.

بين تعالى أن الشمس والقمر من آياته الكونية، وهي مخلوقة مربوبـة للـه تعـالى، فنهى أن تسـجد لهمـا، لأنهما نفسهما آيات تدل على معرفة الله واستحقاقه للألوهية، وحده لا شريك لـه. فـأمر أن يسـجد العبـاد لخالقهما الذي خلقهن، فاستدل تعـالى بخلقهمـا على ألوهية خالقهن، وعلى استحقاقه أن يفرد بالعبادة[1].

2- قوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ يس: ٣٨ – ٤٠.

وفي جريان الشمس والقمر وسـيرهما آيـة عظيمـة، حيث جعل كلا منهما يسـير في الفلـك بحيث لا ينبغي لأحدهما أن يدرك الآخر، إن في ذلك دلالة على كمال قدرة خالقهما وشمول سلطانه[2].

3- قوله تعالى: ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الأنعام: ٩٦ – ٩٧، وﭧ ﭨ ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الأنعام: ٩٧، وﭧ ﭨ ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ يـونس: ٥ – ٦. فـتردد هـذه الكـواكب على الـدوام في منازلها ليعلم عدد السنين والحساب، وانتظام سيرها

---

[1] انظر الوسيط 4/ 36، الجامع لأحكام القرآن 18/ 423 – 424، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 5/ 403، 7/ 182، فتح القدير للشوكاني 4/ 678 – 679، تيسير الكريم الرحمن ص: 750.

[2] وانظر جامع البيان 20/ 436، المحرر الوجيز 4/ 453 – 454، زاد المسير 7/ 17، الجامع لأحكام القرآن 17/ 442.

وجريانها في الفلَـك، كل هـذا دليل ظـاهر، وبرهـان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصـافه، خصوصا وصف القـدرة والحكمة والعلم ما يـدل على وجـوب الخضوع لله تعالى، فيفرد بالعبادة.

قال ابن القيم: "ثم تأمل اختلاف سير الكـواكب ومـا فيه من العجـائب، كيـف تجـد بعضـها لا يسـير إلا مـع رفقتـه لا يفـرد عنهم سـيره أبـدا، بـل لا يسـيرون إلا جميعا، وبعضها يسير سيرا مطلقـا غـير مقيـد برفيـق ولا صاحب، بل إذا اتفق له مصاحبته في منزل وافقه فيه ليلة وفارقـه الليلـة الأخـرى، فبينـا تـراه ورفيقـه وقرينــه إذ رايتهمــا مفــترقين متابعــدين كأنهمــا لم يتصاحبا قط..." إلى أن قال: "فهذا الترتيب والنظـام الـذي هي عليـه من أدل الـدلائل على وجـود الخـالق وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته"[1].

**ثالثًا: الليل والنهار:**

والليل والنهار من آيـات الله الـتي تـدل على معرفته ومعرفة أوصــاف كماله وربوبيته وألوهيته واســتحقاقه أن يعبد وحده دون غيره.

ﭲ ﭳ ﭴ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ فصلت: ٣٧ .

قــال القرطــبي: "أي وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلاهيته"[2].

وإن في تقلب الليل والنهـار يعقب الله بينهما ويصـرفهما، فيأتي بهذا ويذهب بـالآخر لآية تـدل على تفـرد الله تعـالى في كماله وربوبيته وألوهيتــه، وقد جعل الله ذلك عـــبرة للعاقلين. ﭲ ﭳ ﭴ ﯜ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ النور: ٤٤، فيدل على وجوب إفراد الله بالعبـادة، وأنــه الإلــه الحق.

---

[1] مفتــاح دار الســعادة 2/ـ 598 – 602، وانظر أيضا نفس المصدر: 2/ 562، 564 – 567، 594 – 595.

[2] الجامع لأحكـام القـرآن 17/ـ 442، وانظر جـامع البيـان 20/ 436، المحرر الوجيز 4/ 453 – 454، زاد المسير 7/ 17، تيسير الكريم الرحمن (ص: 750).

قال الواحدي: "ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ لدلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده"[1].

*******

[1] الوسيط 3/ 324، وانظر معالم التنزيل 6/ 54، زاد المسير 6/ 53.

**المطلب الثاني**: دلالة آيات الآفاق في الإحكام والإتقان على حكمة الله، وسعة علمه:

إن ما في خلق السماوات من إتقان صنعها، وإحكـام بنائها وما جعل الله فيها من النجـوم زينة لهـا، وفي خلق الأرض كيف مـدها وجعلها فراشـا، ونصب عليها الجبـال الراسيات كي تمسكها حتى لا تتحرك أو تضـطرب، لآيـات على كمال قدرة خالقهمـا، وكمـال علمه وحكمتـه، ليعرفه العباد فيعبدوه وحده لا شـريك لـه. وقد وردت أدلة كثـيرة تـبين أن خلق السـموات والأرض وما فيهما بلغت غايتها في الإتقان والإحكام، ومن ذلك:

**أولا: أن الله جعل السموات بناء ثابتا لا اختلاف فيه ولا شقوق فيه:**

قد بين الله تعالى في آيات كثيرة أنه بـنى السـماوات قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، فلا شقوق فيها ولا فـروج، ما يدل على إتقانها وإحكام بنائها، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ ق: ٦.

قال الواحدي: " ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ فتوق، وشقوق، وصدوع"[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ الملك: ٣.

قـال البغـوي: "ومعنـاه: ما تـرى يا ابن آدم في خلق الـــرحمن من اعوجـــاج واختلاف وتنـــاقض بل هي مستقيمة مستوية"[2].

فدلت الآيات على بديع صنع الله تعالى وإحكـام خلقه وإتقـان خلق السـموات، ما يـدل على حكمته وسـعة علمه.

**ثانيا: أن الله خلق السموات بالقوة فجعلها شـدادا ذات جمال:**

---

[1] الوسيط للواحدي 4/ 163، وانظر جـامع البيـان 21/ 408، معالم التنزيل 7/ 357.

[2] معالم التنزيل 8/ 176، وانظر جامع البيان 23/ 119، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 8/ 177.

قد بين الله تعــالى في بعض الآيــات أنه خلق الســموات وبناها بقـــوة، فجعلها شـــدادا قويـــة، بحيث لا تتفطر ولا تتشـقق، ولا تتحـرك، لشـدة إتقانها وإحكـام خلقهـا، ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ النبأ: ١٢.

قال الطبري: " ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ إذ كانت وثاقا محكمة الخلـــق، لا صـــدوع فيهن ولا فطـــور، ولا يبليهن مر الليالي والأيام"[1].

والسعدي: "ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ أي: سبع سموات، في غاية القــوة، والصــلابة والشــدة، وقد أمســكها الله بقدرته، وجعلها سقفا للأرض"[2].

2- وقوله تعالى: قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼالذاريات: ٧ .

قال الواحدي: "ذات الخلق الحسن المستوي"[3].

فتبن من هـــذه الآيـــات أن الله تعـــالى أتقن خلق السموات وأحسنها، وزينها بـالنجوم، وهـذا يـدل على كمال قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته.

**ثالثا: أن الله تعالى جعل السموات سبعا طباقا:**

قد بين الله تعـــالى في كتابه أنه خلق الســـموات وجعلها سبعا طباقا، كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، ما يدل على شدة إتقانها وإحكام بنائها، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ المؤمنون: ١٧.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الملك: ٣.

قال الواحـدي: "ثم أخـبر عن صـنعه الـذي يـدل على توحيده، فقال: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ بعضها فوق بعض"[4].

فبين رحمه الله أن ذلك من أدلة توحيد الله بالعبادة.

---

[1] جامع البيان 24/ 10.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 906.

[3] الوسيط للواحـدي 4/ـ 174، وانظر جـامع البيـان21/ـ 486، معالم التنزيل 7/ 371.

[4] الوسيط للواحدي 4/ 326.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ نوح: ١٥.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نـوح صلوات الله وسلامه عليه، لقومه المشـركين بـربهم، محتجا عليهم بحجج الله في وحدانيتـه: ألم تـروا أيها القـوم فتعتـبروا كيف خلق الله سـبع سـموات طباقا بعضـها فـوق بعض؛ والطبـاق: مصـدر من قـولهم: طابقت مطابقة وطباقا. وإنما عني بـذلك: كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء مطابقة"[1].

فـدلت الآيـات على أن خلق السـموات طبقا فـوق طبق يـدل على كمـال خالقها فيسـتلزم ذلك إفـراده بالعبادة.

**رابعا: أن الله رفـع السـموات بغـير عمـد لشـدة قوتهـا وإتقانها:**

لما خلق الله السموات وجعلها سبعا طباقا شـدادا، رفعهـا بغير عمد وجعلها سقفا على الأرض، فهذا دليل على غايـة الإحكام وإبداع صنعها، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ الرعد: ٢.

2- ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ لقمان: ١٠.

قـال الطـبري: "قـول تعـالى ذكـره: الله يا محمد هو الذي رفع السموات السبع بغـير عمد ترونهـا، فجعلها للأرض سـقفا مسـموكا، والعمد جمع عمـود، وهي السواري، وما يعمد به البناء"[2].

وقـال السـعدي: "يخـبر تعـالى عن انفـراده بـالخلق والتـدبير، والعظمة والسـلطان الـدال على أنه وحـده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له فقال: : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ على عظمها واتساعها بقدرته العظيمـة، : ﭽ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ أي: ليس لها عمد من تحتها"[3].

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ الأنبياء: ٣2.

---

[1] جامع البيان 23/ 299، 119.
[2] المصدر نفسه 13/ 408.
[3] تيسير الكريم الرحمن ص: 412.

قال الطبري: "يقـول: وهـؤلاء المشـركون عن آيـات السماء ويعني بآياتها: شمسها, وقمرها, ونجومها ﭽ ﯙ ﭼ يقول: يعرضون عن التفكر فيها, وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم , ودلالتها على وحدانية خالقهـا، وأنه لا ينبغي أن تكون العبـادة إلا لمن دبرها وسـواها، ولا تصلح إلا له"[1].

فـدلت الآيـات على أن الله تعـالى هو المسـتحق أن يعبد وحده، لتفرده بهذا الخلق البديع، الذي يدل على كمال خالقه ومُبدعه، وكمال علمه وحكمته.

**خامسـا: أن الله تعـالى جعل السـموات والأرض متصلا بعضه ببعض، ثم فصلهما:**

ومن بـديع صـنعه تعـالى أنه خلق السـموات والأرض رتقا متصلا بعضه ببعض، ثم فتقهما وفصل بينهمـــــــا، وجعل السموات سـبعا طباقا ورفعها وجعلها سـقفا على الأرض، وقد بين الله ذلك في قوله تعـالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼالأنبياء: ٣٠.

قـال ابن كثـير: "يقــول تعــالى منبها على قدرته التامــة، وســـلطانه العظيم في خلقه الأشـــياء، وقهـــره لجميع المخلوقات، فقال: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ أي: الجاحدون لإلهيته العابـــدون معه غـــيره، ألم يعلمـــوا أن الله هو المستقل بـالخلق، المسـتبد بالتـدبير، فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه، ألم يروا ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ أي: كـــان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق مـــتراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه"[2].

**سادسا: أن الله تعالى جعل الأرض فراشا ممهدا مذللا:**

ومن إحكام الله لخلق المخلوقات وإتقانه، أنه تعالى جعل الأرض فراشا، مهادا مذللا سهلا للعبـاد يمشـون عليها في مصـــالحهم، لا تتحـــرك ولا تخسف بهم، لشـــدة قوتها وتماسكها، وفي ذلك:

---

[1] جامع البيان 16/ 263.

[2] تفسير القرآن العظيم 5/ 338 – 339.

1- قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ البقرة: ٢٢.

قال الطبري: "فكأنه قال: اعبدوا ربكم الخـالق لكم، والخـــالق الـــذين من قبلكم، الجاعل لكم الأرض فراشـــا. يعـــني بـــذلك أنه جعل لكم الأرض مهـــادا وموطئا وقرارا يستقر عليها"[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭽالنبأ: ٦.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭽالملك: ١٥.

فــدلت هــذه الآيــات على كمــال قــدرة الله وعلمه وحكمته وأنه المسـتحق للعبـادة لكمالـه، ولأنه الـذي أبــدع في خلق الأرض وجعلها فراشا وســهلا لعبــاده يمشون عليها لمصالحهم ومعاشهم.

**سابعا: مد الأرض وجعل عليها الرواسي كي تستقر فلا تتحرك:**

ومن بـــديع خلقه تعـــالى أن مد الأرض وجعل لها أوتـــادا، وألقى الجبال عليها كي تُثبتها وتمسكها، كي لا تتزلزل، ولا تتحرك بمن عليها، وقد بين الله ذلك في آيات منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭽق: 7 – ٨.

قال الطبري: "وقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﭽ يقول: والأرض بسطناها ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﭽ يقول: وجعلنا فيها جبالا ثوابت، رست في الأرض"[2].

وقال الحافظ ابن كثـير رحمه اللـه: "ومشـاهدة خلق الســموات والأرض، وما جعل الله فيهما من الآيـــات العظيمة تبصـرة ودلالة وذكـرى لكل عبد مـنيب، أي: خاضع خائف وجل رجاع إلى الله عز وجل"[3].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭽالرعد: 3.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭽالأنبياء: ٣١.

---

(?)1 جامع البيان 1/ 387.

(?)2 المصدر نفسه 21/ 409.

(?)3 تفسير القرآن العظيم 7/ 396.

في هذه الآيات بيان كمــال حكمة الله وعلمه وقدرته وســلطانه في خلقه وبــديع صــنعه، فــدل ذلك على استحقاقه للألوهية وإفراده بالعبادة.

ومما سبق يتـبين لنـا كمـال علم اللـه وحكمتـه حيث خلق المخلوقات في غايـة الإحكـام والإتقـان والإبـداع في الصنع، بحيث يـدل ذلـك على كمـال خالقهـا ومُبـدعها، فلا يستحق أن يُعبد إلا هـو. لأن ذلـك يسـتلزم تعظيم خالقهـا، لكمال قدرته وسلطانه، ويستلزم أيضا الانقياد لطاعته، فلا يخضع ويطاع إلا له تعالى.

يقـــول ابن ســـعدي رحمـــه الله: "إن ما فيها من الخلق الباهر، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعـالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شــيء عليم، وما فيها من المنــافع والمصــالح للعبــاد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شــيء، وجـوده، الــذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقــة، وبــديع النظــام، دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصـمد، الـذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الـذي لا تنبغي العبادة، والذل والحب إلا له تعالى"[(1)].

*********

---

[1] (?) تيسير الكريم الـرحمن (ص: 804)، وانظر الاعتقـاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص 32 – 33، مفتاح دار السعادة 2/ 560 – 561، وانظر أيضا 2/ 569 – 571، 589 – 590.

**المطلب الثالث**: دلالة آيات الآفاق وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله:

إن الله تعالى خلق المخلوقات في الآفاق من سماء وأرض وشمس وقمر ونجوم وجبال وبحار وأنهار وشجر وأنعام وغيرها من المخلوقات، وبث فيها من الدواب وأودعها من المنافع العظيمة، والمصالح لعباده، التي فيها حياتهم ومعاشهم، وفي ذلك دليل على كمال رحمته تعالى وإحسانه لعباده، فيستحق أن يعبد وحده لا شريك له، لأن ذلك يستلزم محبته ورجاءه وشكره.

قال ابن سعدي رحمه الله: "ما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره"[1].

فلذلك يعدد تعالى نعمه على خلقه، والمنافع التي أودعها في مخلوقاته، بأن أنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع[2].

وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن الله تعالى أودع هذه المخلوقات منافع كثيرة لعباده، سأذكر طرفا منها لتدل على المقصود، ومنها:

**أولا: المنافع المودعة في السموات:**

قد جعل الله لعباده منافع كثيرة التي لا تعد ولا تحصى في السماء، فأنزل من السماء ماء الذي يحيي به البلاد والعباد، فجعل فيها من المنافع والمصالح، ينزل لهم القطر من السماء بقدر الحاجة، الذي فيه حياة الأرض

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 161، وانظر العظمة 1/ 280 – 287، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص 32 – 33.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 511.

والنـاس والـدواب والـزروع والثمـار، فبه يسـتعملون في السقي والشرب والانتفاع.

قال تعالى: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ
ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ
ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ﭼ المؤمنون: ١٨ – ٢٠.

والله تعالى بلطفه ورحمته ينزل الماء من السـحاب عـذبا فراتا زلالا، فيسكنه في الأرض ويسلكه ينـابيع في الأرض، فيفتح العيـون والأنهـار، فيسـقي به الـزروع والثمـار، ويشـربون منه ودوابهم وأنعـامهم، ويغتسـلون منه ويتطهـرون، كل ذلك من منـافع هـذه المخلوقـات الـتي خلقها الله تعالى، وتـدل على سـعة رحمته تعـالى وفضـله وبره وإحسانه.

وكذلك في ما ينشأ الله من البسـاتين بـذلك المـاء المـنزل من السماء منافع كثيرة، يرزقهم به من الثمرات والفواكـه، من نخيل وأعناب وتين، وأتـرج، ورمـان، وتفـاح وغيرها من الثمـرات والفواكه، والزيتـون الـذي فيه الـزيت، الـذي يستعمل في الاستصباح به، وغير ذلك من المنافع[1].

**ثانيا: المنافع المودعة في الشمس والقمر والنجوم:**

ومن نعم الله تعالى على عبـاده أن جعل لهم المنـافع في هذه المخلوقات السماوية، هـذه الكـواكب والنجـوم، ومن ذلك أن جعلها يستضـيئون بها في ليلهم ونهـارهم، لقضـاء حاجاتهم والقيام بمصالحهم، وسخرها لهم تجـري ليعلمـوا بها عدد السنين والحساب.

قـال ابن سـعدي رحمه اللـه: "ما فيها من أنـواع المنـافع والمصالح -كجعل الشمس ضياء، والقمر نـورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره ما يحصل- يـدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتنائه بعباده وسـعة بـره وإحسـانه. وذلك دال على أنه وحـده المعبـود والمحبـوب المحمـود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظـام، الـذي لا تنبغي الرغبة والرهبة إلا إليـه، ولا يصـرف خـالص الـدعاء إلا لـه، لا لغـيره من

---

[1] انظر تفسير القـرآن العظيم 5/ـ 470 – 471، ومفتـاح دار السعادة 2/ 637 – 640.

المخلوقــات المربوبــات، المفتقــرات إلى الله في جميع شئونها"[1].

قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ يونس: ٥.

في هذه الآية ذكر الله تعالى اثنتين من المنافع التي ينتفع بها العباد من الشمس والقمر وهما:

1- الاستضاءة بهما، حيث يستضيئون بالشمس بالنهار، وبالقمر بالليل، لتسهل عليهم القيام بمصالحهم.
2- معرفة عدد حساب الزمان، من الأيام والشهور والفصول والسنين، ويعرفون حساب عباداتهم ومعاملاتهم، ويعرفوا بها حساب الأوقات.

وهــذا من أعظم مــا ينتفــع بــه العبــاد في حيــاتهم، ويعينهم على كسب معاشهم، من الكسب للرزق والتجارة وغير ذلك. بحيث لو جعل الله الليل والنهار مظلما سرمدا إلى يوم القيامة لتعطلت مصالح الدنيا ومعاش العباد.

وقوله تعالى: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ النحل: ١٢.

فــدلت هــذه الآية على أن الله تعــالى ســخر لعبــاده الليل والنهـــار المتولدين عن الشـــمس والقمر والنجـــوم، أي: جعلها وخلق كل هــذه لمصــالحهم ومنــافعهم. وفي الليل يســكنون وينــامون ويســتريحون من كد طلب المعــاش، وجعل لهم القمر فيه نــــورا لأنهم ســـيحتاجون إلى الاستضــاءة فيه لقيــامهم ببعض المصــالح في جــزء من الليـــل، ولـــولا ذلك لتعطلت الحيـــاة، لأن الله جعل الليل مظلما، فيحتاجون إلى نور فيه[2]. وكذلك جعل لهم النهــار الــذي فيه يخرجــون لطلب المعــاش، وكسب الأرزاق من التجــــارة والزارعة والحرفــــة، والعمل وغــــير ذلك من مصــالحهم، فجعل لهم الشــمس ضــياء كي يقومــون بهــذه المصالح[3]، كما قال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 358.

[2] انظر مفتاح دار السعادة 2/ 597 – 598.

[3] تيسير الكريم الرحمن ص: 523، انظر مفتاح دار السعادة 2/ 590 – 595.

ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﭼالإسراء: ١٢. فأضاء الله النهــار بضــوء الشــمس كي يبتغي العبــاد من فضــله من كسب الأرزاق وغير ذلك من المنافع والمصالح.

وقال تعالى: ﭽﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼالنحل: ١٦.

فبين تعالى أنه خلق النجوم وجعلها هادية للناس في حـال سفرهم وإقامتهم في ظلام الليل، فـإذا كـانوا في السـفر فإنهم يهتدون بها لمعرفة القبلة والطرق في البر والبحـر، وكذلك إذا كانوا في الحضر فهم يهتدون بها لمعرفة القبلة والجهات، ويستضيئون بها في كل حال[1].

**ثالثا: المنافع المودعة في الأرض:**

خلق الله الأرض وجعلها نفعا للعبـــاد، حيث بســـطها ومهدها وقررها كي يستقر عليها العباد ويسلكون فيها أين شاءوا، من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما يــدل على قـــدرة الله وحكمته ورحمته ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنـافع في السـماوات والأرض، فهو الـذي يجب أن يُعبد ويُوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه هو المتفرد بالإنعـام والرحمة، فيجب أن يشكر على ذلك[2].

قال تعالى: ﭽﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼنوح: ١٩ – ٢٠.

وقوله تعالى: ﭽﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼالرعد: ٤.

وقال تعالى: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼق: ٧.

يخـبر تعـالى عما جعل في الأرض من المنـافع لعبـاده، وذلك أن وسـّعها، حـتى أمكن كل حيـوان السـكون فيها والاسـتقرار عليهـا، والاسـتعداد لجميع مصـالحه، وأرسـاها بالجبـــــــــــــال، لتســـــــــــــتقر من التّزَلْــزُل، والتمــوج، وأنبت فيها من كل صــنف من أصــناف النبــات، الــتي تسر ناظرهــا، وتعجب مبصــرها، وتقر عين

---

[1] الوسيط للواحدي 3/ 59، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 564، انظر مفتاح دار السعادة 2/ 598 – 599.

[2] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 8/ 234.

رامقها، لأكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنـافعهم، وخص من تلك المنـــافع بالـــذكر، الجنـــات المشـــتملة على الفواكه اللذيذة، من العنب والرمـان والأتـرج والتفـاح، وغـير ذلـك، من أصناف الفواكه، ومن النخيل التي يطول نفعها، وترتفع إلى السـماء، حـتى تبلغ مبلغـا، لا يبلغه كثـير من الأشـجار، فتخرج من الطلع النضـيد، في قنوانهـا، ما هو رزق للعبـاد، قوتا وأدما وفاكهـة، يـأكلون منه ويـدخرون، هم ومواشـيهم وكذلك ما يخرج الله بالمطر، وما هو أثره من الأنهار، الـتي على وجه الأرض، والتي تحتها من الزرع المحصـود، من بر وشعير، وذرة، وأرز، ودخن وغيره(1).

وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ النحل: ١٥ – ١٦.

قال العلامة ابن القيم في بيـان منـافع الأرض: "إذا نظـرت إلى الأرض وكيف خلقت، رأيتها من أعظم آيـــات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشا ومهادا، وذللها لعبـاده، وجعل فيه أرزاقهم وأقـــواتهم ومعايشـــهم، وجعل فيها الســـبل لينتقلـوا فيها في حـوائجهم وتصـرفاتهم، وأرسـاها بالجبـال فجعلها أوتـــادا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسـعها من جوانبها، وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء، وكفاتا للأمـوات تضـمهم في بطنها إذا مـاتوا، فظهرها وطن للأحيـاء وبطنها وطن للأموات.... وأودعها من المنافع والمعادن والعيون ما أودعها، ثم هـدى النـاس إلى اسـتخراج تلك المعـادن منها، وألهمهم كيف يصنعون منها النقود والحلي والزينة واللباس والسلاح وآلة المعـاش على اختلافها. ولـولا هدايته سـبحانه لهم إلى ذلك لما كـــان لهم علم شـــيء منه ولا قـــدرة عليه"(2).

**رابعا: المنافع المودعة في الجبال:**

(1) تيسير الكريم الرحمن ص: 804، انظر مفتاح دار السعادة 2/ 619.

(2) انظر مفتـاح دار السـعادة 2/ـ 569 – 571، وانظر أيضا 2/ 629 – 630، التبيان في أيمان القرآن ص: 447 – 449.

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ النحل: ١٥.

وقال تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ الأنبياء: ٣١.

وكذلك جعل الله في الجبـال منـافع لعبـاده، حيث جعلها رواسي تســـتقر بها الأرض، فأرســـاها بها وأَوْتـــدها، لئلا تضـطرب بالعبـاد، فلا يتمكن العبـاد من السـكون فيهـا، ولا حرثها، ولا الاستقرار بها، فأرسـاها بالجبـال، فحصل بسـبب ذلك من المصــالح والمنــافع الكثــيرة. ولما كــانت الجبــال المتصل بعضها ببعض، قد تتصل اتصالا كثيرا جدا، فلو بقيت على حالها، جبـالا شـامخات، لتعطل الاتصـال بين كثـير من البلـدان، فجعل الله بين تلك الجبـال طرقا سـهلة ليهتـدون إلى الوصول إلى مطالبهم من البلدان، وكل ذلك دليل على تفرد الله بالنعم ما يدل العبـاد على وجـوب شـكره تعـالى، فيفردونه بالعبادة، كما دل على ذلك حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه حيث قال عنـدما جـاء ليُسـلم: "**فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله»**"[1].

**خامسا: المنافع المودعة في البحار والأنهار:**

وكذلك يُجري الله الماء في البحـار والأنهـار لينتفع به العباد، حيث يسـتعملون بمائها إذا انقطع المطر في سـقيا الزروع والثمار، وينتفعون به في حاجـات وأغـراض أخـرى كثيرة.

كما جعل لهم الســفن تجــري في البحر تحملهم، وتحمل متــاعهم، قليلا كــان أو كثــيرا، فالــذي أنعم بهــذه النعم، وصنف أنواع الإحسـان، وأدر علينا من خـيره المـدرار، هو الذي يستحق كمال الشـكر، وكمـال الثنـاء، والاجتهـاد في عبوديته، وأن لا يستعان بنعمه على معاصيه.

قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ النحل: ١٤.

يخبر تعـالى عن تسـخيره البحر المتلاطم الأمـواج، ويمتن على عبــاده بتذليله لهم، وتيســيره للركــوب فيــه، فكــان

[1] رواه مسلم ص: 80 (ح: 102)، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص: 522، مفتاح دار السعادة 2/ 622 – 625.

العبـــاد يركبونه لمصـــالحهم ومنـــافعهم في المتـــاجر والمكاسب. ومما جعل تعــالى فيــه من المنــافع للعبــاد السمك والحيتان، وأحل لحمه لعبـاده حيا وميتـا، في الحل والإحــرام. وما يخلقه فيه من اللآلئ والجــواهر النفيســة، وســهل للعبــاد اســتخراجها من قرارها حلية يلبســونها، وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره، أي: تشقه[1].

[1] انظر تفسير القـرآن العظيم لابن كثـير 4/ـ 562، مفتـاح دار السعادة 2/ 580 – 583.

**سادسا: المنافع المودعة في الأشجار:**

ومن المنافع المودعة في الأشجار أن خلق الله النـار فيها نفعا لعبـاده، الـتي يـورون منها لمصـالحهم، كي ينتفع بها الحاضر والبادي من غني وفقير، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنـده وأورى، وأوقد نـاره فـأطبخ بها واصـطلى، واشـتوى واستضـــاء بهـــا، واســـتأنس بهـــا، وانتفع بها في ســـائر المنافع[1].

قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ الواقعة: ٧١ – ٧٣.

**سابعا: المنافع المودعة في الأنعام:**

ومن نعم الله تعـالى لعبـاده جعل لهم في الأنعـام من المنـافع الكثـيرة، وذلك أنهم يشـربون من ألبانها الخارجة من بين فـرث ودم، ويـأكلون من لحومهـا، ويلبسـون من أصوافها وأوبارها وأشـعارها، ويركبـون ظهورها ويحملونها الأحمـال الثقـال إلى البلاد النائية عنهم، الـتي لم يكونـوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وذلك من ســـعة رحمة الله على عباده ورأفته ولطفه وكرمه.

قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ المؤمنون: ١٨ – ٢٢.

وقوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ النحل: ٥ – ٨.

وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ غافر: ٧٩ – ٨١.

قال ابن سعدي رحمه الله: "يمتن تعـالى على عبـاده، بما جعل لهم من الأنعـام، الـتي بهـا، جملة من الإنعـام: منهـا: منافع الركوب عليها، والحمل.

ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها.

---

[1] انظر تفسير القـرآن العظيم لابن كثـير 7/ 543، مفتـاح دار السعادة 2/ 612 - 613، مختصر الصواعق المرسلة 2/ 573.

ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع"[1].

لـذلك يـأمر تعـالى العبـاد بـالنظر إلى ما سـخر لهم من الأنعام وذللهـا، وجعلهم مـالكين لهـا، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، فقال:

ﭽ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭽيس: ٧١ – ٧٤.

فـبين أنه جعل لهم فيها منـافع كثـيرة من حملهم وحمل أثقـــالهم ومحـــاملهم وأمتعتهم من محل إلى محـــل، ومن أكلهم منهـا، وفيها دفء، ومن أوبارها وأشـعارها وأصـوافها أثاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمـــال، وغـــير ذلك من المنافع المشاهدة منها، ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة[2].

فتبين أن المنافع التي أودعها الله تعالى في مخلوقاته في الآفـاق تـدل على سـعة رحمـة اللـه وإحسـانه لعبـاده، ويقتضي ذلك شكر الله تعالى ومحبته ورجاءه، وذلك دليل على وجوب توحيده وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له.

********

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 743.

[2] انظر المصدر نفسه ص: 699، مفتاح دار السعادة 2/ 665 – 667.

# الفصل الثاني

## دلالة الأمثال المضروبة على توحيد الألوهية,

**وفيه ثلاثة مباحث:**

### المبحث الأول: معنى الأمثال وفائدتها,

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: معنى الأمثال لغة واصطلاحا.**

**المطلب الثاني: الفائدة من ضرب الأمثال في الكتاب والسنة.**

### المبحث الثاني: ضرب المثل في تقرير التوحيد,

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: ضرب المثل لكلمة التوحيد.**

**المطلب الثاني: ضرب المثل للمؤمن الموحد.**

### المبحث الثالث: ضرب المثل في إبطال الشرك,

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: ضرب المثل للشرك.**

**المطلب الثاني: ضرب المثل بضعف الآلهة.**

**المطلب الثالث: ضرب المثل للمشركين وأعمالهم.**

## المبحث الأول: معنى الأمثال وفائدتها, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: معنى الأمثال لغة واصطلاحا:

### أولا: معنى المثل لغة:

المثل كلمة تسـوية، ويـرادف: الشـبه، والنظـير، والمقدار، والقصاص.

والمَثل بـالفتحتين: الصـفة، والحجـة، والحـديث، والعـبرة، والآية.

والمثل ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره يحـذى عليه والجمع المثل.

قـال ابن فـارس: "(مثل) الميم والثـاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهـذا مِثل هـذا، أي نظـيره، والمِثل والمثـال في معـنى واحد. وربما قـالوا مثيل كشبيه...

والمَثَل: المِثل أيضـا، كشـبه وشـبه. والمثل المضـروب مـأخوذ من هـذا، لأنه يـذكر مـورّى به عن مثله في المعنى"[1].

وقال الجوهري: "مثل: كلمة تسوية. يقـال: هـذا مثله ومثله كما يقال: شبهه وشبهه بمعنى. والعـرب تقـول: هو مثيل هذا، وهم أمثالهم؛ يريـدون أن المشـبه به حقـير كما أن هـذا حقـير. والمثل: ما يضـرب به من الأمثـال. ومثل الشيء أيضا: صفته"[2].

قال الزمخشري: "ومثل الشيء بالشيء: سوي به وقدر تقديره"[3].

قال ابن عاشور-رحمه الله-:"وأصل المثل بفتحـتين هو النظـير والمشـابه، ويقـال أيضا مثل بكسر الميم وسـكون الثـاء، ويقـال مثيل كما يقـال شـبه وشـبه وشـبيه، وبـدل، وبـديل، ولا رابع لهـذه الكلمـات في مجيء فعل وفعل وفعيل بمعنى واحد"[4].

---

[1] معجم مقاييس اللغة 5/ 296، وانظر القاموس المحيط ص: 1056، تهذيب اللغة 15/ 95، لسان العرب 6/ 4132.

[2] الصحاح في اللغة 5/ 1816.

[3] أساس البلاغة 2/ 193.

[4] التحرير والتنوير 1/ 303.

مما سبق يتبين لنا أن المثل في اللغة يأتي بعدة معان، وكلها ترجع إلى أصل واحد وهو النظــير والشــبه. وكــذلك المثل الــذي يــراد به القــول الســائر إنما يرجع معنــاه إلى التشــبيه، لأنه تشــبيه المضــرب بــالمورد. وكــذلك المثل المضروب فهو تشبيه حالة بحالة أخرى. فعلى هــذا فجميع معان المثل راجعة إلى النظير والشبيه[1].

والفــرق بين المِثل والمَثل هو أن المِثل في ما تكافئا في الــذات وهو النظــير، والمَثل في ما تشــبها في الصــفة وهو الذي يستعمل في التشبيه.

قــال العســكري[2]: "الفــرق بين المِثل والمَثل: أن المثلين ما تكافئا في الــذات، والمثل بالتحريك الصــفة قــال الله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭼ الرعد: ٣٥ ، أي صفة الجنة، وقولك ضــربت لفلان مثلا معنــاه أنك وصــفت له شــيئا، وقولك: مثل هذا كمثل هــذا، أي صــفته كصــفته وقــال الله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﭼ الجمعة: ٥ ، وحاملوا التــوراة لا يمــاثلون الحمــار، ولكن جمعهم وإيــاه صــفة فاشتركوا فيها"[3].

**ثانيا: معنى المثل اصطلاحا:**

لما كان المثل المقصود بالدراسة في هــذا البحث هو المثل المضــروب، الــذي يُشــبَّه فيه حالة بحالة أخــرى لتقريب المعنى إلى الذهن، نحتاج أن نعــرف معــنى المثل عند المفسرين لورود الأمثال المضروبة كثيرة في القــرآن العظيم.

قال الراغب الأصــفهاني: "والمثل عبــارة عن قــول في شــيء يشــبه قــولا في شــيء آخر بينهما مشــابهة، ليــبين

---

[1] انظر الصحاح للجوهري 5/ 1816، تهذيب اللغة 15/ 95 - 98، لسان العرب 5/ 4132، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله 1/ 41 – 86.

[2] الحسن بن عبد الله بن سهل بن سـعيد ابن يحـيى بن مهـران أبو هلال العسكري، عـالم بـالأدب، له شـعر. نسـبته إلى (عسـكر مكرم) من كور الأهواز. من كتبه (التلخيص) في اللغة، و(الفروق اللغوية)، وتوفي بعد 395 هـ. (انظر الأعلام للزركلي 2/ 196).

[3] الفروق اللغوية ص: 154.

أحــدهما الآخر ويصــوره. نحو قــولهم: "الصــيف ضــيعت اللبن"[1]، فـــإن هـــذا القـــول يشـــبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك. وعلى هذا الوجه ما ضـرب الله تعـالى من الأمثال، فقال: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الحشر: ٢١، وفي أخرى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ العنكبوت: ٤٣"[2].

وقـال ابن عاشـور –رحمه اللـه-: "تشـبيه حالة مركبة بحالة مركبة. أعنى وصـفين منـتزعين من متعـدد أتـوا في جانب المشبه والمشبه به معا، أو في جانب أحدهما بلفظ المثـل، وأدخلـوا الكـاف ونحوها من حـروف التشـبيه على المشبه به منهما. ولا يطلقون ذلك على التشبيه البسـيط، فلا يقولون: مثل فلان كمثل الأسد.

وقلما شـــبهوا حـــالا مركبة بحـــال مركبة مقتصـــرين على الكاف، كقوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ الرعد: ١٤ ، بل يذكرون لفظ المثل في الجـانبين غالبا نحو الآية هنـا، وربما ذكروا لفظ المثل في أحد الجانبين كقوله: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ يونس: ٢٤، وذلك ليتبادر للسامع أن المقصود تشبيه حالة بحالة لا ذات بــذات، ولا حالة بــذات. فصار لفظ المثل في تشبيه الهيئة منسيا من أصل وضعه، ومستعملا في معنى الحالة، فلذلك لا يستغنون عن الإتيان بحرف التشبيه حتى مع وجود لفظ المثل، فصارت الكـاف

---

[1] يضــرب هــذا المثل في التفريط في الحاجة وهي ممكنة ثم تطلب بعد الفوت، ويذكر أن مورد هذا المثل أن عمرو بن عمــرو عدس تـزوج بنت عمـه دختنـوس بنت لقيـط بن زرارة بن عـدس بعـدما أسـن، وكـان أكـثر قومـه مـالا وأعظمهم شـرفا فلم تـزل تطلب منه الطلاق حتى طلقها، وتزوجها بعده عمـير بن معبـد بن زرارة وهو ابن عمها، وكان رجلا شـابا قليـل المـال، فمـرت إبلـه عليها كأنهـا الليـل من كثرتهـا فقـالت لخادمتهـا: انطلقي إلى أبي شريح - وكان عمرو يكنى بأبي شـريح - فقـولي لـه فليسـقنا من اللبن، فأبلغتـه فعنـدها قـال: "الصـيف ضـيعت اللبن" فصـار مثلا. قال هذا لأن سؤالها إياه الطلاق كان في الصيف، فيومئذ ضــيعت اللبن بالطلاق. (انظر أمثال العرب للضبي (ص: 6 ـ 7)، الأمثال لابن سلام (ص: 247 - 248)، مجمع الأمثال (2/ 68).

[2] المفردات في غريب القرآن ص: 462.

في قوله تعالى: ﭼ ﭫ ﭼ دالة على التشبيه وليست زائدة"[1].

فتبين أن معنى المثل في الاصطلاح يأتي بمعنيين؛ القول السائر الذي يشبه مضربه بمورده، والمثل المضروب الذي يشبه فيه حالة بحالة أخرى. والمثل المضروب محل بحثنا، وهو الذي يشبه فيه حالة بحالة، لا تشبيه ذات بذات أخرى أو حالة بذات.

**ثالثا: المراد بضرب المثل:**

والمراد بضرب المثل هو تقديره ونصبه وإطلاقه والتمثل به في الحالات التي تشبه الحالة الأولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: "فضرب المثل للشيء تقديره له، كما أن القياس أصله تقدير الشيء بالشيء. ومنه ضرب الدرهم، وهو تقديره. وضرب الجزية والخراج، وهو تقديرهما. والضريبة المقدرة والضرب في الأرض لأنه يقدر أثر الماشي بقدره. وكذلك الضرب بالعصا لأنه تقدير الألم بالآلة وهو جمعه وتأليفه وتقديره، كما أن الضريبة هي المال المجموع، والضريبة الخلق. وضرب الدرهم جمع فضة مؤلفة مقدرة، وضرب الجزية والخراج إذا فرضه وقدره على مر السنين. والضرب في الأرض الحركات المقدرة المجموعة إلى غاية محدودة. ومنه تضريب الثوب المحشو وهو تأليف خلله طرائق. ولهذا يسمون الصورة القياسية الضرب، كما يقال للنوع الواحد: ضرب لتألفه واتفاقه، وضرب المثل لما كان جمعا بين علمين يطلب منهما علم ثالث كان بمنزلة ضراب الفحل الذي يتولد عنه الولد، ولهذا يقسمون الضرب إلى ناتج وعقيم، كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى إلى ناتج وعقيم. وكل واحد من نوعي ضرب المثل - وهو القياس - تارة يراد به التصوير وتفهيم المعنى، وتارة يراد به الدلالة على ثبوته والتصديق به. فقياس تصور وقياس تصديق، فتدبر هذا. وكثيرا ما يقصد

---

[1] التحرير والتنوير 1/ 304.

كلاهما فـــإن ضـــرب المثل يوضح صـــورة المقصـــود وحكمه"[1].
فـــبين رحمه الله أن المـــراد بضـــرب المثل هو تقـــديره وتصويره وتوضيحه[2].

**رابعا: أنواع الأمثال المضروبة:**

الأمثـال المضـروبة نوعـان: أحـدهما: الأمثـال المعيّنة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجـود أو مقـدر، وهو من جنس قيـاس التمثيل الـذي كـان مبنـاه على الجمع بينهما؛ والفرق في الصفات المعتبرة في الحكم المقصـود إثباته أو نفيه.
والثاني: الأمثال الكلية، وهي الغير المعيّنة، الـتي لم يـذكر فيها المشبه والمشبه بـه. وهي بخلاف النـوع الأول، الـذي يذكر فيه الأصل والفرع، أو المشبه والمشبه به.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وضرب الأمثال في المعـاني نوعان هما نوعا القياس:
أحـدهما: الأمثـال المعينة الـتي يقـاس فيها الفـرع بأصل معين موجود أو مقدر، وهي في القرآن بضع وأربعون مثلا كقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ البقرة: ١٧ إلى آخره، وقوله: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ البقرة: ٢٦١، وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯼ البقرة: ٢٦٤ الآية، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ البقرة: ٢٦٥. فـإن التمثيل بين الموصـوفين اللـذين يـذكرهم من المنافقين والمنفقين المخلصين منهم والمـرائين، وبين ما يـذكره سـبحانه من تلك الأمثـال هو من جنس قيـاس التمثيل الذي يقـال فيه: مثل الـذي يقتل بكـودين القصـار كمثل الـذي يقتل بالسـيف، ومثل الهـرة تقع في الـزيت كمثل الفـأرة تقع في السـمن ونحو ذلـك؛ ومبنـاه على الجمع بينهمـا؛ والفـرق في الصـفات المعتـبرة في الحكم المقصود إثباته أو نفيه...

---

[1] مجموع الفتاوى 14/ 55 – 56.

[2] انظر الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله 1/ 88 – 91.

إلى أن قال: "النوع الثاني: الأمثال الكلية؛ وهـذه الـتي أشـكل تسـميتها أمثـالا كما أشـكل تسـميتها قياسا حـتى اعترض بعضهم قوله: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ ﭼ الحج: ٧٣، فقال: أين المثل المضروب؟ وكذلك إذا سمعوا قوله: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﭼ الروم: ٥٨، يبقون حيارى لا يدرون ما هــذه الأمثــال وقد رأوا عــدد ما فيه من تلك الأمثــال المعينة بضعا وأربعين مثلا"[1].

فتـبين أن المثل في اللغة هو كلمة تسـوية، وتشـبيه وإلحـاق النظـير بـالنظير، وأما اصـطلاحا فهو تشـبيه حالة بحالة أخــرى بقصد توضــيح المعــنى. وضــرب المثل هو تقديره وإطلاقه والتمثيل به، والأمثـال المضـروبة نوعـان: الأمثــال المعينة الــتي يــذكر فيها المشــبه والمشــبه بــه، والأمثال الكلية التي لا يذكر فيها المشبه والمشبه به.

********

---

[1](?) مجموع الفتاوى 14/ 56 – 58.

**المطلب الثاني**: الفائدة من ضرب الأمثال في الكتاب والسنة:

ولضرب الأمثال في كتاب الله تعالى مقاصد عظيمة، وهي لبيان المعنى المقصود حتى يكون كالمحسوس، وهو من أعظم ما يقرب المعنى إلى العقل، لذلك عَـدّ العلمـاء الأمثال المضروبة في القرآن من الأدلة العقلية الشـرعية، لأنهـا ترشـد وتـدل إلى المطلـوب، وتـدرك بالعقـل، وهي شــرعية لورودهــا عن طريــق الشــرع، وهي آيــات اللــه الشرعية.

قال شيخ الإشلام ابن تيمية –رحمه الله-: "الأدلة الـتي نبه الله تعـالى عليها في كتابه العزيز من الأمثـال المضـروبة وغيرها الدالة على توحيـده وصـدق رسـله وإثبـات صـفاته وعلى المعــاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صــحتها بالعقل وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذلك شرعية"[1].

فــبين رحمه الله أن الأمثــال المضــروبة في القــرآن من الأدلة الــتي يعلم العقل صــحتها، وهي من الــدلائل على المطالب العالية التي هي التوحيد والنبوة والمعاد.

وقد ضر الله الأمثال في كتابه لمقاصد عديدة، وكلها ترجع إلى بيـان المقصـود وتوضـيحه وتقريبه إلى أفهـام النـاس، ومنها:

**أولا: بيان أن حكم الشيء حكم مثله:**

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وضرب الأمثـال وصـرفها في الأنــواع المختلفة وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عبــاده على أن حكم الشــيء حكم مثلــه، فــإن الأمثــال كلها قياســات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا، تتضــمن تشــبيه الشــيء بنظـيره والتسوية بينهما في الحكم وقال تعالى: ﭽ ﮊ ... ﮪ ﮫ ﭼ العنكبوت: ٤٣، فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقــل، وقد ركز الله في فطر النــاس وعقــولهم التسـوية بين المتمـاثلين، وإنكـار التفريق بينهمـا، والفـرق بين المختلفين، وإنكار الجميع بينهما"[2].

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 1/ 199.

[2] إعلام الموقعين 2/ 248.

وقال أيضا: "قالوا قد ضرب الله سبحانه الأمثال وصرفها قدرا وشرعا ويقظة ومناما، ودل عباده على الاعتبار بذلك وعبورهم من الشيء إلى نظيره واستدلالهم بالنظير على النظير"[1].

فبين رحمه الله أن الأمثال المضروبة تدل الإنسان على معرفة أحكام الأشياء المتماثلة، فحكم الشيء هو حكم نظيره ومثيله.

**ثانيا: توضيح المعاني وبيانها، وذلك بتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين:**

قال ابن سعدي رحمه الله:"فمن أنواع تعاليمه – أي القرآن - العالية: ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة. ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين، وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه بهم"[2].

وقال أيضا: "فإن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه"[3].

فبين رحمه الله أن من رحمة الله بعباده وحسن بيانه وتعليمه أن ضرب لهم الأمثال ليبين لهم المعاني ويوضحها غاية الوضوح، وذلك في الأمور المهمة كالتوحيد والأعمال الجليلة، حتى تصير كالأمور المحسوسة.

**ثالثا: تنزيل المعقول منزلة المشهود بالحس ليكون التصديق به أتم ومعرفته أكمل وضبطه أسهل:**

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله-: "تنزيل المعقول منزلة المشهود بالحس فيكون التصديق أتم ومعرفته أكمل

---

[1] إعلام الموقعين 2/ 323.

[2] القواعد الحسان في تفسير القرآن 3/، 383، (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي).

[3] تيسير الكريم الرحمن ص: 425.

وضبطه أسهل، فهذه فائدة ضرب الأمثال وهي خاصة العقل ولبه، ولهذا أكثر الله تعالى منها في القرآن ونفى عقلها عن غير العلماء فقال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ العنكبوت: ٤٣ "[1].

فبين رحمه الله أن فائدة ضرب الأمثال هي تنزيل المعقول، وهو المعنى التي تدرك بالعقل منزلة المشهود بالحس، فبين أن محل الأمثال المضروبة هو العقل، لذلك لا يفهمها إلا العالِمين.

وقال أيضا:"ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون، فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر"[2].

فجمع بين المقصدين السابقين للأمثال المضروبة؛ بيان أن حكم الشيء حكم مثله، وتنزيل المعقول منزلة المحسوس وتقريبه إليه.

**رابعا: الاستماع إليها وتعقلها والتفكر فيها والاعتبار بها والتذكير بها:**

ومن مقاصد ضرب الأمثال في القرآن، الاستماع إليها، وتعقلها والتفكر فيها والاعتبار بها، ﭧ ﭨ ﭽ ﮡ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الحج: ٧٣، و ﭧ ﭨ ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ العنكبوت: ٤٣ ، و ﭧ ﭨ ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الحشر: ٢١، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الزمر: ٢٧، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ إبراهيم: ٢٥.

قال الإمام الطبري –رحمه الله-: " ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ الزمر: ٢٧ – ٢٨ ، وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده، وحثهم فيها، على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آية، لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من

---

[1] مدارج السالكين 1/ 460.

[2] إعلام الموقعين 2/ 270.

القيل والبيـــان والكلام إلا على معـــنى الأمر بـــأن يفهمه ويفقهه ، ثم يتدبره ويعتبر به"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الزمـر: ٢٧ – ٢٨، فـذكر القـرآن وبين أنه قـدّر فيه من جميع المقـاييس والأمثـال المضـروبة، لأجل التـذكير فـدعى هنا إلى التذكير والاعتبار بما فيه من الأمثال"[2].

فـدلت الآيـات على أن من المقصـود بضـرب الأمثـال هـو الاستماع إليها وتعقلها والتفكر فيها والاعتبار.

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله-:"ولقد أخبر سـبحانه أنه ضــرب الأمثــال لعبــاده في غــير موضع من كتابــه، وأمر باســتماع أمثالــه، ودعا عبــاده إلى تعقلها والتفكــير فيها والاعتبار بها وهذا هو المقصود بها"[3].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "يقول تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ الإسـراء: ٨٩ أي: نوعنا فيه المواعظ والأمثال، وثنينا فيه المعاني التي يضطر إليها العبـاد، لأجل أن يتــذكروا ويتقــوا، فلم يتــذكر إلا القليل منهم، الــذين ســبقت لهم من الله ســابقة الســعادة، وأعــانهم الله بتوفيقه"[4].

**خامسا: بيان أن الطريقة الشرعية تتضمن الخبر بالحق والتعريف بالطرق الموصلة إليه النافعة للخلق:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"فالرسول ﷺ يخبر بــالحق ويقيم عليه الأدلة العقلية البرهانية الموصــلة إلى معرفته، كالأقيسة العقلية وهي الأمثال المضروبة، ﮋ ﮊ ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ الإسراء: ٨٩ ، و ﮋ ﮊ ﭽ ﯪ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ الكهف: ٥٤ إلى قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ الكهف: ٥٦ – ٥٧. و ﮋ ﮊ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ

[1] جامع البيان 1/ 76 – 77.

[2] الاستقامة 1/ 224.

[3] إعلام الموقعين 2/ 329 – 230.

[4] تيسير الكريم الرحمن ص: 466.

الزمر: ٢٧ ، وهو سبحانه يجيب عن المعارضات كما ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ الفرقان: ٣٣ ، وهذا مبسوط في غـير هـذا الموضـع، والمقصـود هنا أن الطريقة الشـرعية تتضـمن الخـبر بـالحق والتعريف بـالطرق الموصـلة إليه النافعة للخلق"[1].

هذه هي أهم مقاصد ضرب الأمثال في القرآن، وهي للبيان والتوضيح والاعتبـار، وهي من أنفع طـرق الحصـول على العلم بالشيء وحكمه، لذلك حث الله على الاستماع إليها، وأمر بتعقلها والتفكـير فيها والاعتبـار بهـا، لـذلك بين أنها لا يعقلها إلا العالمون، وذلك لجلالة مقاصدها وعلوها. قـال ابن القيم-رحمه اللـه-:"إنه سـبحانه أخـبر عن أمثاله التي يضربها لعباده يدلهم على صحة ما أخـبر بـه، أن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها، فقال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ العنكبوت: ٤٣ "[2].

وقـال الشـنقيطي: "وفي هـذه الأمثـال وأشـباهها في القــرآن عــبر ومواعظ وزواجر عظيمة جــدا، لا لبس في الحق معها، إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ العنكبوت: ٤٣ ، ومن حكم ضرب المثل: أن يتذكر الناس، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ إبراهيم: ٢٥"[3].

فتــــبين أن أهل العلم هم المنتفعــــون بالأمثــــال المضروبة في كتاب الله، لأنهم هم الــذين يسـتمعون إليها ويتعقّلونها ويتفكرون فيها وينظرون فيها نظر الاعتبار.

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 3/ 305 – 306.
[2] مفتاح دار السعادة 1/ 138.
[3] أضواء البيان 4/ 169.

ومقاصد ضرب الأمثال في القرآن كثيرة، وقد أجملها السيوطي[1] بقوله: "قال الشيخ عز الدين[2]: "إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه، فإنه يدل على الأحكام"[3].

وقال غيره[4]: "ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة؛ التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير

---

1(?) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب.

ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وأمه تركية، ونشأ في القاهرة يتيما فحفظ القرآن العظيم، وله من العمر دون ثماني سنين. ثم حفظ عمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك، ومنهاج البيضاوي، ويذكر أن تصانيفه نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل.

ومن كتبه (الخصائص والمعجزات النبوية) و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ستة أجزاء، و(صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام) و(اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) و(مسالك الحنفا في والدي المصطفى). وكانت وفاته - رحمه الله - في سنة إحدى عشرة وتسعمائة. (انظر حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/ 335 - 344)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (4/ 65 - 70)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (1/ 227 - 231)، الأعلام للزركلي (3/ 301 - 302).

2(?) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام، عز الدين، أبو محمد السلمي، الدمشقي، الشافعي. الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وتفقه على الإمام فخر الدين ابن عساكر؛ وقرأ الأصول والعربية، ودرس وأفتى وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وانتهت إليه معرفة المذهب ودقائقه، وتخرج به أئمة، وله التصانيف المفيدة، والفتاوى السديدة، وكان إماما، ناسكا، ورعا، عابدا، أمارا بالمعروف، نهاء عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم.

ومن تواليفه "الإمام في أدلة الأحكام" و"قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" و"بداية السول في تفضيل الرسول". وتوفي في عاشر

وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسـوس، فـإن الأمثـال تصـور المعـاني بصـورة الأشـخاص لأنها أثبت في الأذهـان لاسـتعانة الـذهن فيها بـالحواس، ومن ثم كـان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشـاهد. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقـاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقـيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله قـال تعـالى وضـربنا لكم الأمثال فامتن علينا بذلك لما تضمنته من الفوائد"[5].

*******

جمادى الأولى سنة ستين وستمائة، (انظر تـاريخ الإسـلام للـذهبي (14/ 933)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (8/ 209 ـ 254)، طبقات الشافعيين (2/ 873 - 875)، الأعلام للزركلي (4/ 21).

[3] انظر الإمام في بيان أدلة الأحكام (ص: 143).

[4] هو الزركشي في كتابه البرهـان في علـوم القـرآن (1/ 486 - 487).

[5] الإتقان في علوم القرآن 4/ 38 – 39.

## المبحث الثاني: ضرب المثل في تقرير التوحيد, وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**: ضرب المثل لكلمة التوحيد:

لقد ضرب الله الأمثال الكثيرة في كتابه لبيـان توحيد الألوهية وتقريـره والاسـتدلال عليـه، وقد نـوّع الله هـذه الأمثال وصرّفها في أنواع مختلفة، منها ضـرب المثل على كلمة التوحيد لبيـان رسـوخها وثمرتها في الـدنيا والآخـرة، ومنها ضرب المثل على كلمة الشـرك والكفر لبيـان خبثها وسـوء عاقبة من اعتنقهـا، ومنها ضـرب المثل على حـال الآلهة المعبـــودة من دون الله لبيـــان عجزها وخلوها عن خصائص الألوهية، ومنها ضـرب المثل لنفسه تعـالى - وله المثل الأعلى - لبيـان كمـال قدرته وكمـال غنـاه، وإثبـات اسـتحقاقه الألوهية لتفـرده بخصـائص الربوبية والألوهيـة، ومنها ضــرب المثل على بيــان ســوء حــال المشــركين، وخسارتهم في الدنيا والآخـرة، وكـذلك ضـرب المثل على أعمــــالهم الخبيثة المردية الهالكــــة. كل هــــذه الأمثــــال المضــــروبة لبيــــان تقرير توحيد الألوهيــــة، وأن الله هو المستحق بالعبادة وبيان قبح الشرك وإبطاله.

ففي هذا المطلب يتناول البـاحث الحـديث عن المثل المضــــروب على كلمة التوحيد الــــتي هي كلمة الإخلاص وكلمة الشــهادة؛ "لا إله إلا اللــــه"، الــــتي تتضــــمن نفي الألوهية عن كل شيء، مع إثباتها لله وحده لا شريك له.

ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥.

يخــبر تعــالى أنه ضــرب مثلا على كلمة التوحيد في قلب المـؤمن الموحِّد، الـتي وصـفها بكلمة طيبة فشـبهها بالشــجرة الطيبــة، الطيب ثمرهــا، وهــذه الشــجرة هي النخلة، المرسوخة أصولها في الأرض، والمنتشرة فروعها في السماء مرتفعة، وأن المــراد بالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قوله: ﭽ ﭧ ﭨ ﭼ: شهادة أن لا إله إلا الله ﭽ ﭩ ﭪ ﭼ، وهو المؤمن ﭽ ﭫ ﭬ ﭼ

، يقول: لا إله إلا الله، ثابت في قلب المؤمن ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ ، يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء"[1].
فبين رضي الله عنه أن الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد.
والمـراد بالشـجرة الطيبة هي النخلـة وذلـك مـا رواه ابن جرير عن أنس بن مالك مرفوعا وموقوفا: ﭽ ﯦ ﯧ ﭼ ، قال: "هي النخلة"[2].
وهو المــروي عن مجاهد ومســروق وعكرمة والضــحاك وقتـادة وابن زيـد، وروي كـذلك عن ابن عبـاس رضي الله عنه[3].
فشبه الله تعالى كلمة التوحيد بالنخلة بجـامع طيبهما ورســـوخهما وعلوهما وارتفاعهما وطيب ثمرهما وعـــدم انقطاع بركاتهما. لأن هذه الكلمة تثمر الأعمـال الصـالحة، الـتي تكـون سـببا في سـعادة الـدارين، كما أن الشـجرة الطيبة تثمر الثمر النـــافع، الـــذي ينتفع به العبـــاد. وأصل الكلمة في قلب المـؤمن، لا يـزول الإخلاص فيـه، وفروعه في السـماء هي الخشـية، وهـذا يشـبه الشـجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفـرع في السـماء، لا تـزال تـؤتي ثمرها كل حين.
قال العلامة ابن القيم-رحمه اللـه-: "إنه سـبحانه شـبه شـجرة التوحيد في القلب بالشـجرة الطيبة الثابتة الأصـل، الباسقة الفرع في السماء علوا الـتي لا تـزال تـؤتي ثمرتها كل حين. وإذا تـأملت هـذا التشـبيه رأيته مطابقا لشـجرة التوحيد الثابتة الراســـخة في القلب الــــتي فروعها من الأعمـال الصـالحة الصـاعدة إلى السـماء، ولا تـزال هـذه الشجرة تثمر الأعمـال الصـالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ومراعاتها حق رعايتهـا. فمن رسـخت هـذه الكلمة في قلبه بحقيقتها الــتي هي حقيقتهــا، واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة الإلهية الــتي يثبتها قلبه للـــه، ويشـــهد بها لســـانه

---

[1] جامع البيان 16/ 567.
[2] المصدر نفسه 16/ 569.
[3] انظر المصدر نفسه 16/ 571 – 572.

وتصـــــدقها جوارحه ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما ســـوى الله وواطأ قلبه لســـانه في هـــذا النفي والإثبـــات وانقــادت جوارحه لمن شـــهد له بالوحدانية طائعة ســـالكة ســبل ربه ذللا غــير ناكبة عنها ولا باغية ســواها بــدلا كما لا يبتغي القلب ســوى معبــوده الحق بــدلا فلا ريب أن هــذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصـاعد إلى الله كل وقت فهـذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعــالى وهـــــذه الكلمة الطيبة تثمر كلاما كثـــــيرا طيبا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح إلى الكلم الطيب كما ﭧ ﭨ ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ فاطر: ١٠ ، فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وأخـــــــبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متصـــــــــفا بموجبها قائما قلبه ولســانه وجوارحه بشــهادته فهـذه الكلمة الطيبة هي الــتي رفعت هذا العمل من هـذا الشـاهد أصـلها ثـابت راسخ في قلبه وفروعها متصــــلة بالســـــماء وهي مخرجة لثمرتها كل وقت"[1].

بهذا المثل يتبين لنا أن التوحيد ذو أصل ثــابت في قلب المؤمن الموحد، وأن له ثمرة، حيث يثمر الأعمـال الصـالحة في كـل وقت، فتنفـع صـاحبه في الـدنيا والآخـرة، وأن هـذه الأعمال ترفع إلى السـماء، كمـا أن الشـجرة الطيبـة أصـلها ثابت في الأرض، وفروعها في السماء، وتثمر الثمــر الطيبــة التي ينتفع بها الناس.

********

---

[1] إعلام الموقعين 2/ـ 299 – 300، وانظر معـالم التنزيل 4/ 346 – 347، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 491 – 493، تيسير الكريم الرحمن ص: 425.

**المطلب الثاني:** ضرب المثل للمؤمن الموحد:

من الأمثــال الــتي ضــربها الله على توحيد الألوهية لتقريره وبيانه والاستدلال عليه، ما ضربه الله تعـالى على المـؤمن الموحِّد، لبيـان حسن التوحيد وذلك ببيـان حـال الموحد. وسأقتصر على مثلين في هذا الموضع:

**المثل الأول:**

ٹ ڈ ﭽ [illegible] ى ى
ي ي ﭼ الزمر: ٢٩.

في هذه الآية ضرب اللـه المثـل للمشـرك والموحـد، فشبه المشرك بالمملوك الذي يملكـه جماعـة متنـازعون، لأن المشرك الذي يعبـد الآلهـة المتعـددة يشـبه المملـوك الذي يخدم جماعة متعددة، وأمـا الموحـد الـذي يعبـد اللـه وحده لا شـريك لـه، يشـبه المملـوك الـذي ليس لـه سـيد يخدمه إلا رجل واحد. فالأول مضطرب متشتت الفكر في خدمتـه لجماعـة متنـازعون، لا يمكن أن يحظي برضـاهم جميعـا، بخلاف الآخـر فهـو مطمئن في راحـة نفسـية لأنـه منقاد لخدمة سيد واحد، يعـرف الطـرق الـتي يتوصـل بهـا إلى مرضـاة سـيده. فهـذا مثـل في المقارنـة بين الموحـد المطمئن الذي يصـل إلى مرضـاة ربـه تعـالى، والمشـرك المضطرب المشوش الذي يلقى غضب آلهتـه، لأنهـا تتـبرأ ممن عبدها يوم القيامة.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: "هذا مثل ضــربه الله سـبحانه للمشــرك والموحــد، فالمشــرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنــازعون مختلفــون متشــاحون، - والرجل المتشاكس الضـيق الخلق - فالمشـرك لما كـان يعبد آلهة شــتى شــبه بعبد يملكه جماعة متنافســون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين. والموحد لما كان يعبد الله وحـــده، فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد ســـلم له وعلم مقاصــده وعــرف الطريق إلى رضــاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سـالم لمالكه من غـير تنـازع فيه، مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسـانه إليه وتوليه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان.

وهــذا من أبلغ الأمثــال فــإن الخــالص لمالك واحد يســــــتحق من معونته وإحســــــانه والتفاته إليه وقيامه بمصـالحه ما لا يسـتحق صـاحب الشـركاء المتشاكسـين، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون"[1].

وقال أيضا: "كذلك قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ الزمر: ٢٩، احتج سـبحانه على قبح الشـرك بما تعرفه العقـول من الفـرق بين حال مملوك يملكه أربـاب متعاسـرون سـيئو الملكـة، وحال عبد يملكه سيد واحد قد سلم كله له، فهل يصح في العقـول اسـتواء حـال العبـدين؟ فكـذلك حـال المشـرك والموحد الــــــذي قد ســــــلمت عبوديته لإلهه الحق لا يستويان"[2].

فتـبين من هـذا المثـل الـذي ضـربه الله للموحـد أن سعادة الإنسـان في الدنيا والآخـرة تكمن في كونـه عبـدا خالصا لله تعالى، مسلِّما وجهـه للـه وحـده لا شـريك لـه، بذلك يفوز بمرضاة الله تعالى وحسن ثوابه، وأما المشرك فهــو المضــطرب في الــدنيا والآخــرة وأن عاقبتــه هي الخسران المبين.

**المثل الثاني:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ هود: ٢٤.

في هـذا المثـل شـبه اللـه تعـالى المـؤمن الموحـد المخبت إلى ربـه تعـالى بالبصـير والسـميع بجـامع البصـر والســمع، لأن المؤمنــون كــانوا يــرون الحــق ببصــيرتهم ويسـمعونه سـمع قبـول وانقيـاد، وشـبه الكـافر المشـرك بـالأعمى والأصـم بجـامع عـدم البصـر وعـدم السـمع، لأن الكفار لا يبصرون الحق ولا يستمعون إليـه اسـتماع قبـول وانقياد، فهم أعمى البصيرة كما قال تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ... ﭼ الحج: ٤٦، فبين أنهم لا يبصرون

---

[1] إعلام المـوقعين 2/ 319 – 320، وانظر تيسـير الكـريم الرحمن ص: 724.

[2] مدارج السالكين 1/ 654.

بالبصيرة التي في الصدور، ولا يسمعون سمع قبول ولا يفهمون.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله -: "فإنه سبحانه ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم، فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن، وجعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه، فشبهه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء وسمعه أصم عن سماع الأصوات. والفريق الآخر بصير القلب سميعه كبصير العين وسميع الأذن، فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله هل يستويان مثلا"[1].

فهذا مثل للموحد الذي يبصر الحق بقلبه ويسمعه فيقبله ويتبعه ويعمل به، وللمشرك الذي كان أعمى البصيرة، لا يبصر الحق ولا يسمعه، فهم كما قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ البقرة: ١٧١.

********

[1] إعلام الموقعين 2/ 275.

## المبحث الثالث: ضرب المثل في إبطال الشرك, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: ضرب المثل للشرك:

إن مما ضـــرب الله من الأمثـــال في القـــرآن ضـــربه المثل لنفس الشـــرك، ليـــبين لـــذوي العقـــول قبحه وســـوء عاقبته، وفي هذا النوع من الأمثال المضروبة ضرب المثل للشرك، قد كان هناك عدد من الأمثال المضروبة للشـــرك في كتاب الله تعالى، منها:

**المثل الأول: ضرب المثل لكلمة الشرك:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ

إبراهيم: ٢٦.

بعد أن ضرب الله المثل على كلمــة التوحيــد، ضــرب مثلا آخر على كلمة الشرك والكفر، ليقــارن بين الكلمــتين ليتم بيان المثل الذي ضربه على كلمة التوحيد، كما قيل: "وبضدها تتبين الأشياء"

فبــذلك يتــبين كمــال حسن التوحيد وجمالــه، وعلو مكانته عند الله تعالى، وكثرة فوائده وثمراته ونتائجه، ويــبين قبح الشــــرك وخبثه وســــوء عاقبته وشر مآلــــه، فيتم تقرير التوحيد والاستدلال عليه في أحسن بيان وأوضح مثال.

وفي هذه الآيــة ضــرب اللــه المثــل الآخــر على كلمــة الكفر والشرك فوصفها بالخبث، وشبهها بالشــجرة الخبيثة الــتي اختلعت من الأرض، فلم يكن لها اســتقرار ولا ثبــات أبدا.

وعند المقارنة بين المثلين يتبين لنا:

أن كلمة الكفر والشــرك لا قــرار لها بخلاف كلمة التوحيد التي استقرت وثبتت أصــولها في قلب المــؤمن ورســخت رسوخ الجبال الراسية.

أن كلمة الكفر والشرك دنية بخلاف كلمة التوحيد مرتفعة عالية فروعها في السماء.

أن ثمار كلمة الكفر والشرك - وهي المعاصي والــذنوب - خبيثة والخسران عاقبتها، بخلاف ثمــار كلمة التوحيد الــتي كــانت نتائجها هي الأعمــال الصــالحة والكلمــات الطيبة

النافعة، من محبة الله وتوحيده وطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.
قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: "ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة، فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية فلا ظل ولا جنى ولا ساق قائم ولا عرق في الأرض ثابت فلا أسفلها مغدق ولا أعلاها مونق ولا جنى لها ولا تعلو بل تعلي. وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكسبهم وجده كذلك، فالخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه. قال الضحاك: "ضرب الله مثلا للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة كذلك الكافر لا يعمل خيرا ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة"[1]. وقال ابن عباس: " ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ، وهي الشرك، ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ، يعني الكافر ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ، يقول: "الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يقبل الله مع الشرك عملا"[2]. "فلا يقبل عمل المشرك، ولا يصعد إلى الله، فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء"[3]. يقول: "ليس له عمل صالح في السماء ولا في الأرض". وقال الربيع بن أنس: "مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء"[4]. وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية "إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ قال: ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا، إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة"[5]"[6].

---

[1] جامع البيان 13/ 657.
[2] المصدر نفسه 13/ 656 – 657.
[3] المصدر نفسه 13/ 655.
[4] المصدر نفسه 13/ 657.
[5] المصدر نفسه 13/ 656.
[6] إعلام الموقعين 2/ 304 – 305.

فتـبين أن كلمة الشـرك والكفر كلمة خبيثـة، لا أصل مسـتقر لهـا، ولا فـرع طيب لهـا، ولا تثمر العمل الطيب النافع، إلا الخـبيث الضـار، وهي المعاصي والـذنوب، الـتي تهلك صاحبه، كما أن الشجرة الخبيثة لا خير فيها، ولا تثمر الثمر الطيب بل الخـبيث. فكـذلك حـال الشـرك وسـوء عاقبته.

**المثل الثاني:**

ﭑ ﭐ ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ڎ ڏ ژ ڙ ڑ ڒ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ﭼ الروم: ٢٨.

هذا مثل ضـربه للشـرك، لبيـان قبح الشـرك وعبـادة غير الله، ولما كـان مسـتقرا في الفطر أن كل شـيء عبد للــه، فالمخلوقـات كلها خلقه وملك لــه، فهم تحت قهــره وتدبيره، فهل يقبل العقل السـليم أن يسـوى بين الخـالق والمخلوق، وبين المالك والمملـوك، وبين العبد والمعبـود؟ لأن كل المخلوقــات عبيد لله تعــالى خلقا وكونــا. والعقل الصحيح والفطـرة السـليمة يأبيـان ذلك أشد الإبـاء، لـذلك ضرب الله هذا المثل في نفس المشركين مع ممــاليكهم، فهل يرضون بـأن يسـوى بين السـيد ومملوكه في الـرزق والخـوف، بحيث يشـاركون العبيـدُ سـاداتهم في أرزاقهم؟ فــإذا رفض العقل ذلك تســوية العبد وســيده في الــرزق والخوف فمن بـاب أولى أن لا يُسـوى الله تعـالى الخـالق المالك المــدبر في الألوهية والعبــادة والطاعة والخـــوف والرجاء.

قال الحافظ ابن كثير-رحمه اللــه-: "هـذا مثل ضـربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شـركاء وهم مع ذلك معـترفون أن شـركاءه من الأصـنام والأنداد عبيد له، ملك لـه، كما كـانوا في تلـبيتهم يقولـون: لبيك لا شــريك لــك، إلا شــريكا هو لــك، تملكه وما ملك. فقال تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ، ﭽ ڎ ڏ ژ ڙ ڑ ڒ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ﭼ أي: لا يرتضي أحد منكم أن يكــون عبــده شــريكا له في ماله، فهو وهو فيه على السواء ﭽ ڱ ڲ ڳ ﭼ أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال"[1].

وقال العلامة ابن القيم: "قوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ڎ ڏ ژ ڙ ڑ ڒ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ﭼ الروم: ٢٨ ، يحتج سبحانه عليهم لما في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكا لــه، فــإذا

---

[1] تفسير القرآن العظيم 6/ 312، وانظر جامع البيان 18/ 489، تيسير الكريم الرحمن ص: 640.

كان أحدكم يستقبح أن يكـون مملوكه شـريكه، ولا يرضى بـذلك فكيف تجعلـون لي من عبيـدي شـركاء تعبـدونهم كعبادتي، وهذا يبين أن قبح عبادة غـير الله تعـالى مسـتقر في العقـول والفطـر، والسـمع نبه العقـول وأرشـدها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك"[1].

وإذا كانوا لا يرضون لأنفسـهم هـذا، فكيف رضـوا أن تكون آلهتهم التي يعبـدونها لله شـركاء في عبـادتهم إيـاه، وهم مع ممـــــــــاليكهم عبيد لله ومماليكه ، والله مالك الجميع؟!

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ... ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ النحل: ٧١.

قال ابن كثير-رحمه الله-: "يبين تعالى للمشركين جهلهم وكفـــرهم فيما زعمـــوه لله من الشـــركاء، وهم يعترفون أنها عبيد له، كما كـانوا يقولـون في تلبيـاتهم في حجهم: "لبيك لا شريك لـك، إلا شـريكا هو لـك، تملكه وما ملك". فقـــال تعـــالى منكـــرا عليهم: إنكم لا ترضـــون أن تســاووا عبيــدكم فيما رزقنــاكم، فكيف يرضى هو تعــالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم"[2].

وقـال ابن جريـر-رحمه اللـه-: "هـذا مثل ضـربه الله تعـالى ذكـره للمشـركين بالله"، ثم روى عن قتـادة قـال: "هذا مثل ضـربه اللـه، فهل منكم من أحد شـارك مملوكه في زوجته وفي فراشه، فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحق أن ينزه منك"[3].

فإذا كان المشركون لا يرضون لأنفسـهم الشـركة مع ممـاليكهم في أمـوالهم وأهليهم، فكيف يرضـون ذلك لله تعـالى فيشـركون معه عبيـده ومخلوقاته فيخلصـون لهم الدعاء والرجاء والخوف؟!

**المثل الثالث:**

---

[1] مدارج السالكين 1/ 654، وانظر إعلام الموقعين 2/ 281 – 282.

[2] تفسير القرآن العظيم 4/ 585.

[3] جامع البيان 14/ 293 - 294، وانظر تفسير ابن أبى حاتم 7/ 2291 ، الدر المنثور 9/ 81 – 82.

ﭧ ﭨ ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ

ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ

ﭼ البقرة: ٢٦٤.

فهذا مثل ضربه الله تعالى للشرك الأصغر الذي الرياء، فمثّل الرياء في إحباطه للعمل بالحجر الأملس الذي عليه تراب، فيأتي المطر الغزير فيذهب بهذا التراب فيترك الحجر صلدا لا شيء عليه، فكذلك الرياء يذهب بالعمل الذي دخل فيه الرياء فيحبطه ولا يثاب المرائي على ذلك العمل، فكذلك الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ

الأنعام: ٨٨، وقال: ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ

ﮏ ﭼ الزمر: ٦٥، وﭧ ﭨ ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ

الفرقان: ٢٣، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ

ﯛ ﯜ ﭼ إبراهيم: ١٨.

ففي هذا المثل بيان لخطر الشرك صغيره وكبيره لأن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والرياء (الشرك الأصغر) يحبط العمل الخاص.

قال ابن القيم في بيان هذا المثل وتقرير قبح الشرك به، وبيان أن ذلك مما يفهمه العقل ويدركه: "قوله تعالى: ﭽ

ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ

ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ

ﭼ البقرة: ٢٦٤، ممثلا لقبح الرياء المبطل للعمل، والمن والأذى المبطل للصدقات بصفوان وهو الحجر الأملس عليه تراب غبار قد لصق به فأصابه مطر شديد، فأزال ما عليه من التراب فتركه صلدا أملس لا شيء عليه. وهذا المثل في غاية المطابقة لمن فهمه فالصفوان وهو الحجر كقلب المرائي والمان والمؤذي، والتراب الذي لصق به ما تعلق به من أثر عمله وصدقته، والوابل المطر الذي به حياة الأرض، فإذا صادفها لينة قابلة نبت فيها الكلأ، وإذا صادف الصخور والحجارة الصم لم ينبت فيها شيئا، فجاء هذا الوابل إلى التراب الذي على الحجر فصادفه رقيقا فأزاله، فأفضى إلى حجر غير قابل للنبات. وهذا يدل على

أن قبح المن والأذى والريـاء مسـتقر في العقـول فلـذلك نبهها على شبهه ومثاله"[1].

في هـذا المثل بيـان قبح الشـرك عمومـا، وقبح الريـاء خصوصا، لأنهما يحبطـان العمـل، فيصـير الإنسـان خاسـرا في الدنيا والآخرة.

*******

[1] مدارج السـالكين 1/ـ 655، وانظر أيضا طريق الهجـرتين 2/ 800 – 802، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص: 114.

**المطلب الثاني**: ضرب المثل بضعف الآلهة:

من الأدلة العقلية الشـرعية الـتي أقامها الله تعـالى على قبح الشرك ضرب الأمثال في بيان ضـعف الآلهة من دون الله وبيان عجزها وفقرها، ما يدل دلالة واضـحة على أنها لا تصلح أن تكون آلهـة، لأنها لا تملك لأنفسـها نفعا ولا ضرا فضلا عن عابديها، فما كان هذا وصفه فلا يستحق أن يكون إلها لأن الإله لا بد أن يكون ربا خالقا غنيا قويا رازقا يملك النفع والضر.

**المثل الأول:** ﭧ ﭨ ﭽ  ﭑ ﭒﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ الرعد: ١٤.

في هذه الآية تشبيه حال الآلهة من دونه حينما يدعوها عابدها بحال العطشان الذي يبسـط يـداه إلى المـاء ليبلـغ فاه، فلا يسـمعون دعـوتهم فضـلا عن أن يسـتجيبون لهم، فلا يسـتطيعون نصـرهم ولا أنفسـهم ينصـرون، فلا يصـل إليهم مقصـودهم، كمـا أن هـذا العطشـان لا يحصـل على مطلوبه حتى يدركه الموت.

فدل هذا المثل على ضعف الآلهة من دون الله وعجزها وفقرها، فلا يملكون شيئا ولا ينصرون عابديها ولا يملكـون لهم نفعا ولا يدفعون عنهم الضر. ودل على ضـعف عقـول المشركين؛ كيف ذهبوا يعبدون ما لا يملكـون لهم نفعـا ولا ضرا؟

فهذا برهان عقلي يوصل إلى إبطال الشرك وعبادة الآلهة من دون الله تعالى.

قال الإمام الطبري-رحمه الله-: "يقول تعـالى ذكـره : لله من خلقه الدعوة الحق ، والـدعوة هي الحق كما أضـيفت الدار إلى الآخرة في قوله : ﭽ ﮓ ﮔ ﭼ وقد بينا ذلك فيما مضى وإنما عنى بالدعوة الحق : توحيد الله ، وشـهادة أن لا إله إلا الله...

وقوله: ﭽ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هـؤلاء المشـركون آلهة بشـيء يريدونه من نفع أو دفع ضر ﭽ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعـاؤه إياهما إلا كما ينفع باسط كفيه إلى المـاء ، بسـطه

إياهما إليه من غـير أن يرفعه إليه في إنـاء ، ولكن لـيرتفع إليه بدعائه إيـــاه وإشـــارته إليه وقبضه عليه ، والعـــرب تضـــرب لمن ســـعى فيما لا يدركه مثلا بالقـــابض على الماء...

ثم روى عن قتادة قال: "هذا مثل ضـربه اللـه، أي هـذا الــذي يــدعو من دون الله هــذا الــوثن وهــذا الحجــر، لا يستجيب له بشيء أبدا، ولا يسوق إليه خيرا، ولا يدفع عنه سـوءا، حـتى يأتيه المـوت، كمثل هـذا الـذي بسط ذراعيه إلى المـاء ليبلغ فـاه ولا يبلغ فـاه ولا يصل إليه ذلك حـتى يموت عطشا"[1].

فتـــبين أن اســـتجابة الآلهة من دون الله لعابـــديها مسـتحيل كما أن بلـوغ المـاء إلى العطشـان الـذي يبسط يــده إلى المـــاء ليبلغ فـــاه محـــال، وذلك لضـــعف الآلهة وعجزها وفقرها، فلا يملكون نفعا ولا دفع ضر.

بهذا يتـبين لكل عاقل بطلان عبـادة غـير الله والتعلق بـه، فيجب إفراد الله تعالى بالألوهية وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له.

**المثل الثاني:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ النحل: ٧٥.

في هــاتين الآيــتين ضــرب الله ســبحانه مثلين مثل السوء للأصـنام بأنها لا تخلق شـيئا وهي مخلوقة ولا تملك لأنفســها ولا لعابــديها ضــرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيــاة ولا نشـورا والمثـل الآخـر ضـربه اللــه لنفسه، فهـذان مثلان ضـربهما الله لنفسه وللأصـنام، فللأصـنام مثل السـوء وله المثل الأعلى[2].

وصــورة هـذا المثل أن الله تعـالى هو المالك الغـني ينفق كيف يشاء، ويرزق من يشاء، وهو الذي يتولى كفالة الخلق كلــه، فهل يســتوي هو ومن كــان عبــدا مملوكا لا

---

[1] جامع البيان 13/ 485 – 489، وانظر تفسير القرآن العظيم 4/ 445 – 446، تيسير الكريم الرحمن ص: 415.

[2] انظر الصواعق المرسلة 3/ 1035 – 1036.

يملك شـيئا وهو تحت قهر سـيده فليس في يـده شـيء، وكل تصرفاته بيده سيده؟!
كيف يسـوي المشـركون الغـني المالك الـذي ينفق كيف يشاء بالفقير الضعيف المملوك، ويجعلـون الآلهة من دون الله شركاء له ويعبدونها من دونه مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين؟
فهذا تشـبيه حـال الله تعـالى وحـال الآلهة من دونـه، فكما لا يسـوّى بين الغـني القـادر المالك الـذي ينفق من ماله، وبين العبد المملوك الذي لا يقدر على شـيء كـذلك لا يسوى بين الله الغـني المالك الـذي يتفضل على عبيـده وينفق عليهم، وبين الآلهة من دونه الـــتي هي خَلْق من مخلوقاته وعبـاد من عبيـده، فلا يملكـون شـيئا إلا ما آتاها الله تعـالى، وهي فقـيرة وضـعيفة وعـاجزة المملـوك في العبـادة، الـذي ليس عنـده شـيء مما يعطيه لعابديـه، فلا تسـوى معه في العبـادة والألوهيـة، فالتسـوية بينهما مما يمجُّه العقل والفطرة السليمة.
قـال ابن القيم-رحمه اللـه-: "هـذان مثلان متضـمنان قياسـين من قيـاس العكس، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه، فإن القياس نوعـان؛ قيـاس طـرد يقتضي إثبـات الحكم في الفـرع لثبـوت علة الأصل فيـه، وقيـاس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفـرع لنفي علة الحكم فيـه. فالمثل الأول ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثـان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبيده سرا وجهرا وليلا ونهارا، يمينه ملأى لا يغيضـها نفقة سـحاء الليل والنهار، والأوثان مملوكة عاجزة لا تقـدر على شـيء فكيف يجعلونها شـركاء لي ويعبـدونها من دوني مع هـذا التفاوت العظيم والفرق المبين، هذا قـول مجاهد وغـيره. وقال ابن عبـاس: "هو مثل ضـربه الله للمـؤمن والكـافر، ومثل المـؤمن في الخـير الـذي عنـده ثم رزقه منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سـرا وجهـرا، والكافر بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقـدر على شـيء لأنه لا خير عنده، فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء؟".
والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك،

وأوضح عند المخاطب، وأعظم في إقامة الحجـة، وأقـرب نسبا بقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ النحل: ٧٣ – ٧٤. ثم قال ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ٧٥..."[1].

**المثل الثـالث: في بيـان اتصـاف الآلهة من دون الله بالنقص والعيوب:**

ﮅ ﮆ ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ النحل: ٧٦.

في هـذا المثل بيـان نقص الآلهة من دون الله تعـالى واتصـافها بـالعيوب، حيث شـبه الله تعـالى الآلهة من دونه بالرجل الأبكم الـذي لا ينطـق، العـاجز الـذي لا يقـدر على كل شيء، الذي لا يأتي بخير، بجـامع أن كلا منهما لا يتكلم ولا يقدر على شيء ولا يأتي بخير، وضرب الله لنفسه مثلا - وله المثل الأعلى - بالذي يأمر بالعدل وهو على الصراط المسـتقيم بجـامع أن كلا منهما حي متكلم يـأمر بالعـدل، وهذا وصف الله تعالى بالكمال.

هذا المثل يدل العاقل على أن الآلهة المتصفة بـالنقص والعيـوب، لا تسـتوي مع الله الموصـوف بصـفات الحمد والكمـال. فـإذا تقـرر في العقل أنهما لا يسـتويان فكيف يسوي المشركون بينه وبين آلهتهم في العبادة، ويشركونه معها في الألوهية؟

فهـذا دليل عقلي وبرهـان قـاطع على بطلان عبـادة الآلهة من دون الله تعالى.

قـال ابن القيم-رحمه اللـه-:"وأما المثل الثـاني فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبد من دونه أيضا، فالصـنم الـذي يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطـق، بل هو أبكم القلب واللسـان، قد عـدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عـاجز لا يقـدر على شـيء البتة، ومع هـذا فأينما أرسـلته لا يأتيك بخـير ولا يقضي لك حاجـة. والله سـبحانه حي قـادر متكلم يـأمر بالعـدل وهو على صـراط مسـتقيم، وهـذا وصف له بغاية الكمـال

[1] إعلام المـوقعين 2/ـ 283 – 287، وانظر تيسـير الكـريم الرحمن ص: 444 – 445.

والحمد، فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضـمن أنه سـبحانه عالم به، معلم له، راض به، آمر لعباده به، محب لأهلـه، لا يأمر بسـواه، بل تـنزه عن ضـده الـذي هو الجـور والظلم والسفه والباطل"[1].

[1] إعلام الموقعين 2/ـ 283 – 287، وانظر جـامع البيـان 14/ 309 – 310، تيسير الكريم الرحمن ص: 445.

## المثل الرابـــع: بيـــان أن الآلهة من دون الله لا يستطيعون خلق أي شيء من المخلوقات:

ﭩ ﭨ ﭼ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ
ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ
ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ الحج: ٧٣ – ٧٤

في هـذا المثل أعظم دلالة على بيـان ضـعف الآلهة من دون الله وبطلان عبادتهـا، بحيث أنها فاقـدة لأخص صـفات الربوبية الذي هو الخلق، ولما كان الإله لا بد أن يكون ربــا، والـرب لا بد أن يكـون خالقـا، والآلهة من دون الله عـاجزة عن خلق أصغر خلق الله الذي هو الذباب دل دلالة واضحة على بطلان إلهية تلك الآلهة وعبادتهـــا، وكل عاقل يـــدرك هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭼ جعل ما هو من أصـغر المخلوقـات مثلا ونظـيرا يعتبر به، فإذا كان أدون خلق الله لا يقــدرون على خلقه ولا منازعتــه، فلا يقــدرون على خلق ما ســواه. فيعلم بها من عظمة الخالق وأن كل ما يعبدون من دون الله في السماء والأرض لا يقــدرون على ما هو أصــغر مخلوقاته. وقد قيل: إنهم جعلوا آلهتهم مثلا لله فاستمعوا لذكرها؛ وهذا لأنهم لم يفقهوا المثل الذي ضربه الله جعلـوا المشـركين هم الـذين ضربوا هذا المثل. ومثل هذا في القرآن قد ضربه الله ليبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا ومثلا"[1].

فبين رحمه الله أن هذا المثل يدل على استحقاق الله بالألوهية وتفرده بالعبادة وذلك لتفرده بالخلق وحـده، وهو الرب وحـده، ولا يسـتحق الألوهية إلا الـرب الواحد الأحـد، وهذا المثل يـدل على عظمة الخـالق، وأن كل ما يعبـدون من دون الله في الســماء والأرض لا يســتحقون العبــادة، لأنها لا يقدرون على ما هو أصـغر مخلوقاته تعـالى، فتـبين عظمة الخالق، وضعف الآلهة وعجزهـا، فاسـتحق الخـالق للعبادة، وبطل عبادة الآلهة من دونه.

ومما يدل على عظمة الخالق وضعف الآلهة من دونه كون هذه الآلهة لا يستطيعون اسـتنقاذ مـا يسـلب الـذباب

---

[1](?) مجموع الفتاوى 13/ 17.

منهم، فـأي ضـعف أعظم من هـذا الإلـه العـاجز، الـذي لا يدفع الضر عن نفسه فضلا عن عابده؟

قال ابن القيم-رحمه الله-:"فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه فمن لم يستمعه فقد عصى أمــره، كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبـــارة وأحســـنها وأحلاهـــا، وأســـجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صـعيد واحد وسـاعد بعضهم بعضا وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذبـاب واحـد. ثم بين ضـعفهم وعجـزهم عن اسـتنقاذ ما يسـلبهم الذباب إياه حين يسـقط عليهم، فـأي إله أضـعف من هـذا الإله المطلـوب ومن عابـده الطـالب نفعه وخـيره؟! فهل قـدّر القـوي العزيز حق قـدره من أشـرك معه آلهة هـذا شـــأنها؟! فأقـــام ســـبحانه حجة التوحيد وبين إفك أهل الشـرك والإلحـاد بأعـذب ألفـاظ وأحسـنها، لم يسـتكرهها غمـوض ولم يشـنها تطويل ولم يعبها تقصـير ولم تـزر بها زيـادة ولا نقص، بل بلغت في الحسن والفصـاحة والبيـان والإيجاز مالا يتـوهم متـوهم، ولا يظن ظـان أن يكـون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعـنى الجليل القـدر العظيم الشرف البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ"[1].

فبين أنه في هذا المثل أعظم دلالة على ضعف الطالب والمطلوب، أي الآلهة وعابديها، بحيث أن الآلهة لا تستطيع أن تخلق أصغر وأحقر مخلوقات الله، ولا تستطيع استنقاذ ما يسلب الذباب منها، ومع ذلك يتخذها هؤلاء المشــركون ويعبـــدونها ويـــدعونها طلبا لقضـــاء الحـــوائج، ويرجونها ويخافونها، فكيف يصح في العقل أن يسـتند إلى الضـعيف الـذي لا يـدفع عن نفسه الضـر؟ لا يفعل ذلك إلا من كـان ضعيف العقل، لذلك وصف الله تعالى المشركون وآلهتهم بالضعف فقال: ﭼ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ.

بهذا يتبين بطلان عبـادة غـير الله تعـالى، لأن الله هو الـرب الخـالق المتفـرد بكمـال القـدرة، بخلاف الآلهة من دونـه. فمن عبد غـير الله فلا شك أنه ما قــدر حق قــدره،

---

[1] الصواعق المرسلة 2/ 466 – 467، وانظر أيضا الصواعق 4/ 1363 – 1364، إعلام الموقعين 2/ 312 – 313.

وما عــرف عظمته تعــالى، وما اعتقد كمــال صــفاته لأنه سوى بينه وبين الضعيف العـاجز الـذي خلى من خصـائص الألوهية.

*******

**المطلب الثالث**: ضرب المثل للمشركين وأعمالهم:

إن مما يبين بطلان الشرك وقبحه، ويدل على وجوب التوحيد وحسنه ما ضرب الله للمشركين وأعمالهم من الأمثال في كتابه، فقد ضرب الله الأمثال للمشركين وأعمالهم عدة أمثال ليبين استحقاقه للألوهية وبطلان عبادة غيره من الآلهة، وفي هذا المطلب نتناول نوعين من الأمثال المضروبة:

**النوع الأول: الأمثال المضروبة للمشركين أنفسهم:**

**الْمَثَل الأول:**

ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ

ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ الحج: ٣٠ - ٣١

في هذه الآية نهى الله عن الشرك وأمر باجتناب الأوثان، ثم ضرب مثلا لبيان حال المشرك حيث شبهه بمن خر وسقط من السماء، والطيور تخطفه، والهواء يهوي به إلى مكان سحيق.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره، ويجوز لك في هذا التشبيه أمران؛ أحدهما: أن تجعله تشبيها مركبا ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه نجاة، فصور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير في الهوى فتمزق مزقا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق، فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير الذي تخطف أعضاءه وتمزقه كل

ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه وتؤزه أزا، وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء"[1].

فبين رحمه الله أن تصوير هذا المثل يحتمل صورتين:

**الأولى**: التشبيه المركب بحيث لا ينظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به، فتكون صورة المثل هو: أن الله تعالى شبه المشرك الذي تسبب في هلاك نفسه هلاكا لا يرجى له نجاة، بحال من خر من السماء، فاختطفته الطيور ومزقته، وعصفت به الريح وألقته في مكان بعيد العمق، فحال المشرك هو حال هذا الرجل، لأن الشرك يهلك صاحبه ويطرحه في عمق جهنم خالدا فيها أبدا.

**الثانية**: أن يكون من التشبيه المفرّق، فيقابل كل فرد من أفراد المشبه بمقابله من المشبه به، فتكون صورته بأن يكون الله شبه التوحيد في علوه وشرفه بالسماء، وشبه المشرك التارك له بالساقط من السماء إلى الأرض، والطير التي تخطفه وتمزقه بالشياطين التي تدفعه إلى المهالك، والريح الذي يهوي به ويطرحه في مكان بعيد بهواه الذي يهوي به إلى الهلاك.

ففي كلا الصورتين شبه الله حال المشرك بحال من هلك هلاكا لا يرجى له نجاة[2].

**الْمَثَل الثاني:**

ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ العنكبوت: ٤١

في هذه الآية ضرب الله مثلا للمشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء، يعبدونهم من دون الله يرجونهم ويدعونهم في حوائجهم لجلب منفعة أو دفع ضر،

---

[1] إعلام الموقعين 2/ 311 – 312.

[2] انظر المصدر نفسه 2/ 311 – 312.

فهم ضعفاء محتاجون، فاعتمدوا على من هو أضعف منهم الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضـرا فضلا عن غـيرهم، فمثّلهم بـــالعنكبوت الـــذي يتخذ بيتا هو أوهن الـــبيوت وأضــعفها، فشــبههم بحــال ضــعيف اعتمد على من هو أضعف منه الذي لا يغني عن نفسه شيئا.

يقـول ابن القيم في توضـيح هـذا المثـل: "فـذكر سـبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخـذوهم أوليـاءهم أضـعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كـالعنكبوت اتخذت بيتـا، وهو من أوهن الـبيوت وأضـعفها، وتحت هـذا المثل أن هـؤلاء المشـركين أضـعف ما كـانوا حين اتخـذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ مريم: ٨١ - ٨٢ ، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ يس: ٧٤ - ٧٥ ، وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ هود: ١٠١ .

فهذه أربعة مواضع في القرآن تــدل على أن من اتخذ من دون الله وليا يتعزز به ويتكــبر به ويستنصر بــه، لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي القـرآن أكـثر من ذلـك، وهـذا من أحسن الأمثــال وأدلها على بطلان الشــرك، وخســارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده.

فإن قيـل: فهم يعلمـون أن أوهن الـبيوت بيت العنكبـوت، فكيف نفي عنهم علم ذلك بقوله لو كانوا يعلمون؟

فــالجواب: أنه ســبحانه لم ينف عنهم علمهم بــوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أوليــاء من دونه كالعنكبوت اتخـذت بيتـا، فلو علمـوا ذلك لما فعلـوه، ولكن ظنــوا أن اتخــاذهم الأوليــاء من دونه يفيــدهم عــزا وقدرة، فكان الأمر بخلاف ما ظنوه"[1].

فهـذا المثل من أحسن الـبراهين العقلية على إثبـات ألوهية الله تعـالى وإبطـال عبـادة الآلهة من دونه، لأن من اتخذ من دون الله أوليـــاء يرجـــونهم فلا يحصـــلون على مقصودهم، ولا يجـدون بغيتهم عنـدهم، لتفـرد الله بكمـال

---

[1] إعلام الموقعين 2/ 275 – 276.

الصفات وخصائص الألوهية، واختصاصه بالنفع والضــر، فلا يــرجى إلا هــو، ولا يطلب إلا منــه، بخلاف غــيره من الآلهة المتصفة بصفات الضعف والعجز التي لا تضر ولا تنفع.

**النـــوع الثـــاني: الأمثـــال المضـــروبة لأعمـــال المشركين:**

**الْمَثَل الأول:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ
ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﯼ ﭼ إبراهيم: ١٨

في هذه الآية ضرب الله مثلا للكفار والمشـركين في أعمالهم، لبيان أنها لا تنفعهم يوم القيامـة، فشـبهها برمـاد تمر عليه الـريح الشـديدة في يـوم عاصف فيطـير الرمـاد في الهـواء، وهـذه الحالة لا يبقى من الرمـاد شــيء، لأن هـذه الـريح العاصف يـذهب به كلـه، وتفرقه ويتلاشى فلا يُرى له أثر. فكـذلك يفعل الكفر والشـرك بأعمـال الكفـار والمشركين، فإن أعمالهم حابطة، لا ينفعهم عمل حســن، لأن الله لا يقبل الأعمـــال الحســـنة إلا على أســـاس من التوحيد والإخلاص، فهـــذا يـــدل على خســـارة الكفـــار والمشركين في الدنيا والآخرة.

فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الكفر والشرك يحبطان الأعمال كلــه، وأن الله لا يقبل العمل منهم، ﭧ ﭨ ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ المائدة: ٢٧، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ التوبة: ٥٣ – ٥٤، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الزمر: ٦٥، فكل هذه النصوص مما تدل على أن المشـركين والكفار في خسارة مما كسبوا، فلا ينتفعون بـه أبـدا، هـذا ممـا يـدل على قبح الشـرك وأن مآلـه الخسـارة أبديـة والعذاب السرمدية.

يقـول ابن القيم في توضـيح هـذا المثل العظيم: "فشـبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعـدم الانتفـاع بها برمـاد مرت عليه ريح شـديدة في يـوم عاصـف، فشـبه سـبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثـور، لكونها على غير أساس من الإيمـان والإحسـان، وكونها لغـير الله

عز و جل وعلى غير أمره، برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك قال: ﭧ ﭨ ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁﰂ ﭼ إبراهيم: ١٨، لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء، فلا يـرون له أثـرا من ثـواب ولا فائـدة نافعـة، فـإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، موافقا لشرعه. والأعمـال أربعة: فواحد مقبول، وثلاثة مـردودة. فـالمقبول؛ الخـالص الصواب، فالخـالص أن يكـون لله لا لغـيره، والصـواب أن يكون مما شرعه الله على لسان رسوله، والثلاثة مردودة ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرمـاد سر بـديع، وذلك للتشـابه الـذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحـراق النـار وإذهابها لأصل هـذا وهذا، فكانت الأعمال الـتي لغـير اللـه، وعلى غـير مـراده طعمة للنار وبها تسعر النـار على أصـحابها، وينشـىء الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعـذابا، كما ينشـىء لأهل الأعمـــال الموافقة لأمـــره ونهيه الـــتي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما وروحا، فـأثرت النـار في أعمـال أولئك حتى جعلتها رمـادا، فهم وأعمـالهم وما يعبـدون من دون الله وقود النار"[1].

فـبين أن الأعمـال لا تكـون مقبولة إلا إذا كـانت خالصة لوجه الله تعالى، وموافقة لشرعه الذي جـاءت به رسـله، فالعمل لا بد أن يكــون خالصا على موافقة الســنة حــتى ينتفع به صــاحبه، وأما إذا لم يكن خالصــا، أو لم يكن على موافقة الســنة والشــريعة، أو لم يكــون خالصا ولا على موافقة السنة فإنه مردود لا يقبل، وهـذه الأنـواع الأعمـال الثلاثة المــردودة، وقد دل على ذلك نصــوص كثــيرة، منها قوله تعالى: ﭽ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﭼ الكهف: ١١٠ . فسر العلماء العمل الصالح بما كان على موافقــة الســنة، وعـــدم الشــرك في العبـــادة بالإخلاص[2].

**المثل الثاني:**

---

[1] إعلام الموقعين 2/ 297 – 298.

[2] انظر مجموع الفتاوى 10/ 213 – 214.

ٺ ٹ ڇ ￼ ٻ ٻ ٻ ٻ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺٺ
ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ
ڄ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڃ ڇ [آل عمران: ١١٦ – ١١٧].

في هــذه الآيــة يضــرب اللــه مثلا لأعمــال الكفــار المشركين بالله لبيان أنها لا تغـني عنهم شـيئا، فهم كـانوا ينفقون أموالهم في الخير ولكن ذلك لا ينفعهم شيئا، لأنــه قائم على أساس الشرك والكفر بالله تعالى، فشبهه بزرع قوم ظالمين لأنفسهم مر عليه ريح شديدة الـبرد فأهلكتـه وأيبسته. فدل على أن المشركين يخسـرون أعمـالهم، ولا تنفعهم لأنهم ظلموا أنفسـهم وأشـركوا مـع اللـه آلهـة من دونه، وأن شركهم يحبط أعمالهم كلها.

قــال ابن القيم-رحمــه اللــه-:"هــذا مثل ضــربه الله تعــالى لمن أنفق ماله في غــير طاعته ومرضــاته، فشــبه ســـبحانه ما ينفقه هـــؤلاء من أمـــوالهم في المكـــارم، والمفاخر، وكسب الثناء، وحسن الـذكر، لا يبتغـون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتبــاع رســله، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصـابته ريح شـديدة الـبرد جـدا، يحـرق بردها ما يمر عليه من الـزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته.

واختلف في الصر؛ فقيل: الـبرد الشـديد، وقيـل: النـار، قاله ابن عباس. قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النـار بأنها صر لتصــريتها عند الالتهـاب. وقيــل: الصر الصــوت الــذي يصحب الريح من شـدة هبوبهـا، والأقـوال الثلاثة متلازمـة، فهو برد شديد، محرق ييبسه للحرث، كما تحرقه النار وفيه صوت شديد.

وفي قوله: ڇ ڦ ڃ ڃ ڃ ڇ [آل عمران: ١١٧]، تنبيه على أن ســبب إصــابتها لحــرثهم هو ظلمهم، فهو الــذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأيبسته، فظلمهم هو الـــريح الـــتي أهلكت أعمـــالهم ونفقـــاتهم وأتلفتها"[1].

وفي هذا المثل تصوير أعمــال المشــركين بأنها لا تنفعهم، لأن شـــركهم بالله يكـــون وبـــالا عليهم، لأنه الـــذي يتلف

---

[1] إعلام الموقعين 2/ 318 – 319.

أعمالهم الحسنة ويهلكها، كما تهلك الـريح الشـديدة الـبرد المحرقة الزرع فييبس.

**الْمَثَل الثالث:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ النور: ٣٩.

في هــذه الآية ضــرب الله المثل لأعمــال الكفــار المشـركين بالله تعـالى، فشـبه أعمـالهم بالسـراب، وهو البياض الذي يراه النـاظر كالمـاء في الأرض القفر الخالية من البناء والأشجار، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، فبين أن المشركين يظنـون أنهم على شـيء من الهـدى، حـتى إذا أدركهم الموت، فلا يجدون شيئا عند اللـه، هـذا يـدل على بطلان أعمــال المشــركين لأجل كفــرهم والشــرك بالله تعالى، وأنهم في الخسران المبين.

قـال الطـبري-رحمه اللـه-: "وهـذا مثل ضـربه الله لأعمال أهل الكفر بـه، فقـال: والـذين جحـدوا توحيد ربهم وكـذبوا بهـذا القـرآن وبمن جـاء بـه، مثل أعمـالهم الـتي عملوها ﭽ ﮀ ﮁ ﭼ يقول: مثل سراب. والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار وحين يشــتد الحر والآل ما كــان كالمــاء بين الســماء والأرض، وذلك يكــون أول النهار، يرفع كل شيء ضحى. وقوله: ﭽ ﮂ ﭼ وهي جمع قــاع، كــالجيرة جمع جــار، والقــاع ما انبسط من الأرض واتسع ، وفيه يكون السراب. وقوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ يقول: يظن العطشان من الناس السراب مـاء ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حـتى إذا جـاء الظمـآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه ﭽ ﮊ ﮋ ﭼ يقول: لم يجد السراب شيئا"[1].

ثم روى هذا المعـنى عن جمع من السـلف؛ أبي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد[2].

فدل هذا المثل على بطلان الشـرك، لأنه مبطل للأعمـال، وإن ظن المشرك أنه على خير وهدى. ويدل على وجـوب

---

[1] جامع البيان 17/ 326، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 71.

[2] انظر جامع البيان 17/ 327 – 329.

توحيد الله في الألوهيـــة، لأنه هو الأســـاس في قبـــول الأعمال.

وفي الآية الــتي تلي هــذه الآية مثل آخر لأعمــال الكفــار والمشركين، وهو:

**الْمَثَل الرابع:**

ٹ ٹ چ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ
ڳ ڱ ڱ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ
 چ النور: ٤٠.

ثم ضرب الله مثلا آخر لأعمـال الكفـار والمشـركين، فشـبهها بالظلمـات المتراكمـة في البحـر العميـق، الكثـير ماؤه، فكـان أعمـال الكفـار والمشـركين كهـذه الظلمـات لكونهـا على ضـلالة وعلى غـير هـدى من اللــه تعـالى، وقلوبهم هي كهذا البحر اللجي.

قـال الطـبري-رحمـه اللـه-: "وهـذا مثل آخر ضـربه الله لأعمـال الكفـار، يقـول تعـالى ذكـره: ومثل أعمـال هـؤلاء الكفـار في أنها عملت على خطأ وفسـاد وضـلالة وحـيرة من عمالها فيها, وعلى غـير هـدى، مثل ظلمـات في بحر لجي. ونسب البحر إلى اللجـة، وصـفا له بأنه عميق كثـير الماء. ولجة البحر: معظمه. چ ڳ ڳ چ يقول: يغشى البحر موج، چ ڳ ڳ ڳ چ يقول: من فوق الموج مـوج آخر يغشاه، چ ڳ ڳ ڳ چ يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى المـــوج الأول ســـحاب. فجعل الظلمـــات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر"[1].

وقال ابن سعدي رحمـه الله: "كـذلك الكفـار، تـراكمت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، الـتي لا خـير فيهـا، وفوقها ظلمة الكفـر، وفـوق ذلـك، ظلمة الجهـل، وفـوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكـر، فبقـوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المسـتقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره"[2].

---

(1) المصدر نفسه 17/ 329 – 330.

(2) تيسير الكريم الرحمن ص: 570.

فدل هذا المثل على بطلان أعمال الكفار المشركين بالله في عبادته، فهم في ضلال متراكم وفي الآخــرة في جهنم خالدون. فتبين بذلك قبح الشرك وحسن التوحيد ووجوبه.

*******

# الفصل الثالث

# دلالة دليل التمانع على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

## المبحث الأول: معنى دليل التمانع وبيان صحته,

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: المراد بدليل التمانع.**
**المطلب الثاني: صحة دليل التمانع.**

## المبحث الثاني: دلالة دليل التمانع على توحيد الألوهية,

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: ما استدل به المتكلمون على دليل التمانع حقيقته إبطال الشرك في الألوهية.**
**المطلب الثاني: يمتنع أن يكون للخلق إلهان, كما يمتنع أن يكون له ربان.**
**المطلب الثالث: لا يصلح الكون إلا بإله واحد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد**

**المبحث الأول: معنى دليل التمانع وبيان صحته, وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول**: المراد بدليل التمانع:

دليل التمـــانع مصـــطلح عند المتكلمين يذكرونه في شــرح اعتقــادهم في التوحيــد، بحيث يســتدلون به على وحدانية الله تعــالى، بدلالة اتســاق المخلوقــات وترتيبهــا، وأن وجودها يبطل التعدد فتثبت الوحدانية لله تعالى.

**معنى التمانع في اللغة:**

أصل لفظ التمانع من مـادة "منع"، وتـدل على عـدم حصول الشــيء وعـدم وقوعه، لأن معـنى "منـع"، هو ضد الإعطاء. والتمـانع، هو على وزن "تفاعـل" هو فعل يصـدر عن الجانبين بحيث يقوم كل جانب بالامتنــاع عن الشــيء، وهو الكف عنه، فلا يحصل ولا يقع[1].

**المراد بدليل التمانع عند المتكلمين:**

دليل التمانع عند المتكلمين، هو دليل عقلي يستدلون به على إثبــات الوحدانيــة، وهو توحيد الأفعــال عنــدهم، لدلالته على امتنــاع وجــود خــالقين اثــنين، فــدل على أن الخالق واحد وهو الله. ويقولـون إن قوله تعـالى: ﭽ ۋ ... ې ې ﭼ الأنبياء: ٢٢، يشير إليه، وهو المراد من الآية.

**صورة دليل التمانع:**

وصورة هذا الدليل هي أن يقال: لو وجد للعالم إلهان فلا بد أن يكونا قـادرين مريـدين، فـإذا أراد أحـدهما إحيـاء جسم وأراد الآخر إماتته، ففيه ثلاث حالات:

أولا: إما أن يقع مرادهما معا وهذا جمع بين النقيضين وهو محال عقلا وحسا.

ثانيــا: وإما أن لا يقع مرادهما معــا، وهــذا أيضا جمع بين النقيضين، لأنهما لا يجتمعان معا، ولا يرتفعان معا، وكـذلك يلزم عجز الإلهين الموصوفين بالقدرة، ويلـزم خلو الجسد من الحياة والموت.

---

[1] انظر كتــاب العين 2/163، معجم مقــاييس اللغة 5/278، القاموس المحيط ص: 764 – 765، لسان العرب 6/ 4276.

ثالثـا: وإما أن يقع مـراد أحـدهما فصـار الآخر عـاجزا فلا يصلح للإلهيـة، فيكـون الأول هو الإله القـادر، فيمتنع تعـدد الآلهة.

قـال الأشـعري-رحمه اللـه- في تقرير هـذا الـدليل وبيـان صورته: "فإن قال قائل: لم قلتم إن صانع الأشـياء واحـد؟ قيل لـه: لأن الاثـنين لا يجـرى تـدبيرهما على نظـام، ولا يتسق على إحكـــام، ولابد أن لا يلحقهما العجز أو واحـــدا منهما، لأن أحدهما إذا أراد أن يحيى إنسـانا وأراد الآخر أن يميته، لم يخل أن يتم مرادهما جميعـا، أو لا يتم مرادهمـا، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر. ويسـتحيل أن يتم مرادهما جميعـا، لأنه يسـتحيل أن يكـون الجسم حيا ميتا في حـال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما والعاجز لا يكـون إلها ولا قـديما وإن تم مـراد أحـدهما دون الآخر وجب العجز لمن لم يتم مـراده منهمـا، والعـاجز لا يكـون إلها ولا قديما فدل ما قلناه على أن صـانع الأشـياء واحـد، وقد قال تعالى: " ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ الأنبياء: ٢٢"[1].

وقال الباقلاني-رحمه الله-: أيضا شـارحا دليل التمـانع: "وليس يجـوز أن يكـون صـانع العـالم اثـنين، ولا أكـثر من ذلك، والدليل على ذلك أن الاثنين يصح أن يختلفــا، ويوجد أحدهما ضد مراد الآخـر؛ فلو اختلفـا، وأراد أحـدهما إحيـاء جسـم، وأراد الآخر إماتتـه، لـوجب أن يلحقهما العجـز، أو واحـدا منهمـا؛ لأنه محـال أن يتم ما يريـدان جميعا لتضـاد مراديهما. فوجب أن لا يتمـا، أو يتم مـراد أحـدهما، فيلحق من لم يتم مــــراده العجز. أو لا يتم مرادهمــــا، فيلحقهما العجز. والعجز من سمات الحـدث، والقـديم الإله لا يجـوز أن يكون عاجزا"[2].

---

[1] اللمع للأشعري ص: 20 -ـ 21، وانظر رسـالة إلى أهل الثغر ص: 156 -ـ 157، شـرح الأصـول الخمسة ص: 281 – 282، التمهيد للباقلاني ص: 45، الإنصاف له ص: 32 - 33، الإرشاد ص: 53 – 54.

[2] التمهيد ص: 45.

وقال ابن أبي العز: "والمشهور عند أهل النظر إثباته – أي توحيد الربوبية - بدليل التمانع، وهو: أنه لو كان للعـالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحـدهما تحريك جسم وآخر تسـكينه، أو يريد أحـدهما إحيـاءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهمـا، أو مـراد أحـدهما، أو لا يحصل مـراد واحد منهما. والأول ممتنـــــع؛ لأنه يســـــتلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسـكون، وهو ممتنـع، ويسـتلزم أيضا عجز كل منهمـا، والعاجز لا يكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخـر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية"[1].

وهذا الدليل هو أقوى أدلة إثبـات الوحدانية لله تعـالى عند المتكلمين، لذلك اتفقوا عليه.

قال الرازي: "اعلم أنهم ذكروا أنواعـاً من الـدلائل، أقواها دليل التمانع"[2].

والمتكلمون يستدلون بهـذا الـدليل على وحدانية الله التي هي توحيد الأفعـال ومقصـودهم به هو امتنـاع صـدور العالَم عن اثنين، فإذا بطل امتناع صدور العـالم من اثـنين بطل تعدد الآلهة وثبت تفرد الله بالوحدانية.

وكانوا يستدلون على هذا الدليل بقوله تعالى: ﭽ ۋ ... ﯼ ﯽ ﭼ الأنبياء: ٢٢، على أن الآية تدل على الدليل بمعناه عنـدهم، وهـو إثبـات الوحدانيـة للـه تعـالى. والظاهر أن هذا الدليل صحيح في نفسه على إثبات توحيد الربوبية، ولكن الآية ليست نصا على دليل التمـانع بمعنـاه عنـدهم، لأن دليل التمـانع المقصـود عنـدهم هو في تمـانع في الفعل والإيجـــاد، وأما الآية في تمـــانع في العبـــادة والإلهية، فالآيـة في تقريـر توحيـد الألوهيـة، وتقـرر توحيـد الربوبية ضمنا لأنه متضمَّن في توحيـد الألوهيـة. وذلـك أن كل دليل على توحيد الألوهية دليل على توحيد الربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "الواجب إثبـات الأمرين؛ أنه سـبحانه رب كل شـيء وإله كل شـيء. فـإذا

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية 1/ـ 28، وانظر منهاج السـنة النبوية 3/ 304.

[2] المطالب العالية 2/135.

كانت الحركات الإرادية لا تقوم إلا بمراد لذاته وبـدون ذلك يفسد، ولا يجوز أن يكون مـرادا لذاته إلا الله كما لا يكـون موجودا بذاته إلا الله، علم أنه ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الأنبياء: ٢٢ ، وهذه الآية فيها بيان أنه لا إله إلا الله، وأنه لو كان فيهما آلهة غيره لفسدتا. وتلك الآية قال فيها: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ المؤمنون: ٩١. ووجه بيان لزوم الفساد أنه إذا قـدر مـدبران ما تقـدم من أنه يمتنع أن يكونا غـير متكافئين، لكون المقهور مربوبا لا ربـا، وإذا كانا متكـافئين امتنع التـدبير منهما لا على سـبيل الاتفـاق ولا على سـبيل الاختلاف، فيفسد العــالم بعــدم التــدبير، لا على ســبيل الاستقلال ولا على سـبيل الاشـتراك كما تقـدم. وهـذا من جهة امتنــاع الربوبية لاثــنين، ويلــزم من امتناعهما امتنــاع الإلهية، فإن ما لا يفعل شـيئا لا يصـلح أن يكـون ربا يعبـد، ولم يأمر الله أن يعبد. ولهذا بين الله امتنـاع الإلهية لغـيره تـارة ببيـان أنه ليس بخـالق، وتـارة أنه لم يـأمر بـذلك لنا كقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الأحقاف: ٤. وذلك لأن عبادة ما سوى الله تعـالى قد يقـال إن الله أذن فيه لما فيه من المنفعة، فبين سبحانه أنه لم يشــرعه كما قال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الزخـرف: ٤٥. وهذا مبسوط في موضع آخـر. والمقصـود هنا أن في هــذه الآية بيــان امتنــاع الألوهية من جهة الفســاد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى، لأنه لا صلاح للخلق إلا بــالمعبود المــراد لذاته من جهة غاية أفعــالهم ونهاية حركاتهم، وما سوى اللـه لا يصـلح، فلو كـان فيهما معبـود غيره لفسـدتا من هـذه الجهـة، فإنه سـبحانه هـو المعبـود المحبــوب لذاته كما أنه هو الــرب خــالق بمشــيئته، وهــذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أصــدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل     وكل نعيم لا محالة زائل"[1].

---

[1] منهاج السنة النبوية 3/ 333 – 334، وانظر الداء والـدواء ص: 469 – 471.

فتبين أن هذه الآية ليست نصا على مقصــودهم، وإنما هي نص على توحيد الألوهية، وهي تدل على التمانع في توحيد الألوهية. وذلك بامتناع وجود إلهين، لأن العالم لا يصــلح إلا بإله واحد، ولا استقامة للخلق والشرع إلا بـأن يكـون الإله واحدا. ولما امتنع فساد الســموات والأرض دل على تفـرد الله بالألوهية، فلو تعددت الآلهة فلا بد من فسادهما.

********

**المطلب الثاني**: صحة دليل التمانع:

**بيان صحة هذا الدليل في توحيد الربوبية:**

يستدل المتكلمون على وحدانية الله بدليل التمانع المصطلح عندهم، وغاية ما يثبتون به هو توحيد الربوبية، وهذا الدليل في نفسه صحيح يصلح لإثبات توحيد الربوبية، خلافا لمن قال بعدم صحته كابن رشد[1]، لأنه دليل عقلي يدل على امتناع تعدد الخالقِين، وأن الله هو الخالق وحده لا شريك له في ربوبيته للعالم ولا شريك له في أفعاله، لأنه يمتنع عقلا أن يدبر العالمَ خالقان، أو أن يصدر فعل واحد عن فاعلَين، فدل هذا على صحة هذا الدليل – دليل التمانع – على تفرد الله بالربوبية وتفرده في خلقه وأفعاله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "الذي ذكره النظار عن المتكلمين الذي سموه دليل التمانع برهان تام على مقصودهم، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، وإن كان هذا هو توحيد الربوبية، والقرآن يبين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية. لكن المقصود هنا أن اعتراض هذا[2] على دليل نظار المتكلمين هو اعتراض مشهور قد ذكره غيره، وظنوا أنه اعتراض قادح في الدلالة كما ذكر ذلك الآمدي[3] وغيره، وحتى ظن بعض الناس أن التوحيد إنما يعرف بالسمع. وليس الأمر كما ظنه هؤلاء بل هو برهان صحيح عقلي كما قدره فحول النظار وكما

---

[1] انظر مناهج الأدلة له ص: 155 – 158.

[2] يعني ابن رشد.

[3] علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، سيف الدين الآمدي، الحنبلي، ثم الشافعي، العلامة، المصنف، فارس الكلام، ولد سنة 551 هـ بآمد. تفنن في علم النظر، والكلام، وحكمة الأوائل، وكان ذكيا من أذكياء العالم. وتفرد بعلم المعقولات والمنطق والكلام، وانتقل إلى القاهرة ودرّس الفلسفة والمنطق واشتهر بها، وصنف التصانيف، ثم قاموا عليه، ورموه بالانحلال، وكتبوا محضرا بذلك فخرج مستخفيا إلى "حماة" ومنها إلى "دمشق" فتوفي بها 631 هـ. وله كتاب (الإحكام في أصول الأحكام) و(منتهى السول في الأصول)، و(أبكار الأفكار) في الكلام، و(لباب الألباب) و(دقائق الحقائق) و(المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين)، وله نحو من عشرين تصنيفا. (أنظر سير أعلام 22/ 364 – 365، شذرات الذهب 7/ 253، الأعلام للزركلي 4/ 332).

بسط الكلام عليه في غـــير هـــذا الموضع وأفـــردت مصـــنفا للتوحيد"[1].

وقـــال أيضا بعد ما ذكر طـــرق المتكلمين في تقرير هــذا الــدليل: "فهــذه الطــرق وأمثالها مما يــبين بها أئمة النظار توحيد الربوبية، وهي طـرق صـحيحة عقلية لم يهتد هؤلاء المتأخرون إلى معرفة توجيهها وتقريرها"[2].

وحكى العلامـة ابن القيم-رحمـه اللـه- الحـوار بين السـني والجـبري فقـال: "قـال الجـبري: دليل التوحيد ينفي كـون العبد فاعلا وأن يكون لقدرته تأثير في فعله وتقريـره بـدليل التمـانع. قال السني: دليل التوحيد إنما ينفي وجود رب ثان، ويـدل على أنه لا رب إلا هو سبحانه، ولا يدل على امتناع وجـود مخلـوق له قــدرة وإرادة مخلوقة يحــدث بهــا، وهو وقدرته وإرادته وفعله مخلوق لله. فهو بعد طول مقدماته واعتراف فضـلائكم بـالعجز عن تقريـــره وذكر ما في مقدماته من منع ومعارضة إنما ينفي وجـود قـادرين متكـافئين قـدرة كل واحد منهما من لـوازم ذاته ليست مســتفادة من الآخــر، وهو دليل صــحيح في نفسه وإن عجـزتم عن تقريـره، ولكن ليس فيه ما ينفي أن تكـون قـدرة العبد وإراداته سببا لوجـود مقـدوره وتأثيرها فيه تـأثير الأسـباب في مسبباتها فلا للتوحيد قررتم بدليل التمانع ولا للجبر..."[3].

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 9/ 354 – 355.

[2] منهاج السنة النبوية (3/ 312).

[3] شفاء العليل ص: 303.

وقال أحمد بن عيسى[1]: "إنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين مع أن كثـيرا من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في بيـان هـذا المطلـوب وتقريـره ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هـذا بالعقل وزعم أنه يتلقى من الســمع والمشــهور عند النظــار إثباته بــدليل التمانع وهو دليل صحيح في نفسه"[2].

فدل كلام هؤلاء العلمـاء على أن دليل التمـانع - على مقصـود المتكلمين – صـحيح في نفسه على إثبـات ربوبية الله تعــالى وتفــرده بــالخلق والتــدبير. لأنه يمتنع صــدور العـالم وتـدبيره عن ربين اثـنين، كما كـان شـرح الـدليل مفصلا عندهم.

وإذا ثبت عقلا أنه يمتنع تعـــدد الخـــالقين يلـــزم منه امتنـاع تعـدد الآلهة المسـتحقة للعبـادة بالعقل والشـرع، وذلك بدلالة آية سورة الأنبياء التي تنص على امتنـاع تعـدد الآلهة المســتحقة للعبــادة، وذلك لعــدم وقــوع فســاد السموات والأرض، وبيان ذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ المؤمنون: ٩١، فدلت هذه الآية على أن كل إله لا بد أن يخلق شيئا من المخلوقات، فمـا دام أنـه لم يكن ثمت

---

[1] أحمد بن إبــراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى من قبيلة بـــني زيد، وهي قبيلة قضـــاعية. ولد في بلـــدة شـقراء سـنة 1253 هـ، قـرأ على الشـيخ الفقيه عبد الله بن عبد الـــرحمن "أبا بطين"، ثم ارتحل إلي الريـــاض فأخذ عن الشـــيخ العلامة عبد الــرحمن بن حسن، وألف ردودا كثــيرة على علمــاء الضـلال وأنصـار البـدع، منها كتـاب "تنبيه النبيه والغـبي في الـرد على المدراسي والحلــبي"، وله "الــرد على ما جــاء في خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافـتراء لـدحلان" و"الـرد على شـــبهات المســـتعينين بغـــير الله" رد به علي شـــبهات داود بن جــرجيس، و"توضــيح المقاصد وتصــحيح القواعد شــرح به نونية الإمـام ابن القيم، وتـولى قضـاء المجمعة وجميع مقاطعة سـدير، وتوفي سنة 1327 هــ. (انظر مشـاهير علمـاء نجد وغـيرهم ص: 185- 188).

[2] توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم 1/ 366.

خالق غير الله ثبت أن الإله واحد لا شريك له في ألوهيتــه كما لم يكن له شريك في ربوبيته[1].

**بطلان استدلالهم بآية سورة الأنبياء على دليل التمانع:**

وإن كان دليل التمانع صحيحا في إثبات توحيد الربوبية لكن المتكلمين أخطأوا لما ظنوا أن قوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الأنبياء: ٢٢ هو الدليل على دليل التمانع بمعناه عندهم، وقال بعضـهم أن الآيـة تشـير إليـه، وغلا بعضهم حيث قـال أنهـا نص فيـه، وأوجب القـول بـه، حتى كفـر من قـال أنهـا تـدل عليـه بالإشـارة أو التنبيه[2].

والصحيح أن الآيـة لا تـدل على دليـل التمـانع بمعنـاه عنـد المتكلمين، وإنما تدل على امتناع تعـدد الآلهـة المسـتحقة للعبادة.

وســـبب خطأ المتكلمين في اســـتدلالهم بالآية على دليل التمانع هو تفسيرهم لـ "الإلـه" بأنه القـادر على الاخـتراع، فحملـــــوا الآية على توحيد الربوبيـــــة، وهي في توحيد الألوهية، لأن معنى "الإله" هو المعبود.

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله-:"قوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ الأنبياء: ٢٢، أي لو كـــان في الســـموات والأرض آلهة تعبد غـــير الله لفسـدتا وبطلتـا. ولم يقل أربـاب بل قـال آلهـة، والإله هو المعبود المألوه. وهذا يدل على أنه من الممتنع المستحيل عقلا أن يشــرع الله عبـادة غـيره أبـدا، وإنه لو كـان معه معبـود سـواه لفسـدت السـماوات والأرض، فقبح عبـادة غـيره قد اسـتقر في الفطر والعقـول، وأن لم يـرد النـبي عنه شـــرع بل العقل يـــدل على أنه أقبح القـــبيح على الإطلاق، وأنه من المحـــال أن يشـــرعه الله قط فصـــلاح العالم في أن يكون الله وحده هو المعبود وفساده وهلاكه في أن يعبد معه غـيره ومحـال أن يشــرع لعبـاده ما فيه فساد العالم وهلاكه بل هو المنزه عن ذلك"[3].

---

[1] انظر التمـانع الـدال على التوحيـد، بحث لشـيخنا أبو سـيف الجهني في مجلة أم القرى عدد 45، ص: 112.

[2] انظر المرجع نفسه ص: 107، 119.

فتبين أن ظن المتكلمين أن الآية تشير إلى دليل التمانع الـذي يثبتـون به توحيد الربوبية ظن باطـل، لأن المـذكور في الآية هو "آلهة"، وليس "أرباب"، ومعنى الآية: لو كـان في السموات والأرض آلهة تُعبد غير الله لفسـدتا وبطلتـا. لأن "الإله" هو المعبود، وليس معناه "الرب".

********

---

[(?)3] مفتاح دار السعادة 2/ 885 ـ 886، وانظر شفاء العليل ص: 522.

**المبحث الثاني: دلالة دليل التمانع على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول**: ما استدل به المتكلمون على دليل التمانع حقيقته إبطال الشرك في الألوهية:

**إن الآية نص على إبطال الشرك في الألوهيـة، وليست نصا على إبطال الشرك في الربوبية:**

الآية التي استدل بها المتكلمون على دليل التمــانع لا تـدل عليـه، وليست نصا عليـه، وإنما هي نص في إبطـال الشرك في الألوهية، وتدل على التمـانع في الألوهيـة. لأن الله تعالى إنما بين امتناع تعـدد الآلهة المسـتحقة للعبـادة بامتنـاع فسـاد السـموات والأرض، فلما لم يقع فسـاد في نظامهما دل ذلك على إبطـــال تعـــدد الآلهة المســـتحقة للعبادة.

فيلاحظ أن اللفظ المذكور في الآية هو "آلهة" وليس "أربـاب"، والآلهة جمع إلـه، ومعنـاه المعبـود. فـدلت الآية على إبطال الشرك في الألوهية والعبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "و ﭽ ۋ ... ﯤ ﯥ ﭼ الأنبياء: ٢٢، والإلهية المذكورة في كتاب الله هي العبـادة والتألـه، ومن لـوازم ذلك أن يكـون هو الرب الخالق. وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبيـــة، وأن ما ذكر في القـــرآن من نفي إله آخر والأمثال المضـروبة البينة فالمقصـود به نفي رب يشـــركه في خلق العـــالم كما هو عـــادتهم في كتب الكلام، فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال، أتــوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية، فاعتقدوا أن المقصودين واحد، وليس كذلك بل القـرآن ينفي أن يعبد غـير اللـه، أو أن يتخـذه إلها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضـوعه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ البقرة: ١٦٥، ولهذا قال الخليل: لا أحب الآفلين"[1].

---

[1] جامع الرسائل 2/ 200.

فبين أن الشـرك المنفي في القـرآن هو الشـرك في الألوهية وليس الشرك في الربوبية لأن الإقرار به مسـتقر في الفطر، لذلك كان مشركوا قريش مقرين به.

وقال شيخ الإسـلام ابن تيمية أيضـا: "قد تـبين أن من عبد المخلوقات عبادة العبد لربه الذي يسـأله ويـرغب إليه في تحصـيل مآربــه، أو عبادته لإلهه الــذي هو مع ذلك يعبــده لذاته ويحبه لذاته، كـان ذلك موجبا لفسـاده. والمعبـود إذا رضي أيضا بـــذلك لـــزم أيضا فســـاده، بمنزلة من جعل المعدوم مقصودا لذاته، فإن الحركة الإرادية تطلب مــرادا يكـــون به صـــلاح المريد ونفعـــه، فـــإذا لم يكن فيه لـــزم الفساد، وإن وجد في ذلك لذة فإنه يستعقبه ألما وضـررا، بمنزلة من أكل ما يظنه عسلا وكـــان فيه حلاوة، وكـــان سما، فإنه يهلكه ويقتله. فقد تبين بالقياس العقلي امتنــاع أن يكون معبود إلا اللـه، كما امتنع أن يكـون رب إلا اللـه، وهذا قصد بقوله: ﭽﯙ ﯦﯧﭼ الأنبياء: ٢٢، قصد نفي إله سواه"[1].

وقال العلامة ابن القيم-رحمه الله-: "وأما قوله: ﭽ ﭼ الأنبياء: ٢٣، فهذا لكمـال علمه وحكمته لا لعـدم ذلك وأيضا فسـياق الآية في معـنى آخـر؛ وهو إبطـال إلهية من سواه وإثبات الألوهية له وحده فإنه سبحانه قال: ﭽ ﭼ الأنبياء: ٢١ - ٢٣"[2].

فتبين أن الشرك المنفي في القـرآن هو الشـرك في الألوهية ونفي إله غـير اللـه، وأن سـياق الآية في إبطـال الشرك في الألوهية، وإثبـات الألوهية لله وحـده لا شـريك له.

**خطأ المتكلمين في اســـتدلالهم بالآية على التمـــانع الدال على توحيد الربوبية:**

قد تبين مما سبق أن عمـدة المتكلمين في تقريـرهم لدليل التمانع هو قوله تعالى: ﭽ ﭼ الأنبيـاء: ٢٢، لكن هذه الآيـة ليسـت دليلا على مقصـودهم من إثبات وحدانية اللـه تعـالى – الـتي هي توحيـد الأفعـال

---

[1] جامع المسائل 6/ 174.

[2] شفاء العليل ص: 523، مفتاح دار السعادة 2/ 885 - 886.

الذي غايته توحيد الربوبية – بدليل التمانع الـذي يـدل على امتناع أن يكون صانع العالم اثنين، أو أكثر من ذلك. وإنمـا الآية في إبطال الشرك في الألوهية، وذلك أن تعـدد الآلهة المستحقة للعبادة يستلزم فسـاد نظـام العـالم، والإله هو المعبود، فبين الله تعـالى أنه لو كـان في العـالم إلهـان أو أكثر لفسد نظـام العـالم، ولما لم يفسد نظـام العـالم دل على عـدم تعـدد الآلهة المسـتحقة للعبـادة ولـزم تفـرده تعالى بالألوهية، فهو المعبود بحق.

**أسباب خطأ المتكلمين في ذلك:**

تـبين خطأ المتكلمين في اسـتدلالهم بالآية على هـذا الدليل، وأسباب ذلك من وجوه:

**الأول: خطؤهم في تفسير الإله:**

أخطأ المتكلمـون في فهم "الإلـه" حيث قـالوا بـأن معنـاه القـــادر على الاخـــتراع، وأنهم لا يفرقـــون بين الألوهية والربوبيـــة، فيجعلـــون الألوهية نفس الربوبيـــة، وهـــذا هو السـبب في حملهم الآية الـتي هي في نفي الشـرك في الألوهية على نفي الشرك في الربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- أثناء مناقشـته لابن رشـد في قولـه: "مـتى اجتمع فعلان من نـوع واحد على محل واحد فسد المحل ضرورة أو تمـانع الفاعـل"، فقـال: "... ولكن هو ظن -كما ظن من ظن من المتكلمين- أن الإله هو بمعنى الرب وأن دلالة الآية على انتفـاء إلهين إنما دلت به على انتفـاء ربين فقط وذلك يظهر بتقـدير امتنـاع الفعل من ربين.

وسنبين إن شاء الله أن الآية دلت على ما هو أكمل وأعظم من هذا، وأن إثبات ربين للعالم لم يـذهب إليه أحد من بـني آدم، ولا أثبت أحد إلهين متمـاثلين ولا متسـاويين في الصـــفات ولا في الأفعـــال، ولا أثبت أحد قـــديمين متماثلين، ولا واجبي الوجود متماثلين، ولكن الإشراك الذي وقع في العــالم إنما وقع بجعل بعض المخلوقــات مخلوقة لغير الله في الإلهية بعبادة غير الله تعالى واتخاذ الوسـائط ودعائها والتقـــرب إليها كما فعل عبـــاد الشـــمس والقمر والكواكب والأوثان وعباد الأنبياء والملائكة أو تماثيلهم ونحو

ذلك. فأما إثبـات خـالقين للعـالم متمـاثلين فلم يـذهب إليه أحد من الآدميين. وقد قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ لقمان: ٢٥، ... والرسل دعــوا الخلق إلى توحيد الإلهية وذلك متضــمن لتوحيد الربوبية كما قال كل منهم لقومه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ الأعراف: ٥٩ وقال: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ الزخرف: ٤٥، وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ الأنبياء: ٢٥وقال: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحــل: ٣٦. وإلا فمجــرد توحيد الربوبية قد كـان المشــركون يقرون به وذلك وحده لا ينفع وهـؤلاء الـذين يريـدون تقرير الربوبية من أهل الكلام والفلسفة يظنـون أن هـذا هو غاية التوحيد كما يظن ذلك من يظنه من الصوفية الذين يظنون أن الغاية هو الفناء في توحيد الربوبيـة. وهـذا من أعظم ما وقع فيه هـؤلاء وهـؤلاء من الجهل بالتوحيد الـذي بعث الله به الرسل وأنـزل به الكتب، فـإن هـذا التوحيد - الـذي هو عندهم الغاية - قد كان مشركو العرب يقرون به كما أخــبر الله عنهم ولكن كثـــــــير من الطوائف قصر فيه مع إثباته لأصله"[1].

فــبين رحمه الله أن الآية ليس المقصـود بها دليل التمــانع الذي يذكره المتكلمـون في كتبهم عند تقريـرهم لوحدانية الـــرب تعـــالى. وإنما هي في بيـــان بطلان الشـــرك في الألوهية.

**الثـاني: تقصـير المتكلمين في معرفة معـاني الكتـاب والسنة:**

وإن مما أوقع المتكلمين في الخطأ في مـــــــــدلول الآية تقصـيرهم في معرفة معـاني الكتـاب والسـنة، ما أورث لهم ذلك الحيرة والشك حتى ظنوا أن مدلول دليل التمانع هو معنى الآية:

قــال شــيخ الإســلام ابن تيميــة-رحمه اللــه-: "إن هــؤلاء المتأخرين لم يهتـدوا إلى تقرير متقـدميهم لـدليل التوحيد وهو دليل التمانع واستشكلوه، وأولئك ظنوا أن هذا الدليل هو الدليل المذكور في القـرآن في قوله تعـالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الأنبياء: ٢٢، وليس الأمر كــذلك، بل أولئك قصــروا في معرفة ما في

[1] درء تعارض العقل والنقل 9/ 343 – 345، مجموع الفتاوى 3/ 97 – 98، اقتضاء الصراط المستقيم 2/ 388، جامع المسائل 6/ 174.

القرآن. وهؤلاء قصـروا في معرفة كلام أولئك المقصـرين فلما قصروا في معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عدلوا إلى ما أورثهم الشك والحيرة والضلال "[1].

فتـــبين أن ما اســـتدل به المتكلمـــون على دليل التمانع، الذي يثبتون به توحيد الربوبية، إنما هو في إبطـال الشـرك في الألوهيـة، ونفي إله سـوى الله تعـالى. وقد أخطأوا حيث ظنوا أن الآية تشير إلى دليلهم على وحدانية الله تعالى وتوحيده في الربوبية، وذلك لقصورهم في فهم معـنى كلمة "الإلـه"، عنـدما قصـروا في فهم كتـاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1](?) منهاج السنة النبوية 3/ 304.

**المطلب الثاني**: يمتنع أن يكون للخلق إلهان, كما يمتنع أن يكون له ربان:

قد تقــرر في فطر الخلق أن الله تعــالى هو الــرب وحده لا شريك لـه، ودلت الآيـات الكونية والشـرعية على ذلك، لأنه لم يخلق شيئا من المخلوقـات إلا رب واحد وهو الله تعالى. وقد أجمع الخلق كلهم على إثبـات الربوبية لله تعالى، ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة قليلة من بـني آدم، وذلك علوا منهم واستكبارا، وإلا فهم مستيقنون في قــرار أنفسـهم أن الله هو الـرب وحـده لا شـريك لـه، لـذلك لم يرسل الله الرسل للــدعوة إلى توحيد الربوبية ولم يــنزل الكتب لتقريره وإنما أرسل الرسل وأنــزل الكتب للــدعوة إلى ما أنكــره النــاس من إفــراد الله بالألوهية والعبــادة، وحتى كفار قريش ومشركي العرب لم تكن خصومتهم مع النــبي  في توحيد الربوبيــة، بل هم مقــرون بــه، وإنما خصـومتهم في توحيد الألوهية والعبـادة الـذي هو حق الله على العباد، الذي خلق الخلق لأجله.

فإذا ثبت أن الله هو الـرب وحـده لا شـريك لـه، امتنع وجــود ربين للخلــق. وإذا امتنع وجــود ربين للخلق امتنع أن يكـون للخلق إلهين، وذلك لأن إله الحق هو الــرب الخــالق الـرازق المـدبر فلا يسـتحق أحد الألوهية إلا الـرب الخـالق الرازق المدبر، وقد تقرر أن الله هو الرب وحـده، فـإذاً هو الإله وحده، لأن الإله لا يكون إلا الرب.

فإذا لم يصلح أحد أن يكون ربا كـذلك يمتنع أن يكــون أحد إلها لأن الربوبية من أخص صفات الإله، فلا يكون الإله إلا الرب.

وذلك أن الإله هو الــذي يقصــده الخلائق في قضــاء الحـوائج، وهو الـذي يـرجى، وهو الـذي يـدعى، وهو الـذي يسـأل، وهـذا لا بد أن يكـون النـافع الضـار، المالك الغـني الرزاق، القادر على قضاء الحوائج، ولا يكون ذلك إلا الــرب الذي خلق كل شيء، والمدبر له المالك له، لذلك فلا يصلح أن يكون إلها إلا الرب، وهو الله تعالى وحده لا شريك له.

قد وردت آيات في كتاب الله تعالى تفرر هذا المعنى، منها:

**أولا:** قوله تعالى: ﭽ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ې ى ى ﯦ ﯦ ﯧ ﯨ
ﭼ الأنبياء: ٢٢.

فـدلت الآية على أن عـدم فسـاد نظـام السـموات والأرض دليل على عدم تعدد الآلهة، لأنه لو تعـدد الآلهة فلا بد من فسـاد السـموات والأرض، لأن كل إله يـذهب بما خلـق، فتفسد الخلق السـموات والأرض، فلأدى ذلك إلى تعدد أرباب فتختل نظام العالم. وأما مع عدم فسادهما دل امتناع تعدد الآلهة المستحقة للعبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "قال الله تعـالى: ﭽ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ې ى ى ﯦ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ الأنبيـاء: ٢٢ ، قد كتبنا فيما تقـدم قواعد تتعلق بـذلك في توحيد الربوبية، وفي توحيد الإلهيـة، وفي أنه كما يمتنع أن يكون للخلق ربان، يمتنع أن يكون له إلهان"[1].

وقال العلامة ابن القيم-رحمه اللـه-: "الفكـرة في التوحيد استحضـار أدلته وشـواهد الدلالة على بطلان الشـرك واستحالته، وأن الإلهية يستحيل ثبوتها لاثنين كما يسـتحيل ثبـوت الربوبية لاثـنين، فكـذلك من أبطل الباطل عبـادة اثنين والتوكل على اثنين بل لا تصح العبـادة إلا للإله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار"[2].

وقال أيضا: "وأعلى منه – أي مشـهد الربوبية - مشـهد الإلهية الـذي هو مشـهد الرسل وأتبـاعهم الحنفـاء، وهو شهادة أن لا إله إلا هـو، وأن إلهية ما سـواه باطل ومحـال كما أن ربوبية ما سواه كـذلك، فلا أحد سـواه يسـتحق أن يؤله ويعبد ويصـلى له ويسـجد ويسـتحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسـمائه وصـفاته وأفعالـه، فهو المطـاع وحـده على الحقيقة والمـألوه وحـده، وله الحكم وحـده، فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضـلال، وكل محبة لغـيره عـذاب لصـاحبها، وكل غـنى لغـيره فقر وضـلال، وكل عز بغـيره ذل وصـغار، وكل تكـثر بغـيره قلة وفاقـة، فكما اسـتحال أن يكـون للخلق رب غـيره فكـذلك اسـتحال أن يكـون لهم إله غـيره. فهو الـذي انتهت إليه الرغبـات

---

[1] جامع المسائل 6/ 87.
[2] مدارج السالكين 1/ 472.

وتوجهت نحوه الطلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر فإن الإله على حقيقة هو الغني الصمد، ولا حاجة به إلى أحد، وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره. ومن المحال أن يحصل في الوجود اثنان كذلك، ولو كان في الوجود إلهان لفسد نظامه أعظم فساد واختل أعظم اختلال، كما يستحيل أن يكون له فاعلان متساويان كل منهما مستقل بالفعل، فإن استقلالهما ينافي استقلالهما واستقلال أحدهما يمنع ربوبية الآخر. فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية وكذلك كان عباد الأصنام يقرون به وينكرون توحيد الإلهية ويقولون أجعل الآلهة إلها واحدا مع اعترافهم بأن الله وحده هو الخالق لهم وللسموات والأرض وما بينهما وأنه المنفرد بملك ذلك كله فأرسل الله تعالى الرسل تذكرهم بما في فطرتهم الإقرار به من توحيده وحده لا شريك له وأنهم لو رجعوا إلى فطرهم وعقولهم لدلتهم على امتناع إله آخر معه واستحالته وبطلانه"[1].

فتبين أن الآية تدل على امتناع تعدد الآلهة المستحقة للعبادة لامتناع فساد السموات والأرض، لأنه لا بد أن يخلقهما ويدبرهما إله واحد، فعند التعدد يقع الفساد.

**ثانيا:** قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ
ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﭭ ﭬ ﭫ ﭪ ﭩ ﭨ الإسراء: ٤٢ – ٤٣.

في هذه الآية بيان امتناع تعدد الآلهة المستحقة للعبادة، لامتناع وجود أرباب غير الله تبغي السبيل إلى مغالبته وممانعته، لأنه لا بد أن يغلب القوي الضعيف، لأن القوي لا يرضى أن يشاركه الضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها.

[1](?) طريق الهجرتين 1/ 91 – 92.

هذا على قول بعض المفسرين[1]، وفي قول آخر[2]، تعـني الآية أنه لو كـان مع الله آلهة أخـرى لابتغـوا السـبيل إلى التقـــرب إليه بالطاعة له وعبادته وحـــده، لأنها عبيد له ومماليكـه، فهو ربهم. فـامتنع أن يكـون إلهين، لامتنـاع أن يكون ربَّين للخلائق. فعلى كلا القـولين تـدل الآية على أن امتناع تعدد الأرباب يمنع تعدد الآلهة المستحقة للعبادة.

قــال ابن القيم "وكــذلك قوله ســبحانه مقــررا لبرهــان التوحيد أحسن تقرير وأوجزه وأبلغه: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الإسراء: ٤٢. فإن الآلهة التي كانوا يثبتونها معه سبحانه كـانوا يعـترفون بأنها عبيـده ومماليكه ومحتاجة إليه، فلو كانوا آلهة كما يقولـون لعبـدوه وتقربـوا إليه وحـــده دون غـــيره، فكيف يعبـــدونهم من دونه؟ وقد أفصح سبحانه بهذا يعينه في قوله: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ الإسراء: ٥٧. أي هؤلاء الذين يعبدونهم من دوني هم عبيدي كما أنتم عبيدي يرجون رحمتي ويخـافون عذابي كما ترجون أنتم رحمـتي وتخـافوني عـذابي فلمـاذا تعبدونهم من دوني؟"[3].

**ثالثا:** قوله تعال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ المؤمنون: ٩١.

وفي هـذه الآية يقـرر الله تعـالى أنه يمتنع تعـدد الآلهة المستحقة للعبادة بامتناع تعـدد الأربـاب. لأنه لو كـان معه إله آخر فلا بد أن يكون لكل منهما خلق، لأن الإله لا بد أن يكـون ربا خالقـا، فيـذهب كل إله بما خلـق، فيفسد العلم ويختل تـدبيره، إذًا، فلا بد أن يكـون الإله واحـدا. أو يغلب أحدهما الآخر ويعلو عليه، لأن القوي لا يرضى أن يشـاركه

---

[1] وهو الذي رجحه الواحدي في الوسيط 3/ 109، والسمعاني في تفسـيره 3/ـ 243، والبغـوي 5/ـ 95، وهو الـذي رجحه الشنقيطي 3/ 702.

[2] وهو قول الطبري في تفسيره 14/ 603، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير في تفسيره 5/ 78.

[3] الصواعق المرسلة 2/ 462 – 463.

الضعيف فضلا أن يعلو عليه، والضعيف لا يصـلح أن يكـون ربا، فلا يصلح أن يكون إلها.

قال العلاقة ابن القيم -رحمه الله-: "وقال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ
ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ
ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼالمؤمنون: ٩١ ، فتأمل هذا البرهان البـاهر بهـذا اللفظ الوجـيز الـبين فـإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكـان له خلق وفعـل، وحينئذ فلا يرضى بشـركة الإله الآخر معـه، بل إن قـدر على قهـره وتفـرده بالإلهية دونه فعـل، وإن لم يقـدر على ذلك انفـرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملـوك الـدنيا عن بعضـهم بعضا بممـالكهم، إذا لم يقـدر المنفـرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمـور ثلاثة: إما أن يـذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضـهم على بعض، وإما أن يكـون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصـرف فيهم ولا يتصـرفون فيـه، ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعـون من حكمه عليهم فيكـون وحـده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبـون المقهـورون. وانتظـام أمر العـالم العلـوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظـام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مـدبره واحد لا إله غـيره كما دل دليل التمـانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره فذاك تمـانع في الفعل والإيجـاد، وهـذا تمـانع في العبـادة والإلهيـة. فكما يسـتحيل أن يكـون للعـالم ربـان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان"[1].

*******

---

[1](?) الصواعق المرسلة 2/ 464 – 465، وانظر أيضا مفتاح دار السعادة 2/ 587 – 588.

**المطلب الثالث**: لا يصلح الكون إلا بإله واحد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد:

قد سبق بيان أن هذه الآية ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الأنبياء: ٢٢، هي في تقرير توحيد الألوهية وإبطال الشرك بالله في العبادة، لأن الآية تدل على امتناع تعدد الآلهة المستحقة للعبادة لامتناع فساد السموات والأرض، فدل ذلك على أن الكون كله لا يصلح إلا بإله واحد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد. فلذلك لا يصلح العباد والخلائق إلا بأن يكون الله هو المعبود المألوه وحده لا شريك له، لأن صلاح الحي والأعمال والحركات يكون بصلاح النيات والإرادات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله-: "ولهذا قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼالأنبياء: ٢٢ ، ولم يقل لعدمتا إذ هو قادر على أن يبقيها على وجهة الفساد لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له فإن صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها"[1].

وقال ابن القيم-رحمه الله-:"كل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة، ولا صلاح للموجودات إلا بأن تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وبارئها وحده، كما لا وجود لها إلا بإبداعه وحده، ولهذا ﭑ ﭒ ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الأنبياء: ٢٢، ولم يقل سبحانه: لما وجدتا ولكانتا معدومتين، ولا قال: لعدمتا، إذ هو سبحانه قادر على أن يبقيهما على وجه الفساد، لكن لا يمكن أن يكونا على وجه الصلاح والاستقامة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودهما، ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما"[2].

وتوضيح ذلك يكون من وجوه:

**الوجه الأول: الإنسان خُلق فقيرا محتاجا إلى جلب النفع ودفع الضر، ونفسه مريدة:**

---

[1] جامع الرسائل 2/ 201، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 2/ 857، طريق الهجرتين 2/ 1166.

[2] الداء والدواء ص: 469 – 470.

فالإنسـان دائمـا هـو فقـير ومحتـاج إلى جلب النفـع ودفـع الضر، فكانت نفسه مريدة، لها غاية ومطلوب تقصد إليـه، حـتى تحصـل على السـكينة والطمأنينـة، ولا تحصـل على ذلك إلا إذا كان الله هو غايتها ومطلوبها، ومقصـودها، وإذا قصدت غيره فلا يحصل لهـا ذلـك، فـذاك فسـادها، لأنـه لا يصلح الخلائق إلا بعبادة الله وحده لا شريك له.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة-رحمه اللـه-: "إن الإنسـان خُلق محتاجا إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضـــره، ونفسه مريـــدة دائما ولا بد لها من مـــراد يكـــون غاية مطلوبها لتســكن إليه وتطمئن بــه، وليس ذلك إلا لله وحــده ؛ فلا تطمئن القلوب إلا به ولا تسكن النفوس إلا إليه وﭽ ﯙ [illegible] ﯦ ﯧﯨ ﭼالأنبياء: ٢٢، فكل مألوه سواه يحصل به الفساد ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحـده لا شريك له"[1].

وقـــــال ابن القيم: "اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحـده لا يشـرك به شـيئا في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ولا في العمل له ولا في الحلف به ولا في النـــذر له ولا في الخضـــوع له ولا في التـــذلل والتعظيم والسجود والتقـرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورهـــا، بل ليس لهـــذه الحاجة نظـــير تقاس به. فـإن حقيقة العبد روحه وقلبـه، ولا صـلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هـو، فلا تطمئن في الـدنيا إلا بـذكره، وهي كادحة إليه كـدحا فملاقيتـه، ولا بد لها من لقائـه. ولا صـلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها لـه، ورضـاه وإكرامه لهـا. ولو حصل للعبد من اللـذات والسـرور بغـير الله ما حصل لم يدم له ذلك، بل ينتقل من نـوع إلى نـوع، ومن شـخص إلى شــخص، ويتنعم بهــذا في وقت ثم يعــذب ولا بد في وقت آخر. وكثيرا ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا مُلــذ، بل قد يؤذيه اتصــاله به ووجــوده عنــده

---

[1](?) مجموع الفتاوى 1/ 55، وانظر أيضا 1/ 24، جامع الرسائل 2/ـ 401، جامع المسائل 6/ـ 126 – 127، درء تعـارض العقل والنقل 8/ 145، طريق الهجرتين 1/ 116 – 118، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 1/ 45 - 46.

ويضـــره ذلـــك. وإنما يحصل له بملابســـته من جنس ما يحصل للجرب من لـذة الأظفـار الـتي تحكـه، فهي تـدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضـرره وهو يـؤثر ذلك لما له في حكها من اللذة، وهكذا ما يتعـذب به القلب من محبة غـير اللـه، هو عـذاب عليه ومضـرة وألم في الحقيقـة، لا تزيد لذته على لـذة حك الجـرب. والعاقل يـوازن بين الأمـرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهمـا. والله الموفق المعين وله الحجة البالغة كما له النعمة الســـابغة. والمقصـــود أن إله العبد الـــــذي لا بد له منه في كل حالة وكل دقيقة وكل طرفة عين وهو الإله الحق الذي كل ما سواه باطل، والذي أينما كان فهو معه، وضرورته وحاجته إليه لا تشبهها ضرورة ولا حاجـة، بل هي فـوق كل ضـرورة وأعظم من كل حاجـة، لهذا قال إمام الحنفاء ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭽالأنعام: ٧٦"[1].

**الوجه الثاني: جعل المخلوق المملوك مشـاركا للخـالق المالك يلزم الفساد:**

اتخاذ غير الله معبودا، يخاف ويـرجى منه جلب النفع ودفع الضر، يلزم الفسـاد. لأنه جعل المخلـوق مشـاركا للخـالق المالك. فإذا كان المملـوك المخلـوق يـرجى ويخـاف فمن بـــاب أولى أن يخـــاف المالك الخـــالق، لأن ذاك خلق من خلقه لا يملك لأحد نفعا ولا ضـرا إلا بإذنـه، فكل ما يطلب منه لا يكـون إلا بإذنـه. فالخـالق هو الـذي يجب أن يخـاف ويـرجى منه ويطلب منـه، لأنه المتفـرد بجلب النفع ودفع الضـر، النـافع الضـار القـادر على كل شـيء، المالك لكل شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بين سبحانه أنه لم يشرع عبادة غيره ولا إذن في ذلـك، بل يـبين أنه ﭽ ﯠ ... ﭽالأنبياء: ٢٢، فإنه كما يمتنع أن يكون غيره ربا فاعلا يمتنع أن يكون إلها معبودا . وإذا كـان جعل المملوك شريكا في الملك الناقص - بحيث يرغب إليه كما يـــرغب إلى المالك يـــرهب منه كما يـــرهب من المالك - ممتنعا يـوجب الفسـاد فجعل المملـوك المخلـوق شـريكا لمالكه الخالق أولى بالامتناع ولزم الفساد.

---

[1] طريق الهجرتين 1/ 120 - 121.

وذلك أن الذي يخافه إنما يخاف أن يضره فإذا كان يعلم أنه لا يضره إلا بإذن الله سبحانه، كان الله تعالى هو الذي يجب أن يخاف. وكذلك الذي يرجوه إذا كان إنما يرجو نفعه وهو لا ينفعه إلا بإذن الله، كان الله هو الذي يجب أن يرجى، إذ لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله بخلاف مملوك البشر، فإنه - وإن كان لا يترف في المال إلا بإذن سيده، ولا يمنع من أذن له سيده - فقد يمكنه معصية سيده وإن كان في معصيته نوع من الفساد. والخالق تعالى لا يمكن أحدا أن يفعل شيئا إلا بمشيئته وقدرته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وفي معصية أمره الفساد الذي لا صلاح معه. فالمخلوق أعجز عن أن ينفع أو يضر بدون إذنه من عجز المملوك عن النفع والضر بدون إذن سيده. ومعصية المخلوق لأمره الذي أرسل به رسله أعظم فسادا من معصية المملوك لأمر سيده" [1].

**الوجه الثالث: كون الله تعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة هو السبب في صلاح السموات والأرض واستقامتهما وانتظام أمر الخليقة:**

فقوام السموات والأرض وعدم فسادهما واختلال سيرهما وخراب نظامهما، واستقامة أمر المخلوقات كل ذلك إنما حصل لكون الله تعالى هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولو كان معه إله غيره لحصل الفساد، لأن الكون لا يصلح إلا بالإله الحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:"قوله تعالى: ﭽ ۋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ى ې ﭼ الأنبياء: ٢٢، أي وما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله"[2].

فدلت الآية الكريمة على أن الله وحده هو المتفرد بالألوهية، لعدم فساد السموات والأرض.

وقال ابن القيم –رحمه الله- : "قوام السموات والأرض والخليقة بأن تؤله الإله الحق، فلو كان فيهما إله آخر غير الله لم يكن إلها حقا، إذ الإله الحق لا شريك له ولا سمي له ولا مثل له، فلو تألهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 7/ 391 – 393.

[2] منهاج السنة النبوية 3/ 314.

ما به صلاحها، إذ صــلاحها بتأله الإله الحق كما أنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار، ويستحيل أن تســتند في وجودها إلى ربين متكافئين، فكذلك يستحيل أن تستند في بقائها وصلاحها إلى إلهين متساويين"[1].

وقال أيضا: "فلو كان في العــالم إلهــان لفسد نظامه غاية الفساد، فإن كل إله كان يطلب مغالبة الآخر، والعلو عليه، وتفرده دونه بإلهيتــه، إذ الشــركة نقص في كمــال الإلهيــة، والإله لا يرضى لنفسه أن يكـــون إلها ناقصـــا، فـــإن قهر أحــدهما الآخر كـان هو الإله وحـده، والمقهـور ليس بإلــه، وإن لم يقهر أحدهما الآخر لـزم عجز كل منهمـا، ولم يكن تام الإلهيـة، فيجب أن يكـون فوقهما إله قـاهر لهما حـاكم عليهمـــا، وإلا ذهب كل منهما بما خلـــق، وطلب كل منهما العلو على الآخر، وفي ذلك فساد أمر الســماوات والأرض ومن فيهـا، كما هو المعهـود من فسـاد البلد إذا كـان فيها ملكـــان متكافئـــان، وفســـاد الزوجة إذا كـــان لها بعلان، والشول: إذا كان فيه فحلان"[2].

فتبين أن دلالة الآية على توحيد الألوهية، وذلك بامتناع وجود إلهين، لأن العالم لا يصلح إلا بإله واحد، ولا استقامة للخلق والشــرع إلا بـأن يكـون الإله واحـدا. ولما لم تفسد السموات والأرض دل على تفرد الله بالألوهيــة، كما تفــرد بالربوبية.

*******

---

[1] طريق الهجــرتين 1/ـ 120، وانظر الــداء والــدواء ص: 471، إعلام الموقعين 5/ 225.

[2] الداء والدواء ص: 470 – 471.

# الفصل الرابع

## دلالة أوصاف الآلهة الباطلة على توحيد الألوهية,

**وفيه مبحثان:**

## المبحث الأول: الآلهة من دون الله مجردة عن معاني الألوهية,

**وفيه أربعة مطالب:**

**المطلب الأول: تجرد الآلهة من دون الله عن جميع معاني الربوبية.**
**المطلب الثاني: تجرد الآلهة من دون الله عن صفات العظمة والكبرياء.**
**المطلب الثالث: تجرد الآلهة من دون الله عن الغنى المطلق.**
**المطلب الرابع: تجرد الآلهة من دون الله عن صفات الرحمة والبر والإنعام**

## المبحث الثاني: الآلهة من دون الله موصوفة بصفات النقص المنافية للألوهية,

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: كون الآلهة من دون الله مخلوقة لله ومربوبة له.**
**المطلب الثاني: كون الآلهة من دون الله متصفة بصفات العجز.**
**المطلب الثالث: كون الآلهة من دون الله متصفة بالعيوب.**

**تمهيد: أهمية معرفة أوصاف الآلهة المعبودة من دون الله لمعرفة عدم استحقاقها للألوهية وصلاحها للعبادة:**

الكلام في هــذا الفصل مبــني على معرفة أوصــاف الآلهة من دون الله، كي تُعرف أنها غير مستحقة للألوهية ولا صالحة للعبادة.

قــال ابن ســعدي رحمــه الله: "وكــذلك من بــراهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله، فــإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شـــــجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله، عــاجزون ليس بيــدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقــون شـيئا وهم يخلقــون، ولا يملكــون ضــرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيــاة ولا نشــورا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلــوق، وهو الــرازق لكل مــرزوق، المدبر للأمور كلها، الضــار النــافع، المعطي المــانع، ا لــذي بيده ملكوت كل شيء ، وإليه يرجع كل شــيء ، وله يقصد ويصــمد ويخضع كل شــيء . فــأي برهــان أعظم من هــذا البرهــان: الــذي أعــاده الله وأبــداه في مواضع كثــيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل ســـمعي نقلي على وجـــوب توحيد الله وأنه الحـــق، وعلى بطلان الشرك"[1].

وقا أيضــا: "فنعــوت البــاري تعــالى وصــفات عظمته وتوحـــده في الكمـــال المطلق أكـــبر برهـــان على أنه لا يستحق العبــادة إلا هو. وكــذلك صــفات المخلوقــات كلهــا، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شؤونها، وأنه ليس لها من الكمال، إلا ما أعطاها ربها: من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منهــا؛ فمن عــرف الله وعرف الخلق اضــطرته هــذه المعرفة إلى عبــادة الله وحده، وإخلاص الدين لــه، والثنــاء عليــه، وحمــده وشــكره بلســانه وقلبه وأركانــه، وانصــرف تعلقه بــالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا"[2].

---

[1] القول السديد شرح كتــاب التوحيــد 6/ـ 663، (ضــمن مجمــوع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المجلد السادس).

[2] المرجع نفسه 6/ 663 - 664.

فــبين رحمه الله أن معرفة أوصـــاف الآلهة من دون الله؛ من كونها مخلوقة مربوبة للـه، عـاجزة، وما فيها من النقص والعيـوب والحاجـة، وأنها لا تملك النفع والضر مما يدل كل عاقل إلى معرفة عدم استحقاقها للألوهية، وغــير صالحة للعبادة، وأنها مختصة لله تعالى.

## المبحث الأول: الآلهة من دون الله مجـــــردة عن معاني الألوهية, وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول**: تجرد الآلهة من دون الله عن جميع معاني الربوبية:

الألوهية صـــفة لله تعـــالى لا تنبغي لأحد غـــيره، لأن الألوهية لها خصائص تفرد الله تعالى بهـا، ومنها الربوبيـة، والاتصـاف بالكمـال المطلق. فالله تعـالى هو الـرب لكل شيء، فهو المتفرد بالربوبية. والربوبية هي التفرد بـالخلق والملك والتدبير[1]، ولم يتفرد بهـذه الأمـور إلا الله وحـده، وأقر بذلك الخلق كله، كما سـبق ذلك في البـاب الأول[2]. وهذا مما جعل أن يكون الله تعالى مسـتحقا للألوهية دون غيره.

وأما إذا نظرنا إلى الآلهة المعبـــودة من دون الله تعـــالى نرى أنها مجردة وفاقدة لجميع صفات الربوبيــة، ما يجعلها غير مستحقة للألوهية والعبادة، لأن الإله لا بد أن يكون ربا متصفا بالكمال.

وجميع ما عُبد من دون الله فهو متجــــرد عن صـــــفات الكمال، ومن ذلك:

**أولا: تجردها عن الخلق**:

الخلق صفة خاصة بالله تعـالى، هو المتفـرد بـالخلق، وكل ما سـواه مخلـوق، وكل ما عبد من دون الله متجـرد عن صفة الخلـق، بل هو مخلـوق مربـوب لله تعـالى، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله ببيان ذلك، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ لقمان: ١٠ – ١١.

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: "يقول تعـالى ذكـره: هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هــذه الآية، ﭽ ﰀ ﰁ ﭼ الذي له ألوهية كل شيء، وعبادة كل خلـق، الـذي لا تصـلح العبـادة لغـيره، ولا تنبغي لشـيء

---

[1] انظر رسالة: معـنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطـال الإلحـاد فيها - أبو سيف الجهني ص (4 – 5).

[2] راجع الفصل الثاني من الباب الأول من الرسالة.

سواه، ﭽ ﮱ ﭼ أيها المشركون في عبادتكم إيـاه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الـذين من دونه من آلهتكم وأصـنامكم، حـتى اسـتحقت عليكم العبـادة فعبدتموها من دونـه، كما اسـتحق ذلك عليكم خـالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم"[1].

ثم روى عن قتادة، "قوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼما ذكر من خلق السـماوات والأرض، وما بث من الـدواب، وما أنبت من كل زوج كـريم، فـأروني مـاذا خلق الـذين من دونــه، الأصنام الذين تدعون من دونه"[2].

فـدلت الآية على تجـرد الآلهة من دون الله عن صـفة الخلق الـتي هي أخص صـفات الربوبيـة، وأن الله هو الخالق للسموات والأرض، والخالق لكل شيء.

وإذا ادعى المشـركون أن آلهتهم يسـتحقون العبـادة فعليهم أن يقيموا الحجة على هذه الدعوى، فيُرِينا مـاذا خلق آلهتهم.

2- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ فاطر: ٤٠، وﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ الأحقاف: ٤.

فقال العلامة ابن القيم وهو يذكر دلائل التوحيـد: "ومن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ لقمان: ١١. فلله ما أحلى هـذا اللفظ وأوجـزه وأدله على بطلان الشرك، فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئا مع الله طولبوا بأن يروه إياه، وإن اعـترفوا بأنها أعجز وأضـعف وأقل من ذلك كـانت آلهيتها بـاطلا ومحـالا. ومن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ الأحقاف: ٤. فطالبهم بالدليل العقلي والسمعي"[3].

---

[1] جامع البيان 18/ 544.

[2] المصدر نفسه 18/ 545.

[3] الصواعق المرسلة 2/ 465.

3- وقد أقـــام الله تعـــالى الحجج على المشـــركين في عبادتهم للآلهة التي لا تخلق شيئا، واستفهمهم استفهام إنكـــار وتـــوبيخ على شـــركهم بالله ما لا يخلق شـــيئا، ووبخهم بـأن سـوّوا بين من يخلق ومن لا يخلق شـيئا، حـتى ضـربهم لهم المثل في أن الآلهة لو اجتمعـوا على أن يخلقوا ذبابا لن يخلقوه، فقال سبحانه: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ
ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ
ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ
ﯵ ﯶ ﭼ الأعراف: ١٩١ – ١٩٤، وﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ
ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النحل: ١٧، ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الحج: ٧٣ ، فدلت هذه الآيـــات على أن الآلهة من دون الله مجـــردة من أخص صفات الربوبية التي هي الخلق، فلـذلك لا تكـون آلهـة، لأن إله لا بد أن يكون ربا.

4- والشـــأن أعظم من ذلـــك، وهو أن هـــذه الآلهة كلها مخلوقة لله تعـالى، فكيف تكـون هي الخالقـة؟ فقـال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ
ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ النحل: ٢٠ – ٢٢.

5- ووبخهم تعالى في جعلهم شركاء له، وسوّوا بينه وبينهم في العبـادة مع أنهم لم يخلقـوا شـيئا، أو كـانوا يظنـون أنهم شاركوا الله في الخلق، حتى اشتبه عليهم الخلـق، فجعلوا له شركاء؟
ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ
ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ الرعد: ١٦.

فنبههم الله تعالى بأنه الخـالق وحـده، فـإذا تفـرد بـالخلق يجب إفراده بالعبادة، لأنه لا يستحق العبادة إلا الخالق.

قال الإمام الطبري رحمه اللـه: "يقـول تعـالى ذكـره لنبيه محمد صـــلى الله عليه وســـلم: قل يا محمد لهـــؤلاء المشركين: أخلق أوثانكم التي اتخـذتموها أوليـاء من دون الله كخلق اللـــه، فاشـــتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله ، فجعلتموها له شـــركاء من أجل ذلك ، أم إنما بكم الجهل والـــذهاب عن الصـــواب؟ فإنه لا يشـــكل على ذي عقل أن عبـــادة ما لا يضر ولا ينفع من الفعل جهـــل، وأن العبادة إنما تصلح للذي يـرجى نفعه ، ويخشى ضـره ، كما

أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهل فاعله، كذلك لا يشكل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويمونه من لا يقدر له على ضرر ولا نفع"[1].

في هذه الآية دلالات على تفرد الله بالخلق والألوهية والقهر، أجملها ابن القيم في قوله: "فاحتج على تفرده بالإلهية بتفرده بالخلق، وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق، وعلى أنه واحد بأنه قهار، والقهر التام يستلزم الوحدة، فإن الشركة تنافي تمام القهر"[2].

وفسر الشيخ ابن سعدي هذا الكلام فقال: "فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزال عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية، فقل لهم: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭽ فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه، ومن المحال أيضا أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطلة"[3].

في هذه الآية نفى الله أن تكون الآلهة تخلق كخلقه تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا استفهام إنكار بمعنى النفي أي ما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فإنهم مقرون أن آلهتهم لم يخلقوا كخلقه"[4].

وفي القرآن آيات كثيرة تدل على أن الآلهة من دون الله مجردة عن أخص صفات الربوبية، وأن إله لا يكون إلا الرب الخالق.

---

[1] جامع البيان 13/ 495.
[2] الصواعق المرسلة 2/ 466.
[3] تيسير الكريم الرحمن ص: 415.
[4] مجموع الفتاوى 1/ 311.

ﭫ ﭪ ﭼ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭻ الفرقان: ٣، و ﭫ ﭪ ﭼ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ
ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭻ يونس: ٣٤
فــــدل على أن الآلهة من دون الله ليس لهم من الألوهية شيء، لأنهم لم يخلقوا شيئا، ودلت الآيــات على أن الخلق من خصائص الألوهية.

**ثانيا: تجردها عن الملك**:

إن الآلهة من دون الله متجــــردة عن الملك كما أنها متجـــردة عن الخلـــق، وصـــفة الملك من أخص صـــفات الربوبية كما أن صفة الخلق كذلك، ولا يكون إلها إلا الــرب المتصف بالخلق والملك.

وقد وردت آيــات كثـيرة في كتـاب الله ببيــان تجــرد الآلهة من دون الله عن هذه الصفة، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ النحل: ٧٣.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقــول تعــالى ذكــره: ويعبد هــؤلاء المشــركون بالله من دونه أوثانا لا تملك لهم رزقا من الســماوات، لأنها لا تقـــدر على إنـــزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين ﭽ ﭙ ﭼ، يقول: ولا تملك لهم أيضا رزقا من الأرض لأنها لا تقـــــدر على إخـــراج شـــيء من نباتها وثمارها لهم، ولا شـــيئا مما عدد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ، يقول: ولا تملك أوثانهم شيئا من الســماوات والأرض، بل هي وجميع ما في الســــماوات والأرض لله ملك، ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼيقول: ولا تقدر على شيء"[1].

وروى عن قتــادة قــال: "هــذه الأوثــان الــتي تعبد من دون اللــه، لا تملك لمن يعبــدها رزقــا، ولا ضــرا، ولا نفعا، ولا حياة، ولا نشورا"[2].

فدلت هذه الآية على عــدم اســتحقاق الآلهة من دون الله للألوهيــة، لأنها لا تملك شــيئا، فلا تملك رزقا من

[1] جامع البيان 14/ 305، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص: 445.

[2] المصدر نفسه 14/ 306.

السـموات والأرض ولا يسـتطيعون ملك ذلك حـتى يرزقون به عابديهم.

2- قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ الزمر: ٤٣ – ٤٤.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: أتتخـذون هـذه الآلهة شـفعاء كما تزعمون ولو كـانوا لا يملكـون لكم نفعا ولا ضـرا، ولا يعقلـون شـيئا، قل لهم: إن تكونـوا تعبـدونها لـذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهية، فإن الشفاعة جميعا لـه، لا يشـفع عنـده إلا من أذن له ، ورضي له قـولا، وأنتم مـتى أخلصـتم له العبادة، فدعوتموه، وشفعكم ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﭼ، يقـول: له سـلطان السـموات والأرض وملكهـا، وما تعبدون أيها المشركون من دونه له؛ يقـول: فاعبـدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئا"[1].

فدلت الآية على أن الآلهة من دون الله لا يسـتحقون العبـــادة، لأنه ليس لها من الملك شــــيء، والله هو المستحق للعبادة لتفرده بملك السموات والأرض.

3- قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ المائدة: ٧٦، وﭧ ﭨ ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ طه: ٨٩ . قوله

في هـذه الآيـات يـوبِّخ الله تعـالى المشـركين الـذين يعبــدون من دون الله ما لا يملك لهم نفعا ولا ضــرا، لأن الذي يملك النفع والضر هو الذي يرجى منه جلب النفع ودفع الضر فيعبـد، فكيف يعبـدون من لم يملك شيئا من أسباب العبادة حتى يكون إلها معبودا؟!

4- قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ سبأ: ٢٢ – ٢٣.

---

[1] المصدر نفسه 20/ 217، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 7/ 102.

هذه الآيات هي من أعظم الآيـات في كتـاب الله في إبطال الشرك بالله تعالى، لأنها قطعت واستأصـلت جميع أسباب الشرك بالله تعالى. لأن المشرك إنما يتخذ معبودا من دون الله لجلب منفعة أو دفع مضـــرة، ولا يتم ذلك إلا عن طريق أحد الأسباب الأربعة:

**الأول**: إما أن يكون المعبود مالكا لذلك النفع ودفع الضر.

**الثاني**: أو يكون شريكا للمالك إن لم يكن هو المالك.

**الثالث**: أو يكون ظهيرا ومعينا للمالك إن لم يكن شــريكا له.

**الرابع**: أن يكون له جاه عند المالك فيشفع له عنده.

فــإذا انتفت كل هــذه الأســباب فلا يحصل مقصــود ذاك المشرك، فنفى الله تعالى هذه الأسباب كلها عن المعبـود من دونــــه، فقطع جميع ما يتعلق بها المشـــــركون في عبـادتهم غـير اللـه، فنفى أن تكـون الآلهة من دونه تملك مثقــال ذرة في الأرض ولا في الســماء، ونفى أن تكـــون شـريكا لله تعـالى في الملـك، ولا أن تكـون ظهـيرا له أو معاونا أو وزيرا، ولا تكـون الشـفاعة إلا بإذنـه، فما بقي إلا أن يُعبد الله وحده لا شريك له.

قال الإمام الطبري رحمه اللـه: "إن الشـركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز، ثم وصف الـذين يـدعون من دون اللـه، فقـال: إنهم لا يملكـون مـيزان ذرة في السـموات ولا في الأرض من خـير ولا شر ولا ضر ولا نفـع، فكيف يكـون إلها من كان كذلك"[1].

وقــال شــيخ الإســلام ابن تيمية -رحمه اللـــه-: "فــأخبر ســبحانه: أن ما يــدعى من دون الله ليس له مثقــال ذرة في الملك ولا شــــرك في الملك وأنه ليس له من الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه"[2].

---

[1] جامع البيان 19/ـ 272، تفسير القـرآن العظيم لابن كثـير 6/ 513.

[2] مجموع الفتاوى 3/ 396 ـ 397، وانظر أيضا: 7/ 77، 8/ 519 – 520، 11/ 500، 526، 13/ 205، 18/ 322، 27/ 66، 280، الرد على المنطقيين ص: 573 ـ 574، جامع المسائل 4/ 289.

وقال العلامة ابن القيم -رحمه اللـه-: "فتأمل كيف أخـذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسـدتها عليهم أحكم سد وأبلغـه، فـإن العابد إنما يتعلق بـــالمعبود لما يرجو من نفعه وإلا فلو لم يـــرج منه منفعة لم يتعلق قلبه بـــه، وحينئذ فلا بد أن يكـــــون المعبـود مالكا للأسـباب الـتي ينفع بها عابـده، أو شـريكا لمالكها، أو ظهيرا أو وزيـرا ومعاونا لـه، أو وجيها ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هـذه الأمـور الأربعة من كل وجه وبطلت انتفت أسـباب الشـرك وانقطعت مـــواده، فنفى ســــبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقــــال ذرة في السموات والأرض. فقد يقول المشرك هي شـريكة لمالك الحق، فنفى شركتها له. فيقول المشرك قد تكون ظهـيرا ووزيرا ومعاونا، فقال: ﭽ [illegible] ﭼ. فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشـفع عنـده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع فإن لم يأذن له لم يتقـدم بالشـفاعة بين يديـه، كما يكـون في حق المخلـوقين فـإن المشـفوع عنـده يحتـاج إلى الشـافع ومعاونته لـه، فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها. وأما من كل ما سـواه فقـير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سـواه فكيف يشـفع عنده أحد بدون إذنه؟"[1].

فتـــــبين أن الآلهة من دون الله ليس لها من الملك شيء، وأن الملك كله لله تعالى. فإذا خلت الآلهة من دون الله من الملك خلت عن صفة من صـفات الربوبيـة، فثبت عدم استحقاقها للألوهية، لأنه لا يستحق الألوهية إلا الـرب الخالق المالك.

**ثالثا: تجردها عن التدبير:**

التدبير صـفة من صـفات الربوبيـة، فـالرب هو الـذي يـدبر الأمـور في العـالم العلـوي والسـفلي فيخلق ويـنزل الأرزاق، ويحـيي ويميت، ويغـني ويفقـر، ويكـرم، ويهين، ويرفع أقواما ويضع آخـرين، ويعز ويـذل، ويخفض ويرفـع، ويسعد ويشقي، ويقيل العثرات، ويفرج الكربات، ويكشف

---

[1] الصواعق المرسلة 2/ 461 – 462، مدارج السالكين 2/ 921 – 922.

الضر عن المضـطرين، ويجيب سـؤال السـائلين، ويـديل الأيام بين الناس، وينفذ الأقدار في أوقاتها الـتي سـبق بها علمه، وجرى بها قلمـه، ويرسل ملائكته الكـرام لتـدبير ما جعلهم على تدبيره.

وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العبـاد من الشرائع والأوامر والنواهي.

فـأنواع التــدابير نازلة منه وصـاعدة إليــه، وجميع الخلق مذعنون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه[1].

وهذه الصـفة من الصـفات الـتي تفـرد بها الله تعـالى لأنه رب كل شيء، والآلهة من دونه متجردة عن هـذه الصـفة، فلا تستحق العبادة والألوهية.

وقد وردت آيات كثيرة من القرآن الكريم تـدل على تجـرد الآلهة من دون الله عن هـذه الصـفة، وتفـرد الله بهـا، فلا تسـتحق الألوهيـة، ويتفـرد الله تعـالى بالعبـادة، كما تفـرد بالربوبية، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ يونس: ٣١.

فبين الله تعالى أن المشـركين إذا سـئلوا عمن يـدبر الأمور، سيقولون الله هو الذي يدبرها. وهذا استفهام تقرير يـدل على اعـترافهم بتفـرد الله تعـالى في كل هذه الأمور، كما سبق تقريره في الباب الأول.

فـإذا ثبت أن الله هو المـدبر للأمـور كلهـا، دل ذلك على نفي تدبير الأمور عن الآلهة من دونــه، وقد نفى الله تعالى أن يكون لها ذلك في آيات كثير منها:

2- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ يونس: ٣٤ – ٣٥.

في هذين الآيـتين ذكر الله تعـالى نـوعين من التـدبير الــذي تفــرد به وهي: إعــادة الخلق بعد موتهــا، وهو البعث والنشـور في المعـاد، والهداية إلى الحــق، ثم

---

[1] انظر تيسير الكريم الرحمن ص: 357، 412، 653.

نفاهما عن الآلهة من دونــه، لأنه اســتفهم اســتفهام إنكار الذي  بمعنى النفي.
قال الإمام الطبري: " ﭽ ﯔ ﭼيا محمد ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ يعني من الآلهة والأوثان ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼيقول: من ينشئ خلق شـيء من غـير أصـل، فيحـدث خلقه ابتداء ثم يعيده، يقول: ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيـه؟ فـإنهم لا يقـدرون على دعـوى ذلك لها. وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضـحة على أنهم في دعـــــواهم أنها أربـــــاب، وهي لله في العبادة شـركاء كـاذبون مفـترون... ﭽ ﭳ ﭼ يا محمد لهؤلاء المشركين ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼالذين تدعون من دون الله، وذلك آلهتهم وأوثانهم، ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ يقول: من يرشد ضالا من ضـلالته إلى قصد السـبيل، ويســـــدد جـــــائرا عن الهـــــدى إلى واضح الطريق المســتقيم؛ فــإنهم لا يقــدرون أن يــدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا أو تهدي حائرا"[1].
قال ابن سـعدي رحمـه الله: "وهـذا اسـتفهام بمعـنى النفي والتقريـــــر، أي: ما منهم أحد يبـــــدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼمن غير مشارك ولا معاون له على ذلك"[2].
فنفى الله التدبير عن الآلهة من دونه، لتفـرده بـذلك، فلا تستحق أن تكون آلهة معبودة.

3- قوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الروم: ٤٠.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله : ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ يقول تعالى ذكره: هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إيــاه شـــــركاء من يفعل من ذلكم من شــــيء، فيخلق أو يرزق، أو يميت، أو ينشر؛ وهذا من الله تقريع لهـؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شــركاءهم لا تفعل

[1] جامع البيان 12/ 177 – 178.
[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 364.

شــيئا من ذلــك، فكيف يعبــدون من دون الله من لا يفعل شيئا من ذلك ؟!"[1].

فـدلت الآيـة على نفي هـذه الأفعـال؛ وهي الـرزق والإماتـة والإحيـاء عن الآلهـة من دون اللــه، فـدل ذلـك على عـدم استحقاقها للألوهية.

4- **وقوله تعالى:** ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ
ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ
ﭼ الزمر: ٤٢.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقـول تعـالى ذكـره: ومن الدلالة على أن الألوهية لله الواحد القهـــــــار خالصة دون كل ما ســواه، أنه يميت ويحــيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على شيء من ذلك سواه"[2].

فدلت الآية على أن الآلهـة من دون اللـه متجـردة عن هـذه الأفعال، فلا تستحق الألوهية.

5- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ
ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ
ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ
ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ
ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ
ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ
ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ النمل: ٥٩ – ٦٥.

فــذكر الله تعــالى في هــذه الآيــات عــددا من أنــواع التــدبير والتصــرف في الخلق والكــون، وهي: خلق السموات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإنبــات الحــدائق بالمــاء المــنزل من الســماء، وجعل الأرض قــرارا لا تتحــرك، وجعل الأنهــار خلال الأرض، وجعل الجبـــال لها رواسي وأوتـــادا، وجعْل الحـــاجز بين البحرين، وإجابة المضـطرين، وكشف الســوء، وجعل النــاس خلفــاء في الأرض أمة بعد أمــة، والهداية في

---

[1] جامع البيان 18/ 508 – 509، وانظر تفسير القرآن العظيم 6/ 319.

[2] المصدر نفسه 20/ 215.

ظلمات البر والبحر، وإرسال الرياح بشرا بين يدي رحمته، وبدء الخلق وإعادته، ورزق الناس من السماء والأرض، يذكر تعالى هذه الأمور ويقول: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﭼ ؟ والمعنى هل هناك إله من آلهتكم فعل هذه الأمور مع الله؟ فلا بد أن يجيبوا بلا. وهو استفهام إنكار، لأنهم مقربون لله وحده بالربوبية. أنكر عليهم الشرك في الألوهية مع إقرارهم واعترافهم بالربوبية لله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا إله آخر مع الله"[1].

وقال أيضا: "يقول : ﭽ   ﭼ إنكارا عليهم أن يعبدوا غير الله ويتخذوه إلها مع اعترافهم بأن هذا لم يفعله إله غير الله وإنما فعله هو وحده"[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق"[3].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "يحتج عليهم بأن من فعل لهم هذا وحده فهو الإله لهم وحده، فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن تعبدوه. وإن لم يكن معه رب فعل هذا فكيف تجعلون معه إلها آخر؟ ولهذا كان الصحيح من القولين في تقدير الآية: أإله مع الله فعل هذا؟ حتى يتم الدليل فلا بد من الجواب بلا. فإذا لم يكن معه إله فعل كفعله فكيف تعبدون آلهة أخرى سواه؟ فعلم أن إلهية ما سواه باطلة كما أن ربوبية ما سواه باطلة بإقراركم وشهادتكم"[4].

---

[1] (?) مجموع الفتاوى 7/ 76.

[2] (?) المصدر نفسه 11/ 683.

[3] (?) تفسير القرآن العظيم 6/ 202.

[4] (?) مدارج السالكين 2/ 1070.

6- وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ الحج: ١٢ – ١٣.

فنفى عن الآلهة من دونه إصابة أحد من عابديها بضر أو إيصال نفع إليه أو دفع ضر عنه. والـذي لا يتصـرف في عابديه بالضر والنفع فكيف يكون إلها لهم؟

7- وقوله تعالى: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ البقرة: ٢٥٨

هــــــــــذه الآية تتضمن نفي التدبير والتصــــــــــرف المخلوقات عن غـير الله تعـالى، لأنه في الحقيقة أن هـذا المحــاج لم يفعل شــيئا، لم يحي أحــدا ولم يميت أحــدا، وغاية ما فعله هو سبب الحيـاة والمـوت، لأن القتل سـبب المــوت كما أن اســتبقاء الحي ســبب لحياتــه، ولا يحصل شيء من ذلك إلا بمشـيئة الله تعـالى، فـالمحيي الحقيقي والمميت الحقيقي هو الله وحده، والذي يدل على ذلك هو عجزه عن الإتيان بالشـمس من المغـرب، فـدل ذلك على أنه كـاذب في دعـواه التصـرف في الكـون وتـدبير أمـره، فثبت بـــذلك أن الآلهة من دون الله متجـــردة عن صـــفة التدبير، فلا تستحق أن تكون آلهـة، وأن الله تعـالى وحـده هو المحـيي والمميت المسـخر للشـمس والقمر المـدبر للأمور دون غيره، فدل على استحقاقه للألوهية.

قال العلامة ابن القيم رحمه اللـه: "فـإن من تأمل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هــذه الآية وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة، فإن إبراهيم لما أجاب المحــاج له في الله بأنه الذي يحيي ويميت، أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة، وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد، فقد أحيا هذا وأمات هذا. فألزمه إبراهيم على طرد هـذه المعارضة أن يتصـرف في حركة الشـمس من غـير الجهة التي يـأتي الله بها منهـا، إذا كـان بزعمه قد سـاوى الله في الإحياء والإماتة. فـإن كـان صـادقا فليتصـرف في الشمس تصرفا تصح به دعواه، وليس هذا انتقالا من حجة

إلى حجة أوضح منهـــا، كما زعم بعض النظـــار. وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة"[1].

فتبين أن المدبر للكـون هو الله وحـده لا شـريك لـه، وأن الآلهة من دونه ليست لهما من التـدبير شــيء، فـدل ذلك على خلوها وتجردها عن جميع معـــــاني وصــــفات الربوبية، ما يجعلها غير مسـتحقة للألوهيـة، فلا يجـوز لأحد أن يصرف لها شـيئا من أنـواع العبـادة. فيبقى الله تعـالى ربا وإلها الــذي يجب أن تصــرف جميع أنــواع العبــادة له وحده لا شريك له.

********

---

[1] الصواعق المرسلة 2/ 490 – 491.

**المطلب الثاني**: تجرد الآلهة من دون الله عن صفات العظمة والكبرياء:

إن الله تعالى هو المتفـرد بصـفات العظمة الكبريـاء، وهي صـــفات الجلال والجمـــال، وتـــدل على العـــزة والجـبروت، والقـوة والغلبة والقهـر، فكل هـذه الصـفات تفرد الله بالكمال فيها، وهي من خصائص الألوهية.

فإذا كانت هذه الصفات من خصائص الألوهية، وتفــرد الله بالكمال فيها وحده لا شريك له، دل ذلك على تجـرد الآلهة من دون الله عن صـفات العظمة والكبريـاء، فكـانت غـير مستحقة للألوهية، لخلوها من خصائص الألوهية.

قال العلامة ابن القيم أثنـاء كلامه على تقرير أدلة صـفات الكمـال لله تعـالى، فـبين أن صـفات اللـه: "ضد صـفات الأصــنام الــتي جعل امتنــاع هــذه الصــفات عليها منافيا لإلهيتهـا. فتأمل آيـات التوحيد والصـفات في القـرآن على كثرتها وتفننها واتســاعها وتنوعهــا، كيف تجــدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بهـا، وأنه المتفـرد بـذلك الكمـال فليس له فيه شبه ولا مثال؟"[1].

ويـدل على تجـرد الآلهة من دون الله عن صـفات العظمة والكبرياء تفرد الله بها واختصاصه بها. وقد وردت نصـوص الكتاب والسنة بذلك، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الحج: ٦٢، فبين تعالى أنه الحق الـــذي يســـتحق العبـــادة وأن الآلهة من دونه هي الباطـــــل، وأنه هو المتصف بالكمـــــال في العلو والكبرياء المتفرد بهما.

قال الطبري: "ﭽ ﯘ ﯙ ﭼ يعني العظيم الذي كل شيء دونه, ولا شيء أعظم منه"[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "فكل شـيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منـه، العلي الـذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعـالى وتقـدس وتـنزه،

---

[1] الصواعق المرسلة 3/ 916.

[2] جامع البيان 16/ 622.

وعز وجل عما يقــول الظــالمون [المعتــدون] علــوا كبيرا"[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ
ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭑ ﭒ ﭓ
ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ
ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ سبأ: ٢٢ – ٢٣.

فبين تعالى كمــال ملكه وأن الآلهة من دونه ليس لها مثقــال ذرة في الســموات والأرض، ثم أكمل هــذا البرهــان على توحيــده ببيــان كمــال عظمته وعلــوه وكبريائه، ما يدل تفــرده بها وخلو الآلهة من دونه عن هذه الصفات التي هي من خصائص الألوهية.

قال ابن سعدي رحمه الله: "وهذا أيضا برهان عظيم آخر على وجــوب التوحيد وبطلان الشــرك ، وهو ذكر النصــوص الدالة على كبريــاء الــرب وعظمته الــتي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقــات العظيمة ، وتخضع له الملائكة والعــالم العلــوي والســفلي ولا تثبت أفئــدتهم عنــدما يســمعون كلامه أو تتبــدى لهم بعض عظمته ومجده ، فالمخلوقات بأســرها خاضــعة لجلاله ، معترفة بعظمته ومجــده ، خاضــعة له خائفة منه ، فمن كان هذا شأنه فهو الرب الــذي لا يســتحق العبــادة والحمد والثنــاء والشــكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومن سواه ليس له من هــذا الحق شــيء . فكما أن الكمــــال المطلق والكبريـــــاء والعظمة ونعــــوت الجلال والجمــال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غــيره ، فكــذلك العبودية الظــاهرة والباطنة كلها حقه تعــالى الخــاص الــذي لا يشــاركه فيه مشــارك بوجه"[2].

3- وقوله تعالى: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ

---

[1] تفسير القرآن العظيم 5/ 449، تيسير الكريم الرحمن ص: 544.

[2] القول السديد شرح كتاب التوحيد 6/ 665، (ضمن مجمــوع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المجلد السادس).

ﯖ ﯗ ﯘ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ غافر: ١٢ – ١٥.

في هــذه الآيــات بيــان أن الله تعــالى هو المتصف بكمال العلو والكبرياء، ثم أمر بإخلاص الـدين لـه، ما يدل على استحقاقه للألوهية وحده لا شريك له، وفي هذا إثبات خلو الآلهة من دونه عن هذه الصفات.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ
ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ البقرة: ٢٥٥.

قــال العلامة ابن القيم رحمه اللـــه: "ثم ذكر ســعة كرسيه منبها به على سعته سبحانه وعظمته وعلــوه، وذلك توطئة بين يـدي ذكر علـوه وعظمتـه. ثم أخـبر عن كمال اقتـداره وحفظه للعـالم العلـوي والسـفلي من غــير اكــتراث ولا مشــقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهـــذين الاســـمين الجليلين الـــدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه"[1].

فدلت الآية على كمال عظمة البـاري سـبحانه، فـدل ذلك على تجرد الآلهـة من دونـه عن كمـال العظمـة، فلا تستحق العبادة.

5- **وقوله تعالى:** ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ
ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الزمر: ٦٧.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقـول تعـالى: وما قــدر المشــركون الله حق قــدره، حين عبــدوا معه غـيره، وهو العظيم الـذي لا أعظم منـه، القـادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهـره وقدرته"[2].

فــبين رحمه الله أن الله هو العظيم المتصف بكمــال العظمة، لذلك لا يسـتحق العبـادة غـيره، فيلـزم ذلك تجرد الآلهة من دونه عن صفات العظمة حـتى تكـون مستحقة للألوهية.

---

[1] الصواعق المرسلة 4/ 1371.
[2] تفسير القرآن العظيم 7/ 113.

6- **وقوله تعالى:** ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ الرحمن: ٧٨، وﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ الجاثية: ٣٦ – ٣٧.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "ذكر جل وعلا في هـذه الآية الكريمة أن له الكبريـاء في السـماوات والأرض، يعـني أنه المختص بالعظمة والكمـال والجلال والسـلطان في السـماوات والأرض; لأنه هو معبود أهل السماوات والأرض، الذي يلـزمهم تكبـيره وتعظيمه وتمجيده ، والخضوع والذل له"[1].

فـبين الشـيخ رحمه الله أن هـذه الآية تـدل على اختصـاص الله تعـالى بالعظمة والكمـال والجلال والسلطان، فدل ذلك على تجرد الآلهة من دونه بهـا، فلا تستحق الألوهية والعبادة.

وكل هـذه الآيـات تـدل على كمـال عظمته تعـالى وكبريائه وجلالـه، فهو المتفـرد بالكمـال والعظمة والكبراء دون غيره. وتدل على تجرد الآلهة من دونـه عن صفات العظمة والكبرياء، فلا تستحق العبادة.

وقد جـاء عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أحـاديث تـبين تفـرد الله تعـالى بكمـال العظمة والكبريـاء، ما يـدل على تجرد الآلهة من دونه وخلوها عنه، ومنها:

1- ما روى البخاري ومسلم: "عن عبد الله ، قـال: جـاء حبر من الأحبار إلى رسـول الله ، فقـال: **يا محمـد، إنا نجد أن الله يجعل السـماوات على إصـبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصـبع، والمـاء والـثرى على إصـبع، وسـائر الخلائق على إصـبع، فيقـول: أنا الملـك. فضـحك النـبي  حـتى بـدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله **: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ الزمر: ٦٧"[2].

في هذا الحديث بيان كمـال عظمة الله تعـالى، حيث تكون الخلائق العظـام كلها في قبضة يد واحـدة على

---

[1] أضواء البيان 7/ 384.

[2] متفق عليه؛ صحيح البخاري 3/ 285، (ح: 4811)، ومسلم ص: 1151، (ح: 7046).

أصابعه سبحانه وتعالى، فدل هـذا على كمـال عظمة الباري تعالى، وعلى تجـرد الآلهة من دونه عن كمـال العظمة الذي يجعلها مستحقة للعبادة.

قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه اللـه: "ففي هـذه الآية والأحاديث الصـحيحة -المفسـرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول- ما يـبين أن السـموات والأرض وما بينهما بالنسـبة إلى عظمة الله تعـالى أصـغر من أن تكـون مع قبضه لها إلا كالشـيء الصـغير في يد أحـدنا حـتى يـدحوها كما تدحى الكرة"[1].

وقـــال العلامة ابن القيم رحمه اللـــه: "وإذا كـــانت السموات مع عظمتها وسعتها يجعلها على أصـبع من أصـــابعه والأرض على أصـــبع والجبـــال على أصـــبع والبحار على أصـبع فما الظن باليد الكريمة الـتي هي صفة من صفات ذاته"[2].

ومعرفة عظمة الله تعـالى تقتضي أن لا يشـرك معه أحد في العبـــادة، وأن من أشـــرك معه شـــيئا في العبـادة ما قـــدره حق قـــدره، لأنه المتصف بكمـــال العظمة، وغيره من الآلهة ليس لها منه شيء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "قال تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ الزمر: ٦٧، فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قـدره من أشـــرك معه في عبادته من ليس له شـــيء من ذلك ألبتـــة، بل هو أعجز شـــيء وأضـعفه، فما قـــدر القـوي العزيز حق قـدره من أشـرك معه الضـعيف الذليل"[3].

2- ما روى مسلم عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بخمس كلمـات، فقـال: **"إن الله عز وجل لا ينـــام، ولا ينبغي له أن ينـــام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل**

---

[1] مجموع الفتاوى 6/ 562.

[2] الصواعق المرسلة 3/ 1083.

[3] الداء والدواء ص: 321.

**عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليـل، حجابه النــور - وفي رواية أبي بكــر: النــار - لو كشــفه لأحـرقت سـبحات وجهه ما انتهى إليه بصـره من خلقه "**[1].

في هذا الحديث بيان عظمة الله تعالى بعظمة وجهه الذي لو كشف عن نوره لأحرقت ما انتهى إليه بصره من الخلــق، لكمــال عظمته تعــالى، وأما غــيره من الآلهة من دونه ليس لها هـــذه العظمة فلا تســـتحق العبادة.

قـــال العلامة ابن القيم رحمه اللـــه: "فـــإذا كـــانت سـبحات وجهه الأعلى لا يقـوم لها شـيء من خلقـه، ولو كشف حجاب النـور عن تلك السـبحات لاحـترق العالم العلوي والسفلي، فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم وعظمته وكبريائه وكماله وجلاله؟"[2].

فهـــذا يـــدل دلالة واضـــحة على أن الله وحـــده هو المتفرد بكمال العظمة والكبريـاء، فيسـتحق أن يعبد وحـــــده، دون الآلهة من دونه لتجردها عن صـــــفات العظمة والكبرياء.

3- ومما يــدل على كبريائه وعظمته وجلاله قوله تعــالى في الحديث القدسي: **«قـال الله ﷻ: الكبريـاء ردائي والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحـدا منهما قذفته في النار»**[3].

هذا الحديث يدل على تفرد الله تعالى بكمال العظمة والكبرياء، ولم يشاركه فيه أحد، وليس لغيره نصــيب منها، فمن ادعى ذلك فعاقبته النار. فهاتـان الصـفتان مما اختص الله بهـــا، وأن الآلهة من دونه متجـــردة عنها، فلا تستحق العبادة.

قـــال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية في أثنـــاء كلامه عن اتصاف الله بالكمال: "وله من الأمـور الـتي يسـتحق

[1] رواه مسلم ص: 136، (ح: 445).
[2] الصواعق المرسلة 3/ 1082 – 1083.
[3] رواه أحمد 15/ 211، (ح: 9359)، وأبو داود 4/ 226 – 227، (ح: 4090)، وابن ماجه 2/ـ 1397، (4175)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 2/ 517.

بها الكبريـــاء والعظمة ما هو من خصائصه تبـــارك وتعالى، فالكبرياء والعظمة له بمنزلة كونه حيا قيوما قديما واجبا بنفسـه، وأنه بكل شـيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه العزيز الـذي لا ينـال وأنه قهـار لكل ما سواه. فهذه كلها صفات كمال لا يستحقها إلا هــو؛ فما لا يستحقه إلا هو كيف يكون كمالا من غـيره وهو معـــدوم لغـــيره؟ فمن ادعـــاه كـــان مفتريا منازعا للربوبية في خواصها، كما ثبت في الحـديث الصـحيح عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال: "**يقول الله تعــــالى: العظمة إزاري والكبريـــــاء ردائي فمن نـــــازعني واحـــــدا منهما عذبته**". وجملة ذلك: أن الكمـال المختص بالربوبية ليس لغـيره فيه نصـيب، فهذا تحقيق اتصـافه بالكمـال الـذي لا نصـيب لغـيره فيه. ومثل هذا الكمال لا يكون لغيره فادعاؤه منازعة للربوبية وفرية على الله"[1].

فـبين أن الله ليس له مشـارك في صـفات كمالـه، فهي من خصائصه، لأنه لا يماثله أحد، فيستلزم تجرد الآلهة من دونه عن صـفات العظمة والكبريـاء، الـتي هي من خصائص الربوبية والألوهية، فلا يكـون إلها إلا من اتصف بالعظمة والكبريــاء، ولم يتصف بــذلك إلا الله وحـــده لا شـــريك لـــه، فهو الإله الحـــق، وأن ما يدعون من دونه الباطل.

4- وثبت عن النـــبي  يقـــول في ركوعه وســـجوده: «**ســـبحان ذي الجـــبروت والملكـــوت والكبريـــاء والعظمة**»[2].

في هذا الحديث ثنـاء وتمجيد وتعظيم لله تعـالى، لأنه المتصف بصـــفات الجـــبروت والملكـــوت والكبريـــاء والعظمة، والآلهة من دونه متجردة عن هذه الصفات

---

[1] مجموع الفتاوى 6/ 138 – 139.

[2] رواه أحمد 39/ 405، (23980)، وأبو داود 1/ 381 (ح: 873)، والنسائي 2/ 191، (ح: 1049)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 4/ 27.

لتفــرد الله تعــالى بها واختصاصه بهــا، فلا تســتحق العبادة، والله هو الإله الحق لاتصافه بهذه الصفات.
قــــــال العلامة ابن القيم – رحمه الله -: "بين (الله تعــالى) أن ما وصف به نفسه هو الكمــال الــذي لا يسـتحقه سـواه، فجاحـده جاحد لكمـال الـرب. فإنه يمـــدح بكل صـــفة وصف بها نفسه وأثـــنى بها على نفسه ومجد بها نفسه وحمد بها نفســـه، فـــذكرها ســـبحانه على وجه المدحة له والتعظيم والتمجيـــد، وتعرف بها إلى عباده ليعرفوا كماله وعظمته ومجده وجلاله وكثيرا ما يذكرها عند ذكر آلهتهم التي عبدوها من دونه وجعلوها شـــركاء له فيـــذكر ســـبحانه من صـــفات كماله وعلـــوه على عرشه وتكلمه وتكليمه وإحاطة علمه ونفوذ مشـيئته ما هو منتف عن آلهتهم فيكـــــون ذلك من أدل الـــــدليل على بطلان آلهيتها وفساد عبادتها من دونه "[1].
وصــفات العظمة والكبريــاء من خصائصه تعــالى، لا يشـاركه فيها مشـارك، فهو المنفـرد بهـا، فـدل على تجرد الآلهة من دونه عن هذه الصفات الــتي هي من صفات الكمال ومن خصائص الربوبية والألوهية.
********

[1] الصواعق المرسلة 3/ 909 – 910.

**المطلب الثالث**: تجرد الآلهة من دون الله عن الغنى المطلق:

الغنى المطلق من خصـائص الألوهيـة، فلا يكـون إلها إلا من اتصف بـالغنى المطلـق. فالله تعـالى هو المتفـرد بالغني المطلق، والآلهة من دونه متجردة عنه، ويـدل على ذلك أمور:

**أولا: تفرد الله بالاتصاف بالغنى المطلق:**

قد كان معلوما من الدين بالضرورة أن الله تعالى هو الغني بذاته عن كل ما سواه، فغناه من لوازم ذاته، وليس به حاجة إلى أحد. وكل ما سواه محتاج بذاتـه، محتـاج إلى الله تعـالى. قد وردت نصـوص من الكتـاب والسـنة تـبين اتصافه تعالى بكمال الغنى المطلق، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭼ الأنعام: ١٣٣، و ﭨ ﭩ ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ لقمان: ٢٦، و ﭨ ﭩ ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الحج: ٦٤، و ﭨ ﭩ ﭽ □ □ ﯚ ﯛ ﭼ البقرة: ٢٦٣، و ﭨ ﭩ ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ التغابن: ٦، و ﭨ ﭩ ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ □ □ ﭼ العنكبوت: ٦.

فبين تعالى أنه الغـني عن كل أحـد، من كل وجه من الوجوه. فلا يحتاج إلى أحد من خلقه. وهو الغني بكل الاعتبارات.

قال ابن سعدي رحمه الله: " ﭽ □ □ □ □ ﭼ بذاته الذي له الغنى المطلق التام، من جميع الوجوه، ومن غناه، أنه لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يـواليهم من ذلـة، ولا يتكـثر بهم من قلـة، ومن غنـاه، أنه ما اتخذ صـاحبة ولا ولـدا، ومن غنـاه، أنه صـمد، لا يأكل ولا يشرب، ولا يحتاج إلى ما يحتـاج إليه الخلق بوجه من الوجـوه، فهو يطعم ولا يطعم، ومن غنـاه، أن الخلق كلهم مفتقـــرون إليـــه، في إيجـــادهم، وإعـــدادهم وإمــدادهم، وفي دينهم ودنيــاهم، ومن غنــاه، أنه لو اجتمع من في الســماوات ومن في الأرض، الأحيــاء منهم والأموات، في صعيد واحد، فسـأل كل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطـاهم فـوق أمـانيهم، ما نقص ذلك من ملكه شـيء، ومن غنـاه، أن يـده سـحاء بـالخير والبركـــات، الليل والنهـــار، لم يـــزل إفضـــاله على

الأنفـــاس، ومن غنـــاه وكرمـــه، ما أودعه في دار كرامتـه، مما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشر"[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ فاطر: ١٥.

فبين تعالى أنه الغني، وما سواه فقـير إليـه. فـالخلق كله فقير بذاته محتاج إلى الغني بذاتـه. وفقر العـالَم إلى الله سـبحانه أمر ذاتي من غـير علة ولا سـبب، فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته.

قـــال ابن القيم-رحمه اللـــه-: "إن الله هو الغـــني المطلق والخلق فقــراء محتــاجون إليــه، قــال الله سبحانه وتعالى ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ فاطر: ١٥، بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العبـــاد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم كما أن كونه غنيا حميـدا ذاتي لـه. فغنـاه وحمـده ثـابت له لذاته لا لأمر أوجبـه. وفقر من سـواه إليه ثـابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكـان، بل هو ذاتي للفقـــــــير. فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سـبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميـة:

والفقر لي وصف ذات لازم أبـدا *** كما الغـنى أبـدا وصف له ذاتي"[2].

وقال ابن سعدي رحمه الله: " ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتـاج إلى ما يحتــاج إليه خلقــه، ولا يفتقر إلى شــيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صـفاته، وكونها كلهـا، صـفات كمـال، ونعـوت وجلال. ومن غنـاه تعـالى؛ أن أغــنى الخلق في الــدنيا والآخــرة، الحميد في ذاتــه، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحســان وعــدل وحكمة ورحمــة، وفي

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 544.

[2] طريق الهجرتين 1/ 12.

أوامـره ونواهيـه، فهو الحميد على ما فيـه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه [الغني في حمده]."[1].

فتفرد الله بالغنى المطلق، من أصول صفات كمالـه، فـإن صـفات الكمـال ترجع إلى ثلاث صـفات؛ العلم، والقدرة، والغنى، فلذلك تفرد به دون غيره.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة-رحمه اللـه-: "صـفات الكمال ترجع إلى "ثلاثة": العلم والقدرة والغـنى. وإن شــئت أن تقــول: العلم والقــدرة. والقــدرة إما على الفعل وهو التأثير وإما على الـترك وهو الغـنى والأول أجود. وهـذه الثلاثة لا تصـلح على وجه الكمـال إلا لله وحـده ؛ فإنه الـذي أحـاط بكل شـيء علما وهو على كل شــيء قــدير وهو غــني عن العــالمين. وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﭽﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ الأنعام: ٥٠، وكذلك قال نوح عليه السلام. فهذا أول أولي العـزم وأول رسـول بعثه الله تعـالى إلى أهل الأرض. وهـذا خـاتم الرسل وخـاتم أولي العـزم كلاهما يتـبرأ من ذلك. وهـذا لأنهم يطالبون الرسول ﷺ تارة بعلم الغيب كقوله: ﭽﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ سبأ: ٢٩، و ﭽ ﭼ الأعراف: ١٨٧، وتارة بالتأثير كقوله: ﭽﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الإسـراء: ٩٠ - ٩٣، وتارة يعيبـون عليه الحاجة البشـرية كقوله: ﭽﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الفرقــان: ٧ - ٨. فــأمره أن يخــبر أنه لا يعلم الغيب ولا يملك خـزائن الله ولا هو ملك غـني عن الأكل والمـال إن هو إلا متبع لما أوحي إليه، واتبـاع ما أوحي إليه هو الــدين وهو طاعة الله وعبادته علما وعملا بالبــاطن والظاهر وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعــالى فيعلم منه ما علمه إيــاه ويقــدر منه على ما أقــدره الله عليه ويســتغني عما أغنــاه الله عنه من

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 687.

الأمــور المخالفة للعــادة المطــردة أو لعــادة غــالب الناس"[1].

فبين أن الغنى من أصول صـفات كمـال الله تعـالى، والله هو المتفرد بالكمال، فيلزم أن تكـون الآلهة من دونه متجـــردة عن الغـــنى المطلـــق، فلا تســـتحق الألوهية والعبادة.

**ثانيـــــا: أن الله لا ينفعه أحد من خلقـــــه، كما لا يضره أحد:**

ومن كمال غنى الله تعالى أنه لا تنفعه طاعة من أطاعــه، ولا يضــره معصــية من عصــاه، ولا كفر من كفر بــه، لأنه الغني بذاته لا يحتاج إلى شيء عند غيره. ولو آمن من في الأرض كلهم جميعا ما نفع اللــهَ ذلك شــيئا، ولو كفــروا ما نقص ذلك شــيئا من ملكــه. وقد وردت نصــوص الكتــاب والسنة بذلك:

**1- آيات الكتاب الدالة على ذلك:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [آل عمران: ٩٧]، و ﭧ ﭨ ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ [النمل: ٤٠]، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [لقمان: ١٢]، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ [إبراهيم: ٨]، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ الزمر: ٧، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [آل عمران: ١٧٦ – ١٧٧]، و ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ محمد: ٣٢، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ الحديد: ٢٤.

وكل هذه الآيـات تـدل على أن اللـه تعـالى غـني عن عباده، لا ينفعه شكر من أطاعه، ولا كفر من كفر به.

**2- نصوص السنة الدالة على ذلك:**

روى مســـلم عن أبى ذر عن النـــبي ﷺ فيما روى عن الله تبـــارك وتعـــالى أنه قـــال: «**يا عبـــادي إني**

[1] مجموع الفتاوى 11/ 312.

**حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظـــالموا، يا عبــــادي كلكم ضـــال إلا من هديته فاســتهدوني أهــدكم يا عبــادي كلكم جــائع إلا من أطعمته فاســـتطعموني أطعمكم، يا عبــادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسـكم، يا عبـادي إنكم تخطئـــون بالليل والنهـــار وأنا أغفر الـــذنوب جميعا فاســتغفروني أغفر لكم، يا عبــادي إنكم لن تبلغــــوا ضــــري فتضــــروني ولن تبلغــــوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنســكم وجنكم كـــــانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شـــيئا، يا عبــــادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخــركم وإنســكم وجنكم قــاموا في صــعيد واحد فســألوني فــأعطيت كل إنســان مســألته ما نقص ذلك مما عنــــــدي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحــر، يا عبــادي إنما هي أعمــالكم أحصــيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيرا فليحمد اللــه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**[1].

فبين الله تعـالى أنه لا تزيـده طاعة من أطاعــه، كما لا تنقصه معصـية من عصـاه، وأنه متصف بكمـال الغنى والملك، فلا تنفعه الطاعة ولا تزيده شـيئا على ما عنــده، ولا تنقصه المعصــية، ولا تنقصه شــيئا مما عنده، وذلك لكمال غناه وتمام ملكه.

قـال الحافظ ابن رجب-رحمه اللـه-: "هو إشـارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق ، ولو كانوا كلهم بــررة أتقيــــاء ، قلــــوبهم على قلب أتقى رجل منهم ، ولا ينقص ملكه بمعصــــية العاصــــين ، ولو كـــــان الجن والإنس كلهم عصـاة فجــرة قلــوبهم على قلب أفجر رجل منهم، فإنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمــال المطلق في ذاته وصــفاته وأفعالــه، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجــــــوه على أي وجه كان"[2].

---

[1] (?) رواه مسلم ص: 1072، (ح: 6572).

[2] (?) جامع العلوم والحكم 2/ 671.

**ثالثا: غـنى الله المطلق ينـافي اتصـافه بـالفقر، لـذلك وعّد من وصفه به:**

قد تقرر أن الله تعالى موصـوف بكمـال الغـنى، وهو غني بذاتـه، وغنـاه من لـوازم ذاتـه، فـذلك ينـافي اتصـافه بالفقر، فيستحيل أن يكون فقيرا، لأنه غـني بذاتـه. والفقر من خصــائص الخلق كما أن كمــال الغــنى من خصــائص الرب. لذلك لا يصف الله بالفقر إلا من لا يعرف قدر ربـه، ولا يقدره حق قدره. لأن اتصاف الله تعالى بكمـال الغـنى ينـافي اتصـافه بـالفقر، والفقر من لـوازم خلقـه، وهو أمر ذاتي له، كما أن الغنى أمر ذاتي لله تعالى. ﭧ ﭨ ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ محمد: ٣٨.

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله-: "واعلم أن الغـنى على الحقيقة لا يكــون إلا بالله الغــني بذاته عن كل ما ســواه، وكل ما ســواه فموســوم بســمة الفقر كما هو موســوم بسمة الخلق والصـنع، وكما أن كونه مخلوقا أمر ذاتي لـه، فكونه فقيرا أمر ذاتي له"[1].

ولذلك وعّد الله الذين يصفونه بالفقر، ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [آل عمران: ١٨١].

قال الإمام الطبري-رحمه اللـه-: "يعـني بـذلك جل ثنـاؤه: ونقول للقائلين بأن الله فقير ونحن أغنياء، القـاتلين أنبيـاء الله بغير حق، يـوم القيامة: ذوقـوا عـذاب الحريـق، يعـني بذلك: عذاب نار محرقة ملتهبة"[2].

فوعّدهم الله بالعذاب الحريق يوم القيامة، لأن ذلك افتراء منهم على الله تعالى، ووصفه تعالى بصفات النقص الــتي تنزه عنها لكماله وجماله وجلاله وكمال غناه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ونـزه نفسه عما يصــفونه به من الفقر والبخل والإعيـاء، فالإعيـاء من جنس العجز المنافي لكمال القدرة. والفقر من جنس الحاجة إلى الغير المنـافي لكمـال الغـنى. والبخل من جنس منع الخـير وكراهة العطاء المنـافي لكمـال الرحمة والإحسـان وكمـال

---

[1] طريق الهجرتين 1/ 65.

[2] جامع البيان 6/ 283.

القدرة والرحمة. والغنى من الغـير مسـتلزم سـائر صـفات الكمـال، فـإن الفاعل إذا كـان عـاجزا لم يفعـل، وإذا كـان قادرا ولم يرد فعل الخير لم يفعله، فإذا كان قادرا مريدا له فعل الخـير. ثم إن كـان محتاجا إلى غـيره كـان معاوضا لا محسنا متفضلا، وكان فيه نقص من وجه آخر، فإذا كـان مع هذا غني عن الغـير، لم يفعل إلا لمجـرد الإحسـان والرحمة وهذا غاية الكمال"[1].

وقال الشنقيطي-رحمه الله-: "قوله تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ فاطر: ١٥، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه غني عن خلقه، وأن خلقه مفتقر إليه، أي: فهو يـأمرهم وينهـاهم لا لينتفع بطـاعتهم، ولا ليـدفع الضر بمعصيتهم، بل النفع في ذلك كله لهم، وهو جل وعلا الغني لذاته الغـنى المطلق. وما دلت عليه هـذه الآية الكريمة مع كونه معلوما من الـدين بالضـرورة، جـاء في مواضع كثـيرة من كتاب الله... وبـذلك تعلم عظم افـتراء الـذين قـالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، وقد هددهم الله[2] على ذلك، بقوله: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [آل عمران: ١٨١]"[3].

فلما كان الفقر من صفات النقص التي تنـافي كماله تعالى، نزه نفسه عنه، وأوعد أولئك المشركين من اليهـود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله فقـير، لأن ذلك ينافي كماله، وهو المتصف بكمال الغنى والملك.

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 7/ 87 – 88.

[2] استعمل الشيخ رحمه الله هذا اللفظ وأضـافه إلى اللـه، لكن الأولى استعمال لفظ "وعّد" لأن "الوعيد" من الألفاظ الشـرعية، إلا أن يكون هنا من باب الإخبار، وباب الإخبـار عن الله أوسع من بـاب الصـفات، لأن ما يطلق عليه في بـاب الإخبـار لا يجب أن يكـون توقيفيا. (انظر فائـدة جليلة في قواعد الأسـماء الحسـنى (ص: 24 - 26)، بدائع الفوائد 1/ 285، درء تعارض العقل والنقل 4/ 140).

[3] أضواء البيان 6/ 701 – 702.

**رابعـا: أن الغـنى المطلق من خصـائص الألوهيـة، وقد تفرد الله به دون غيره:**

إن الله تعالى هو المتفرد بالغنى المطلـق، لا شـريك له فيـه، وذلك من كمالـه، بل أن كمـال الغـنى من أصـول كماله، فإن صفات الكمـال ترجع إلى ثلاث صـفات؛ العلم، والقدرة، والغنى، فلذلك تفرد به دون غيره.

والآلهة من دون الله تعـالى، هي فقـيرة إلى الله تعـالى، لأنها مخلوقة، وكل مخلوق فقـير إلى الخـالق، ولأن كل ما سوى الله فقير إليه ﮞ ﮟ ﭼ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ فاطر: ١٥، فتفرد الله بالغنى التام يستلزم فقر كل ما سواه، فهو الغني لا شريك له في كمال غناه.

قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: "وهو الغـني المطلق عما سـواه، فكل ما سـواه يفتقر إليـه، وهو غـني عن كل ما سواه"(1).

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "وهذا الغنى التـام لله وحـده لا يشركه فيه غيره"(2).

وقال ابن كثير-رحمه الله-: " ﮡ ﭼ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ أي: هو المنفـرد بـالغنى وحـده لا شـريك لـه، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه"(3).

وقد وردت آيات من كتاب الله تـدل على تجـرد الآلهة من دون الله عن صفات الغنى، فلا تستحق العبادة، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭼ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ يونس: ٦٨.

وقال ابن سعدي رحمه الله: "قوله: ﭼ ﯔ ﯕ ﭼ أي: الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مسـتغرقة فيـه، فهو الغـني الـذي له الغـنى التـام بكل وجه واعتبـار من جميع الوجوه"(4).

وقـال ابن عاشـور-رحمه اللـه-: "وجملة: ﭼ ﯓ ﯔ ﭼ إنشاء تنزيه للـرد عليهم،... بُينت جملة التنزيه بجملة

---

(1) جامع المسائل 3/ 187، وانظر مجموع الفتاوى 2/ 188.

(2) الروح 2/436.

(3) تفسير القرآن العظيم 6/ 541.

(4) تيسير الكريم الرحمن ص: 369.

ﭽ ﯓ ﯔﯕ ﭼ بيانا لوجه التنزيه، أي هو الغني عن اتخاذ الولد، لأن الإلهية تقتضي الغنى المطلق"[1].

فإذا تبين أن الله هو المتفـرد بكمـال الغـنى التـام دل على أن الغـــنى المطلـــق من خصـــائص الربوبيـــة والألوهيـة، وأن الآلهـة من دونـه متجـردة عن الغـنى المطلق، لتفرد الله تعالى به.

يـــــبيّن العلامة ابن القيم فقر الــــروح وحاجتها إلى خالقها ومبـدعها، لأن الله تعـالى هو الغـني الـذي لم يشاركه أحد في كمال غناه، فقـال: "فـإن فقرها إليه سـبحانه في وجودها وكمالها وصـلاحها هو من لـوازم ذاتها ليس معللا بعلة فإنه أمر ذاتي لها كما أن غـــنى ربها وفاطرها ومبـــدعها من لـــوازم ذاته ليس معللا بعلة. فهو الغنى بالذات وهي الفقيرة إليه بالـذات فلا يشاركه سبحانه في غناه مشارك كما لا يشـاركه في قدمه وربوبيته وملكه التـــــام وكماله المقـــــدس مشارك"[2].

فلما تقـرر أن اللـه هـو الـرب وحـده لا شـريك لـه في ربوبيته، دل على أن الآلهة من دونه خلق له وعبـاد لـه، ثبت أن الآلهة من دونه فقيرة إليه، والفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتها. فإذا استحال أن يكـون العبـد إلا فقيرا، يستحيل أن يكون الآلهة من دون الله غنية غـنى مطلقا، فلا تستحق الألوهيـة، لأن الإلـه لا بـد أن يكـون متصفا بالغنى المطلق.

2- ومما يـــدل على أن الغــنى المطلق من خصــائص الألوهيـــة، وأن الآلهة من دونه متجـــردة عن الغـــنى المطلــق، ما أخـــبر الله به عن عيسى عليه الســلام وأمه ردا على من اتخـــــذهما إلهين من دون اللـــــه، فأثبت الله لهما الفقر والحاجة إليه، ما يــدل على أن الإله لا بد أن يكون غنيا مطلقا. فقال تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ

[1] التحرير والتنوير 11/ 230.

[2] الروح 2/ 435 – 436، وانظر طريق الهجرتين 1/ 13، 87.

ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ
ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ المائدة: ٧٥ – ٧٦.
قال الطبري-رحمه الله-: "وقوله : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﭼ خبر من الله تعالى ذكره عن المسـيح وأمه أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغــذوهما وتقــوم به أبــدانهما من المطـاعم والمشـارب كسـائر البشر من بـني آدم . فإن من كان كـذلك , فغـير كـائن إلها ؛ لأن المحتـاج إلى الغذاء قوامه بغـيره , وفي قوامه بغـيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجـــزه , والعـــاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا"[1].
وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﭼ تنبيه على نقص البشرية على حال من الاحتياج إلى الغذاء تنتفي معها الألوهية"[2].
وقال ابن القيم-رحمه الله-:"وقد تضمنت هذه الحجة دليلين ببطلان إلهية المسيح وأمـه، أحـدهما: حاجتهما إلى الطعـام والشـراب، وضـعف بنيتهما عن القيـام بنفســـهما، بل هي محتاجة فيما يقيمها إلى الغــــذاء والشراب، والمحتـاج إلى غـيره لا يكـون إلهـا، إذ من لوازم الإله أن يكون غنيا"[3].
فدل على أن انتفـاء صـفات الكمـال ينـاقض الإلهيـة، لأن من يأكل فقــير محتــاج إلى الله تعــالى، لم يكن غنيا، والإله لا بد أن يكون غنيا مطلقا لكماله. ولــذلك كــان من أســمائه الصــمد؛ والصــمدية هي المنافية للأكل والشرب وسائر ما يدخل ويخرج لكال غناه.
قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية بعد ذكر الآيـات: "فهـذا كلام في ســـياق نفي الإلهية عن المســـيح وغـــيره، وتكفير من قال: إنه الله، أو إن الله ثالث ثلاثـة، ومن اتخــذه وأمة إلهين من دون اللـــه، فــبين غايته وغاية أمه، فقال ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ ، وهو رد على اليهود والنصارى. ثم قال: ﭽ ﮖ ﮗ

[1] جامع البيان 8/ 582، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص: 240.
[2] المحرر الوجيز 2/ 222.
[3] الصواعق المرسلة 2/ 482.

ﯔﯕ ﭼ ، وهو يقتضي أن أكل الطعام مناف للإلهية، فمن يأكل الطعــام لا يصــلح أن يكــون إلها. ولــولا منافاته للإلهية لم يذكر دليلا على نفيها، فـإن الـدليل يستلزم المدلول عليه، فعلم أن أكل الطعام يستلزم نفي الإلهية. وقد ذكروا في ذلك وجهين، أشهرهما أن من يأكل ويشــرب يعيش بالغــذاء، ومن يقيمه الأكل والشرب كان مفتقرا إلى غـيره، فلا يصـلح أن يكـون إلها. وهذا هو الذي ذكره أكثر المفسرين..."[1].

فبين أن الأكل والشرب تنافي الإلهية، لأن ذلك ينافي الصمدية، فإن الصـمد هو الـذي لا يـدخل فيه شـيء، ولا يخــرج منه شــيء، فــدخول شــيء فيــه، خــروج الخــارج منه ينــافي الصــمدية الــتي هي من لــوازم البارئ تعالى. لأن الإله لا بد أن يكون متصــفا بكمـال الغنى.

3- ومما يدل على تجـرد الآلهـة من دون اللـه عن الغـنى المطلق، تجردها عن الملك، فالله تعالى هـو المتفـرد بكمال الملك، وقـد نفى اللـه عن الآلهـة من دونـه أن يكون لها ملـك شـيء، مـا يـدل على فقرهـا وحاجتهـا إليــه، فلا تســتحق الألوهيــة، لتجردهــا عن الغــنى المطلق.

ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ الزمر: ٤٣ – ٤٤.

وﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ فاطر: ١٣.

فنفى الله تعــالى الملك عن الآلهة من دونــه، وأثبته لنفسه، ما يدل على كمال غناه.

فتــبين مما ســبق أن الله تعــالى هو المتفــرد بكمال الغـنى المطلـق، والآلهة من دون الله لا تسـتحق شيئا من الألوهية، لأن الغنى المطلق من خصائص الألوهية، وقد تفرد الله به دون سواه، والآلهة من دونه لا تسـتحق

---

[1] جامع المسائل 1/ 116.

الألوهية والعبادة، وإنما يستحقها الله تعـالى وحـده لا شريك له، لتفرده بالغنى المطلق.

******

**المطلب الرابع**: تجرد الآلهة من دون الله عن صفات الرحمة والبر والإنعام:

إن صفات الرحمة والبر والإنعام هي صفات الله تعالى، وهو المتصف بها على الكمال. فهو ذو الرحمة الواسعة، وكمال البر والإحسان، والجود والكرم، وكثرة الإنعام والمواهب والرأفة. "فجميع ما فيه العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحاب والمسار والخيرات، فإن ذلك منه ومن رحمته وجوده وكرمه وفضله، كما أن ما صرف عنهم من المكاره والنقم والمخاوف والأخطار والمضار، فإنها من رحمته وبره، فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو"[1].

والآلهة من دون الله تعالى ليس لها صفات الرحمة والبر والإنعام، وهي متجردة عنها، لأنها صفات خاصة بالله تعالى، وأن الآلهة من دونه مخلوقة فقيرة محتاجة إلى رحمة الله تعالى.

ويدل على تجرد الآلهة من دون الله عن هذه الصفات أمور، منها:

**أولا: تفرد الله تعالى بالرحمة العامة والخاصة:**

قد وردت نصوص كثيرة وتنوعت في بيان تفرد الله بالرحمة العامة والخاصة، ومنها:

1- **نصوص في بيان أن إنزال الماء برحمته تعالى فيحيي به الأرض بعد موتها**:

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﯤ ﯥ ﭼ الأعراف: ٥٧، وﭐﭑ ﭒ
ﭓ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ الفرقان: ٤٨، وﭐﭑ ﭒ ﭓ
ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ النمل: ٦٣. وﭐﭑ ﭒ ﭓ ﮃ ﮄ
ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ الروم: ٤٦، وﭐﭑ ﭒ ﭓ ﯗ ﯘ ﯙ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ
ﭼ الشورى: ٢٨، وﭐﭑ ﭒ ﭓ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ الروم: ٥٠.

---

[1] انظر فتح الرحيم الملك العلام 3/ـ 674، (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المجلد الثالث)، تيسير الكريم الرحمن ص: 946.

2- بيان أن مغفرة ذنوب عباده وإدخالهم الجنات برحمته تعالى، ﭧ ﭨ ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ التوبة: ٩٩، وﭧ ﭨ ﭽ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﮯ ﯔ ﭼ الجاثية: ٣٠.

3- **بيـان أن من رحمتـه تعـالى جعـل الليـل سـكنا، والنهار ليبتغي العباد من فضله:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ القصص: ٧٣.

4- **بيان أن رحمته تعـالى عامـة وشـاملة وسـعت كـل شيء:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭼ الأعراف: ١٥٦، و ﭧ ﭨ ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ غافر: ٧،، وﭧ ﭨ ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ طه: ٥.

قـال ابن سـعدي رحمـه الله: "ورحمتك وسـعت كل شـيء، فـالكون علويه وسـفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى ووسعتهم، ووصل إلى ما وصل إليه خلقه"[1].

وقال: " ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭨﭩ ﭼ من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصـلت إليه رحمة اللـه، وغمـره فضـله وإحسانه"[2].

5- **بيان أن له الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [آل عمران: ٧٤]، ﭧ ﭨ ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ التوبة: ٩٩، ﭧ ﭨ ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ غافر: ٩، ﭧ ﭨ ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الشورى: ٨، ﭧ ﭨ ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الجاثية: ٣٠، ﭧ ﭨ ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ الفتح: ٢٥، ﭧ ﭨ ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ الإنسان: ٣١، وﭧ ﭨ ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الأعراف: ٥٦، وﭧ ﭨ ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ هود: ٧٣.

كل هذه الرحمة مما تفـرد بهـا اللـه تعـالى دون غـيره، لأن التفرد بالرحمة الواسعة من خصائص الألوهية، واللــه

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 732.

[2] المصدر نفسه ص: 305.

هو المتفرد بصفات الرحمة والبر والإحسان والإنعام، فلا يستحق الألوهية إلا هو وحده لا شريك له.

**ثانيا: تفرد الله تعالى بالإنعام، والرزق:**

ومما يدل على تجـرد الآلهة من صـفات الرحمة تفـرد الله تعــالى بالإنعــام، وإنــزال الرحمــة، والــرزق. وقد جــاءت نصوص الكتاب والسنة على ذلك، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ [illegible] ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ [illegible] ﭼ النحل: ٥٣.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ [illegible] ﯞ ﯟ [illegible] ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ [illegible] ﮰ [illegible] ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ [illegible] ﭼ فاطر: ٢ – ٣.

في هذه الآيات بيان أن الله هو المتفرد بالإنعــام وأن غيره لا يعطي النعم، وأنه منزل الرحمة، ولا يستطيع أحد أن يمسك رحمته عن عباده كما لا يسـتطيع أحـد أن يرسلها إليهم إلا هو، فدل ذلـك على تجـرد الآلهـة من دون الله عن صـفات الرحمـة والـبر والإنعـام فلا تستحق الألوهية.

3- روى مسلم عن أبى سعيد الخدري وابن عبـاس قـال كــان رســول الله -صــلى الله عليه وســلم- إذا رفع رأسه من الركـــــوع قـــــال: «**ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض، وملء ما شئت من شـيء بعـد، أهل الثنـاء والمجـد، أحق ما قـال العبـد، وكلنا لك عبــــد، اللهم لا مــــانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[1].

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر اللــه؛ يحمـده ويمجده ويثني عليه بأنه المتفـرد بالإعطـاء، فلا مـانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمـه اللـه-: "فتـبين أن حمد الله والثنــاء عليه وتمجيـده أحق ما قاله العبــد، وفي ضمنه توحيده، لأنه قـال: ولك الحمـد، أي لك لا لغــيرك. وقــال في آخــره: لا مــانع لما أعطيت، ولا

---

[1] صحيح مسلم ص: 229، (ح: 1071، و 1072).

معطي لما منعت، وهــذا يقتضي انفــراده بالعطــاء والمنع فلا يســتعان إلا به ولا يطلب إلا منه. ثم قـال: ولا ينفع ذا الجد منك الجد فـــبين أن الإنســـان وإن أعطي الملك والغـنى والرئاسة فهـذا لا ينجيه منـك؛ إنما ينجيه الإيمـان والتقـوى وهـذا تحقيق قوله: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الفاتحة: ٥ ، وكان هذا الذكر آخر القيام مناسبا للذكر أول القيام"[1].

وقال أيضا: "فهـذا حمد وهو شـكر لله تعـالى. وبيـان أن حمـــده أحق ما قاله العبد. ثم يقــــول بعد ذلك "**اللهم لا مــانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**". وهذا تحقيق لوحدانيته: لتوحيد الربوبية. خلقا وقـــــــدرا وبداية وهداية. هو المعطي المــانع، لا مــانع لما أعطى ولا معطي لما منـع. ولتوحيد الإلهية - شــرعا وأمــرا ونهيا - وهو أن العبـاد وإن كـانوا يعطـون ملكا وعظمة وبختا ورياسة في الظــاهر أو في البــاطن كأصـحاب المكاشــفات والتصرفات الخارقة "فلا ينفع ذا الجد منك الجد" أي: لا ينجيه ولا يخلصه من ســـؤالك وحســـابك حظه وعظمته وغناه"[2].

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "لما كان المقصود بهــذا تفــرد الــرب ســبحانه بالعطــاء والمنع لم يكن لــذكر المعطى ولا لحظ المعطى معــنى، بل المقصــود أن حقيقة العطـــاء والمنع إليك لا إلى غـــيرك، بل أنت المتفرد بها لا يشركك فيها أحد"[3].

4- وروى البخــاري ومســلم عن المغــيرة بن شــعبة أنه كتب إلى معاوية أن رســول الله - صـــلى الله عليه وسلم - كان إذا فرغ من الصلاة وسـلم قـال: «**لا إله إلا الله وحــده لا شــريك لــه، له الملك وله الحمد وهو على كل شـــيء قـــدير. اللهم لا مــــانع لما**

---

[1] مجموع الفتاوى 6/ 265، وجامع الرسائل 2/ 65 – 66.

[2] مجموع الفتاوى 14/ 376، وانظر 22/ 447،

[3] جلاء الأفهام ص: 541.

**أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**[1].

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وكان يقول ذلك بعد انقضاء الصلاة أيضا, فيقوله في هذين الموضعين إعترافا بتوحيده وأن النعم كلها منه, وهذا يتضمن أمورا؛ أحدها: أنه المنفرد بالعطاء والمنع.

الثاني: أنه إذا أعطى لم يطق أحد منع من أعطاه وإذا منع لم يطق أحد إعطاء من منعه.

الثالث: أنه لا ينفع عنده ولا يخلص من عذابه ولا يدني من كرامته جدود بني آدم وحظوظهم من الملك والرئاسة والغنى وطيب العيش وغير ذلك, إنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته وإيثار مرضاته"[2].

5- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلفت رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما فقال: "**يا غلام، إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**"[3].

فبين النبي صلى الله وسلم أن الله هو المتفرد بالإعطاء والإعانة والنفع والضر، فليس لأحد فيها شيء، فيستلزم تجرد الآلهة من دون الله عن إيصال النفع ودفع الضر عن الخلق، فلا تستحق العبادة.

---

[1] متفق عليه؛ صحيح البخاري 1/ـ 271، (ح: 844)، وصحيح مسلم ص: 264، (ح: 1338).

[2] كتاب الصلاة ص: 359 – 360.

[3] رواه أحمد في المسند 4/ـ 409 -ـ 409 (ح: 2669)، والترمذي 4/ـ 284 – 285، (ح: 2516)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/ 609 – 610.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه اللـه-: "فهـذا يـدل على أنه لا ينفع في الحقيقة إلا اللــه، ولا يضر غــيره. وكذا جميع ما ذكرنا في مقتضى الربوبية. فمن سلك هـــذا المســـلك العظيم اســـتراح من عبودية الخلق ونظـــره إليهم، وأراح النـــاس من لومه وذمه إيـــاهم، وتجـــرد التوحيد في قلبـــه، فقـــوي إيمانـــه، وانشـــرح صدره، وتنور قلبـه، ومن توكل على الله فهو حسـبه. ولهذا قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "من عـــرف النـاس اسـتراح". يريد - والله أعلم - أنهم لا ينفعـون ولا يضرون"[1].

فـــدل على أن تفـــرد الله بـــالنفع والضر دليل على تفرده بالألوهية، المستلزم تجـــرد الآلهة من دونه عن صفات الرحمة، وعدم استحقاقها الألوهية.

**ثالثا: تفرد الله تعالى بكشف الضر عن عباده:**

ومما يـدل على تفـرد الله تعـالى بصـفات الرحمة كشـفه الضر عن عباده، وجاءت آيات كثيرة بذلك، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ الأنعام: ١٧، فأخبر تعالى أنه الذي يكشف الضر عن العبد إذا نـزل بـه، كما أنه المتفرد بإيصال الخير إليهم.

قـال ابن سـعدي رحمــه الله:"ومن أدلة توحيـده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء. ولهذا قال: ﭽ ... ﭼ من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أوهم أو نحوه. ﭽ ... ﭼ فإذا كان وحده النافع الضـــار، فهو الـــذي يســـتحق أن يفـــرد بالعبودية والإلهية"[2].

2- **وقوله تعالى:** ﭽ ... ﭼ يونس: ١٠٧.

---

[1] مجموع الفتاوى 1/ 93.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 252.

قال ابن كثير-رحمه الله-: "وقوله: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﭼ إلى آخرها، بيـان لأن الخـير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعــالى وحــده لا يشــاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحـده، لا شـريك له"[1].

وقـال ابن سـعدي رحمـه الله: "هـذا من أعظم الأدلة على أن الله وحــده المسـتحق للعبـادة، فإنه النـافع الضـار، المعطي المـانع، الـذي إذا مس بضـر، كفقر ومرض، ونحوها ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعـوا بشـيء، لم ينفعـوا إلا بما كتبه اللــه، ولو اجتمعــوا على أن يضــروا أحــدا، لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يرده الله، ولهذا قال: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما ﭧ ﭨ ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ فاطر: ٢. ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، ﭽ ﭭ ﭮ ﭼ لجميع الـزلات، الـذي يوفق عبـده لأسـباب مغفرتـه، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارهـا، وصـغارها. ﭽ ﭯ ﭼ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجــودات، بحيث لا تســتغنى عن إحســانه، طرفة عين، فــإذا عــرف العبد بالــدليل القــاطع، أن اللــه، هو المنفــرد بــالنعم، وكشف النقم، وإعطــاء الحسنات، وكشف السيئات والكربات، وأن أحــدا من الخلـق، ليس بيـده من هـذا شـيء إلا ما أجـراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل"[2].

فــبين أن تفــرد الله بكشف الضر وجلب الخــير من أدلة توحيده واستحقاقه للألوهية، ويستلزم ذلك تجرد الآلهة من دونه عن صفات الرحمة وعدم اسـتحقاقها للألوهية. ومن آثار رحمة الله تعالى أنه يرزق عبــاده،

---

[1] تفسير القرآن العظيم 4/ 300.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 375.

والرزق من خصـائص الربوبية والألوهيـة، لـذلك خلت الآلهة من دون الله عن هذه الصفة.

**رابعا: التفرد بصفات الرحمة من خصائص الألوهية:**

التفرد بصفات الرحمة من صفات الألوهية والربوبية، ومن خصائصهما، فلا يكون ربا إلها إلا من تفرد بصفات الرحمة، ولم يتفرد بها إلا الله تعالى، لذلك يستدل بتفرده بالرحمـة على اســتحقاقه للألوهيــة، وورد ذلــك في موضــعين من كتابه، وهما:

1- قوله تعلى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﭼ البقرة: ١٦٣.

بين الله تعالى أنه هو الإله الواحد الذي لا إله إلا هـو، فاسـتدل على ذلـك بأنـه هـو الـرحمن الـرحيم الـذي وسعت رحمته كل شيء. فـدل ذلـك على أن تفـرده تعالى بالرحمة الواسعة دليـل على ألوهيتـه، وأن من لم يتصف بذلك فلا يستحق شيئا من الألوهية.

قال ابن سعدي رحمه الله: "يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ أي: متوحد منفرد في ذاتــه، وأســمائه، وصــفاته، وأفعالــه، فليس له شريك في ذاتـه، ولا سـمي له ولا كفو لـه، ولا مثـل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كـان كـذلك، فهو المسـتحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنـواع العبـادة، ولا يشـرك به أحد من خلقـه، لأنه ﭽ ﰂ ﰃ ﭼ المتصف بالرحمة العظيمـــة، الـــتي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي، فبرحمته وجـــدت المخلوقـــات، وبرحمته حصـــلت لها أنـــواع الكمـالات، وبرحمته انـدفع عنها كل نقمـة، وبرحمته عـرف عبـاده نفسه بصـفاته وآلائـه، وبين لهم كل ما يحتـاجون إليه من مصـالح دينهم ودنيـاهم، بإرسـال الرسل، وإنزال الكتب.

فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة، فمن الله، وأن أحدا من المخلـــــوقين، لا ينفع أحـــــدا، علم أن الله هو المسـتحق لجميع أنـواع العبـادة، وأن يفـرد بالمحبة

والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وأن من أظلم الظلم، وأقبح القـــبيح، أن يعـــدل عن عبادته إلى عبـادة العبيـد، وأن يشـرك المخلـوق من تراب، برب الأرباب، أو يعبد المخلوق المـدبر العـاجز من جميع الوجوه، مع الخـالق المـدبر القـادر القـوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء.

ففي هـــذه الآيـــة، إثبـــات وحدانية البـــاري وإلهيتـــه، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين وبيـان أصل الـــدليل على ذلك وهو إثبـات رحمته الـــتي من آثارها وجود جميع النعم، وانـدفاع [جميع] النقم، فهـذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى"[1].

وقال ابن عاشور: "وقوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭼ وصفان للضـــــــمير، أي المنعم بجلائل النعم ودقائقها وهما وصفان للمدح وفيهما تلميح لدليل الألوهية والانفـــراد بها لأنه منعم، وغيره ليس بمنعم وليس في الصفتين دلالة على الحصر، ولكنهما تعـــريض به هنا لأن الكلام مســـوق لإبطـــال ألوهية غـــيره، فكـــان ما يـــذكر من الأوصـــاف المقتضـــية للألوهية هو في معـــنى قصـــرها عليه تعالى"[2].

فتـــبين أن اتصـــاف الله بالرحمة الواســـعة دليل على ألوهيته، ودليل على انتفائها عن غيره، لأن الله وحده المتفرد بالرحمة.

2- ونظير الآية السابقة قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ الحشر: ٢٢.

قـال الشـيخ عطيـة سـالم في كلامـه على آيـات آخـر سورة الحشـر: "فكـانت تلك الآيـات الثلاث علاجا في الجملة لتلك القضـــايا الثلاث؛ توحيد الألوهيـــة، وتوحيد الأســـماء والصـــفات، وتنزيه الله ســـبحانه وتعـــالى مع إقامة الأدلة عليها...

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص: 77.

[2] التحرير والتنوير 2/ 75 – 76.

وقد بـــدأ بكلمة التوحيد ؛ لأنها الأصـــل، لأن من آمن بالله وحـــده آمن بكل ما جــاء عن اللـــه، و آمن بالله على ما هو له أهل، ونزهه عما ليس له بأهل ﭖ ﭗ ﭘ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ الحشر: ٢٢ ، ثم أعقبه بالــدليل على إفــراده تعــالى بالألوهية بما لا يشــاركه غيره فيه بقوله تعالى: ﭽ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﭼ، وهذا الدليل نص عليه على أنه دليل لوحدانية الله تعـــــــالى في مواضع أخرى منها قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ طه: ٩٨ ، ووسع كل شيء هنا تساوي عالم الغيب والشهادة...

وجاء بدليل ثان، وهو قوله تعالى: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ ، وقد نص عليه صراحة أيضا كدليل على الوحدانية في قوله تعالى: ﭽ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ البقرة: ١٦٣ ، فهو رحمان الدنيا ورحيم الآخرة.

ومن رحمته التي اختص بها في الدنيا قوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﭼ الشورى: ٢٨ ، وقوله: ﭽ ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﯻ ﯺ ﯹ ﯸ ﯷ ﯶ ﯵﯴ ﭼ الروم: ٥٠، أي: بإنزاله الغيث وإنبات النبات مما لا يقـدر عليه إلا هـو، فكـان حقه على خلقه أن يعبـــدوه وحـــده لا إله إلا هو. وقد جمع الــدليلين العلم والرحمة معا في قوله تعـالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ غافر: ٧ "[1].

فـــبين رحمه الله تعـــالى أنه من الأدلة على توحيد الألوهية اختصــاص الله تعــالى بكمــال الرحمــة، وأن رحمته واســعة شـــاملة لجميع خلقـــه، كما أن علمه تعالى المحيط بكل شيء من أدلة توحيده.

**خامسا: الآلهة من دون الله لا تملك رزقـا ولا نفعـا ولا ضرا:**

ومن آثار صفات الرحمة والإحسـان والإنعـام، إعطـاء الـــرزق للعبـــاد، ونفعهم ودفـــع الضـــر عنهم، فيُـــرجى من اتصـف بـذلك، ويُسـأل ويُـرغب منـه ويُـرهب، ويُخـاف من ضره، فمن كان هذا حاله هو الذي يسـتحق العبـادة. وأمـا الآلهة من دون الله فليس لها كل هذه الصفات، فلا تملــك

---

[1] تتمة أضواء البيان 1/ 110 – 111.

رزقا، ونفعا ولا ضرا. فلا تنفع من عبدها فتُرجى، ولا تملك ضرا فتُخاف، فصارت متجردة عن صـفات الرحمـة، الـتي تجعلها تُرتجى وتُدعى وتُسأل.

وقد وردت آيات كثيرة تنفي عن الآلهة من دون الله ملــك شيء من الرزق والنفع والضر، ومنها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ العنكبوت: ١٧.

بين الله أن الآلهة من دونه لا تملك لعابــديها الــرزق، وأثبت أنه المتفــرد بــالرزق، فــأمر العبــاد أن يبتغــوا الرزق عنــده، ويعبــدوه وحــده، ويشــكروه على النعم الـتي لا تعد ولا تحصـى، فـدل هـذا على تجـرد هـذه الآلهة من دون الله عن صــــفات الرحمة مع أنها من خصائص الألوهيـة، فتـبين عـدم صـلاحيتها بـأن تكـون آلهة معبودة من دون الله.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الزمر: ٣٨، وﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الفتح: ١١، وﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ الأحزاب: ١٧.

في هذه الآيات يقرر اللــه تعـالى الحجج على إبطـال إلهية المعبودات من دونه، فبين أن ما يدل على عدم استحقاقها للألوهية هو عدم قدرتها على كشف الضر ودفع السـوء عن عابـديها، وذلـك دليـل على تجردهـا عن صـفات الرحمــة والقــدرة لعجزها عن دفع الضر عن عابديها.

3- وجاء في قصة صاحب يس، ﭧ ﭨ ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ يس: 22 – ٢٣.

فاسـتدل على قومـه بربوبيـة اللـه تعـالى بأنـه الـذي فطره وخلقـه، وبتفـرده بـالنفع والضـر على ألوهيتـه ووجوب إفراده بالعبادة. واستدل كـذلك بعجـز الآلهـة

من دون الله وعدم قدرتها على دفع الضـر عنـه على عدم استحقاقها للألوهية.

قال ابن القيم-رحمه اللـه-: "أخـرج الحجة عليهم في معـــــرض المخاطبة لنفسه تأليفا لهم، ونبه على أن عبـــادة العبد لمن فطـــره أمر واجب في العقـــول مسـتهجن تركها قـبيح الإخلال بهـا، فـإن خلقه لعبـده أصل إنعامه عليه ونعمة كلها بعد تابعة لإيجـــــــاده وخلقـــه، وقد جبل الله العقـــول والفطر على شـــكر المنعم ومحبة المحسن، ولا يلتفت إلى ما يقوله نفـاة التحسين والتقـبيح في ذلـك، فإنه من أفسد الأقـوال وأبطلها في العقــــول والفطر والشــــرائع. ثم أقبل عليهم مخوفا لهم تخويف الناصح فقال: ﭼ ﯘ ﯙ ﭼ ، ثم أخبر عن الآلهة التي تعبد من دونه أنها باطلة، وأن عبادتها باطلة، فقال: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ يس: ٢٣ ، فإن العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت حاجته إليــه، وإنما إذا أرادني الــرحمن الذي فطرني بضر لم يكن لهذه الآلهة من القــدرة ما ينقــذوني بها من ذلك الضــر، ولا من الجــاه والمكانة عنده ما يشفع لي إليه لأتخلص من ذلك الضـر، فبـأي وجه يستحق العبادة؟ و ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ إن عبدت من دون الله مما هذا شأنه"[1].

فأقـام عليهم الحجة على عـدم اسـتحقاق الآلهة من دون الله بعجزها عن دفع الضر عنه لتجردها عن صفات الرحمة والقدرة.

فـــإذا ثبت أن الله تعـــالى هو المختص بالرحمة الواسـعة، وأنه النـافع الضـار، وأن الآلهة من دونه لا تملك لهم رزقـــا، ولا تملك لهم نفعــا، ولا تـــدفع الضر والسوء عن عابديها، دل ذلك على أن الآلهة من دونه متجردة عن صفات الرحمة والبر والإحسان والإنعام، فيســتلزم عــدم اســتحقاقها للألوهيــة، لأن ذلك من خصائص الألوهية، فلا يكون إلها إلا المختص بها.

********

---

[1] (?) الصواعق المرسلة 2/ 494 – 497.

## المبحث الثاني: الآلهة من دون الله موصوفة بصفات النقص المنافية للألوهية, وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول**: كون الآلهة من دون الله مخلوقة لله ومربوبة له:

إن جميع الموجودات نوعان؛ خالق ومخلـوق، وكل ما ليس بخالق فهو مخلوق. فالله هو الخـالق، وما سـواه من الموجودات كلها مخلوقة لله تعالى. وكل مخلوق هو تحت ربوبية الله تعـالى. فـدل على أن كل شـيء مخلـوق لله تعالى مربـوب لـه، فلـذلك كـان جميع الآلهة من دون الله تعـالى مخلوقة مربوبة لله تعـالى، فقـيرة إليه في إيجادها وخلقها وتدبيرها، فلا تستحق الألوهية بوجه من الوجوه.

والكلام على هذه المسألة في مقامين:

**المقــام الأول: بيــان أن الله هو الخــالق وما ســواه مخلوق:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الأنعام: ١٠٢ ، وﭧ ﭨ ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ غافر: ٦٢.

فبين تعالى أنه خالق كل شيء، وأن ما سواه مخلـوق، لــذلك لا يســتحق الألوهية إلا هو وحــده لا شــريك لــه، فاعبـدوه. فـدل ذلك على أن كل إله معبـود من دون الله مخلوق مربوب لله وحـده، لأنه وحـده الـرب لا شـريك له في ربوبيته.

وهذا المقام لا يحتاج إلى طول بحث لأنه سبق تقريره في البـــــاب الأول، في البحث على دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهيــة، حيث تقــرر هنــاك أن الله هو المتفــرد بالخلق، وما سواه مخلوق مربوب لله تعالى.

**المقام الثـاني: بيـان أن الآلهة من دون الله مخلوقـة، فلا تستحق أن تكون معبودة:**

تقرر أنه أن كل ما سوى الله مخلوق، وهذا ثبت بــالفطرة وإجمـاع الخلق على ذلـك. وكـان من ضـمن المخلوقـات الآلهة المعبـودة من دون اللـه، فإنها لا شك أنها مخلوقـة، لأن كل شيء مخلوق إلا الله تعالى.

وقد وردت نصوص كثيرة تبين أن الآلهـة من دون اللـه كلهـا مخلوقـة للـه تعـالى، لإقامـة الحجـة على المشـركين، لأنهم

يعرفون أنها مخلوقة مربوبـة، فيحتج اللـه عليهم بـذلك على عبادتهم إياها. فكيف يعبدون آلهـة مخلوقـة مربوبـة مـدبّرة، وهم يعلمون ذلك؟ ومن الآيات في ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ    ﭼ الأعراف: ١٩١. وﭧ ﭨ ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﭼ النحل: ٢٠ – ٢٢. وﭧ ﭨ ﭽ  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ الفرقان: ٣.

في هذه الآيات كلها يبين الله تعالى أن كل الآلهة من دونه مخلوقة فضلا أن تكـــون خالقـــة، وقد نصَّ الله تعالى على أنها مخلوقة بقوله: ﭽ  ﭼ. لذلك أنكر الله على المشركين عبادة هذه الآلهة التي لم تخلــق شـيئا وهي مخلوقـة، لأنـه ممـا يدركـه كـل عاقـل أن المخلـوق لا يسـتحق العبـادة، لأنـه عبـد مربـوب، فلا يكون ربا معبودا، لأنه لا يجوز أن يســوى بين الخـالق والمخلوق. وهذا مركوز في الفطر. ولـذلك وبّخ اللــه المشــركين وأنكــر عليهم اتخـاذهم الآلهـة من دونــه، وهي مخلوقة له، لأنهم سووا بين الخـالق والمخلـوق في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة[1].

قال الطبري في تفسيره قوله تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ   ﭼ الأعراف: ١٩١. "يقول تعالى ذكره: أيشركون في عبـادة اللـه، فيعبـدون معه ما لا يخلق شـيئا والله يخلقها وينشـــئها، وإنما العبـــادة الخالصة للخـــالق لا للمخلوق؟"[2].

وقال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: " ﭽ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ النحل: ٢٠ أي: بل هم مخلوقون مصـنوعون كما قـال الخليل: ﭽ    ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ الصافات: ٩٥ - ٩٦ "[3].

---

(?)[1] انظر مجموع الفتاوى 13/ 14 – 15، 17 – 19.

(?)[2] جامع البيان 10/ 632، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص: 438 ، أضواء البيان 6/ 297 – 299.

(?)[3] تفسير القرآن العظيم 3/ـ 529، تيسير الكريم الـرحمن ص: 577.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الصافات: ٩٥ – ٩٦ .

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله-: "ومن كان مخلوقا من بعض مخلوقاته فإنه لا ينبغي أن يعبد ولا تليق به العبادة. وتأمل مطابقة هذا المعنى لقوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ النحل: ٢٠، كيف أنكر عليهم عبادة آلهة مخلوقة له سبحانه، وهي غير خالقة؟ فهذا يبين المراد من قوله: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ الصافات: ٩٦. ونظيره قوله في سورة الأعراف: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الأعراف: ١٩٤ ، أي هم عباد مخلوقون كما أنتم كذلك، فكيف تعبدون المخلوق؟ وتأمل طريقة القرآن لو أراد المعنى الذي ذكروه من حسن صفاته وانفراده بالخلق كقول صاحب يس: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ يس: ٢٢ ، فهنا لما كان المقصود إخبارهم بحسن عبادته واستحقاقه لها ذكر الموجب لذلك، وهي كونه خالقا لعابده فاطرا له، وهذا إنعام منه عليه فكيف يترك عبادته. ولو كان هذا هو المراد من قوله: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ كان يقتضي أن يقال: "ألا يعبدون الله وهو خالقهم وخالق أعمالهم" فتأمل فإنه واضح...".

ثم قال: "فإن قيل كان يكفي في هذا أن يقال: "أتعبدون ما تنحتون والله خالقه"، فلما عدل إلى قوله: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ علم أنه أراد الاحتجاج عليهم في ترك عبادته سبحانه وهو خالقهم وخالق أفعالهم، قيل: في ذكر خلقه سبحانه لآلهتهم ولعابديها من بيان تقبيح حالهم وفساد رأيهم وعقولهم في عبادتها دونه تعالى ما ليس في الاقتصار على ذكر خلق الآلهة فقط، فإنه إذا كان الله تعالى هو الذي خلقكم وخلق معبوديكم فهي مخلوقة أمثالكم، فكيف يعبد العاقل من هو مثله ويتألهه ويفرده بغاية التعظيم والإجلال والمحبة؟ وهل هذا إلا أقبح الظلم في حق أنفسكم وفي حق ربكم؟"[1].

---

[1] بدائع الفوائد 1/ 264 – 267.

فيما سبق تبين أن الآلهة من دون الله مخلوقة لله تعالى، فلا تخلق شيئا.
فلما كانت مخلوقة لله تعالى فهي عباد لله تعالى عبادة كونية، فهي مربوبة تحت ربوبيته. وبعضها عباد لله تعالى عبادة شرعية، كرسول الله عيسى بن مريم عليه السلام الذي اتخذه النصارى إلها من دون الله وغيره من الأنبياء والصالحين، ممن اتخذ معبودا من دون الله، فكلهم عباد لله تعالى، خاضعين له طائعين. فكل الآلهة من دون الله عباد له مربوبون له.

3- قال تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ الأعراف: ١٩٤.
قال ابن القيم: " ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ ، ومن حق المعبود أن لا يكون مثل العابد، فإنه إذا كان مثله كان عبدا مخلوقا والمعبود ينبغي أن يكون ربا خالقا فهذا من أحسن الاحتجاج وأبينه"[1].

4- وقال تعالى فيمن اتخذ معبودا من الأولياء والصالحين: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﭼ الإسراء: ٥٦ – ٥٧.

فأخبر تعالى أن كل الآلهة من دونه عباد لله، كما أن المشركين الذين يدعونهم عباد لله، لأن الكل مخلوق لله مربوب له. وبعضهم كانوا يعبدون الله تعالى بالعبادة الشرعية، ويبتغون عنده الوسيلة، ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه. فإذا كانت الآلهة من دونه عباد لله تعالى خاضعين له، فذلك يدل كلّ عاقل على قبح شركهم وعبادة هذه الآلهة. قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: "هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصر، ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر،

---
[1] بدائع الفوائد 1/ 267.

وعابــدوها أكمل منها بســمعهم وبصــرهم وبطشــهم؛ ولهذا قال: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ الأعراف: ١٩١ ، أي: أتشركون به من المعبــودات ما لا يخلق شــيئا ولا يستطيع ذلك"[1].

فتــبين أن الآلهة من دون الله هي عبــاد لله ليس لها من خصائص الربوبية شيء، فلا تستحق الألوهية.

قـــال العلامة ابن القيم-رحمه اللـــه-: "وكـــذلك قوله سـبحانه مقـررا لبرهـان التوحيد أحسن تقرير وأوجـزه وأبلغه: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ الإسراء: ٤٢، فإن الآلهة الـتي كـانوا يثبتونها معه سـبحانه كانوا يعترفون بأنها عبيده ومماليكه ومحتاجة إليه، فلو كانوا آلهة كما يقولون لعبدوه وتقربـوا إليه وحـده دون غــيره، فكيف يعبــدونهم من دونه وقد أفصح ســبحانه بهذا يعينه في قوله: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ الإسراء: ٥٧ ، أي هؤلاء الذين يعبـدونهم من دوني هم عبيــدي كما أنتم عبيــدي، يرجــون رحمــتي ويخـافون عـذابي كما ترجـون أنتم رحمـتي وتخـافوني عذابي، فلماذا تعبدونهم من دوني"[2].

مما ســـبق تـــبين لنا أن الآلهة من دون الله تعـــالى مخلوقة ومربوبة لله تعــالى، فهي عبيد لله ومملوكة له، وليس لها من خصـائص الربوبية والألوهية شـيء، فلا تســتحق الألوهية بــأي حــال، وتصــلح أن تكــون معبــودة، وأن عبادتها باطلة عقلا وشــرعا. فيجب أن يُعبد الله وحـــده لا شـــريك لـــه، لأنه الإله الحـــق، المستحق للعبادة.

---

[1] تفسير القرآن العظيم 3/ 529، وانظر تيسير الكريم الرحمن ص: 312.

[2] الصواعق المرسلة 2/ 462 – 463.

**المطلب الثاني**: كون الآلهة من دون الله متصفة بصفات العجز:

مما يــدل على بطلان عبــادة الآلهة من دون الله أنها متصفة بصفات العجـز، إذ لا تسـتطيع نفع عابـديها ولا دفع الضر عنهم، ولا تستجيب لهم إذا دعوها.

إنه من المعلـــوم أن العبـــاد كـــانوا يعبـــدون آلهتهم ويقصـدونها ويـدعونها ويرجونها ويتقربـون إليها ويرغبـون الخير عندها، كل ذلك كان رجاءَ حصـول النفع منهـا، ودفع الضر عنها. لذلك كـان إيصـال النفع إلى العبـاد ودفع الضر عنهم من خصائص الألوهية. فـإذا كـانت الآلهة عـاجزة عن ذلك فلا تســتحق أن تكـــون معبـــودة، لأنه لا فائـــدة في عبادتها ودعائها ورجــاء الخــير منهــا، لا تســتطيع نفع من يعبدها، ولا دفع الضر عنه، وأنها فاقدة لصـفات الكمـال[1]، فلا تستحق العبادة بأي حال.

وقد وردت آيـات كثـيرة في كتـاب الله تعـالى، يصف الله تعــالى فيها الآلهة من دونه بصــفات العجــز، ما يــدل على أنها لا تستحق أن تكون معبودة ومنها:

**أولا: أن الآلهة من دون الله لا تملك لأنفســـــــــها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا:**

قد وصف الله تعالى الآلهة من دونه بأنها لا تملك لأنفسـها نفعا ولا ضـــــرا، فكيف تملك ذلك لغيرها ممن يعبـــــدها ويرجوها؟ فكيف تكون معبودة وهي على هذا الحال؟

وقد وردت آيات كثيرة بذلك منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الرعد: ١٦.

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ الفرقان: ٣.

في هـذه الآيـات يـبين الله تعـالى أن الآلهة من دونه عاجزة، فاقدة لصفة القـدرة على جلب النفع ولا دفع الضر عن أنفســها فضلا عن غيرهـــا، فكيف تكـــون معبـودة؟ لأن الـدافع إلى العبـادة هو رجـاء منفعة أو دفع مضرة.

---

[1] مجموع الفتاوى 6/ 80.

قـال ابن سـعدي رحمـه الله: "وكـذلك من بـراهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عُبد مع الله، فـإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقـراء إلى اللـه، عـاجزون ليس بيـدهم من النفع مثقـال ذرة، ولا يخلقـون شـيئا وهم يخلقـون، ولا يملكـون ضـرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلـوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلهـا، الضـار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شـيء، وإليه يرجع كل شـيء، وله يقصد ويصـمد ويخضع كل شيء .

فأي برهان أعظم من هذا البرهان: الـذي أعـاده الله وأبـــداه في مواضع كثـــيرة من كتابه وعلى لســـان رسوله ، فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجـــــــوب توحيد الله وأنه الحق ، وعلى بطلان الشرك.

وإذا كـــان أشـــرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقـرب الخلق إليه وأمسـهم به رحما فكيف بغـيره ؟ فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلـوقين ، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه"[1].

فـــبين رحمه الله أن الآلهة من دون الله عـــاجزون ليس بيـدهم من النفع مثقـال ذرة. فهـذا دليل قـاطع على بطلان الشرك، ووجوب توحيد الله بالعبادة.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ الرعد: ١٦.

وكذلك هـذه الآية تـدل على عجز الآلهة من دون الله وعـدم قـدرتها على نفع أنفسـها، فكيف تنفع غيرهـا، حتى تتخذ آلهة معبودة من دون الله؟

---

[1] القول السديد شرح كتاب التوحيد 6/ـ 663، (ضمن مجمـوع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المجلد السادس)، وانظر أيضا: أضواء البيان 6/ 297 – 299.

قال الإمام الطبري: "قل يا محمـد: ربها الـذي خلقها وأنشأها، هو الذي لا تصـلح العبـادة إلا لـه، وهو اللـه، ثم قال: فـإذا أجـابوك بـذلك فقل لهم: أفاتخـذتم من دون رب السـموات والأرض أوليـاء لا تملك لأنفسـها نفعا تجلبه إلى نفسها، ولا ضـرا تدفعه عنهـا، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفســـها، فمن ملكه لغيرها أبعــــد، فعبـدتموها وتـركتم عبـادة من بيـده النفـع، والضـر، والحياة، والموت، وتدبير الأشياء كلها"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد أمر تعـالى أفضل الخلق أن يقـول إنه لا يملك لنفسه ضـرا ولا نفعا ولا يملك لغيره ضرا ولا رشدا فقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الأعراف: ١٨٨ ، وقال: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ الجن: ٢١"[2].

فإذا كان أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فغيره من باب أولى، فلا يكــون أي مخلوق إلها معبودا.

**ثانيا: أنها لا تستطيع نفع عابديها:**

الآلهة من دون الله لا تستطيع أن تنفع من يعبدها بشــيء، ولا تملك لهم منفعة من المنافع في الدنيا ولا في الآخـرة، ومن الأدلة على ذلك:

1- ولعجزها عن النفع نهى الله تعـــــــــالى عن دعائها وعبادتها، فقال: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﭼ يونس: ١٠٦.

قال الإمام الطبري: "يقـول تعـالى ذكـره: ولا تـدع يا محمد من دون معبـودك، وخالقك شـيئا لا ينفعك في الـدنيا، ولا في الآخــرة، ولا يضـرك في دين ولا دنيـا، يعـني بـذلك الآلهة والأصـنام، يقـول: لا تعبـدها راجيا نفعها أو خائفا ضـــرها، فإنها لا تنفع ولا تضـــر، فـــإن

---

[1] جامع البيان 13/ 493، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4/ 446.

[2] مجموع الفتاوى 27/ 432.

فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفسهم"[1].

2- ولعجزها عن النفع عـــاب الله على من يعبـــدها، ووبخهم على ذلك، لأن هذا لا يفعله العاقل، فقـال: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﭼ المائدة: ٧٦.

قال الحافظ ابن كثير: "يقول تعـالى منكـرا على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ومبينا له أنها لا تستحق شيئا من الإلهية: ﭽ ﯤ ﭼ أي: يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بـني آدم، ودخل في ذلك النصارى وغيرهم: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ أي: لا يقدر على إيصال ضرر إليكم، ولا إيجاد نفع ﭽ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ أي: فلم عدلتم عن إفراد السميع لأقـوال عبـاده، العليم بكل شـيء إلى عبـادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا، ولا يملك ضـرا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه. "[2].

فإذا كانت الآلهة من دون الله لا تنفع أحدا ولا تضره، فلا تكون آلهة معبودة، لأن من أركان العبـادة الرجـاء والخوف، فمن لا يملك النفع والضر فكيف يُرجى منه ويُخاف؟

**ثالثا: أنها لا تستطيع كشف الضر عن عابديها:**

الآلهة من دون الله لا تســتطيع أن تكشف الضر عن عابديها إذا نزل بهم، لأنها عاجزة عن ذلك، وفي ذلك آيات منها:

1- قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ الزمر: ٣٨.

في هـــذه الآية بيـــان عجز الآلهة من دون الله عن كشف الضر عن العبــاد، فلا تكــون آلهة لأنها ليست

---

[1] جامع البيـان 12/ـ 304، وانظر تيسـير الكـريم الـرحمن ص: 375.

[2] تفسير القرآن العظيم 3/ـ 159، وانظر أيضا جامع البيـان 8/ 584.

أهلا للرجــاء. فكيف يُــرجى ويُــدعى من لا يســتطيع كشف ضر؟

قال الإمام الطبري: "فقـل: أفـرأيتم أيها القـوم هـذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ يقول: بشـدة في معيشـتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟...

ثم قـال: "وتـرك الجـواب لاسـتغناء السـامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا"[1].

2- قوله تعالى: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ الإسراء: ٥٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال تعالى : ﭽ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الأنعام: ٤٠ - ٤١ وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ الإسراء: ٦٧ .

وقال تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ النمل: ٦٢. وقال تعالى: ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ الإسراء: ٥٦ - ٥٧ وقال تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الزمر: ٤٣ - ٤٤، فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه، دل على توحيده، وقطع شبهة من أشــرك بــه، وعلم بــذلك أن ما دون هــذا أيضا من الإجابات إنما فعلها هو سبحانه وحده لا شريك له، وإن كانت تجـري بأسـباب محرمة أو مباحـة، كما أن خلقه السماوات والأرض والرياح والسـحاب، وغـير ذلك من الأجسام العظيمة، دل على وحدانيتـه، وأنه خـالق لكل شيء، وأن ما دون هذا بأن يكون خلقا له أولى؛ إذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة، فخـالق السـبب التـام، خالق للمسبب لا محالة"[2].

---

[1] جامع البيان 20/ 212.

[2] اقتضاء الصراط المستقيم 2/ 224 – 226.

**رابعا: أنها لا تستطيع إلحاق الضرر لأحد، فلا تُخـاف ولا تُرهب منها:**

1-قوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﭼ يونس: ١٨.

قـــــال العلامة ابن القيم: "وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقا والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضــرر ولهـذا أنكر الله تعـالى على من عبد من دونه مـالا يملك ضـرا ولا نفعا وذلك كثـير في القـرآن كقوله تعالى: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ..."،

إلى أن قال: "فنفى سـبحانه عن هـؤلاء المعبـودين من دونه النفع والضر القاصر والمتعــــــــــدي، فلا يملكونه لأنفسـهم ولا لعابـديهم. وهـذا في القـرآن كثـير بيد أن المعبـود لا بد أن يكـون مالكا للنفع والضر، فهو يـدعى للنفع والضر دعاء المسـألة، ويـدعى خوفا ورجـاء دعـاء العبادة"[1].

2-قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الحج: ١٢ – ١٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قوله: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ هو نفي لكـون المـدعو المعبـود من دون الله يملك نفعا أو ضرا، وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها، فإنما سوى الله لا يملك لا لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا"[2].

3-وقوله تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ الشعراء: ٧٣.

قال الإمـام الطـبري: "يقـول: أو تنفعكم هـذه الأصـنام، فـــيرزقونكم شـــيئا على عبادتكموهـــا، أو يضـــرونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسـلبوكم أمـوالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم"[3].

فـدلت هـذه الآيـات على عجز الآلهة من دون اللـه، فلا تُعبد لأنها لا تضر أحدا، حتى تُخـاف منهـا، فكيف يُخـاف من لا يستطيع أن يلحق الضر لأحد؟.

---

[1] بدائع الفوائد 3/ 835 – 836.

[2] مجموع الفتاوى 15/ 270 – 271.

[3] جامع البيان 17/ 590، وانظر مجموع الفتاوى 5/ 222.

**خامسا: الآلهة من دون الله عاجزة عن تغيـير ما يحصل من خلل في نظام الكون:**

فالله تعـالى هو المتفـرد بتـدبير الكـون، فـإذا اختل سـير نظام هذا الكون فلا يستطيع أحد أن يصلح هـذا الخلل إلا هو تعـالى. فـدل ذلك على أن الآلهة من دونه لا تسـتحق العبـادة، لأنها لا تسـتطيع أن تُنعم وتُحسن إلى العبـاد بإصـلاح ذلك الخلل الواقع في سـير نظـام الكـون، ومن ذلك:

**1-أنها لا تسـتطيع أن تـأتي بضـياء إذا جعل الله الليل سرمدا إلى يوم القيامة:**

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ القصص: ٧١.

قال الإمـام الطـبري: "يقـول: من معبـود غـير المعبـود الـذي لـه عبـادة كـل شـيء يـأتيكم بضـياء النهـار، فتستضيئون به؟"[1].

فأنكر الله أن يكون إله غير الله يستطيع الإتيان بالضياء إذا جعل الليل سـرمدا، فـدل ذلك على عجز الآلهة من دونه، فلا تستحق الألوهية والعبادة.

**2-أنها لا تسـتطيع أن تـأتي بليل إذا جعل الله النهـار سرمدا إلى يوم القيامة:**

قال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ القصص: ٧2.

قال الإمام الطبري: " ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ فتستقرون وتهدءون فيه؟ ﭽ ﭿ ﮀ ﭼ يقول: أفلا ترون بأبصـاركم اختلاف الليل والنهـار عليكم، رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلمـوا بـذلك أن العبـادة لا تصـلح إلا لمن أنعم عليكم بـذلك دون غـيره، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك؟"[2].

فأنكر الله أن يكون إله غير الله يسـتطيع الإتيـان بالليل إذا جعل النهار سـرمدا، فـدل ذلك على عجز الآلهة من دونه، فلا تستحق العبادة.

---

[1] جامع البيان 18/ 305.

[2] المصدر نفسه 18/ 305.

**3-أنها لا تستطيع أن تـأتي بالمـاء المعين إن جعله الله غورا:**

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ الملك: ٣٠.

قال الإمـام الطـبري: "قل يا محمد لهـؤلاء المشـركين: أرأيتم أيها القوم العادلون بالله ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ يقول: غائرا لا تناله الدلاء ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ يقول: فمن يجـيئكم بمـاء معين، يعـني بـالمعين: الـذي تـراه العيون ظاهرا؟"[1].

فأنكر الله أن يكون إله غير الله يستطيع الإتيـان بالمـاء المعين النابع، إذا أصـبح المـاء غـورا، أي غـير نـابع، لأن الاسـتفهام في الآية اسـتفهام إنكـار، الـذي يـدل على النفي[2]، فــــدل ذلك على عجز الآلهة من دونه ونفي القدرة عنهم[3]، فلا تستحق العبادة.

**سادســا: الآلهة من دون الله عــاجزة غــير قــادرة عن التدبير:**

التــدبير من خصــائص الربوبية والألوهيــة، فالعــاجز عن التدبير في الخلق لا يكـون إلهـا، فـدل ذلك على أن الآلهة من دون الله لا تسـتحق الألوهيـة، لأنها لا تسـتطيع تـدبير شيء في الخلق، ومن ذلك:

**1-أنها لا تستطيع أن تملك الـرزق للعبـاد، ولا تسـتطيع الإحياء والإماتة:**

ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭼ الروم: ٤٠.

قال الإمام الطـبري: "يقـول تعـالى ذكـره: هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبـادتكم إيـاه شـركاء من يفعل من ذلكم من شــيء، فيخلق أو يــرزق، أو يميت، أو ينشر؛ وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشـركين. وإنما معـنى الكلام أن شــركاءهم لا تفعل شــيئا من ذلــك، فكيف لعبد من دون الله من لا يفعل شــيئا من ذلــك؟ ثم بــرأ نفسه تعــالى ذكــره عن الفرية الــتي افتراها هــؤلاء المشــركون

---

[1] جامع البيان 23/ 138.
[2] انظر تيسير الكريم الرحمن ص: 878.
[3] انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 8/ 183.

عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فقال جل ثناؤه ﭽ 
ﭽ أي: تنزيها لله وتبرئة ﭽ ﯓ ﭽ يقول: وعلوا له ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ 
ﭽ يقول: عن شرك هؤلاء المشركين به[1].

**2-أنها لا تستطيع نصر العباد:**

ﭧ ﭨ ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ الملك: ٢٠.

قال الحافظ ابن كثير: "يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره، يبتغون عندهم نصرا ورزقا، منكرا عليهم فيما اعتقدوه، ومخبرا لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه"[2].

**3-أنها لا تستطيع أن ترزق العباد إن أمسك الله رزقهم:**

ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﭼ الملك: ٢١.

قال ابن كثير: "أي: من هذا الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده؟! أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق، وينصر إلا الله، عز وجل، وحده لا شريك له، أي: وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبدون غيره"[3].

ما سبق بيانه هو بعض الوجوه التي تدل على عجز الآلهة من دون الله، وأنها فاقدة لصفة القدرة، التي هي من أصول صفات الكمال، التي بها يستحق أن يكون المعبود إلها بالحق. فهذا يدل على أن الآلهة من دون الله لا تستحق العبادة، فيتبين تفرد الله تعالى بالألوهية، لتفرده بصفات الكمال، وتفرده بالقدر الشاملة على جميع الخلق، وهو على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء لكمال قدرته، فوجبت عبادته وحده لا شريك له.

*******

---

[1] جامع البيان 18/ 508 – 509، وانظر أيضا: 3/ 15، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 6/ 319، تيسير الكريم الرحمن ص: 643.

[2] تفسير القرآن العظيم 8/ 181، انظر جامع البيان 23/ 131.

[3] تفسير القرآن العظيم 8/ 181، ونظر جامع البيان 23/ 131.

**المطلب الثالث**: كون الآلهة من دون الله متصفة بالعيوب:

إن مما يــدل على بطلان عبــادة الآلهة من دون الله هو كونها متصفة بـالعيوب، فلا تسـتحق الألوهية والعبـادة، لأنها فاقدة لخصائص الألوهية وصفاتها. وخصائص الألوهية هي صفات الكمـال، فالمتصف بـالعيوب خـال عن صـفات الكمال فبطلت عبادتها وألوهيتها. فهذا دليل وبرهــان على بطلان الشــرك. وقد أقــام الله هــذا البرهــان في مواضع عديـــدة من كتابه ووصف الآلهة من دونه بعـــدة عيـــوب لإبطال عبادة غيره من الآلهة المعبودة، ومنها:

**1-أنها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئا:**

قال تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ مريم: ٤١ – ٤٢.

في هـذه الآيـات بيـان أن الآلهة المعبـودة من دون الله متصفة بعدة عيوب، منها: أنها لا تسـمع، وأنها لا تبصــر، وأنها لا تغــني عابــدها شــيئا. فــدل هــذا على فقــدانها لصفات الكمال، فلا تسـتحق العبـادة، لأنه لا يكـون إلها معبودا إلا المتصف بصفات الكمال.

**2-أنها لا تنطق ولا ترجع القول، ولا تنفع ولا تضر:**

قال تعالى: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ الأنبياء: ٦٢ – ٦٧.

فوصف الله الآلهة من دونه في هـــذه الآيـــات بعـــدة عيــوب، فمنهــا؛ أنها لا تنطــق، ولا تنفع ولا تضــر، فلما وُجـدت هـذه الصـفات في المعبـودات دلت على عـدم استحقاقها للألوهية والعبادة، لفقدها عن صفات الكمال التي هي خصائص الألوهية.

وقال تعالى: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ طه: ٨٩.

وفي هذه الآيـة وصـف اللـه تعـالى العجـل بأنـه لا يكلّم عابديـه ولا يرجـع القـول إليهم، ولا يملـك لهم نفعـا ولا ضرا، فهو متصف بعيوب، فلا يستحق العبادة.

قال العلامة ابن القيم: "قال تعـالى في سـورة طه عن السامري: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽطه: ٨٨ – ٨٩، ورجع القول هو التكلم والتكليم، وقال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭽالنحل: ٧٦. فجعل نفي صفة الكلام موجبا لبطلان الإلهيـة، وهـذا أمر معلـوم بـالفطر والعقـول السـليمة والكتب السـماوية؛ أن فاقد صـفات الكمـال لا يكـون إلها ولا مـدبرا ولا ربـا، بل هو مـذموم معيب نـــــــــاقص ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صــفات الكمال ونعوت الجلال التي لأجلها استحق الحمد"[1].

وقال ابن سعدي رحمه الله: " ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ أن العجل ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه، ولا يملك لهم ضـــرا ولا نفعـــا، فالعـــادم للكمـــال والكلام والفعـــال لا يســـتحق أن يعبد وهو أنقص من عابديـــه، فإنهم يتكلمون ويقـدرون على بعض الأشـياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم"[2].

وقال تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭽيونس: ١٨ ، وقال تعالى: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭽالشعراء: ٧٢ - ٧٣ .

في هذه الآيات يصف الله تعـالى بأنهـا لا تنفـع ولا تضـر ولا تسمع دعاء من اتخذها معبودة، فلا تستحق العبـادة، لأنها فاقدة لصفات الكمال.

**3-أنها لا تسمع ولا تستجيب من دعاها:**

وقوله تعالى: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭽ فاطر: ١٤.

في هذه الآية يوبخ اللـه المشـركين الـذين يـدعون غـير الله تعالى من الأصنام، كالـذين يـدعون الأمـوات، على أنه لا يسمعون دعاءهم. وعلى فرض أنهم يسمعون، فلا

[1] مدارج السالكين 1/ 222 - 223، إعلام الموقعين 2/ 270.

[2] تيسير الكريم الرحمن ص: 511.

يســتجيبون لهم. إذًا فلا فائــدة في دعــائهم إيــاهم إلا الخسران المبين في الـدنيا والآخـرة، لأنـه في الـدنيا لا يحصلون على مقصودهم ومطلوبهم، وفي الآخرة يتــبرأ منهم الذين أشرك بهم مع الله، ثم يكونون من أصحاب النار.

ففي الآية بيان اتصاف الآلهـة من دون اللـه بعيـبين من العيــوب، وهمــا: عــدم الســماع، وعــد الاســتجابة، فلا تستحق العبادة.

**4-أنها لا تتكلم ولا تهدي السبيل:**

وقوله تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼالأعراف: ١٤٨.

في هذه الآية وصف الله العجل بأنه لا يتكلم كما وصفه بأنه لا يرجع القـــول في موضع آخـــر، وأنه لا يهـــدي السـبيل، فـدل على عـدم اسـتحقاقه للعبـادة، لاتصـافه بالعيوب.

قــال العلامة ابن القيم رحمه اللــه: "وقــال تعــالى في صفة الكلام: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼالأعراف: ١٤٨، نبه بهذا الدليل على أن من لا يكلم ولا يهدي لا يصـلح أن يكـون آلها وكـذلك قوله في الآية الأخرى عن العجل: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼطه: ٨٩ ، فجعل امتناع صفة الكلام والتكليم وعدم ملك الضر والنفع دليلا على عدم الإلهية، وهــذا دليل عقلي ســمعي على أن الإله لا بد أن يكلم ويتكلم ويملك لعابـــده الضر والنفع وإلا لم يكن إلهـــا، وقال: ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼالبلد: ٨ – ١٠، نبهك بهـذا الـدليل العقلي القـاطع أن الـذي جعلك تبصر وتتكلم وتعلم أولى أن يكـون بصـيرا متكلما عالما فأي دليل عقلي قطعي أقوى من هذا وأبين وأقرب إلى المعقول، وقال تعالى في آلهة المشركين المعطلين: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼالأعراف: ١٩٥، فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والســمع والبصر دليلا على عــدم إلهية من عــدمت فيه

هـذه الصـفات فـالبطش والمشي من أنـواع الأفعـال والسمع والبصر من أنواع الصفات"[1].

وقـــال الشـــيخ ابن أبي العز الحنفي-رحمه اللــــه-: "والوصف بـالتكلم من أوصـاف الكمـال، وضـده من أوصاف النقص. ﭨ ﭩ ﭪ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ الأعراف: ١٤٨ ، فكان عباد العجل - مع كفرهم - أعرف بالله من المعتزلـة، فـإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضا. وقال تعالى عن العجل أيضا: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ طه: ٨٩ ، فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل"[2].

فتـــبين أن اتصـــاف الآلهة من دون الله بـــالعيوب دليل ظاهر وبيِّن على بطلان عبادتها، لأن المعبود بالحق لا بد أن يكـون متصـفا بالكمـال، والاتصـاف بـالعيوب ينـافي الكمال.

قـــال شـــيخ الإســلام ابن تيميــة-رحمه اللــه-: "كما أنه سبحانه في القـرآن يـبين أن العـالم القـادر الـذي يخلق ويأمر بالعدل أكمل من غيره، وأن هذا التفضيل مســتقر في الفطر والتسـوية من منكـرات العقـول الـتي تنكرها القلوب بفطرتها، وهي من المقدمات البديهية المستقرة فيها، فكذلك يـبين أن العـادم لصـفات الكمـال نـاقص لا يمكن أن يكــون ربا ولا معبــودا. ويــبين أن العلم بــذلك فطري مستقر في القلوب. كقوله تعـالى عن الخليل: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ مريم: ٤٢ ، وقوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ الأعراف: ١٤٨ ، وقوله: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ طه: ٨٩ ، وقوله: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ النحل: ٢٠ - ٢١ ، وقوله: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ يونس: ١٨ ، وقوله عن الخليل: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الصافات: ٩٥ - ٩٦ ، وقوله أيضا: ﭽ ﮠ ﮡ

---

[1] الصواعق المرسلة 3/ 914 – 915.

[2] شرح العقيدة الطحاوية 1/ 175.

ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼالشعراء: ٧٢ - ٧٣ ، وقوله: ﭽﮕ
ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ
ﮬ ﮭ ﭼالأنبياء: ٦٦ - ٦٧ ، وأمثال ذلك كثير"[1].

فـبين رحمه أن هـذه الصـفات عيـوب ونقـائص، تنـافي الكمـال، فكل من اتصف بها فلا يسـتحق الألوهيـة، لأن الألوهية لها خصائص وهي صفات الكمال المطلقة الـتي لا نقص فيها بوجه من الوجـوه، والفاقد للكمـال لا يكـون ربا ولا معبودا.

في هـذا الكلام أورد شـيخ الإسـلام عـددا من الآيـات المشـتملة على عـدد من العيـوب والنقـائص، مسـتدلا بها على عدم استحقاق الآلهة من دون الله للألوهية والعبادة، وهي:

1- أنها لا تسمع ولا تبصر.
2- أنها لا تتكلم وتنطق ولا ترجع القول.
3- أنها لا تملك نفعا ولا ضرا.
4- أنها لا تهدي إلى السبيل.
5- أنها لا تخلق شيئا.
6- أنها مخلوقة لله، مما نحته عابدوها.
7- أنها أموات غير أحياء.

وكل هـذه عيـوب ونقـائص، الـتي تنـافي الكمـال، فتنـافي الألوهية، لأن إلهًا لا بد أن يكون متصـفا بالكمـال. فالعـادم للكمال لا يكون ربا ولا إلها. فهذا يعلمه كل عاقل بفطرته. فدل عقلا وفطرة على بطلان الشرك، وبطلان عبادة غـير الله المتصف بالكمال، المتفرد بها.

فتبين مما سبق أن الإله لا بد أن يكون متصفا بالكمال، لأن الكمال من خصائص الألوهية. فـإذا اتصـفت الآلهة من دون الله بالعيوب والنقائص فلا تكون إلها، فلا تسـتحق أن تكون معبودة، لأنه مما يدرك بالعقل، وتقرر في الفطر أن المتصف بالعيوب والنقائص لا يكون إلها بوجه من الوجوه.

---

[1] درء تعارض العقل والنقل 10/ 154 ـ 155، وانظر مجموع الفتـاوى 6/ـ 81 – 83، 16/ـ 203 – 209، شـرح العقيـدة الأصفهانية ص: 508، 534 – 537.

وبهذا المطلب أتينا على نهاية البحث بأكمله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات!

*******

# الخاتمة

وفيها:

أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث

الحمد لله الـذي بنعمته تتم الصـالحات، والصـلام والسلام على أشـرف الأنبيـاء والمرسـلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذه خاتمة هـذه الرسـالة، تتضـمن أهم النتـائج الـتي توصلت إليها خلال هذا البحث، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1- الدلائل في اللغة جمع دلالـة، ويـأتي نـادرا جمع دليـل، وهو المقصـود في هـذا البحث، فـدلائل توحيد الألوهية أدلته. والدليل هو المرشد. وفي الاصطلاح هو المرشد إلى المطلــوب والموصل إلى المقصــود، فكــل مــا استلزم علما بشيء آخر فهو دليله.

2- الــدلائل تــدل العقــول على العلم بالمطـالب الدينيـة العالية، وهي التي توصل إلى العلم اليقين.

3- تنقسم الدلالـة إلى عـدة أقسـام، باعتبـارات مختلفـة، فتنقســم الــدلائل إلى الــدلائل الفطريــة، والــدلائل الشرعية، والدلائل العقلية.

4- التوحيد لغة هو الإفراد، وشرعا هـو إفـراد اللـه تعـالى بالعبادة، وهو توحيـد الألوهيـة، لأن التوحيـد في إطلاق الشرع هو توحيد العبادة، ويسمى توحيد الألوهية.

5- أن الله تعـالى فطر النـاس على توحيد الألوهيـة، فكل مولـود يولد على الفطـرة، لأن السـلف فسر الفطـرة بالإسلام، وأن كل مولود يولد مفطــورا على محبة الله والخضوع له.

6- أن الله أخــرج بــني آدم من ظهر أبيهم وهم في عـالم الذر، وكلّمهم فعرفوه، وأقرّوا له بالتوحيـد، وأخذ العهد عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

7- أن الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم حجة يأخـذهم اللهِ على تركــــــه، وذلك بعد أن أرسل إليهم الرسل مذكِّرين به.

8- أن الإقــرار بتفــرد الله بالربوبيــة؛ وأنه الخـالق المالك والمدبِّر، يقتضي الإقـرار له بالألوهية وعبادته وحـده لا شريك له.

9- أن الإقرار بتفرد الله بالكمال أمر فُطر عليه بــني آدم،

وأجمع عليه الخلق، فالإقرار بـذلك يقتضي الإقـرار لله بالألوهية، وعبادته وحده لا شريك له.

10- لفظ الجلالة "اللــه" يتضــمن جميع معــاني الأســماء الحســنى، فيــدل على كمــال الله تعــالى وتفــرده بالألوهية.

11- تـنزه الله تعـالى عن كل نقص وعيب يسـتلزم صـفات الكمال، فيفرد بالعبادة لتفرده بالكمال.

12- أن البـــاعث من بعثة الرسل الـــدعوة إلى التوحيـــد، والتحـذير من الشـرك، أرسـلهم الله تعـالى ليـذكروا النـاس ما فُطـروا عليه من التوحيـد، وميثـاقَ التوحيد الذي أخذه الله عليهم، وكان أول دعوتهم إلى التوحيد، وأن الله نصـــرهم وأتبـــاعهم، وأهلك المشـــركين المكذبين بهم. فدل ذلك على وجوب التوحيد اسـتجابة لـدعوة الرسـل، وأن الله تعـالى قد أقـام الحجة على الناس بإرسالهم.

13- أن جميع كتب الله المنزلة تتضمن بيان توحيد الألوهية والأمر به، وبيان أهميته وفضله ووجوبـه، وبيـان حججه والاستدلال عليه، وبيـان حقوقـه، وبيـان جزائه وعقوبة من تركه. وتتضـمن بيـان الشـرك والنهي عنـه، وبيـان قبحه وإبطاله وتحريمه وعقوبة المشركين.

14- أن الله تعـالى شـهد لنفسه بتوحيد الألوهيـة، وتتضـمن شــهادته العلم بأنه لا إله إلا هــو، وقوله بــه، وإعلامه عبـاده إيـاه، وأمـرهم به وإلـزامهم. فـوجب إفـراده بالعبادة لأن هذه الشهادة تقتضي العمل بالمشهود به. وهي أعدل الشهادات، من الله تعالى بأجل مشهود.

15- أن الله تعـــالى خلق الخلق كله لعبادته وحـــده، وأنه خلقه بالحق، وما خلقه باطلا، لأن الله تعـالى حكيم، لا يفعل خلاف الحكمة.

16- أن العبـادة الـتي خلق الله الجن والإنس من أجله هي العبــادة الشــرعية، المقتضــية لمحبته والخضــوع له وطاعته وإفراده بجميع أفعال العباد التي شرعها الله.

17- قد نصب الله الدلائل لعبـاده في مخلوقاتـه، وهي آياته الكونية في الآفــاق والأنفس، فكلها تــدل على خالقها

وأنه المتفرد بالألوهية، كما تفرد بخلقها.

18- قد ضـــرب الله الأمثــال لتوحيد الألوهية في كتابـــه، ونوعهـــــــا، وهي الأدلة الأقيسة العقلية على توحيد الألوهيــة. وضــرب المثل لكلمة التوحيــد، وللموحــد، ولكلمة الشـرك وأعمـال المشـركين، وضـرب تعـالى لنفسه وللآلهة من دونه.

19- أن دليل التمـــانع المشـــهور عند المتكلمين، الـــذي يستدلون به على وجود الله تعالى، إنما هو في إبطـال الشرك في الألوهية، لأنه لو كان للخلق إلهان لفسدت الســـــموات والأرض، فكما أنه لا يوجد الخلق إلا بإله واحد، كذلك لا يصلح إلا بإله واحد.

20- أن الآلهة من دون الله لا تســـتحق الألوهية بوجه من الوجوه، لأن الإلهية لها خصائص؛ وهي صـفات الكمـال الـتي تفـرد الله بهـا، فيسـتلزم ذلك تجردها عن الآلهة من دونـه، فهي مجـردة عن صـفات الربوبية وصـفات العظمة وصفات الرحمة والـبر. وهي متصـفة بصـفات النقص المنافية للكمـــــال، لأن مخلوقة ومربوبة لله تعالى، وتحت تدبيره، وأنها متصفة بـالعيوب والنقـائص وصفات العجز.

هـذا والله أعلم، وصـلى الله وسـلم وبـارك على نبينا محمد وعلى آله وصـــحبه أجمعين، وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين.

*******

# الفهارس

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

أولا: فهرس الأحاديث:

أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده.... 200
أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان.................87
إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة..............74
إذا أصبح وإذا أمسى أصبحنا على فطرة الإسلام.......75
ألا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب؟..................72
إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان......30
إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه................73
ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام.............................151
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..53، 58, 60، 183، 186
إن الله عز وجل لا ينام...................................454
أن تجعل لله ندا وهو خلقك......................178, 255
إن لله تسعة وتسعين اسما..............................145
أنا أغنى الشركاء عن الشرك...........................126
إنك تأتي قوما من أهل الكتاب.................186، 187
إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب.............57, 188
إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين..........68
إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب...............220
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان....................331
خير الدعاء دعاء يوم عرفة.............................149
الدعاء هو العبادة........................................265
سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة .455
سبوح قدوس رب الملائكة والروح......................171
على الفطرة.........66, 67, 74, 75, 76, 78, 79, 82
الفطرة خمس أو خمس من الفطرة......................75
فمن نصب هذه الجبال...................................368
قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري....454
قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني...........62
كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.............................................67، 92
اللهم لا مانع لما أعطيت, ولا معطي لما منعت......112

لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى......149
لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك.................................................63
لما أسري بالنبي..........................................76
لما خلق الله آدم مسح ظهره..............................87
ليس كما تقولون...........................................61
ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبر عنه لسانه..................................................73
ما من مولود يولد إلا وهو على الملة....................73
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد.................61
من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له............62
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة53, 58, 143، 183
من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة................62
من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة .53, 143, 183
نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات.........................246
هذا رجل لا يحب الباطل.................................305
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.....323 -, 328، 461
يا غلام، إني أعلمك كلمات.............................473
يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع 452
يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة.....86

ثانيا: فهرس الآثار:

اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء.............171
تنزيه الله نفسه من السوء..............................171
ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. .46, 49, 142, 150
كانوا يرحلون إلى عمر بن الخطاب فينظرون إلى سمته وهديه ودله.................................................24
لو لم أخلق جنة ولا نارا أما كنتُ أهلا أن أُعبد؟........153

ثالثا: فهرس الأعلام:

ابن المنذر............................................57
ابن جزي............................................255
ابن رشد............................................42, 415
ابن عاشور............................................25, 26
ابن عطية........88, 91, 197, 237, 242, 348, 466
ابن فارس............................................23
ابن مالك............................................22, 23
ابن نمير............................................73
أبو العباس القرطبي............................................56
أبو حيان...............22, 157, 158, 159, 254, 300
أبى كريب............................................73
أبى معاوية............................................73
أحمد بن عيسى............................................416
الآمدي............................................415, 511
الجرجاني............................................25, 27, 28
الجوهري............................................43
الخليل............................................44, 45
الراغب............................................27
الزبيدي............................................22
الزمخشري............................................23
السجزي............................................248
السمعاني............................................106, 236, 338, 521
العسكري............................................284, 373, 520
الفيومي............................................25
القرطبي............................................26
الكفوي............................................22
المرداوي............................................27
المقريزي....................48, 124, 132, 146, 513
الواحدي. .90, 97, 237, 242, 254, 255, 271, 273, 277, 300
قوام السنة التيمي............................................338
مالك بن صعصعة............................................74

## رابعا: فهرس المصادر والمراجع:

(ا)


- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة.
- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العازوري، رمادى للنشر الدمام، الطبعة الأولى، 1418 – 1997.
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى 1424 هـ.
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الحسين بن علي أبو عبد الله الصَّيْمَري الحنفي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م.
- أخبار القضاة، أبو بكر محمد بن خلف الملقب بـ"وكيع"، عالم الكتب – بيروت.
- الأدب المفرد، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، ت/ د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي مصر، 1369 هـ.
- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والنبوات والمعاد، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1404 هـ.
- الأزمنة والأمكنة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417.
- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ت/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ.
- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ، الطبعة الثانية 1411 هـ.

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، محمـد بن أحمـد الأنصاري القرطبي، ت/ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة الحضرية القاهرة، الطبعة الرابعة 1427 هـ.
- الأصـول الثلاثـة وأدلتهـا، الشـيخ محمـد بن عبـد الوهـاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض، الطبعـة العاشرة 1420 هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القـرآن بـالقرآن للشـيخ العلامـة محمـد الأمين الشـنقيطي، دار عـالم الفوائـد، مكـة المكرمـة، الطبعـة الأولى 1426 هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين الـبيهقي، تحقيـق أحمـد بن إبـراهيم أبي العيـنين، دار الفضـيلة الريـاض، الطبعة الأولى 1420 هـ.
- الأعلام، خـير الـدين بن محمـود بن محمد بن علي بن فـارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمـد بن أبي بكـر بن أيـوب ابن قيم الجوزية، تحقيق مشهور بن حسـن آل سـلمان، دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى 1423 هـ.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيـوب ابن قيم الجوزية، ت/ محمـد عزيـر شـمس، دار عـالم الفوائـد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1432 هـ.
- اقتضـاء الصـراط المسـتقيم لمخالفـة أصـحاب الجحيم، شـيخ الإسـلام تقي الـدين أحمـد بن عبـد الحليم بن تيميـة، تحقيـق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض.
- إكمـال المعلم بفوائـد مسـلم، القاضـي عيـاض بن موسـى بن عياض بن عمـرون اليحصـبي السـبتي، أبـو الفضل، ت/ الـدكتور يحْيَى إِسْـمَاعِيل، دار الوفـاء للطباعـة والنشـر والتوزيـع، مصر، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م.
- الإمام في بيان أدلة الأحكام، عبد العزيز بن عبد السـلام بن أبي القاسـم بن الحسـن أبـو محمـد عـز الـدين السـلمي، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق رضـوان مختـار بن غربية، دار البشـائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
- أمثـال العـرب، المفضـل بن محمـد بن يعلى بن سـالم الضـبي، مطبعة الجوائب قسطنطينية، الطبعة الأولى، 1300.

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، الطبعة الثانية 1421 هـ.

(ب)

- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، اعتنى به الشيخ عبد القادر العاني، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع الغردقة، الطبعة الثانية 1413هـ.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1413 هـ.
- بدائع الفوائد، الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد ط2/ 1427هـ.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، الطبعة الثالثة 1404 هـ - 1984 م.
- بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، تصحيح أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، 1326 هـ - 1908 م.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق د. يحيى بن محمد الهنيدي وآخرون، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1426هـ.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس, للسيد محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت 1385 هـ.

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م.

- تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، تحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

- التبيان في أيمان القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت/ عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1432 هـ.
- تجريد التوحيد المفيد، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت/ صبري بن سلامة شاهين، دار القبس الرياض، الطبعة الثانية 1432 هـ.
- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، تحقيق د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 م.
- تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العصمة الرياض، الطبعة الثانية 1410 هـ/1990م.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1425 هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية بيروت، تصحيح محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى 1415 هـ.
- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ت/ صبري بن سلامة شاهين، دار القبس الرياض، الطبعة الثانية 1432 هـ.
- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان 1985 م.
- تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ت/ عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة الرياض.
- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م.

- تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1417 هـ.

- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبِي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، ت/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999.

- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تحقيق د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة القاهرة، الطبعة الأولى 1415 – 1995.

- تقريب التدمرية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن الرياض، ط/1424هـ.

- تقريب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به عادل مرشد، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1429هـ.

- التمانع الدال على التوحيد، أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد (45) ذو القعدة 1429 هـ.

- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم الباقلاني، ت/ عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب والثقافة، الطبعة الأولى 1407 هـ.

- التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلوذاني، ت/ د. مفيد محمد أبو عمشة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، دار المدني جدة، الطبعة الأولى 1406 هـ.

- التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار التوحيد الرياض، الطبعة الأولى 1423هـ.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، ط/ مؤسسة قرطبة 1387 هـ.

- تهذيب السنن، العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكـر بن أيـوب ابن قيم الجوزيـة، تحقيـق د. إسـماعيل بن غـازي مرحبا، مكتبـة المعارف الرياض، الطبعة الأولى 1428.
- تهــذيب اللغة، أبو منصــور محمد بن أحمد الأزهــري، ت/ عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شـرح قصـيدة الإمـام ابن القيم، أحمد بن إبــراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، تحقق زهـير الشـاويش، المكتب الإسـلامي بـيروت، الطبعة الثالثة 1406هـ.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبــد الله بن محمــد بن عبــد الوهــاب، ت/ أســامة بن عطايــا العتيبي، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى 1428هـ.
- تيســير الكــريم الــرحمن في تفسـير كلام المنـان، الشـيخ عبـد الــرحمن بن ناصــر الســعدي، تحقيــق عبــد الــرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1423 هـ.

(ج)

- جــامع البيــان عن تأويل آي القــرآن، الإمــام محمد بن جرير بن يزيد بن كثـــير بن غـــالب الآملي، أبو جعفر الطـــبري، تحقيق الـــدكتور عبد الله بن عبد المحسن الـــتركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان القـاهرة، الطبعة الأولى، 1422 هـــ / 2001 م.
- جامع الرسـائل، تقي الـدين أبو العَبـاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار العطاء الرياض، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.
- الجامع الصحيح المسند من حـديث رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وسـننه وأيامه، الإمــام أبو عبد الله محمد بن إسـماعيل البخاري، تحقيـق محب الـدين الخطيب، تـرقيم محمد فـؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية القاهرة، الطبعة الأولى 1400هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، ثم الدمشقي، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السـلام للطباعة والنشر والتوزيع القــاهرة، الطبعة الثانية 1424 هـــ - 2004 م.

- الجـــامع الكبـــير، محمد بن عيسى بن سَـــوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى الترمذي، تحقيـق بشـار عـواد معـروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1996 م.
- الجـامع لأحكـام القـرآن والمـبيِّن لمـا تضـمنه من السـنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطـبي، تحقيـق د. عبـد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ.
- جامع المسـائل، شـيخ الإسـلام أحمـد بن عبـد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمـد عزيـر شـمس، دار عـالم الفوائـد للنشـر والتوزيع مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1424 هـ.
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ، العلامة أبـو عبـد اللـه محمـد بن أبي بكـر بن أيـوب ابن قيم الجوزيـة، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد مكة المكرمة.
- الجـواب الصـحيح لمن بـدل دين المسـيح، شـيخ الإسـلام أبـو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيــق د. علي حسن ناصر, د. عبد العزيـز إبـراهيم العسـكر, د. حمـدان محمد الحمدان، دار العاصمة الرياض، الطبعة الثانية 1419.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، الحنفي، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام.

(ح)

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، العلامـة أبـو عبـد اللـه محمـد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيـق زائـد بن أحمـد النشـيري، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1428هـ.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيـدة أهل السـنة، قوّام السـنة أبو القاســم، إســماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الــتيمي الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمـير المـدخلي، دار الراية الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ - 1999م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة الأولى 1387 هـ - 1967 م.
- حلية الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصــبهاني، دار الكتب العلمية بــيروت، الطبعة الأولى 1409هـ.

(د)

- الداء والدواء، العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكـر بن أيـوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، وزائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد مكة، الطبعة الأولى 1429هـ.
- دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث، مفتي الـديار النجديـة عبـد اللـه بن عبـد الـرحمن أبـا بطين الحنبلي، تحقيـق عبـد السـلام بن بـرجس بن ناصـر العبـد الكـريم، دار العاصمة الرياض، الطبعة الثانية 1407هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام تقي الـدين أبو العبـاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام ابن تيمية الحـراني، تحقيق الـدكتور محمد رشـاد سـالم، جامعة الإمـام محمد بن سـعود الإسلامية الرياض، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الـدين عبد الـرحمن بن أبي بكر السـيوطي، تحقيق الـدكتور عبد الله بن عبد المحسن الـتركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان القـاهرة، الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2003 م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت، 141 4هـ/ 1993م.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيـات الكتـاب، للشـيخ العلامـة محمـد الأمين الشـنقيطي، دار عـالم الفوائـد، مكـة المكرمـة، الطبعـة الأولى 1426 هـ.
- دلائل التوحيد، محمد جمال الـدين القاسـمي، تعليـق خالـد عبـد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ.
- دلالـة الأسـماء الحسـنى على التنزيه، د. عيسـى بن عبـد اللـه السعدي أستاذ العقيدة المساعد بجامعة أم القرى، بدون بيانات النشر.
- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، الطبعـة الأولى 1406 هـ.

(ر)

- الـرد على المنطقـيين، شـيخ الإسـلام أحمـد بن عبـد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ت/ عبد الصمد شرف الدين الكبـتي، مؤسسة الريان بيروت، الطبعة الأولى 1426 هـ.

- الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، محمد بن محمـود بن أحمد البابرتي، ت/ ضيف الله بن صالح بن عون العمري، مكتبـة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1426 هـ.

- رسـالة إلى أهل الثغر ببـاب الأبـواب، أبو الحسن علي بن إسـماعيل الأشـعري، تحقيـق عبد الله شـاكر محمد الجنيـدي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الثانية 1422هـ.

- رسـالة السـجزي إلى أهل زبيد في الـرد على من أنكر الحـرف والصـوت، أبو نصر عبيد الله بن سـعيد بن حـاتم الـوائلي السـجزيّ، ت/ د. محمد بـاكريم باعبد الله، دار الرايـة الريـاض، الطبعة الأولى 1414 هـ.

- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين أبي النصر عبد الوهـاب بن علي بن عبـد الكـافي السـبكي، ت/ علي محمـد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب بـيروت، الطبعـة الأولى 1419 هـ - 1999م.

- روح المعـاني في تفسـير القـرآن العظيم والسـبع المثـاني، أبـو الفضل السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(ز)

- زاد المسـير في علم التفسـير، أبو الفـرج جمـال الـدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسـلامي بـيروت، الطبعة الثالثة 1404 هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، العلامـة شـمس الـدين أبي عبـد الله محمـد بن أبي بكـر ابن قيم الجوزية، تحقيـق شـعيب وعبـد القـادر الأرنـاؤوطين، مؤسسـة الرسـالة بـيروت - مكتبة المنـار الإسـلامية الكـويت، الطبعة السـابعة والعشـرون , 1415هـ / 1994م.

(س)
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المحدث محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1995 م.
- سـنن ابن ماجه، الإمـام محمد بن يزيد ابن ماجة أبو عبد الله القزويـني، تحقيق محمد فـؤاد عبد البـاقي، دار إحيـاء الكتب العربية.

- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، اعتنى به عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ.
- السنن الكبرى، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001 م.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب بن علي الخراساني أبو عبد الرحمن النسائي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب – دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الرابعة 1414 هـ – 1994م.
- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ.

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق – بيروت، الطبعة الأولى 1406 هـ.
- شرح الأصبهانية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت/ د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج الرياض، الطبعة الأولى 1430هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، ت/ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة الرياض، الطبعة الرابعة 14 16هـ.
- شرح الأصول الثلاثة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع إسكندرية مصر.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة 1416 هـ.

- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الـدين محمد بن علاء الـدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق شـعيب الأرنـاؤوط - عبد الله بن المحسن الـتركي، مؤسسة الرسـالة بـيروت، الطبعة العاشرة 1417هـ.
- شرح الكافية الشافية، العلامة جمـال الـدين أبو عبد اللـه محمد بن عبد الله بن مالك الطـائي، الأندلسي، ت/ د. عبـد المنعم أحمد هريدي، دار المـأمون للـتراث، الطبعـة الأولى 1402 هـ - 1982م.
- شرح الكوكب المنـير, محمـد بن أحمـد بن عبـد العزيـز بن علي الفتوحي، المعروف بـابن النجـار، ت/ د. محمـد الـزحيلي ونزيـه حماد، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1424هـ / 2003 م.
- شرح الواسـطية، ضـمن مجمـوع فتـاوى ورسـائل ابن عـثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبـراهيم السـليمان، دار الـوطن - دار الثريا الرياض، الطبعة الأخيرة - 1413 هـ.
- شفاء العليـل في مسـائل القضـاء والقـدر والحكمـة والتعليل، العلامـة محمـد بن أبي بكـر أيـوب ابن قيم الجوزيـة، تحريـر الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث القاهرة.

(ص)

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام أبي إسماعيل بن حماد الجـوهري، ت/ أحمـد عبـد الغفـور عطـار، دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1404هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبـان، الإمـام أبـو حـاتم محمـد بن حبـان البسـتي، تحقيـق شـعيب الأرنـؤوط، مؤسسـة الرسـالة بيروت، الطبعة الثانية 1414 – 1993.
- صحيح ابن خزيمة، الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمـة أبـو بكـر النيسـابوري، تحقيـق د. محمـد مصـطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، 1400 هـ – 1980 م.
- صـحيح سـنن ابن ماجه، المحـدث محمد ناصر الـدين بن الحـاج نـوح الألبـاني، مكتبة المعـارف للنشر والتوزيع الريـاض، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 م.
- صــحيح ســنن أبي داود – الأم، المحــدث محمد ناصر الــدين الألبــاني، مؤسسة غــراس للنشر والتوزيع الكــويت، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م.

- صحيح سنن أبي داود، المحدث محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م.
- صحيح سنن الترمذي، المحدث محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى 1420 هـ.
- صحيح قصص الأنبياء لابن كثير، بقلم سليم بن عيد الهلالي، طبعة مؤسسة غراس الكويت، الطبعة الأولى 1422 هـ.
- صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى 13 47 هـ.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين النيسابوري، اعتنى به ياسر حسن وآخرَين، مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت، الطبعة الأولى 1433 هـ.
- صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت/ محمزد فاخوري، ومحمد رواس قلعجي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة: 1421هـ/2000م.
- الصفدية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت/ محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي مصر، دار الفضيلة الرياض.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، العلامة محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الطبعة الثالثة 1418 – 1998.

(ض)

- ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل الجبيل السعودية، الطبعة الرابعة 1419 هـ - 1998 م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ / 1992 م.
- الضياء اللامع شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الزليطني القروي المالكي، تحقيق أ. د. عبد

الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الثانية 1420 هـ / 1999 م.

(ط)

- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين السبكي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ..

- طبقات الصوفية، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1985م.
- طبقات الفقهاء الشافعيين، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء الدمشقي، تحقيق د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، تاريخ النشر: 1413 هـ - 1993 م.

- طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الثانية 1422 هـ.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية, ت/ محمد أجمل الإصلاحي, دار العالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1429.

(ع)

- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق إسماعيل بن غازي مرحبا، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1429 هـ.

- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، ت/ د. أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية بالرياض 1410 هـ - 1990 م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001 م.

(غ)

- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006 م.
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي، تحقيق حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة، 1404 هـ 1984 م.

(ف)

- فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع الكويت، الطبعة الأولى: 1424هـ/2003م.
- الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ - 1987م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى 1426 هـ.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القِنَّوجي البخاري، اعتنى به عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي) دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1431 هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ت/ د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الوفاء.

- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض، الطبعة الخامسة 1422 هـ.

- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة.

- الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، د. علي بن عبد الله القرني، دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى سنة 1424هـ.

- الفقيه والمتفقه، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى سنة 1417هـ.

- الفوائد، العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت/ محمد عزير شمس، دار العالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1429.

(ق)

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثامنة 1426 هـ.
- قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق د. عبد الله بن حافظ الحكمي، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى 1419 هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي) دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، تحقيق د. محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث القاهرة، الطبعة الأولى 1422 هـ -2001 م.

- القول السديد شرح كتاب التوحيد، الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي) دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ.

(ك)

- كتاب الروح، العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1432هـ.

- كتاب الصلاة، العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق عدنان بن صفاخان البخاري، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1431هـ.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان الرياض، الطبعة الأولى 1418 هـ.

- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة 1397 هـ.

- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1432هـ.

- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، محمد بن محمد نجم الدين الغزي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

(ل)

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت/ عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة.

- اللمع في أصول اللفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، الناشر، ت/ محي الدين ديب مستو ويوسف علي بديوي، دار

الكلم الطيب دمشق – بيروت، ودار ابن كثير دمشق - بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ.

- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق حمود غرابة، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة 1975 م.

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، اعتنى به أبو عبد الرحمن عادل بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1429هـ.

(م)

- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني أبو الفضل النيسابوري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية 1374 هـ - 1955 م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1425هـ/ 2004م.
- مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة بن العجاج)، اعتنى به وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع الكويت.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا الرياض، الطبعة الأخيرة - 1413 هـ.
- مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، إشراف محمد بن عبد الرحمن السعدي وآخرِين، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ.

- مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت/ السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية 1412 هـ.

- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1376 هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غـالب بن عطيـة الأندلسي، تحقيـق عبـد السـلام عبـد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ - 1993م.

- المحصـول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسـين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الـري، تحقيق الـدكتور طه جـابر فيـاض العلـواني، مؤسسة الرسـالة، الطبعة الثالثة، 1418 هـ - 1997 م.

- المحكم والمحيــط الأعظم في اللغـــة، علي بن إســماعيل بن سـيده، تحقيــق عبــد الســتار أحمــد فــراج وآخــرون، معهــد المخطوطات بجامعة الدول العربية، الطبعة الأولى 1377 هـ.

- مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بـابن الحـاجب، ت/ د. نذير حمَادو، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الأولى 1427 هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، العلامة أبو عبـد اللـه محمـد بن أبي بكـر بن أيـوب ابن قيم الجوزية، ت/ د. ناصـر بن سـليمان السـعوي وآخـرون، دار الصـميعي الريـاض، الطبعة الأولى 1432هـ.

- المسـتدرك على الصـحيحين، الإمـام أبو عبد الله الحـاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، تحقيق مصـطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بــيروت، الطبعة الثانية 142 2 هـ - 2002 م.

- مســـند الإمـــام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت/ شعيب الأرنـؤوط - عـادل مرشــد، وآخــرون، مؤسسة الرســالة بــيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

- المسـودة في أصـول الفقه، آل تيميـة؛ الجـدّ مجد الـدين عبد السلام بن تيمية، الأب عبد الحليم بن تيميـة، الابن الحفيد: أحمد بن تيمية، ت/ د. أحمد بن إبراهيم الذروي، دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى 1422 هـ.

- مشـاهير علمـاء نجد وغـيرهم، عبد الـرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشــــــــيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض، الطبعة الأولى 1392هـ.

- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1399.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مكتبة لبنان بيروت، 1987 م.

- المطالب العالية من العلم الإلهي، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، ت/ د. أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى 1407 هـ.

- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ت/ محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي الدمام، الطبعة الأولى 1420هـ.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الرابعة 1417 هـ / 1997 م.

- معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، اعتنى به محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية حلب، الطبعة الأولى 1351 هـ - 1932 م.

- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م.

- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين المعتزلي، اعتنى به محمد حميد الله، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية دمشق، 1384 هـ - 1964 م.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1420 هـ.

- المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

- معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها، أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الجهني.

- مفــاتيح الغيب، فخــر الــدين محمــد بن عمــر التميمي الــرازي الشافعي، دار الفكر للطباعـة والنشـر والتوزيع بـيروت، الطبعـة الأولى 1401 هـ.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, للإمام العلامــة محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت/ عبد الـرحمن بن حسـن قائد, دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1432هـ.
- المفردات في غـريب القـرآن، أبـو القاسـم الحسـين بن محمـد المعروف بالراغب الأصـفهاني، تحقيـق محمـد سـيد كيلاني، دار المعرفة بيروت.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الحافظ أبو العبـاس أحمد بن عمرٍ بن إبراهيم الأنصـاري القرطـبي، ت/ محي الـدين ديب مستو وآخرِين، دار ابن كثـير دمشـق - بـيروت، ودار الكلم الطيب دمشق – بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ.

- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامـد محمــد بن محمــد الغــزالي، ت/ محمد عثمــان الخشت، مكتبــة القرآن القاهرة.

- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكـريم بن أبى بكر أحمد الشهرسـتاني، تعليـق كسـرى صـالح العلي، مؤسسـة الرسـالة ناشرون بيروت، الطبعة الأولى 1432هـ.

- مناهج الأدلة في عقائـد الملـة، أبـو الوليـد محمـد بن أحمـد ابن رشد الأندلسي، ت/ د. محمود قاسم، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، الطبعة الثانية 1964.

- المنتقى شرح موطأ مالك، القاضي أبو الوليد سليمان بن خلــف بن سعد بن أيوب الباجي، ت/ محمد عبد القادر أحمــد عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ / 1999 م.

- منهــاج الســنة النبوية في نقض كلام الشــيعة القدرية، شــيخ الإســلام تقي الــدين أبو العبــاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام ابن تيمية الحـراني، تحقيق محمد رشـاد سـالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الريـاض، الطبعة الأولى 1406 هـ - 1986 م.
- منهج الجدل والمنـاظرة في تقريـر مسـائل الاعتقـاد، د. عثمـان علي حسن، دار إشبيليا الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ.

- موطأ الإمـــام مالـــك، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عــامر الأصــبحي المــدني، تحقق محمد مصــطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيـان للأعمـال الخيرية والإنسـانية أبو ظبي الإمارات، الطبعة الأولى 1425 هـ - 2004 م.

- ميثاق الإيمان، د. عيسى بن عبد الله السعدي، دار ابن الجــوزي الدمام، الطبعة الأولى 1434هـ.

(ن)

- النبـوات، تقي الـدين أبو العبـاس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحـــراني، تحقيق د. عبد العزيز بن صـــالح الطويـــان، أضـــواء السلف الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م.

- النهايـة في غـريب الحـديث والأثـر، أبـو السـعادات المبـارك بن محمـد الجـزري، تحقيـق طـاهر أحمـد الـزاوى ومحمـود محمـد الطناحي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(و)

- الواضـح في أصـول الفقه، أبـو الوفـاء علي بن عقيـل البغـدادي الحنبلي، ت/ د. عبـد اللـه بن عبـد المحسـن الـتركي، مؤسسـة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1420 هـ.
- الوجيز في تفسـير الكتـاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحــدي، تحقيق صــفوان عــدنان داوودي، دار القلم, الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ.
- الوسـيط في تفسـير القـرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحـــدي، تحقيق وتعليق عـــادل أحمد عبد الموجـــود وآخـــرين، دار الكتب العلمية بـــيروت، الطبعة الأولى 1415هـ - 1994.

خامسا: فهرس الموضوعات:

المقدمة، وفيها.................................................................2.
**أولا:** أسباب اختيار الموضوع.................................................4
**ثانيًا:** الدراسات السابقة حول الموضوع......................................6
**ثالثًا:** خطة البحث..............................................................12
**رابعًا:** المنهج في البحث.......................................................18
**خامسًا:** الشكر والتقدير.........................................................20

  

التمهيد: **تعريف مفردات العنوان، ويشتمل على مبحثين**.......................22
**المبحث الأول:** تعريف الدلائل وأنواع الدلالات، وفيه ثلاثة مطالب..............23
**المطلب الأول:** تعريف الدلائل...............................................23
**المطلب الثاني:** أهمية معرفة الدلائل.......................................30
**المطلب الثالث:** أنواع الدلائل وأقسامها.....................................35
**المبحث الثاني:** التعريف بتوحيد الألوهية، وفيه مطلبان..........................41
**المطلب الأول:** التعريف بتوحيد الألوهية لغة وشرعًا..............................41
**المطلب الثاني:** أهمية توحيد الألوهية وبيان فضله..................................48

**أولا:** بيـــــــــــــــــــــــــــــــان أهمية توحيد الألوهية.........................................48
**ثانيًـــــــــــــــــا:** بيـــــــــــــــان فضل توحيد الألوهية.........................................59
  
الـبــــاب الأول: **الــــدلائل الفطرية على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة فصول..**64
**الفصل الأول: دلالة الفطرة على توحيد الألوهية وفيه مبحثان**.................65
**المبحث الأول: بيـــــان أن توحيد الألوهية قد فطر الله العباد عليه، وفيه ثلاثة مطالب..** 66
**المطلب الأول:** معـــــــــــنى الفطـــــــــــــرة الإسلام.........................................66
**المطلب الثــاني:** تفســير الســلف للفطــرة بأنها دين الإسلام...........................73
**المطلب الثــالث:** تهويد المولــود وتنصــيره وتمجيسه تغيير للفطرة...................... 79
**المبحث الثاني: بيان أن توحيد الألوهية جــزء من العهد والميثاق الـذي أخـذه الله على بـني آدم, وفيه مطلبان..............................................**83
**المطلب الأول:** إقــــــرار الله لعبـــــاده بإثبـــــات الربوبية................................. 83
**المطلب الثاني:** الاحتجـاج بشـرك الآبـاء دليل على أن الميثاق هو توحيد الألوهية.....92
**الفصل الثــاني: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان.........**96
**المبحث الأول: الإقـــــرار بتفـــــرد الله بالربوبية يقتضي إفراده بالألوهية**.............97
**المطلب الأول:** الإقـــرار بتفـــرد الله بـــالخلق والملك والتدبير يقتضي إفراده بأنواع العبادة97

**أولا:** تفـــــرد الله بـــــالخلق واقتضـــــاءه إفـــــراده بالألوهية..............................97
**ثانيًـــــا:** تفـــــرد الله بالملك واقتضـــــاءه إفـــــراده بالألوهية.............................100
**ثالثـــا:** تفـــرد الله بالتـــدبير واقتضـــاءه إفـــراده بالألوهية.............................103
**المطلب الثاني:** الإقرار بتفـرد الله بالإنعـام والإحسـان يقتضي إفراده بالعبادة.......100
**المطلب الثالث:** الإقرار بتفرد الله بجلب المنـافع ودفع المضـــار يقتضي إفـــراده بالرجـــاء والخـــوف والرغبة والرهبة............................................117
**المبحث الثاني: الإقـرار بتوحيد الربوبية يسـتلزم توحيد الألوهية, وفيه مطلبان...**123
**المطلب الأول**: الإقـرار بتوحيد الربوبية لا ينفع صـاحبه بدون توحيد الألوهية.....123
**المطلب الثـاني**: احتجـاج الله تعـالى على المشـركين وتقريـــــــــــــــرهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية..........................................................134......
**الفصل الثـالث**: **دلالة توحيد الأسـماء والصـفات على توحيد الألوهية**...........142
**تمهيد:** بيان فطرية معرفة كمال الله تعالى.................................143
**المبحث الأول**: **تفرد الله تعـالى بصـفات الكمـال يدل على استحقاقه للألوهية**...144
**المطلب الأول:** الأوهية تتضمن جميع الأسماء الحسـنى والصفات العليا............144
**المطلب الثـاني:** تفـرد الله تعـالى بصـفات الكمـال يقتضي محبته وإفراده بالعبادة......154
**المطلب الثـــالث:** أمر الله بتوحيد الألوهية ودعوته إليه بذكر تفرده بالكمال.......160
**المبحث الثـــاني: تـــنزه الله تعـــالى عن كل عيب ونقص يدل على استحقاقه للألوهية**...170

**المطلب الأول**: تــنزه الله تعــالى عن كل عيب ونقص يقتضي نفي الألوهية عن غيره170
**المطلب الثاني**: الإقرار بتـنزه الله تعـالى عن كل عيب ونقص يقتضي تنزيهه عن كل ند وشـــــــــــريك في ألوهيته.......................................................
179

  

**الباب الثاني: الـدلائل الشـرعية على توحيد الألوهية**...............184
**الفصل الأول: دلالة بعثة الرسل على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان**...........185
**المبحث الأول**: **الحكمة من بعثة الرسل الـــدعوة إلى توحيد الألوهية**............186
**المطلب الأول**: أول دعــوة الرسل الــدعوة إلى توحيد الألوهية....................186
**المطلب الثــاني**: الخصــومة بين الرسل وأممهم على توحيد الألوهية.................193
**المطلب الثـالث**: منــاظرات الأنبيــاء مع أممهم حــول توحيد الألوهية................206
**المبحث الثـــاني: العـــواقب الحميـــدة للرسل وأتباعهم, والعواقب الوخيمة للمشركين, وفيه مطلبان**.......................................................
221...
**المطلب الأول**: إكــرام الله للرسل وأتبــاعهم الــذين قاموا بالتوحيد.................221
**المطلب الثــاني**: إهلاك الله المشــركين المســتكبرين عن عبادته وتوحيده..............232
**الفصل الثـــاني: دلالة الكتب المنزلة على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان**..........243
**المبحث الأول: توحيد الألوهية أعظم ما قررته الكتب المنزلة واتفقت عليه**......244
**المطلب الأول**: اتفــاق جميع الكتب المنزلة على تقرير توحيد الألوهية............244

**المطلب الثـــاني**: تقرير توحيد الألوهية أعظم ما في الكتب المنزلة..................257
**المبحث الثـاني: تقرير القــرآن الكــريم لتوحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب**.......264
**المطلب الأول:** بيـان أن القـرآن أُنـزل لتفصـيل توحيد الألوهية....................264
**المطلب الثـاني**: تنــوع الأدلة النقلية في القــرآن على توحيد الألوهية...............267
الــــدليل الأول: الأمر بالتوحيد.............................................267
الـــدليل الثـــاني: بيـــان حقـــوق التوحيد.........................................270
الـــدليل الثـــالث: ذكر محاسن التوحيد وجزائه ومـــدح أهله.........................271
الــــدليل الرابـــع: النهي عن الشرك.............................................271
الــدليل الخــامس: ذكر مســاوئ الشــرك وعقوبته وذم أهله.........................272
**المطلب الثــالث**: تنـــوع الأدلة العقلية الشـــرعية في القرآن على توحيد الألوهية......274
الــــدليل الأول: الاعـــتراف بربوبية الله.........................................274
الـــدليل الثـــاني: انفـــراده بـــالنعم ودفع النقم.................................276
الدليل الثالث: ما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة.277
الـدليل الرابـع: ما أخــبر به تعـالى عن المعبـودات الـتي عبـدت من دونـه، من الصـفات الدالة على نقصـها غاية النقص.............................................275
الــدليل الخــامس: ما شــاهده العبــاد من الإكــرام لأهل التوحيـــد، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك............................................................282

**الفصل الثـــالث: دلالة شـــهادة الله تعـــالى على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان**......286
**المبحث الأول: معـــــنى شــــــهادة اللــــه, وفيه مطلبان**..............................287
**المطلب الأول:** معـــــــــنى الشـــــــــهادة في اللغة والشرع...............................287
**المطلب الثـــــــاني:** معـــــــنى شـــــــهادة الله.............................................291
**المبحث الثـــاني: دلالة شـــهادة الله على توحيد الألوهية, وفيه أربعة مطالب**.......293
**المطلب الأول:** شـــــــــــهادة الله لنفسه بتوحيد الألوهية...........................293
**المطلب الثاني:** العمل بـالأمر المشـهود به وهو توحيد الله في الألوهية.............298
**المطلب الثـــالث:** قيامه تعـــالى بالقسط في هـــذه الشهادة.........................301
**المطلب الرابع:** اقـتران شـهادة خيـار الخلق بشـهادته تعالى على توحيد الألوهية.....304
**الفصل الرابـــــع: دلالة الحكمة من خلق الجن والإنس على توحيد الألوهية**......307
**المبحث الأول: بيان الحكمة من خلق العباد وفيه مطلبان**.....................308
**المطلب الأول:** بيـــــــان أن الله لم يخلق شـــــيئا عبثا...............................308
**المطلب الثـــاني:** بيـــان أن الله خلق العبـــاد لعبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته وطاعته......318

**المبحث الثاني: كمال غنى الله تعالى عن جميع خلقه, وفيه مطلبان**.............324
**المطلب الأول**: اتصاف الله تعالى بالغنى المطلق.................................324
**المطلب الثاني**: افتقار الخلق إلى الله يلزمهم الإنابة إليه...........................332


  

**الباب الثالث: الدلائل العقلية على توحيد الألوهية**...............338
**تمهيد**: المراد بالأدلة العقلية.................................................339
**الفصل الأول: دلالة الآيات المخلوقة على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان**......342
**المبحث الأول: دلالة آيات الأنفس على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب**...343
**المطلب الأول**: دلالة ما في نفس العبد من العبر والحكمة......................343
**المطلب الثاني**: دلالة خلق الإنسان أطوارا بعد أطوار.........................348
**المطلب الثالث**: دلالة نعم الله على العبد....................................353
**المبحث الثاني: دلالة آيات الآفاق على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب**.....357
**المطلب الأول**: دلالة آيات الآفاق في العظمة والسعة وانتظام الحركة............357
**المطلب الثاني**: دلالة آيات الآفاق في الإحكام والإتقان على حكمة الله..........363
**المطلب الثالث**: دلالة آيات الآفاق وما فيها من المنافع للخلق..................369
**الفصل الثاني: دلالة الأمثال المضروبة على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مباحث**.377
**المبحث الأول: معنى الأمثال وفائدتها, وفيه مطلبان**.........................378

**المطلب الأول**: معـــــــــــنى الأمثـــــــــــال لغة واصطلاحا.................................378

**المطلب الثاني**: الفائدة من ضرب الأمثال في الكتــاب والسنة.....................384

**المبحث الثاني: ضرب المثل في تقرير التوحيــد, وفيه مطلبان**...................391

**المطلب الأول**: ضـــــــــــــــــــرب المثل لكلمة التوحيد.................................391

**المطلب الثـــــاني:** ضـــــــرب المثل للمـــــؤمن الموحد.................................394

**المبحث الثالث: ضرب المثل في إبطال الشـرك, وفيه ثلاثة مطالب**..............397

**المطلب الأول**: ضـــــــــــــــــــرب المثل للشرك.........................................397

**المطلب الثـــــاني**: ضـــــــرب المثل بضـــــــعف الآلهة.....................................403

**المطلب الثـــــالث**: ضــــــرب المثل للمشــــــركين وأعمالهم...............................410

**الفصل الثــالث: دلالة دليل التمــانع على توحيد الألوهية, وفيه مبحثان**.........419

**المبحث الأول: معنى دليل التمانع وبيان صـحته, وفيه مطلبان**...............420

**المطلب الأول**: المـــــــــــراد بـــــــــــدليل التمانع.........................................420

**المطلب الثـــــــــــاني**: صـــــــــــحة دليل التمانع.........................................424

**المبحث الثــاني: دلالة دليل التمــانع على توحيد الألوهية, وفيه ثلاثة مطالب**.....428

**المطلب الأول**: ما اســـتدل به المتكلمـــون على دليل التمـــــــانع حقيقته إبطـــــــال الشـــــــرك في الألوهية...........................................................428

**المطلب الثاني**: يمتنع أن يكون للخلق إلهان, كما يمتنع أن يكون له ربان.........432
**المطلب الثالث**: لا يصلح الكون إلا بإله واحد، كما أنه لم يوجد إلا برب واحد.437
**الفصل الرابع: دلالة معرفة أوصاف الآلهة الباطلة على توحيد الألوهية**........442
**تمهيد:** أهمية معرفة أوصاف الآلهة المعبودة من دون الله.........................443
**المبحث الأول: أن كل الآلهة من دون الله مجردة عن جميع معاني الألوهية**.......444
**المطلب الأول**: تجرد الآلهة من دون الله عن جميع معاني الربوبية................444
**المطلب الثاني**: تجرد الآلهة من دون الله عن صفات العظمة والكبرياء.............458
**المطلب الثالث**: تجرد الآلهة من دون الله عن الغنى المطلق........................466
**المطلب الرابع**: تجرد الآلهة من دون الله عن صفات الرحمة والبر والإنعام.........478
**المبحث الثاني: أن كل الآلهة من دون الله موصوفة بصفات النقص المنافية للألوهية, وفيه ثلاثة مطالب**..................................................491
**المطلب الأول**: كون الآلهة من دون الله مخلوقة لله ومربوبة له...................491
**المطلب الثاني**: كون الآلهة من دون الله متصفة بصفات العجز.................496
**المطلب الثالث**: كون الآلهة من دون الله متصفة بالعيوب......................505

**الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال البحث**........511
**الفهارس**.......................................................515
**أولا:** فهرس الأحاديث..........................................516
**ثانيًا:** فهرس الآثار..............................................518
**ثالثًا:** فهرس الأعلام المترجم لهم......................................519
**رابعًا:** فهرس المصادر والمراجع..........................................521
**خامسًا:** فهرس الموضوعات.............................................540